القلزم للدراسات التاريخية والحضارية
مجلة علمية محكمة
تصدر عن مركز بحوث ودراسات دول حوض البحر الأحمر - السودان
بالتشارك مع الاتحاد الدولي للمؤرخين - الدنمارك
ISSN:1858-9952

هذا العدد :

- دور الأمراء والعامة في الحملة الصليبية الأولى على البلاد الإسلامية (492-489هـ/ 1096-1099م)
  د. علي بن محمد عبد العزيز النغيمشي
- النخلة في التراث الشعبي الليبي (واحة زلة أنموذجاً)
  د. أبو القاسم السنوسي قنه محمد
- الخليفة عبد الله بين مطرقة الدولة وسندان الدعوة(1885ـ 1898م)
  د يسرية موسى أحمد جمال الدين
- الأسر التجارية في مدينة جدة قبيل عهد الملك عبد العزيز
  د. هدى علي يحيى أبوعقار
- المنشآت العُمرانية في اليمن خلال عصر الدولة الرّسولية(626 ـ 858هـ /1228ـ1454م)
  أ. طارق جابر يحيى المالكي
- العلاقات العلمية بين الهنود والدولة العباسية(132 ـ 656هـ/750 ـ 1258م)
  أ.عبد الرب عبد الصمد محمد سعي
- تخطيط المدينة العربية الإسلامية بين الاصالة والحداثة مدينة ينبع نموذجاً (دراسة حضارية في ضوء المصادر التاريخية والوثائقية)
  أ.مدى بنت سالم الحربي
- مدينة ثاج الأثرية
  أ.أشواق بنت محمد صالح بن بويتع القرشي
- أثر العمل الخيري في الجوانب الدينيةعلى المجتمع السعودي في عهد الملك فهد بن عبد العزيز (1340 ـ 1426هـ/ 1921 ـ 2005م)
  أ.عواطف بنت شنين بن خلف العنزي ـ أ.د. فاطمة محمد الفريحي
- كسوة الكعبة المشرفة في عهد الملك سلمان بن عبد العزيز آل سعود
  أ.أمجاد محمد صادق المجنوني

العدد السابع والثلاثون ذو القعدة 1446هـ ـ يونيو 2025م

مجلة القُلزم للدراسات التاريخية والحضارية علمية دولية محكمة -العدد السابع والثلاثون رمضان 1446هـ - مارس 2025م

ISSN: 1858 - 9952 ردمك

دار آريثيريا للنشر والتوزيع
Arrythria for Publishing and Distribution

فهرسة المكتبة الوطنية السودانية-السودان
مجلة القلزم:Alqulzum Journal for
Historical and cultural Studies
الخرطوم : مركز دول حوض البحر الأحمر 2025
تصدر عن دار آريثيريا للنشر والتوزيع -السوق العربي
السودان - الخرطوم
ردمك: 1858-9952

مجلة القلزم للدراسات التاريخية و الحضارية

الهيئة العلمية و الإستشارية

أ.د. حسن أحمد إبراهيم-السودان

أ.د.أسامة عبد الله محمد الأمين -السودان

أ.د. سارة بنت عبد الله العتيبي- المملكة العربية السعودية

أ.د. أسامة عبد الرحمن الأمين- السودان

أ.د. أبو هريرة عبد الله محمود يعقوب- السودان

أ.د. أشرف محمد عبد الرحمن مؤنس - جمهورية مصر العربية

أ.د. السماني النصري محمد أحمد - السودان

د. أحمد الياس الحسين - السودان

د. داود ساغه محمد عبد الله- السودان

د. سلطان أحمد الغامدي- المملكة العربية السعودية

د. سامي صالح عبد المالك البياضي- مصر

د. محمد أحمد زروق- المغرب

د. سعاد عبد العزيز أحمد السودان

د . أحمد محمد مركز- السودان

د. باب ولد أحمد ولد الشيخ سيديا- موريتانيا

د. عزة محمد موسى - السودان

د. حنان عبد الرحمن عبد الله التجاني- السودان

د. ربيعة أحمد عمران المداح- ليبيا

د. أمل عبد المعز صالح الحميري- جامعة صنعاء اليمن

هيئة التحرير

المشرف العام

أ.د.إبراهيم البيضاني

رئيس هيئة التحرير

أ.د.حاتم الصديق محمد احمد

رئيس التحرير

د. عوض أحمد حسين شبا

سكرتير التحرير

د.سلوى التجاني فضل جبر الله

التدقيق اللغوي

أ.الفاتح يحيى محمد عبد القادر

الإشراف الإلكتروني

د. محمد المأمون

التصميم الداخلي

أ. عادل محمد عبد القادر

تصميم الغلاف

ايلين عبد الرحيم ابنعوف

الآراء والأفكار التي تنشر في المجلة

تحمل وجهة نظر كاتبها ولا تعبر بالضرورة عن آراء المركز

موجهات النشر

تعريف المجلة:

مجلة (القُلزم) للدراسات التاريخية و الحضارية مجلة علمية محُكمة تصدر عن مركز بحوث ودراسات دول حوض البحر الأحمر - السودان . بالشراكة مع الاتحاد الدولي للمؤرخين - الدنمارك تهتم المجلة بالبحوث والدراسات التاريخية والحضارية والمواضيع ذات الصلة لدول حوض البحر الأحمر من الناحية التاريخية والحضارية.

موجهات المجلة:

1. يجب أن يتسم البحث بالجودة والأصالة وألا يكون قد سبق نشره قبل ذلك.
2. على الباحث أن يقدم بحثه من نسختين. وأن يكون بخط (Traditional Arabic) بحجم 14 على أن تكون الجداول مرقمة وفي نهاية البحث وقبل المراجع على أن يشارك إلى رقم الجدول بين قوسين دائريين ().
3. يجب ترقيم جميع الصفحات تسلسلياً وبالأرقام العربية بما في ذلك الجداول والأشكال التي تلحق بالبحث.
4. المصادر والمراجع الحديثة يستخدم أسم المؤلف، اسم الكتاب، رقم الطبعة، مكان الطبع، تاريخ الطبع، رقم الصفحة.
5. المصادر الأجنبية يستخدم اسم العائلة (Hill, R,).
6. يجب ألا يزيد البحث عن 30 صفحة وبالإمكان كتابته باللغة العربية أو الإنجليزية.
7. يجب أن يكون هناك مستخلص لكل بحث باللغتين العربية والإنجليزية على ألا يزيد على 200 كلمة بالنسبة للغة الإنجليزية. أما بالنسبة للغة العربية فيجب أن يكون المستخلص وافياً للبحث بما في ذلك طريقة البحث والنتائج والاستنتاجات مما يساعد القارئ العربي على استيعاب موضوع البحث وبما لا يزيد عن 300 كلمة.
8. لا تلزم هيئة تحرير المجلة بإعادة الأوراق التي لم يتم قبولها للنشر.
9. على الباحث إرفاق عنوانه كاملاً مع الورقة المقدمة (الاسم رباعي، مكان العمل، الهاتف البريد الإلكتروني).

نأمل قراءة شروط النشر قبل الشروع في إعداد الورقة العلمية.

المحتويات

دور الأمـراء والعامـة في الحملـة الصليبيـة الأولى عـلى البـلاد الإسـلامية (492-489هـ/ 1096- 1099م).....(7-28)

د. علي بن محمد عبد العزيز النغيمشي

النخلـة في الـتراث الشـعبي الليبـي (واحـة زلـة أنموذجـاً).....(29-68)

د. أبو القاسم السنوسي قنه محمد

الخليفـة عبـد الله بـين مطرقة الدولـة وسـندان الدعوة(1885ـ 1898م).....(69-92)

د يسرية موسى أحمد جمال الدين

الأسر التجاريـة في مدينـة جـدة قبيـل عهـد الملـك عبـد العزيـز....(93-108)

د. هدى علي يحيى أبوعقار

المنشـآت العُمرانيـة في اليمـن خـلال عـصر الدولـة الرّسـولية(626 - 858هـ/ 1228-1454م).....(109-130)

أ. طارق جابر يحيى المالكي

العلاقات العلمية بين الهنود والدولة العباسية(132 - 656هـ/750 - 1258م).....(131-146)

أ.عبد الرب عبد الصمد محمد سعي

تخطيـط المدينـة العربيـة الإسـلامية بـين الاصالـة والحداثـة مدينـة ينبـع نموذجـاً (دراسـة حضارية في ضـوء المصادر التاريخيـة والوثائقيـة).....(147-184)

أ.مدى بنت سالم الحربي

مدينة ثـاج الأثريـة.....(184-212)

أ.أشواق بنت محمد صالح بن بويتع القرشي

أثـر العمـل الخـيري في الجوانـب الدينيةعـلى المجتمـع السـعودي في عهـد الملـك فهـد بـن عبـد العزيـز (1340 - 1426هـ/ 1921 - 2005م).....(213-226)

أ.عواطف بنت شنين بن خلف العنزي - أ.د. فاطمة محمد الفريحي

كسـوة الكعبـة المشرفة في عهد الملك سـلمان بن عبد العزيز آل سـعود.....(227-282)

أ.أمجاد محمد صادق المجنوني

كلمة التحرير

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خير الخلق أجمعين.

القارئ الكريم:

بعد السلام وكامل التقدير والاحترام يسعدنا أن نضع بين يديك هذا العدد من مجلة القلزم للدراسات التاريخية والحضارية الذي يأتي في إطار الشراكة العلمية المثمرة والجادة مع الاتحاد الدولي للمؤرخين (الدنمارك).

القارئ الكريم:

يسعدنا ويسرنا أن نضع بين يديك العدد السابع والثلاثون من مجلة القُلزم العلمية للدراسات الإسلامية وهي تصدر في إطار الشراكة لمركز بحوث ودراسات دول حوض البحر الأحمر مع جامعة كسلا (السودان) عن دار آريثيريا للنشر والتوزيع، ويضم هذا العدد مواضيع متنوعة نتمنى أن تنال رضاكم .

القارئ الكريم:

نأمل أن يكون هذا العدد أكثر شمولاً وتنوعاً من حيث المواضيع وطريقة طرحها وتحليلها ومعالجتها. ونسأل الله تعالى أن يجد المهتمين والمختصين والباحثين في هذا العدد ما يفيدهم ويضيف للبحث العلمي.

وأخيراً نجدد شكرنا وامتنانا لكل الذين أسهموا في إنجاح هذا العدد من باحثين، ومحكمين ونجدد دعوتنا للجميع بأن أبواب النشر مشرعة في جميع مجلات القلزم العلمية المتخصصة.

أسرة التحرير

دور الأمراء والعامة في الحملة الصليبية الأولى على البلاد الإسلامية
(489 ـ 492هـ/ 1096- 1099م)

د. علي بن محمد عبد العزيز النغيمشي
أستاذ تاريخ العصور الوسطى المشارك – قسم التاريخ والتراث
كلية اللغات والعلوم الإنسانية جامعة القصيم المملكة العربية السعودية

مستخلص:

تهدف هذه الدراسة إلى تسليط الضوء على الأدوار المتباينة التي لعبها كل من عامة الشعب والأمراء الأوروبيين في الحملة الصليبية الأولى على البلاد الإسلامية، وتحليل دوافعهم السياسية والدينية والاجتماعية، مع التركيز على تأثيرهم في نشأة الحملة وتطور مسارها حتى احتلال بيت المقدس. تأتي أهمية البحث من كونه يُبرز أحد أبرز الأحداث المفصلية في تاريخ العلاقات بين الشرق والغرب، ويكشف عن الديناميكيات الداخلية للحملة بين العشوائية الشعبية والتنظيم العسكري للنبلاء، كما يوضح كيف شكّلت هذه الحملة بداية المشروع الاستعماري الأوروبي في المشرق الإسلامي. اعتمدت الدراسة المنهج التاريخي التحليلي، من خلال تحليل المصادر التاريخية الأولية والثانوية. أسفرت الحروب الصليبية عن فشل في تحقيق أهدافها الرئيسة، رغم الدور الكبير الذي أداه كل من العامة والأمراء في إشعالها واستمرارها، إذ استعاد المسلمون القدس وطُرد الصليبيون من بلاد الشام، بينما أظهرت الحضارة الإسلامية تفوقًا في التنظيم والأساليب الحربية. في المقابل، أخفقت البابوية في توحيد أوروبا بسبب النزاعات الداخلية، في حين استفادت القوى الإقطاعية من تجارة السلاح. كما أضعفت الحروب الجبهة الإسلامية ومهّدت لاجتياح المغول، وأدت إلى تراجع هيبة الأباطرة وضعف الإمبراطوريتين الغربية والشرقية، وانتهى الأمر بانهيار بعض التنظيمات العسكرية كفرسان المعبد.

الكلمات المفتاحية: بيت المقدس، البابوية، الحملة الصليبية الأولى، الحروب الصليبية، العامة والأمرا

The Role of Princes and the Common People in the First Crusade against the Islamic Lands (489–492 AH / 1096–1099 AD)

D. Ali bin Mohammed Abdulaziz Al-Naghmishi

Abstract:

This study aims to shed light on the divergent roles played by both the common people and European princes in the First Crusade against the Islamic lands, analyzing their political, religious, and social motivations, with a focus on their impact on the initiation and progression of the campaign up to the occupation of Jerusalem. The significance of the research lies in its examination of one of the most pivotal events in the history of East-West relations. It reveals the internal dynamics of the

Crusade, highlighting the contrast between popular spontaneity and the military organization of the nobility, and demonstrates how this campaign marked the beginning of European colonial ambitions in the Islamic East. The study adopts a historical-analytical method through the examination of both primary and secondary historical sources. The Crusades ultimately failed to achieve their primary objectives, despite the major role played by both the commoners and princes in igniting and sustaining them. Jerusalem was eventually reclaimed by the Muslims, and the Crusaders were expelled from the Levant, while Islamic civilization demonstrated its superiority in military organization and warfare. In contrast, the papacy failed to unify Europe due to internal conflicts, while feudal powers benefited economically from the arms trade. The wars also weakened the Islamic front, paving the way for the Mongol invasion, and led to the decline of imperial prestige and the weakening of both Western and Eastern Roman empires, culminating in the collapse of some military orders such as the Knights Templar.
Keywords: Jerusalem, Papacy, The First Crusade, Crusades, Commoners and Princes

مقدمة:

اتجهت الأنظار في أوروبا نحو الأرض المقدسة منذ أن دعا البابا أوربان الثاني لاسترداد الأراضي المقدسة من أيدي المسلمين، فتم عقد عدة اجتماعات دعا فيها للحروب الصليبية، وسميت هذه الاجتماعات حسب أسماء المدن التى عقد فيها الاجتماع وهي (ليموج، انجرز، مان، تورز، بواتييه، بوردو، تولوز، نيم) خلال الفترة من (488 هـ/ 1095م إلى 489 هـ/ 1096م)، وقرر فيها البابا أن ممتلكات الصليبيين توضع تحت رعاية الكنيسة مدة غيابهم، وأن يَخِيط كل محارب صليبًا من القماش على ردائه الخارجي. وبدأت الحملات الصليبية بحملات العامة أو حملات الدعاة، وهي حملات تفتقر إلى القوة والنظام، وكان منها حملة بطرس الناسك.

ثم بدأ بعد ذلك ما يعرف في التاريخ بالحملة الصليبية الأولى وقد شارك فيها أمراء وفرسان أوروبيون محترفون وبدأت الحملة سيطرتها على مناطق المسلمين منذ صيف (490ه/1097م)، وأسس الصليبيون في بلاد الشام إمارة الرها في مارس 491ه/ 1098م. وفي ذلك الوقت كان السلاجقة يتعرضون للزحف الصليبي شمال بلاد الشام، واستغل الفاطميون الفرصة فاحتلوا صور(490هـ/1097م) وسيطروا على بيت المقدس في فبراير491هـ/1098م أثناء حصار الصليبيين لأنطاكية، وظهرت الخيانات وانكشف التخاذل من إمارات المدن التي حرصت كل منها على نفوذها وكسب الصليبيين أثناء توسعهم([1]).

تحاول هذه الدراسة أن تلقي الضوء على الدور الذي قام به عامة الشعب في دعم

للحملة الصليبية الأولى في الفترة من سنة 489ه/1096م إلى سنة 492ه/1099م من ناحية، ومن ناحية أخرى دور الأمراء والنبلاء في توجيه وتنظيم هذه الحملة، فمن المعروف تاريخيّا أن تعبئة النفس البشرية بحق ليس له أساس من الصحة أو الوجود، فمن الممكن استغلال غايات البشر وأهدافهم وأحلامهم وتوظيفها فيما يهدف سياسات الآخرين وهذا تحديدًا الدور الذى قدّمه العامة في الحملة الصليبية الأولى، إذ كانوا بمثابة مجرد أداة من أجل بدء سياسة معينة للوصول إلى الأراضي الإسلامية ووضعها تحت يد الصليبين.

أما دور العسكريين من نبلاء وأمراء جاء في مرحلة تالية لتنظيم الخطوات ودعمها بالخبرة الفنية والعسكرية أيضًا لخدمة ذات الغاية.

وتحاول هذه الدراسة أن تجيب على مجموعة من التساؤلات المتعلقة بالنقاط الآتية:

- الدور الذي أدته الإرادة الشعبية في إثارة الحملة؟

- الدور الذي أدته الكنيسة في دعم عزيمة الحملة؟

- بداية الخطوات العسكرية المنظمة في الحملة الصليبية؟

- سبل تعزيز وحدة الحملة الصليبية؟

فالحملة الصليبية الأولى هي حملة عسكرية شنّها الصليبيون تلبية للدعوة التي أطلقها البابا أوربان الثاني([2]) سنة (488 هـ- 1095م) في كليرمونت جنوب فرنسا من أجل تخليص القدس وعموم الأراضي المقدسة من أيدي المسلمين وإرجاعها للسيطرة المسيحية([3]).

ففي مدينة كليرمونت([4])، وفي اليوم السادس والعشرين من شهر نوفمبر سنة (488 هـ/ 1095م) ألقي أعظم خطبة في تاريخ الإنسانية، خطبة أعلن بها رسميا مولد حرب عالمية عاتية، تستمر مائة وستة وتسعين سنة، من سنة 488هـ/ 1095م إلى سنة 689ه/ 1291م.

فخطب البابا أوربان في القوم المحيطين به، ويستمعون إلى خطبته، فيصمتون أحيانا كأنما على رؤوسهم الطير، وتشنج بعضهم بالبكاء، وغلي حماس بعضهم الآخر، رفع صوته بالهتاف والوعيد والإنذار، هؤلاء القوم هم خليط من السوقة، والأشراف، والأمراء الإقطاعيين([5])، يحلم بعضهم بالمغفرة، ويحلم بعضهم بالغنى والفتح، ويحلم بعضهم الآخر بمغامرات ينسى فيها بؤسه وفقره ومشاكله، وفيما يلي مقتطفات من خطبته البابا أوربان التى دعا فيها للحملة الصليبية الأولى:

(أيها الجند المسيحيون، لقد كنتم دائما تحاولون من غير جدوى إثارة نيران الحروب والفتن فيما بينكم، أفيقوا فقد وجدتم اليوم داعيا حقيقيا للحرب، لقد كنتم سبب انزعاج مواطنيكم وقتا ما، فاذهبوا الآن وأزعجوا البرابرة، اذهبوا وخلّصوا البلاد المقدسة من أيدي الكفار([6]).

أيها الجند، أنتم الذين كنتم سلع الشرور والفتن، ألا هبوا وقدموا قواكم وسواعدكم ثمنا لإيمانكم. إنكم إن انتصرتم على عدوكم كانت لكم ممالك الشرق ميراثا، وإن أنتم خذلتم فستموتون حيث مات اليسوع، فلا ينساكم الرب برحمته، فيحلكم محل أوليائه. هذا هو الوقت الذي تبرهنون فيه على أن فيكم قوةً وعزمًا وبطشًا وشجاعةً، هذا هو الوقت الذي تظهرون فيه

شجاعتكم التي طالما أظهرتموها في وقت السلم، فإذا كان من المحتم أن تثأروا لأنفسكم، فاذهبوا الآن واغسلوا أيديكم بدماء أولئك الكفار.

يا قوم إذا دعاكم الرب اليسوع إلى مساعدته، فلا تتواروا في بيوتكم متقاعدين، ولا تفكروا في شيء إلا فيما وقع فيه إخوانكم المسيحيون من الذل والهوان والمسكنة، ولا تستمعوا إلا إلى القدس وزفراته، واذكروا جيدا ما قاله لكم المسيح: ليس مني من يحب أباه وأمه أكثر من محبته إياي، أما الذي يترك بيته ووطنه وأمه وأباه وزوجه وأولاده وممتلكاته ومقتنياته حبا في، ومن أجلي، فسيخلد في النعيم، وسيجزيه الله الجزاء الأوفى)([7]).

هذه مقتطفات من الخطبة التي وصفها المؤرخون، بأنها كانت أعظم خطبة في تاريخ الإنسانية (وبالطبع كانت العكس تمامًا لما ترتب عليها من دماء إنسانية في الجانبين)، ولعلنا لا نجد في ذلك مبالغة إذا أخذنا في الاعتبار النتائج الهائلة التي نتجت عنها وما ترتب على الحملات الصليبية([8]).

فلقد كانت هذه الخطبة إعلانا رسميا للحروب المعروفة تاريخيّا باسم الحروب الصليبية، لأن المشاركين فيها من المسيحيين كانوا يحملون على أذرعهم صلبانا، ولقد استمرت هذه الحروب قرنين من الزمان، وكانت تتخللها فترات هدنة، لكنها لم تكن في الحقيقة إلا فترات إعادة استعداد، حيث يشحذ فيها كل فريق سلاحه، ويدبّر أمره، ويهيّئ نفسه للمعركة المقبلة ([9]). وبغض النظر عن المعنى الحقيقي الكبير لهذه الحملات أو الحروب، وعن عدد الضحايا الذين سقطوا فيها من العسكرين أو من عامة الشعب، وعن عدد الدول التي شاركت فيها، فقد كانت لها نتائج لا تقل أهمية عن ذلك، فلقد كانت أكبر احتكاك تاريخي بين الشرق المسلم والغرب المسيحي، وكانت طريق من الطرق الرئيسة لنقل حضارة الشرق وعلومه ومعارفه إلى الغرب([10])، كانت هذه الحروب دينية كما عرفت في التاريخ.

كان دعاتها هم رجال الكنيسة([11])، وهذا هو الأساس الذي كانوا يستندون إليه في إثارة حماس الجماهير وعامة الشعب، فالحملة الصليبية الأولى هي رغبة في تخليص قبر السيد المسيح من أيدي الكفار والبرابرة، فالعامل الديني في هذه الحروب لا يمكن انكاره، ولا نستطيع أن ننكر أيضا أن الخليفة الفاطمي الحاكم بأمره([12])، في إحدى نزواته التي لم يسلم منها المسلمون ولا النصارى ولا اليهود على حد سواء([13])، قد أقدم على هدم كنيسة القيامة([14])، وقد ألحق بعض الأضرار بالحجاج النصارى الذين كانوا يقصدون قبر السيد المسيح عليه السلام، ومع ذلك فالعامل الديني في هذه الحروب ننظر إليه في ضوء الحقائق التاريخية على أنه عامل ثانوي أُحسن إستغلاله، أما الحروب الصليبية فلم تكن في الحقيقة إلا حملات عسكرية لتأسيس إمارات لاتينية في سوريا وفلسطين، أي أنها كانت حرب بهدف الإستعمار([15])، لا تختلف في بواعثها ولا في أهدافها عن الحملات العسكرية الغربية التي حدثت في أواخر القرن الماضي وأوائل القرن الحالي على مصر وسوريا والعراق وبلاد المغرب العربي([16]).

فالحملة الصليبية الأولى كانت حربًا إستعماريةً توسعيةً تحمل معها منذ البداية بذور إنحلالها وإنهزامها، فبالرغم من المكاسب المؤقتة التي أحرزتها، فلم يكد يستتب الأمر للأمراء

اللاتينيين في الشرق وتتم لهم الغلبة، حتى شرعوا يتصارعون فيما بينهم على العروش والتيجان والممالك والمستعمرات ويكيد بعضهم البعض، ويخون بعضهم بعضا، بل يستعين بعضهم بالتحالف مع الأمراء المسلمين. وقد ذهب المؤرّخ فيليب حَتّي([17]) إلى أبعد من ذلك فقال: (إذا نظرنا إلى الحروب الصليبية في وضعها الصحيح لوجدناها فصل متوسط بين فصول تلك القصة الطويلة، قصة التفاعل بين الشرق والغرب، بداية من حروب طروادة وفارس في الأزمنة الغابرة، ومنتهية بالتوسع الإستعماري الأوربي في عصرنا هذا). وقال «الجنرال اللنبي»([18]) كلمته التاريخية المشهورة: (الآن فقط انتهت الحروب الصليبية). ونحن لا نستطيع أن نؤكد أن الجنرال اللنبي كان مسيحيا مؤمنا إلى الحد الذي توحي به كلمته هذه، ولكن الذي نستطيع أن نؤكده منها أنه يعتبر انتصاره على الأتراك في فلسطين خاتمة للحروب الصليبية، فإذا كان ذلك صحيحا فقد كانت الحروب الصليبية([19]) في فهم الجنرال اللنبي نفسه حربا استعمارية توسعية مائة في المائة، لا تشوبها شائبة من قريب ولا بعيد، وذلك لأن خاتمتها التي هي انتصار الجنرال اللنبي في فلسطين لم تكن دينية، ولا ما يشبه أن يجعلها دينية، وإنما كانت توسعية استعمارية، كما لا يستطيع هو نفسه ولا غيره أن ينكر ذلك.

فلقد كان على الجنرال اللنبي لكي يعبر عن حقيقة شعوره أن يقول الآن فقط انتهت الحروب التوسعية التي أعلنت في مدينة كليرمونت بفرنسا سنة 488 هـ/ 1095م، لكن تعبيره على ما هو عليه كان أجود، وإن لم يكن أصح، وهو الذي أعطى لكلمته هذا الأثر الذي ضمن لها أن يحفظها التاريخ، وأن يرددها الناس([20]).

نحن إذن أمام حرب استعمارية توسعية وليس أمام حرب دينية كما يوحي بذلك لفظ الصليب الذي نُسِبت إليه، أما كون الدعاة إليها كانوا هم رجال الكنيسة فإنما كان ذلك لأن غيرهم لم يكن يملك في ذلك الوقت أن يدعو إلى حربٍ عالميّةٍ كهذه، فقد كانوا هم وحدهم أصحاب السلطة الدينية والمدنية، يطردون من شاءوا من رحمة الله، ويحكمون عليه باللعنة، وكان يوجد إلى جانب رجال الكنيسة بعض الأمراء الإقطاعيين، لكن سلطتهم كانت محدودة جدا، وكانت تستمد وجودها إلى حد كبير من تأييد الكنيسة المعنوي، وكان على الأمير الإقطاعي لكي يضمن وجوده واستمراره أن يعيش دائما تحت السلاح، يقاتل غيره من الأمراء، أو يدافع عن نفسه ضدهم. وكانت أوروبا تعيش في حرب دائمة، وكان لا بد من تصدير هذا الاستعداد الحربي إلى الخارج حتى يمكن أن يُستعمل استعمالا يدعم نفوذ الكنيسة من جهة، ويحقق أطماع الأمراء جميعا من جهة أخرى، ويصرفهم عن إهدار استعدادهم للحرب في قتال بعضهم البعض، ولعل كل ذلك واضح من نص الفقرات التي أوردناها من خطاب البابا أوربان الثاني في البداية([21]). ويضاف إلى ذلك أنه شارك في الحملة الصليبية الأولى عدد من القادة أبرزهم جودفري دوق اللورين([22])، وريموند دوق الناربون([23])، وبوهيموند كونت تورانتو([24])، وروبرت الثاني كونت فلاندر([25])، وهيو كونت فرماندوا([26]). ولقد إتخذ أمراء الحملة الأولى أربع طرق مختلفة واجتمعوا في القسطنطينية[27] سنة 488هـ/ 1097م وهي عاصمة الإمبراطورية البيزنطية([28])، وواصلوا زحفهم حتى وصلوا إلى القدس سنة 1099([29]) واستولوا عليها في يوليو في نفس العام بعد حصار استمر أكثر من أربعين

يوما، واستطاع الصليبيون تأسيس مملكة بيت المقدس وغيرها من الممالك الصليبية، ورغم أن هذه المكاسب دامت حوالى قرنين إلا أن الحملة الصليبية الأولى تعد نقطة تحول رئيسة في توسع القوى الغربية، ومؤشرًا على فتور التفوق في العالم الإسلامي نتيجة انقساماته وعلى الرغم من كل ما ذكر في الصفحات السابقة عن الحرب المقدسة وتطور الفكرة الصليبية من منظور تاريخي إلا أنه سيكون من الصعب شرح الدور الكبير الذى قدمه الفرسان في الحركة الصليبية أو دور العامة من الفلاحين وفقراء المدن أو حتى دور البابوات والأساقفة وسائر رجال الكنيسة فضلاً عن ملوك أوروبا وأمرائها الكبار، ولكن هذه الدراسة ستركز على دور العامة أو عامة الشعب في الحملة الصليبية وهذا ما سنلقي بالضوء عليه فيما يلي([30]):

فكما سبق الإشارة أن الخطبة التى ألقاها البابا أوربان الثاني هي بداية لإنطلاق الحروب الصليبية([31])، ونقطة فاصلة بين عهدين شهدهما العالم حيث استجاب لهذه الدعوة الطبقات الدنيا من الشعب متأثرة بالدعاة الذين جابوا أوروبا لإثارة حماس الناس([32])، وحميتهم الدينية، وكان بطرس الناسك أبرز هؤلاء الدعاة فإستجاب له جمع كبير من العامة والفلاحين والرعاع، وقطاع الطرق واللصوص متأثرين بفصاحة لسانه وبيانه، وشاركه في ذلك داعية آخر اسمه والتر المفلس([33]). وخرجت هذه الجموع، وهي تمني نفسها بالحياة الناعمة والخير الوفير، وعرفت هذه الحملة في التاريخ بحملة الفقراء أو حملة العامة أو حملة الرعاع([34])، وكما سبق أن ذكرنا المشهد الذي شهدته مدينة كليرومونت الفرنسية في 26 من ذي القعدة 488هـ الموافق 27 من نوفمبر 1095م، وخطبة البابا أوربان الثاني في جمع حاشد التى كانت الدافع لدى هؤلاء العامة.

أول متطوع في الحروب الصليبية([35]): ولم يكد البابا أوربان الثاني يفرغ من خطبته التي دعا فيها إلى محاربة المسلمين حتى جثا أحد الأسقف أمام قدمي البابا، راجيًا أن يكون له شرف الإسهام في تلك الحرب المقدسة، وبذلك افتتح هذا الأسقف قائمة المتطوعين التي لم تتوقف بعد ذلك([36])، واختاره البابا ليكون مندوبا عنه يقود الصليبيين في رحلتهم إلى المشرق، إشارة بأن تلك الحروب إنما تتم تحت إشراف الكنيسة وهيمنتها. وأمر البابا رجال الكنيسة الذين كانوا يحضرون خطبته أن يعودوا إلى بلادهم، ويبشرون بالحروب الصليبية، وعهد إلى أحد رؤساء الأديرة بأن يدعو إلى الحرب في نورماندیا وإنجلترا، وبعث بأسقفين إلى جنوة لإثارة حماس أهلها، وحدد البابا الخامس عشر من أغسطس سنة 1096م الموافق 21 من شعبان 488هـ موعدًا لرحيل الحملة إلى الشرق حيث تكون المحاصيل قد جمعت، ويكون التجمع واللقاء في مدينة القسطنطينية الحصينة. ولم تلبث دعوة البابا أن لقيت رواجا وانتشارا في أوروبا، وتأثر بها العامة والدهماء، وراودتهم أحلامهم في حياة ينعمون فيها بالرخاء في الشرق، متأثرين بما يروّجه رجال الكنيسة، وسرعان ما تكونت حركة شعبية ارتبطت باسم بطرس الناسك([37])، ويذكر المؤرخون بأنه كان رجلا قصير القامة، أسمر اللون، يمشى حافي القدمين، مرتديا ملابس رثة، وكان راهبا هجر الدير بتكليف من البابا لكي يقوم بالدعوة إلى الحملة الصليبية، فطاف بمختلف أقاليم فرنسا بهيئته المزرية داعيا إلى حملة البابا([38])، وفي كل مكان يحل به كان يسحر ألباب الناس، ويخلب أفئدتهم ببيانه الساحر وفصاحته

حتى تجمع حوله أعداد هائلة من الأتباع، بلغوا خمسة عشر ألفًا، منهم فلاحون وأهل مدن، وفئات من صغار النبلاء، وبعض المجرمين وقطاع الطرق، ولم يكن يجمع هؤلاء الشراذم إلا الحماسة والرغبة في قتال المسلمين، والاستيلاء على الأرض([39]).

لم تصبر هذه الجموع حتى موعد الرحيل الذي حدده البابا للحملة، ولم تفلح محاولات البابا في إثنائهم عن الرحيل، ولم تجد دعوته استجابة من هؤلاء العامة، ولم توقفهم اللوائح التي وضعها أوربان لعلاج الموقف([40]). وتحركت هذه الجموع تحمل محاصيلهم فوق عربات ثقيلة تجرها الثيران، وفي صحبتهم الزوجات والأطفال، حتى وصلوا كولونيا في 15 من ربيع الآخر 489هـ الموافق 12 من إبريل 1096م، وظلوا بها فترة من الوقت يتزودون بالمؤن، وانضم إليهم الألمان حتى تضاعف عددهم. وفي الوقت الذي كان فيه بطرس الناسك ماضي في دعوته في الغرب الأوروبي ظهر زعيم آخر من زعماء العامة وهو والتر (الذى سبق الإشارة إليه)، والتف حوله بعض الناس، وعبر بهم أرض هنغاريا([41]) ثم أراضي الدولة البيزنطية([42])، وطوال الطريق كانوا ينهبون ويسلبون ويعتدون على الأهالي حتى بلغوا القسطنطينية في رمضان 489هـ الموافق يوليو 1096 وسمح لهم الإمبراطور البيزنطي ألكسويس كوفين بالانتظار خارج أسوار العاصمة حتى وصول بطرس الناسك([43]).

ثم غادر بطرس الناسك كولونيا في 23 من ربيع الآخر 489هـ الموافق 2 من إبريل 1096م متجها إلى المجر، على رأس حشوده من العامة، وأثناء عبورهم المجر عند بلدة سملين بسوريا، وقع خلاف بين المجر وجنود الحملة بسبب الحصول على المؤن، وتطور الخلاف إلى مذبحة ارتكبها الصليبيون أسفرت عن مقتل أربعة آلاف من أهل المجر الأبرياء، وتحولت سملين إلى مدينة تتصاعد منها دخان الحرائق التي أشعلها جنود الرب، ضد إخوانهم المسيحيين الذين زعم الصليبيون أنهم جاءوا لنجدتهم([44]). وعندما وصل بطرس الناسك الذي كان يمتطي حماره في مقدمة جيشه إلى مدينة نيش([45]) التي تقع على الحدود البيزنطية، خاف قائد الحامية البيزنطية على مدينته من التصرفات الحمقاء لهولاء العامة، فاتخذ تدابير لمواجهتهم عند الضرورة بأخذ بعض الرهائن منهم([46])، لكن الصليبيين عاودوا أعمال السلب والنهب وتخريب القرى والمدن، ولم يجد البيزنطيون سبيلا إلا مهاجمة بطرس الناسك، وقتل كثير من رجاله، وأسر عدد آخر، والاستيلاء على الأموال والتبرعات التي كان الراهب قد جمعها من أغنياء غرب أوروبا، لكن ذلك لم يؤثر في مسيرة الجيش الصليبي، وسار صوب مدينة صوفيا([47])، وهناك لقيه مندوبون عن الإمبراطور البيزنطي، وأبلغوا بطرس ومن معه باستياء الإمبراطور، وبأوامره التي تقضي بألا يمكث الصليبيون في أي مدينة بيزنطية أكثر من ثلاثة أيام. ووصل باقي أفراد العامة المتبقية من حملة بطرس الناسك إلى أسوار القسطنطينية في شعبان 489هـ الموافق يوليو 1096م، وأرسل الإمبراطور البيزنطي في طلب بطرس الناسك، وعرض عليه أن ينتظر بقواته خارج المدينة حتى تأتي القوات الصليبية الرئيسة في الموعد الذي حدده البابا لتجمع القوات الصليبية، لكن بطرس رفض عرض الإمبراطور ونصائحه التي أسداها إليه، وأغرته كثرة أتباعه وأنصاره.

وواصل الصليبيون أعمالهم الهمجية في القسطنطينية، وارتكبوا كثيرا من المجازر، ومارسوا السلب والنهب، واضطر الإمبراطور البيزنطي أو أن يتخلص من هذا الشر المستطير بنقلهم بسرعة عبر المضايق إلى آسيا الصغرى، وفي الوقت نفسه كرر نصائحه للصليبيين بالتروّي والانتظار عند أحد المراكز الحصينة بالقرب من البوسفور([48])، حتى تأتيهم الإمدادات والجيوش النظامية المدربة من الغرب، لكنهم لم ينصتوا إلى نصائحه، ولم يستطيعوا ضبط أنفسهم، والكف عن السلب والنهب، والاعتداء على المزارع والضياع والقرى والكنائس القريبة. وأخذ الصليبيون يوسعون دائرة أعمالهم الهمجية، وواصلوا زحفهم إلى نيقية([49]) قاعدة السلطان السلجوقي قلج بن أرسلان([50])، وكان عدد الصليبيين خمسة وعشرين ألفا، منهم خمسمائة من الفرسان على أكثر تقدير، والباقون من المشاة المعدمين الذين لا يربطهم نظام، ولا توحد صفوفهم ولا قيادة مؤهلة، ولم يجد الأتراك السلاجقة صعوبة في الإيقاع بهذا الجيش الهمجي والإجهاز عليه تمامًا([51])، حتى إنه لم ينج من ذلك الجمع الحاشد من الصليبيين سوى ثلاثة آلاف، وعندما وصلت أنباء هذه الهزيمة إلى الإمبراطور أرسل بعض سفنه تحمل إمدادات إلى الصليبيين، لكن ذلك كان بعد فوات الأوان، فحملت فلولهم إلى القسطنطينية وظلوا في رعاية الإمبراطور حتى وصول الحملة الرئيسة التي شاءت لها الأقدار أن تؤسس الإمارات الصليبية في الشرق، وتستولي على بيت المقدس([52]). وهكذا انتهت حملة العامة فوق تراب الشرق، وضاع الحلم الذي راودهم، وحرك فيهم مشاعر الطمع والاستمتاع بخيرات الأرض لكن الهزيمة لم تمنع من تكرار المحاولة، وبدأت سلسلة الحملات الصليبية على الشرق الإسلامي. وتحركت الحملة الأولى في اغسطس سنة 1096 من اللورين بقيادة جودفري وانضم إليها أتباعه وهم([53]):

أخوه الأكبر الكونت يفتسافي من بولون.

أخوه الأصغر بالدوين البولوني.

كما انضم بودوان له وبورغ ابن عم غودفري.

الكونت بودوان من إينو.

الكونت رينو من تول.

وذلك على إثر الدعوة التي انطلقت لها حملة العامة أو حملة الفقراء، وسارت هذه الفصائل على طريق الراين - الدانوب التي سارت عليها قبلهم فصائل الفلاحين العامة حتى وصلت القسطنطينية نهاية سنة 1096م. ([54]) وفي 6 مايو أجتمعت القوات الصليبية بعد عبورها مضيق البسفور لحصار مدينة نيقية، وقدم إمبراطور القسطنطينية أليكسيوس الأول كومنينوس الإمدادات للصليبيين من المؤنة إلى آلات الحصار وأستمر الحصار حتى 26 يونيو حيث استسلمت المدينة لقوات ألكسيوس، ومنع ألكسيوس قوات الصليبيين من دخول المدينة ونهبها، وامتصاصًا لغضبهم قدّم الهبات والمنح للأمراء وطبقات الفرسان وأمر بتوزيع قطع نحاسية على المشاة. وبعد تسليم المدينة للقوات البيزنطية تقدمت قوات الصليبيين إلى القدس، وخلال المسير تقرر تقسيم الجيش إلى قسمين نظرًا لكثرته على أن تكون المسافة الفاصلة بينهما مسيرة يومين، وفي هذه الأثناء

حشد قلج أرسلان حاكم قونية جموعه ضد الصليبيين بعدما اخذوا منه نيقية، إلا أنه تعرض لهزيمة شديدة في معركة ضورليوم ومهد هذا النصر للصليبيين الاستيلاء على مدن وحصون عديدة في الأناضول بسبب إخلاء السلاجقة لها أو معاونة الأرمن لهم(55). وقبل مسير الصليبيين إلى أنطاكية لحصارها انفصل بلدوين عن الجيش الرئيسي مصطحبا معه 80 فارسا بعدما طلب منه أهالي الرّها القدوم إليهم لنجدتهم. وكانت الرّها تُحكم من قبل أمير أرمني يسمى طوروس الذي كان يخضع للسلاجقة وأراد طوروس أن يكون بلدوين وفرسانة جندا له بعدما سمع بانتصارات الصليبيين، إلا أن فكرة أن يكون بلدوين وفرسانه جندا لطوروس لم يتقبلها بلدوين، فتقرر أن يتبنى طوروس بلدوين كابن له لا سيما كون طوروس رجلا عقيما ومسنا.

قامت بعدها ثورة في الرّها أسفرت عن مقتل طوروس وتنصيب بلدوين حاكما على الرّها كوريث لطوروس.

أما الجيش الرئيس للصليبيين فتابع مسيره حتى أنطاكية حيث استمر في حصارها طوال ثمانية أشهر ابتداء من العشرين أكتوبر حتى صبيحة اليوم الثالث من يوليو حيث دخل الصليبيون أنطاكية بعد خيانة أحد المستحفظين على الأبراج ويدعى فيروز الذي مهد لهم للصعود إلى أحد الأبراج وفتح الأبواب والدخول إلى المدينة(56). وأسفرت الحملة الأولى عن احتلال القدس سنة 1099 وقيام مملكة بيت المقدس بالإضافة إلى عدّة مناطق حكم صليبية أخرى، كإمارة الرها وأنطاكية وطرابلس بالشام(57). وأدت الخلافات بين حكام المسلمين المحليين دورًا كبيرًا في الهزيمة التي تعرضوا لها، كالخلافات بين الفاطميين بالقاهرة(58)، والسلاجقة الأتراك بنيقية بالأناضول وقتها. وباءت المحاولات لطرد الصليبيين بالفشل كمحاولة الوزير الأفضل الفاطمي الذي وصل عسقلان ولكنه فر بعدها أمام جيوش الصليبيين التي استكملت السيطرة على غالبية الأراضي المقدسة(59).

الخاتمة:

يتّضح من خلال هذه الدراسة أن الحملة الصليبية الأولى لم تكن مجرد صراع ديني عابر، بل كانت نتاجًا معقدًا لتشابك دوافع دينية، وسياسية، واقتصادية، واجتماعية. وقد لعب كلٌّ من العامة والأمراء أدوارًا متباينة ولكنها تكاملية في نشأة الحملة وتطورها؛ حيث مثّل العامة قوة اندفاع شعبية استُغلت في التعبئة الأولية، في حين اضطلع الأمراء والنبلاء بالتخطيط والتنفيذ العسكري. كما كشفت الدراسة أن هذه الحملة مثّلت نقطة تحوّل مفصلية في تاريخ العلاقات بين الشرق والغرب، وشكّلت بداية المشروع الاستعماري الأوروبي في المشرق الإسلامي. وعلى الرغم من المكاسب الأولية التي حققها الصليبيون حيث أسسوا أربع إمارات صليبية، إلا أن الحملة فشلت في تحقيق أهدافها النهائية، إذ استعاد المسلمون القدس، وأثبتت الحضارة الإسلامية قدرتها على الصمود والتفوق الحضاري والعسكري. كما أظهرت نتائج الحملة تداعيات بعيدة المدى على البنية السياسية والدينية لأوروبا، وأسهمت في إعادة تشكيل موازين القوى في العالمين الإسلامي والمسيحي.

نتائج الدراسة:

بعد مرور سنوات عديدة على بدء الحروب الصليبية يمكننا أن نجزم بدور كل من الأمراء وعامة الشعب في بدئها واستمرارها وعلى مدى حملانها، ويمكننا أن نجزم أيضًا بفشلها في تحقيق الأهداف الأساسية التي شُنّت من أجلها، حيث عاد بيت المقدس إلى أيدي المسلمين، وفقدت الحكومات التي كانت مشهورة بالحرية والتسامح مبادئها بسبب الهجمات المتكررة، وتم انتزاع كل أراضي فلسطين والشام من أيدي المسيحيين الأوربيين، وبرهنت الحضارة الإسلامية على تفوقها على باقي الحضارات من حيث التعاليم والأساليب الحربية وأسباب الراحة والحياة، بالإضافة إلى أن الجهود الكبيرة التي بذلها البابوات في نشر السلام في ربوع أوروبا وتوحيدها تحت راية واحدةٍ قد باءت بالفشل بسبب المطامع القومية وحروب الباباوات الصليبية على الأباطرة، بينما كانت قوة ملوك فرنسا الإقطاعيين تزداد، وثرواتهم تتضاعف من خلال بيع الأسلحة، ونقلها إلى الشرق، وفي الوقت نفسه استفاد العالم الغربي من الحروب الصليبية حيث أثرت تلك الحملات على قوة المسلمين، وأضعفت مقاومتهم للمد المغولي الجارف مما أدى إلى تأخير استيلاء الأتراك على القسطنطينية لمدة زمنية طويلة. ويضاف إلى ذلك أن الأمبرطوريتين الرومانيتين الغربية والشرقية ضعفتا في ذلك الوقت لأن أباطرة الغرب فقدوا هيبتهم بسبب فشلهم في استرداد الأرض التى يعتبرونها مسيحية ومن حقهم السيطرة عليها، بالإضافة إلى نزاعهم مع الباباوية التي سطع نجمها بسبب الحروب الصليبية، وشهدت تلك الفترة تفكك ببعض المنظمات العسكرية كفرسان المعبد الذين نجوا من مذبحة عكا وهربوا إلى قبرص واستقروا فيها إلى أن طردهم الأتراك منها سنة 1310م، فتوجهوا إلى جزيرة مالطا، وأطلقوا على أنفسهم اسم فرسان مالطا، واستقروا فيها إلى أن انتهوا سنة 1799 للميلاد.

توصيات الدراسة:

توصي الدراسة بمجموعة التوصيات التى تعتبرها بمثابة دروس مستفادة من قرائة ودراسة تاريخ الحروب الصليبية فى الحملة الصليبية الأولى، وهي:

ضرورة عدم دفع الشعوب في مسارات غير مدروس نتائجها باحترافية شديدة.

عدم استغلال الميول العقائدية في المجال العسكرى أو الحربي.

ضرورة قيام الخطوات العسكرية على سياسات وإستراتيجيات منظمة بعيدًا عن العشوائية.

ضرورة توجيه قادة الحروب بقواعد ثابته غير قابلة للخطأ.

عدم تكلفه الأفراد بما ليسوا أهل له.

الهوامش:

(1) المقريزي، تقيُّ الدين أحمد بن عليّ بن عبدُ القادر: اتعاظ الحنفاء بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء، ج 4، الطبعة الثانية، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، 1416هـ / 1996م، ص 72

(2) البابا أوربان الثاني ولد في سنة 1035 وتوفي في سنة 29 يوليو 1099م، وولد أوربان في شاتيون-سور- مارن بالقرب من إبرناي بفرنسا، وكان الاسم الذي أعطي له هو أودو، فهو فرنسي الأصل تم انتخابه لمنصب البابوية في روما سنة= =1088م، وكان أوربان إصلاحيًا متشددًا، حيث عقد سلسلة من المجالس لتحفيز الإصلاح الأخلاقي والتنظيمي للكنيسة، وعقد أوربان سنة 1095م مجلس في مدينة كلرمونت بفرنسا، ، انظر:=

Peters, Edward: (1998), The First Crusade: "The Chronicle of Fulcher of Chartres"= and Other Source Materials, The Middle Ages Series, University of Pennsylvania Press, p.88

(3) المؤرخ الرهاوي المجهول: الموسوعة الشاملة في تاريخ الحروب الصليبية، ج 5 ، ترجمة د. سهيل زكار، دمشق 1416هـ / 1995 م. ص 21.

(4) كليرمونت فيران: (Clermont-Ferrand) هي مدينة وبلدية فرنسية تابعة لإقليم بوي دي دوم تقع في الجزء الجنوب الشرقي من فرنسا (منطقة أوفرن) وهي عاصمة المنطقة، انظر: Michelin: (1919), Illustrated Michelin Guides. Clermont-Ferrand, Royat and Surroundings, Michelin, p.24

(5) الإقطاع: هو نظام اجتماعي وسياسي واقتصادي له تعريفات عديدة ظهر في أوروبا خلال العصور المظلمة وشبه القارة الهندية وشبه الجزيرة العربية واليابان وإثيوبيا ومناطق أخرى من العالم في فترات مختلفة من التاريخ ومن مصر القديمة إلى الحضارات القديمة في أمريكا الجنوبية، ولا يوجد تعريف عالمي متفق عليه بشأن هذا المصطلح، ولكن هناك تعريفات عديدة فإن المصطلح ارتبط في الغالب بأوروبا في العصور المظلمة من القرن التاسع وحتى القرن الخامس عشر وأول استخداماته كان في القرن السابع عشر، غالبًا ضمن حملات سياسية دعائية، هي طبقة كبار ملاكي الأراضي، ارتبط الفلاحون بالعمل في أراضي النبلاء وكبار الملاكين ضمن أعمال العبودية وتطورت لاحقا بأعمال سخرة جماعية لكل من يسكن من الفلاحين ضمن إطار ممتلكات هذا الإقطاعي أو ذاك، يلتزم الفلاح بالدفاع عن المالك الذي يعيش الفلاح ضمن ممتلكاته فضلا عن التزامه بضريبة سنوية تكاد تجهز عن كل ما ينتجه الفلاحون طوال العام، أقامت الكنيسة تحالفا مع الإقطاعيين لأنها أيضا كانت تجني عوائدها من الجميع سواء كان ذلك على شكل عشور (عشر الدخل) يدفع لها من رعاياها أو على شكل صكوك غفران لمن يدفع الثمن وصكوك حرمان لمن يعترض على سلطتها الروحية، شكل هروب الفلاحين المتزايد من القرى إلى المدن بؤر جديدة من العمال وتحالفت البرجوازية في بداياتها عندما كانت صغيرة مع العمال ضد الإقطاع والكنيسة فيما يعرف بعصر التنوير

المدعم بمفكرين وفلاسفة طالبوا بفصل الدين عن الدولة، سرعان ما انقلبت البرجوازية على مؤيديها لتظهر بشكلها الحديث من أرباب عمل وملاكي مصانع عملت على تشغيل الأطفال والنساء بشكل مكثف كأيدي عاملة رخيصة، عملت الحركات الإصلاحية الاشتراكية والماركسية الراديكالية على حصول مكاسب عمالية ولكن بطرق مختلفة من حيث القناعات النظرية، تمثلت هذه المطالب بحق العمال بتمثيلهم داخل نقابات وبتحديد ساعات العمل والحصول على بدل عمل إضافي وحق العامل بالحصول على عطلة أسبوعية وإجازة سنوية، استطاعت المسيرة العمالية في العالم من تحقيق هذه المكتسبات. انظر: كوبلاند وفينوجرادوف: الإقطاع والعصور الوسطى في غرب أوروبا، ترجمة محمد مصطفى زيادة، بدون دار نشر، 1985، ص444

(6) حسن عبد الوهاب حسين: مقالات وبحوث في التاريخ الاجتماعي للحروب الصليبية، دار المعرفة الجامعية، 1997، ص45

(7) الشارتري، فوشيه: تاريخ الحملة إلى القدس من سنة (488هـ إلى سنة521هـ 1095 / 1127م)، ترجمه من اللاتينية إلى الإنجليزية الأخت فرنسيس ريتا ريان، حرره وقدمه «هارولد س. فنك»، ترجمة إلى العربية د. زياد جميل العسلي، الناشر: دار الشروق للنشر والتوزيع، المركز العربي لتوزيع المطبوعات، الطبعة العربية الأولى، 1990م، ص400.

(8) عزيز يوريال عطية: العلاقات بين الشرق والغرب، تجارية ثقافية صليبية، ترجمة فيليب صابر سيف، مراجعة أحمد خاكى، دار الثقافة، 1970، ص66.

(9) زكى النقاش: الحروب الصليبية وما نتج عنها من علاقات اجتماعية واقتصادية وثقافية بين العرب والإفرنج، بدون دار نشر، 1946م، ص77.

(10) ناصر خسرو علوي: سَفرْ نَامَة، ترجمة د. يحيى الخشاب، تصدير د. عبد الوهاب عزام، سلسلة الألف كتاب الثاني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، طبعة 1414هـ/ 1993م، ص 58 – 59.

(11) عبد العظيم رمضان: الصراع بين العرب وأوروبا من ظهور الإسلام إلى إنتهاء الحروب الصليبية، دار المعارف، 1990م، ص76.

(12) الحاكم بأمر الله ولد في (10 سبتمبر 985 بالقاهره، وإختفى في 2 فبراير 1021م)، وهو أبو على المنصور بن العزيز بالله ابن نزار، وسادس الخلفاء الفاطميين العبيديين، وثالث ملوكهم على مصر وبلاد الشام، وتم مبايعته بالخلافه وعمره 11 سنة بعد ما مات أبوه العزيز بالله الذى أنجبه من امرأه مسيحية روسية، وتولى الحكم من 15 اكتوبر 996م حتى تاريخ اختفائه فى 2 فبراير 1021، وقام الحاكم بأمر الله بهدم كنيسة القبر المقدس (كنيسة القيامة) فى بيت المقدس، وكان ذلك عنصرا مهما من عناصر الترويج للحروب الصليبية وقيام الحملة الصليبية الأولى التى استولت على بيت المقدس، وقام بإنشاء دار الحكمة في القاهرة، انظر: النويري، نهاية الأرب فى فنون الأدب، تحقيق مفيد قمحية وجماعة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 1424 هـ / 2004م ، ج 31 ، ص 35.

(13) المقريزي، اتعاظ الحنفاء بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء، 4/80.

(14) كنيسة القيامة أو كنيسة القبر المقدس، هي كنيسة داخل أسوار البلدة القديمة في القدس، بنيت الكنيسة فوق جلجثة أو الجلجثة وهي مكان الصخرة التي يعتقد أن يسوع صلب عليها، وتعتبر أقدس الكنائس المسيحية والأكثر أهمية في العالم المسيحي وتحتوي الكنيسة وفق المعتقدات المسيحية على المكان الذي دفن فيه يسوع واسمه القبر المقدس، انظر: Jeffery, George: (2010), "A Brief Description of the Holy Sepulchre Jerusalem and Other Christian Churches in the Holy City: With Some Account of the Mediaeval Copies of the Holy Sepulchre Surviving in Europe Cambridge Library Collection - Travel, Middle East and Asia Minor", Cambridge Library Collection: History, illustrated, reprint, Cambridge University Press, p.89

(15) محمود سعيد عمران: القادة الصليبيون الأسري في أيدي الحكام المسلمين، دار النهضة العربية، 1986، ص70.

(16) أحمد الشامي: تاريخ العلاقات بين الشرق والغرب في العصور الوسطى، دار النهضة العربية، 1985، ص77

(17) فيليب حتي (2 رمضان 1303 هـ/22 يونيو 27-1886 محرم 1399 هـ/24 ديسمبر 1978) مؤرخ العرب والحضارة الإسلامية اللبناني، ولد فيليب حتي في بلدة شملان التابعة لمحافظة جبل لبنان ودرس في مدرسة القرية، ثم أكمل في مدرسة سوق الغرب الأمريكية الثانوية والتحق بعدها بالجامعة الأمريكية في بيروت، وحصل منها على شهادة البكالوريوس في العلوم سنة (1326هـ/1908م) التحق بجامعة كولومبيا في أمريكا، وحصل منها على درجة الدكتوراه سنة (1333هـ /1915م) وتقديرا لنبوغه عينته الجامعة مدرسًا في قسم الدراسات الشرقية، وظل يعمل بها أربع سنوات وعمل أستاذا زائرًا في جامعة هارفرد، واستدعي من قبل جامعة برينستون لتأسيس قسم لدراسات الشرق الأدنى فأقام مركزا للدراسات العربية وأنشأ مكتبة عربية إسلامية في جامعة برنستون تعنى بجمع المخطوطات والوثائق العربية ونشرها. ضمت المكتبة 5500 مخطوطة عربية وعمل لها فهرسا باللغتين العربية والإنجليزية حتى يسهل الاستفادة منها، ومن أبرز مؤلفاته: تاريخ العرب المطول، تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين، لبنان في التاريخ، صانعوا التاريخ العربي الحديث. كرم من حكومات مصر ولبنان وسورية، انظر: http://archive.aramcoworld.com/issue/197104/a.talk.with.philip.hitti.htm

(18) إدموند هنري هاينمان ألنبي أو الفايكونت الأول اللنبي (23 ابريل 1861 إلى 14 مايو 1936) ضابط وإداري بريطاني، اشتهر بدوره في الحرب العالمية الأولى حيث قاد قوة التجريدة المصرية في الاستيلاء على فلسطين وسوريا سنتي (1335هـ /1917م و1336/هـ 1918م)، وعندما سقطت المدينة بعد معركة حامية الوطيس مع الوحدة العثمانية التي كانت تحمي المدينة بعد أن خسر العثمانيين مواقعهم الحصينة في جنوب فلسطين، لما أيقن المتصرف عزت بك، أن القدس لا محالة واقعة بيد الإنكليز قرر الانسحاب لكن الوحدات العثمانية رفضت ذلك، فقوبلت

القوات الإنجليزية من العثمانيين بنيران حامية، وهاجمت مؤخرة الجيش العثماني في حركة يائسة الفرقة 60 البريطانية التي تسير على طريق نابلس بنيران شديدة إلى أن قامت بينهم وبين الإنكليز قتال بالسلاح الأبيض وكانت خسارة مؤخرة الجيش العثماني في هذه المعركة سبعين قتيلاً، كان القتال بدون جدوى، وقصارى القول إن المحاولات التي قام بها الأتراك يومى 2 و3 من ديسمبر لأجل استرداد القدس فشلت، وقد اضطروا لمغادرتها فغادروها بعد أن قضوا فيها أربعمائة سنة على التمام (922هـ/1517م- 1335هـ/1917م)، وعندما انسحب العثمانيون من القدس نهائيًا كانت السماء ماطرة، وكان يخيم على المدينة سحب قاتمة من الحزن والسكون بعد أن غابت عنها شمس الخلافة، وبعد يومين دخل اللورد اللنبي القدس ماشيًا من باب الخليل، وقال كلمته المشهورة (الآن انتهت الحروب الصليبية)، وتم إهداء النصر إلى الأمة البريطانية في عيد الميلاد المجيد أما العربان فقد تحالفوا مع الإنجليز ليتحرروا من العثمانيين ويقيموا الدولة العربية الكبرى، ولكن الإنجليز وحلفاءهم الفرنسيين خذلوا العرب وخدعوهم وقاموا بتقاسم بلادهم وأعطوا وعدًا للحركة الصهيونية أن يعطوها فلسطين ليقيموا بها دولة لليهود، وها نحن بعد ما يقارب قرن من الزمان ما زلنا نطمح أن يقيم لنا الإنجليز وحلفاءهم دولة انظر:

https://web.archive.org/web/20131029203159/http://www.english-heritage.org.uk/discover/blue-plaques/search/allenby-field-marshal-edmund-henry-hynman-viscount-allenby-1861-1936

(19) عبد الله عبد الرحمن الربيعي: أثر الشرق الأسلامي في الفكر الأوروبي خلال الحروب الصليبية، جامعة الأمام، 1994، ص45.

(20) ميخائيل السوري الكبير: الموسوعة الشاملة فى تاريخ الحروب الصليبية، ج 5، ترجمة د. سهيل زكار، دمشق 1416هـ / 1995 م. ص 88.

(21) الشارتري، فوشيه: تاريخ الحملة إلى القدس ص41، والموسوعة الشامية في تاريخ الحروب الصليبية، 1995، ص109.

(22) جودفري (ولد سنة 1060م)، وكان حاكمًا لمدينة بولون الواقعة جنوب لوكسمبورغ منذ 1076م وأصبح بعدها دوقًا على اللورين السفلى سنة 1087 واشترك بالحملة الصليبية الأولى، وشارك في حصار القدس سنة 1099م وأصبح أول ملك على مملكة بيت المقدس على الرغم من عدم اتخاذه لقب ملك مكتفيًا بلقب حامي القبر المقدس، وبعد وفاته خلفه أخوه بلدوين الأول وتوفي في 18 يوليو 1100م / 493هـ انظر: Porter, Whitworth: (2013), "A History of the Knights of Malta, Cambridge Library Collection European History, illustrated, reissue", Cambridge University Press, p.18

(23) عرف لدى المؤرخين العرب في العصور الوسطى باسم ريموند صنجيل (ولد سنة 501هـ/ 1141م) وهو دوق إقليم الناربون في فرنسا وماركيز قوطيا وبروفانس، واشترك في الحملة

الصليبيـة الأولى وشـارك في حصـار القـدس 1099م والاسـتيلاء عليهـا، وقـام بتأسـيس مـا عـرف لاحقا بكونتيـة طرابلـس خـلال تشـييده حصـن في عرقا ليحـد مـن سـيطرة بوهيمونـد الأول حاكـم أنطاكيـا، واسـتولى أيضًـا عـلى قلعـة الحصـن الواقعـة غـرب حمـص، وشـيد قلعـة طرابلـس، وقيـل إنـه عـرض عليـه تـاج مملكـة بيـت المقـدس لكنـه رفـض أن يملـك مـكان عـذب فيـه يسـوع وبعـد الحملـة الصليبيـة الأولى سـافر إلى القسـطنطينية في ضيافـة الإمبراطـور البيزنطـي ألكسـيوس وتـوفي سـنة 1105م، انظـر:: Evans, Charles F. H.: (2003), "Complete Works of Charles Evans Genealogy and Related Topics Issue 1 of FMG occasional publication, Foundation for Medieval Genealogy, illustrated", Foundation for Medieval Genealogy, p.87

(24) ولـد في كالابريـا بإيطاليـا سـنة 1058م وهـو أمـير تارانتـو ثـم أنطاكيـة بعـد مشـاركته في الحملـة الصليبيـة الأولى سـنة 1096م واسـتيلاءه عـلى أنطاكيـة، وفي سـنة 1096م حينـما مـر الصليبيـون تحـت قيـادة كونـت نورمنديـا انضـم إليهـم بوهيمونـد إلى أن اجتمعـت القـوات الصليبيـة بكاملهـا في القسـطنطينية واشـترك معهـم في القتـال حتـى اسـتيلائهم على أنطاكية بعـد أن حاصروهـا 9 أشـهر وأصبـح بوهيمونـد حاكـما لهـا وتـوفي في أنطاكيـة في 3 مـارس 1111م/505هـ انظـر:,Runciman Steven: (1987), "A History of the Crusades, Volume 2 of A History of the Crusades 3 Volume Paperback Set, illustrated", reprint, CUP Archive, p.187

(25) تـوفي في 5 أكتوبـر 505هـ/1111م، وهـو كونـت فلانـدر منـذ سـنة 451هـ/ 1093م حتـى وفاتـه، وعـرف باسـم روبـرت الصليبـي لمشـاركة في الحملـة الصليبيـة الأولى في الفـترة مـن سـنة 489هـ/ 1096م إلى سـنة 451هـ/ 1099م، وشـارك روبـرت في الحملـة الصليبيـة الأولى التـي انطلقـت سـنة 490هـ/ 1096م والتـي دعـى إليهـا البابـا أوربانـوس الثـاني في مؤتمـر كليرمونت سـنة 488هـ/ 1095م (كـما سـبق أن أشرنـا في بدايـة الدراسـة)، وسـار روبـرت مـع جودفـري دوق اللوريـن وتـرك زوجتـه وصيـة عـلى الكونتيـة لحـين عودتـه، ووصـل إلى القسـطنطينية عاصمـة الإمبراطوريـة البيزنطيـة سـنة 1097م وأدى يمـين الـولاء إلى الإمبراطـور، وبعـد اسـتيلاء الصليبيـين عـلى القـدس سـنة 1099م عـاد روبـرت إلى فلانـدر، انظـر:Runciman, Steven: (1987), "A History of the Crusades, Volume 2, p.160

(26) ولـد سـنة 1053، ولُقـب بهيـو العظيـم وهـو ابـن الملـك هـنرى الأول وشـقيق الملـك فيليـب الأول ملـكي فرنسـا، وكان مـن أوائـل الصليبيـين الذيـن خرجوا للمشـاركة في الحملـة الصليبيـة الأولى، ووصل الأراضي البيزنطيـة عـن طريـق بـارى في جنـوب إيطاليـا، وبعـد مـا غـرق مركبـه نقلـه البيزنطيـون إلى القسـطنطينية وهنـاك حُجـز إلى أن أدى يمـين الـولاء للإمبراطـور اليكسـيوس الأول كومنينـوس وتـوفي في 18 أكتوبـر 1101م، انظـر:Phillips, Lawrence Barnett: (1871), "The Dictionary of Biographical Reference: Containing One Hundred Thousand Names, Together with a Classed Index of the Biographical Literature of Europe and America", S. Low, Son, & Marston, p.88

(27) هي عاصمة الإمبراطورية الرومانية خلال الفترة من 335م إلى 395م وعاصمة الدولة البيزنطية من 395م إلى 1453م حين فُتحت على يد العثمانيين بعد محاولات عدة في 1410م - 1422م فدخل محمد الفاتح القسطنطينية، وأطلق عليها إسلامبول أو الأستانة، وبدخوله أصبحت المدينة عاصمة السلطنة العثمانية، وغُيّر اسمها في سنة 1930م إلى إسطنبول ضمن إصلاحات أتاتورك القومية، وتأسست المدينة سنة 658 ق.م. وكانت من قبل قرية للصيادين وعرفت باسم بيزنطة، وفي سنة 335م جعلها الإمبراطور قسطنطين الأول عاصمة للإمبراطورية الرومانية الشرقية (الإمبراطورية البيزنطية) وأصبح يطلق عليها القسطنطينية نسبة للإمبراطور قسطنطين الأول مؤسس الإمبراطورية. ثم أصبحت المدينة مركز المسيحية الشرقية ومركزا حضاريا عالميا، فأضحت أعظم مدن العالم في ذلك العصر، انظر:-Harris, Jonathan: (2009), Constantinople: Capital of Byzantium, A & C Black, P.20

(28) عرفت باسم الإمبراطورية الرومانية وكانت استمرارًا مباشرًا للدولة الرومانية القديمة وحافظت على تقاليد الدولة الرومانية، ويتم التمييز بين الإمبراطورية البيزنطية وروما القديمة من حيث توجه الأولى نحو الثقافة اليونانية وتميزها بالمسيحية بدلاً من الوثنية الرومانية وكان سكانها في الغالب يتحدثون اللغة اليونانية بدلاً من اللاتينية، فالتمييز بين الإمبراطورية الرومانية والإمبراطورية البيزنطية حديث إلى حد كبير، فليس من الممكن تحديد تاريخ الفصل بينهما، ولكن النقطة المهمة كانت في نقل الإمبراطور قسطنطين الأول العاصمة في سنة 324 من نيقوميديا (في الأناضول) إلى بيزنطة على البوسفور والتي أصبحت القسطنطينية، انظر:

(29) الشارتري، فوشيه: تاريخ الحملة إلى القدس، ص41.

(30) سبط ابن الجوزي: مرآة الزمان: الدكتور سهيل زكّار، تأليف وتحقيق وترجمة، الموسوعة الشامية في تاريخ الحروب الصّليبيّة - المصادر العربية - مؤرخو القرن السابع (2)، ج 15، مرآة الزمان لسبط ابن الجوزي يوسف بن قزاوغلي، دمشق، 1995 - 1416 هـ ص 6911 – 6912

(31) أشرف صالح محمد سيد: الدبلوماسية الأيوبية الصليبية، دراسة تحليلية تاريخية، الفسطاط، 2007، ص44

(32) نادية مصطفي محمود: العلاقات الدولية في التاريخ الإسلامي، الجزء العاشر، العصر المملوكى من تصفية الوجود الصليبي إلى بداية الهجمة الأوروبية الثانية، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، 1981، ص34.

(33) والتر سانس أفوير توفي سنة 1096م، وكان ملازم لبطرس الناسك في قيادة حملة الفقراء أو حملة العامة أو حملة الرعاع الصليبية في بدايات الحملة الصليبية الأولى وسافر والتر بشكل منفصل عن بطرس الناسك قبل أن يتم تشكيل الجيش الرئيس الذي سيشارك في الحملة الصليبية الأولى المكون من الفرسان وأتباعهم، وقاد والتر مجموعته المكونه من الفقراء خلال الإمبراطورية الرومانية المقدسة، مملكة المجر، صربيا ومقاطعة بلغاريا التابعة للإمبراطورية البيزنطية وأثناء عبورهم ألمانيا والمجر بشكل هادئ، انظر:Setton, Kenneth Meyer and

Baldwin, Marshall W.: (1969), "A History of the Crusades, Volume 1 of History of the Crusades", Kenneth Meyer Setton, illustrated, Univ of Wisconsin Press, p.87

(34) عرفت المجموعة التي كونها بطرس الناسك بحملة الرعاع أو حملة العامة لأنها لم تكن لها صبغة الجيش أو الميليشيات، إنما كانت عبارة عن مجموعات ضخمة من العوام غير المنظمين، انظر: راغب السرجاني: قصة الحروب الصليبية، دار الكتاب، 2009، ص58.

(35) عزيز يوريال عطية: الحروب الصليبية وتأثيرها على العلاقات بين الشرق والغرب، ترجمة فيليب صابر سيف، مراجعة أحمد خاكي، دار الثقافة،1990، ص65.

(36) رنسيمان، ستيفن: تاريخ الحروب الصليبية، ترجمة السيد الباز العربي، دار الثقافة، ج2، 1997م، ص409

(37) توفي في 1 أغسطس 1098، انظر: Kostick, Conor: (1946) , "The social structure of the first Crusade", Leiden: Brill, p.65

(38) دريد عبد القادر نوري: سياسة المنصور سيف الدين قلاوون تجاه القوى الصليبية في بلاد الشام، مركز تحقيقات كابيتور لعلوم الإسلام،1990، ص43.

(39) كاهن ، كلود: الشرقُ والغَربُ زمَن الحُروب الصَليبْيّة، ترجَمَة أحمد الشيخ، سينا للنشر، القاهرة، الطبعة الأولى، 1995م، ص-105 106.

(40) الشارتري، فوشيه: تاريخ الحملة إلى القدس من 1095 / 1127م، الطبعة العربية الأولى، 1990م، ص41.

(41) حاليا هي جمهورية المجر وهي دولة أوروبية تقع في حوض الكاربات في وسط أوروبا، تحدها شمالاً سلوفاكيا ويبلغ طول الحدود حوالي 515 كم، وتحد أوكرانيا بـ 103 كم في الشمال الشرقي، وتحد رومانيا بـ 443 كم من الشرق، ومن الجنوب تحد كرواتيا بـ 329 كم صربيا وسلوفينيا بـ 102 كم، كما تحد النمسا بـ 336 كم من الغرب، انظر:: Endrey, Anthony (1982), "Hungarian history, Volume 1", Hungarian Institute, p.98

(42) رنسيمان، ستيفن: الحضارة البيزنطية، ترجمة عبد العزيز توفيق جاويد، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 2002، ص111

(43) سبط ابن الجوزي، ص 6911 – 6912.

(44) أحمد أحمد بدوي: الحياة الأدبية في عصر الحروب الصليبية بمصر والشام، دار النهضة، 1994، ص56.

(45) هي ثالث أكبر مدينة في صربيا (بعد بلغراد ونوفي ساد)، وأكبر مدن جنوب صربيا، انظر:-Harris, Jonathan: (2009), Constantinople: Capital of Byzantium, A & C Black, P.20

(46) رأفت عبد الحميد: بيزنطة بين الفكر والدين والسياسة، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، 1997، ص135

(47) هي عاصمة جمهورية بلغاريا وأكبر مدنها مساحة، ومركز بلغاريا الثقافي والاقتصادي، وأُنشئت المدينة في القرن الثامن قبل الميلاد من قبل أجداد البلغار التراقيين القدماء وسموها سيرديكا وهو الاسم القديم لصوفيا، انظر: Harris, Jonathan: (2009), Constantinople: Capital of Byzantium, A & C Black, P.20

(48) هـو مضيـق إسـطنبول حاليًـا ويصـل بـين البحـر الأسـود وبحـر مرمـرة، ويعتـبر مـع مضيـق الدردنيـل الحـدود الجنوبيـة بـين قـارة آسـيا وأوروبـا، ويبلـغ طولـه 30 كـم، ويـتراوح عرضـه بـين 550 مـتر و3000 مـتر، انظـر:- Russell, Thomas James: (2017), "Byzantium and the Bosporus: A Historical Study, from the Seventh Century BC Until the Foundation of Constantinople", Oxford classical monographs, illustrated, Oxford University Press, p.98

(49) هـي مدينـة إغريقيـة قديمـة تقـع عـلى سـاحل الأناضـول الغـربي عنـد بحـر مرمـرة تسـمى إزنيـق حديثـا، واشـتهرت بأهميتهـا في تاريـخ المسـيحية لانعقـاد مجمـع نيقيـة فيهـا، والـذي تنسـب إليـه معظـم العقائـد المسـيحية مثـل قانـون الإيمـان النيقـي، انظـر::Wordsworth, Christopher (1882), "History from the Council of Nicaea to the Council of Constantinople, Volume 2 of A Church History", Christopher Wordsworth, Princeton University,p. 43

(50) قلـج أرسـلان سـلطان سـلجوقي مـن سـلاجقة الـروم حكـم مـن سـنة 1092م وحتـى وفاتـه سـنة 1107 وقـد قـاد السـلطنة خـلال الحملـة الصليبيـة الأولى وبذلـك واجـه وطـأة الحملـة في آسـيا الصغـرى وقـد أعـاد تأسـيس دولـة سـلاجقة الـروم بعـد وفـاة جـلال الدولـة ملـك شـاه سـلطان السـلاجقة كـما هـزم الصليبيـين في ثـلاث معـارك خـلال الحملـة الصليبيـة في سـنة 1101 والتـي بـدأت بعـد الحملـة الأولى، وبسـبب الانتصـار السـهل في حملـة العامـة لم يأخـذ قلـج أرسـلان الحملـة الأولى والتـي كانـت بقيـادة العديـد مـن نبـلاء أوروبـا بعـين الاعتبـار، انظـر: Turkic Rulers: Alp Arslan, Ulugh Beg, Kerbogha, Kilij Arslan I, Suleiman Ibn Qutulmish, Timur, Nader Shah, Crimean Khanate, Iltutmish, Qutb-ud-din Aibak, Modu Chanyu, Uzun=Hassan, Bayanchur Khan, Nasir-ud-Din Qabacha, Ilghazi, Mu'in Ad-Din Unur, Llc, Books Group, General Books LLC, 2010, p.111

(51) المؤرخ الرهاوي المجهول: الموسوعة الشاملة في تاريخ الحروب الصليبية، ص109.

(52) سـبـط ابـن الـجـوزي، ص 6911 – 6912.

(53) المقريزي، اتعاظ الحنفاء بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء، 4/72.

(54) الشارتري، فوشيه: تاريخ الحملة إلى القدس ص41.

(55) نفسه ص41.

(56) سـبـط ابـن الـجـوزي: مـرآة الـزمـان، ص 6911 – 6912.

(57) الشارتري، فوشيه: تاريخ الحملة إلى القدس ص400.

(58) المقريزي، اتعاظ الحنفاء بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء، 4/72.

(59) سـبـط ابـن الـجـوزي: مـرآة الـزمـان، ص 6911 – 6912.

المصادر والمراجع:

المراجع باللغة العربية:

(1) أحمد أحمد بدوي: الحياة الأدبية في عصر الحروب الصليبية بمصر والشام، دار النهضة، 1994.

(2) أحمد الشامي: تاريخ العلاقات بين الشرق والغرب في العصور الوسطى، دار النهضة العربية، 1985م.

(3) أشرف صالح محمد سيد: الدبلوماسية الأيوبية الصليبية، دراسة تحليلية تاريخية، الفسطاط، 2007.

(4) حسن عبد الوهاب حسين: مقالات وبحوث في التاريخ الاجتماعي للحروب الصليبية، دار المعرفة الجامعية، 1997م.

(5) دريد عبد القادر نوري: سياسة المنصور سيف الدين قلاوون تجاه القوى الصليبية في بلاد الشام، مركز تحقيقات كابيتور لعلوم الإسلام، 1990م.

(6) راغب السرجاني: قصة الحروب الصليبية، دار الكتاب، 2009م.

(7) رأفت عبد الحميد: بيزنطة بين الفكر والدين والسياسة، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، 1997م.

(8) رنسيمان، ستيفن: الحضارة البيزنطية، ترجمة عبد العزيز توفيق جاويد، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 2002م.

(9) رنسيمان، ستيفن: تاريخ الحروب الصليبية، ترجمة السيد الباز العربي، دار الثقافة، ج2، 1997م,

(10) زكى النقاش: الحروب الصليبية وما نتج عنها من علاقات إجتماعية وإقتصادية وثقافية بين العرب والإفرنج، بدون دار نشر، 1946م.

(11) سبط ابن الجوزي: مرآة الزمان: الدكتور سهيل زكّار، تأليف وتحقيق وترجمة، الموسوعة الشامية فى تاريخ الحروب الصّليبيّة - المصادر العربية - مؤرخو القرن السابع (2)، ج 15، مرآة الزمان لسبط ابن الجوزي يوسف بن قزاوغلي ، دمشق، 1995 - 1416 هـ .

(12) الشارتري، فوشيه: تاريخ الحملة إلى القدس من 1095 / 1127 م، ترجمه من اللاتينية إلى الإنجليزية الأخت فرنسيس ريتا ريان، حرره وقدمه "هارولد س . فنك"، ترجمة إلى العربية د. زياد جميل العسلي، الناشر: دار الشروق للنشر والتوزيع، المركز العربي لتوزيع المطبوعات، الطبعة العربية الأولى، 1990م.

(13) الشارتري، فوشيه: تاريخ الحملة إلى القدس من 1095 / 1127م، الطبعة العربية الأولى، 1990م.

(14) عبد العظيم رمضان: الصراع بين العرب وأوروبا من ظهور الإسلام إلى انتهاء الحروب الصليبية، دار المعارف، 1990م.

(15) عبد الله عبد الرحمن الربيعي: أثر الشرق الأسلامي في الفكر الأوروبي خلال الحروب الصليبية، جامعة الأمام، 1994م.

(16) عزيز يوريال عطية: الحروب الصليبية وتأثيرها على العلاقات بين الشرق والغرب، ترجمة

فيليب صابر سيف، مراجعة أحمد خاكي، دار الثقافة،1990م.

(17) عزيز يوريال عطية: العلاقات بين الشرق والغرب، تجارية ثقافية صليبية، ترجمة فيليب صابر سيف، مراجعة أحمد خاكي، دار الثقافة، 1970م.

(18) كاهن ، كلود : الشرقُ و الغَربُ زمَن الحُروب الصَليبْيّة، ترجَمَة أحمد الشيخ، سينا للنشر، القاهرة، الطبعة الأولى ، 1995م.

(19) كوبلاند وفينوجرادوف: الإقطاع والعصور الوسطى في غرب أوروبا، ترجمة محمد مصطفى زيادة، بدون دار نشر، 1985م.

(20) محمود سعيد عمران: القادة الصليبيون الأسري في أيدي الحكام المسلمين، دار النهضة العربية، 1986م.

(21) المقريزي، تقيُّ الدين أحمد بن عليّ بن عبدُ القادر: اتعاظ الحنفاء بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء، الجزء الرابع، الطبعة الثانية، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، 1416هـ - 1996م.

(22) المؤرخ الرهاوي المجهول: الموسوعة الشاملة فى تاريخ الحروب الصليبية، ج 5، ترجمة د. سهيل زكار، دمشق 1416هـ / 1995 م.

(23) الموسوعة الشامية في تاريخ الحروب الصليبية: تحقيق وترجمة د. سهيل زكار، ج 5، دار الفكر، دمشق، 1995م.

(24) ميخائيل السوري الكبير: الموسوعة الشاملة في تاريخ الحروب الصليبية، ج 5، ترجمة د. سهيل زكار، دمشق 1416هـ / 1995م.

(25) نادية مصطفي محمود: العلاقات الدولية في التاريخ الاسلامى، الجزء العاشر، العصر المملوكى من تصفية الوجود الصليبي إلى بداية الهجمة الاوروبية الثانية، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، 1981م.

(26) ناصر خسرو علوي: سَفرْ نَامَة، ترجمة د. يحيى الخشاب، تصدير د. عبد الوهاب عزام، سلسلة الألف كتاب الثاني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، طبعة 1414هـ/ 1993م.

(27) النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، تحقيق مفيد قمحية وجماعة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 1424 هـ / 2004م.

المراجع باللغة الأجنبية:

(1) Endrey, Anthony: (1982), "Hungarian history, Volume 1", Hungarian Institute.

(2) Evans, Charles F. H.: (2003), "Complete Works of Charles Evans: Genealogy and Related Topics Issue 1 of FMG occasional publication, Foundation for Medieval Genealogy, illustrated", Foundation for Medieval Genealogy.

(3) Harris, Jonathan: (2009), Constantinople: Capital of Byzantium, A & C Black.

(4) Jeffery, George: (2010), "A Brief Description of the Holy Sepulchre Jerusalem and Other Christian Churches in the Holy City: With Some Account of the Mediaeval Copies of the Holy Sepulchre Surviving in Europe Cambridge Library Collection - Travel, Middle East and Asia Minor", Cambridge Library Collection: History, illustrated, reprint, Cambridge University Press.

(5) Kostick, Conor: (1946), "The social structure of the first Crusade", Leiden: Brill.

(6) Michelin: (1919), Illustrated Michelin Guides. Clermont-Ferrand, Royat and Surroundings, Michelin.

(7) Peters, Edward: (1998), The First Crusade: "The Chronicle of Fulcher of Chartres" and Other Source Materials, The Middle Ages Series, University of Pennsylvania Press.

(8) Phillips, Lawrence Barnett: (1871), "The Dictionary of Biographical Reference: Containing One Hundred Thousand Names, Together with a Classed Index of the Biographical Literature of Europe and America", S. Low, Son, & Marston.

(9) Porter, Whitworth: (2013), "A History of the Knights of Malta, Cambridge Library Collection European History, illustrated, reissue", Cambridge University Press.

(10) Runciman, Steven: (1987), "A History of the Crusades, Volume 2 of A History of the Crusades 3 Volume Paperback Set, illustrated", reprint, CUP Archive.

(11) Russell, Thomas James: (2017), "Byzantium and the Bosporus: A Historical Study, from the Seventh Century BC Until the Foundation of Constantinople", Oxford classical monographs, illustrated, Oxford University Press.

(12) Setton, Kenneth Meyer and Baldwin, Marshall W.: (1969), "A History of the Crusades, Volume 1 of History of the Crusades", Kenneth Meyer Setton, illustrated, Univ of Wisconsin Press.

(13) Turkic Rulers: Alp Arslan, Ulugh Beg, Kerbogha, Kilij Arslan I, Suleiman Ibn Qutulmish, Timur, Nader Shah, Crimean Khanate, Iltutmish, Qutb-ud-din Aibak, Modu Chanyu, Uzun Hassan, Bayanchur Khan, Nasir-ud-Din Qabacha, Ilghazi, Mu'in Ad-Din Unur, Llc, Books Group, General Books LLC, 2010.

(14) Wordsworth, Christopher: (1882), "History from the Council of Nicaea to the Council of Constantinople, Volume 2 of A Church History", Christopher Wordsworth, Princeton University.

(15) http://archive.aramcoworld.com/issue/197104/a.talk.with.philip.hitti.htm,

(16) https://web.archive.org/web/20131029203159/http://www.english-heritage.org.uk/discover/blue-plaques/search/allenby-field-marshal-edmund-henry-hynman-viscount-allenby-1861-1936

النخلة في التراث الشعبي الليبي
(واحة زلة أنموذجاً)

د. أبو القاسم السنوسي قنه محمد
المركز الليبي لأبحاث الصحراء وتنمية المجتمعات الصحراوية- ليبيا

المستخلص:

يستكشف البحث دور النخلة في التراث الشعبي الليبي، مع التركيز على واحة زلّة كحالة دراسية، ويندرج هذا البحث في سياق الدراسات الثقافية والتراثية التي تبحث في العلاقة بين الأنسان والأرض وكيف أن علاقة التبادل بينهما ولدت دائرة حياة ثقافية واجتماعية تساعد على دراسة النخلة بوصفها عالماً مشكلاً لثقافة تقليدية ارتبطت بعامة الناس ([1]) تحتل النخلة مكانة خاصة ومميزة عند السكان، وترتبط ارتباطا وثيقاً بتراثهم وهويتهم، عرفها أجدادنا واهتموا بغرسها ورعايتها، وتنظيفها وتنقيتها في كل موسم، وكانوا يقسمون الإرث بينهم بعدد النخل لا بالمساحات الترابية كما تتعمق هذه الدراسة في استكشاف دور النخلة في التاريخ، بدءًا من ظهورها وانتشارها في المنطقة وصولاً إلى تأثيرها في الموروث الشعبي، وتتجلى أهمية النخلة في التراث الشعبي من خلال العديد من الجوانب، فهي ليست مجرد مصدر للغذاء والظل، بل تمثل جزءًا لا يتجزأ من الهوية الثقافية للشعب الليبي. تهدف الدراسة إلى تسليط الضوء على الأبعاد الثقافية والاقتصادية والاجتماعية للنخلة، من خلال تحليل العادات، والأمثال، والأغاني الشعبية، والممارسات الزراعية المرتبطة بها،وكيف تم الاعتماد عليها في العديد من المهن والمنتوجات التراثية اليدوية، وكيف كان لها دور كبير وبارز في حياة السكان ، فيحصل الناس على طعامهم ودواءهم منها وتعتبر رمز للحياة والاستدامة ، من خلال هذا الاستكشاف نأمل في فهم أعمق للنخلة، وكيف أن وجودها يعكس تأثيرها العميق على حياتهم وثقافتهم، وسنستعرض كيف أثرت النخلة على الحياة اليومية لليبيين، وكيف أصبحت جزءاً لا يتجزأ من ثقافتهم، وكيف حافظت على مكانتها رغم التحديات البيئية والاقتصادية التي واجهتها عبر الزمن، تُعتَبر هذه الدراسة محاولةً للحفاظ على التراث غير المادي وتوثيقه، خاصة في ظل التحديات الحديثة مثل التغيرات المناخية والتحضر.

الكلمات المفتاحية: النخلة، التراث غير المادي، الهوية الأمازيغية، التنمية المستدامة، واحة زلّة

The palm tree in Libyan folklore
(the Zillah oasis as a model)

Dr. Abo Algasim Al Sanusi Ganah

Abstract:

The research explores the role of the palm tree in Libyan folklore, focusing on the Zalla Oasis as a case study. This research falls within the context of cultural and heritage studies that examine the relationship between humans and the land and how the exchange relationship

between them generated a cultural and social life circle that helps to study the palm tree as a world that constitutes a traditional culture associated with the general public. (1)The palm tree occupies a special and distinctive place among the population, and is closely linked to their heritage and identity. Our ancestors knew it and were interested in planting and caring for it, cleaning and purifying it every season. They used to divide the inheritance among them according to the number of palm trees, not the land areas. This study also delves into exploring the role of the palm tree in history, starting from its emergence and spread in the region to its impact on the popular heritage. The importance of the palm tree in the popular heritage is evident through many aspects. It is not just a source of food and shade, but rather represents an integral part of the cultural identity of the Libyan people. The study aims to shed light on the cultural, economic and social dimensions of the palm tree, through analyzing the customs, proverbs, folk songs, and agricultural practices associated with it, and how it was relied upon in many professions and traditional handicraft products, and how it played a major and prominent role in the lives of the population, as people obtain their food and medicine from it and it is considered a symbol of life and sustainability. Through this exploration, we hope to gain a deeper understanding of the palm tree, and how its presence reflects its profound impact on their lives and culture. We will review how the palm tree affected the daily lives of Libyans, how it became an integral part of their culture, and how it maintained its position despite the environmental and economic challenges it faced over time. This study is considered an attempt to preserve and document intangible heritage, especially in light of modern challenges such as climate change and urbanization.

Keywords: palm tree, intangible heritage, Amazigh identity, sustainable development, Zillah oasis.

المقدمة:

في قلب الصحراء الليبية حيث تُحدِّق الشمس اللاهبة بالأفق، تقف النخلة شامخةً كشاهدٍ على حكمة الإنسان الليبي في تحدي الظروف الطبيعية، حيث كانت ولاتزال هذه الشجرة المباركة ليست مجرد مصدرٍ للغذاء أو الظل فقط ، بل هي نسيجٌ ثقافيٌ حي يربط الماضي بالحاضر، ويُجسِّد تفاعلَ الإنسان مع بيئته في أقصى صور الإبداع، تُعدُّ واحات الصحراء الليبية وعلى رأسها

واحة زلّة متاحفَ مفتوحةً تحتفظ في ثنايا سعف النخيل ذاكرةَ أجيالٍ عاشت بتناغمٍ مع رمال الصحراء، لكنّها تواجه اليوم تحدياتٍ تهدد بانقراض هذا التراث غير المادي، وفي السياق العربي حظيت النخلة باهتمامٍ بحثيٍ واسع لدورها في الحضارات القديمة، لكن الدراسات المحلية في ليبيا ظلّت ولوقتٍ طويل حبيسةَ الجوانب الزراعية والاقتصادية مُغفلةً البُعدَ الثقافي والاجتماعي الذي يجعل من النخلة نظامًا رمزيًا متكاملاً، هنا تكمن أهمية هذا البحث الذي يسعى لسدّ الفجوة المعرفية حول هذا الموضوع عبر تسليط الضوء على الأبعاد غير المادية لعلاقة الإنسان الليبي بالنخلة، باستخدام منهجيةٍ وصفية أنثروبولوجيةٍ تعيد قراءة التراث الشعبي (قصائد شعرية، أمثال، أغاني، طقوس) كمفتاحٍ لفكّ شفرة الهوية المحلية.

اختيرت واحة زلّة الواقعة في وسط ليبيا نموذجًا للدراسة لاعتباراتٍ عدة نذكر منها: تنوّعها البيولوجي الفريد (أكثر من 50 صنفًا من التمور) وثراؤها الثقافي المتمثل في الممارسات الزراعية التقليدية التي تعود إلى قرن من الزمن، فضلًا عن تميّزها بأسماء أمازيغيةٍ للنخيل كـ(التاقذاف، التاليس، التغيات، التمج) تُذكِّر بجذورها التاريخية العميقة، وبوصفها من المدن المبدعة في التراث الشعبي والفنون والحرف فإن ذلك يستدعي توجيه كافة الجهود الفردية والمؤسساتية لتفعيل توثيق المعلومة ونشرها ، ومن هنا كان سبب اختيار موضوع هذا البحث ليكون ضمن المبررات التي سبق ذكرها ويساهم في تقديم فهم أعمق لأهمية النخلة في التراث الشعبي ودورها في تشكيل الهوية الليبية.

يهدف البحث إلى توثيق الممارسات التراثية المرتبطة بالنخيل قبل اندثارها، وتحليل التفاعل بين النظام البيئي والنسيج الاجتماعي في الواحة وتقييم تأثير التحديات الحديثة (كالتغير المناخي والتحضّر) على الاستدامة الثقافية تنبع أهمية هذه الدراسة من كونها الأولى حسب علم الباحث التي تربط بين التحليل اللغوي للأسماء الأمازيغية للنخيل وبين الحفاظ على التنوع البيولوجي، كما تُقدِّم قراءةً جديدةً لدور المرأة في الاقتصاد غير الرسمي عبر صناعات السعف، لتصبح مثل هذه الدراسات جسرًا بين الموروث الثقافي وسياسات التنمية المستدامة، تعتمد هذه الدراسة على بياناتٍ ميدانيةٍ جُمعت عبر مقابلاتٍ مع مزارعين وحرفيين، وتسجيل ملاحظاتهم ومشاركاتهم لطقوس زراعة وتلقيح وجني المحصول، وبالإضافة للتحليلٍ النقديٍ لنصوصٍ شعبيةٍ وثّقتها الأرشيفات المحلية.

أهمية الدراسة:

1. تمثل النخلة قيمة اقتصادية قديماً وحديثاً، فهي إلى جانب استخداماتها المتعددة في تجارة القوافل ظلت تقدم فائدة اقتصادية كبيرة حيث يستفاد من ثمارها وجذعها وليفها وجريدها وحتى ربها ولاقبيها.
2. تستمد الدراسة أهميتها كونها من الدراسات التراثية التي يؤمل منها طرق الجوانب المختلفة لمعرفة الواقع التراثي الذي يقوم به أفراد المجتمع الصحراوي في الماضي والحاضر من طرق زراعة النخيل والفوائد الصحية والطبية والصناعات القائمة عليها،

وتعكس البيئة المحلية بتفاصيلها الدقيقة، فكل مجتمع يحتاج إلى الرجوع إلى تاريخه الثقافي وموروثه الشعبي عن النخلة في الاشعار الشعبية التي يرددها الحرفي والامثال، لضمان الاستمرارية لهويته التي تتطور وتتفاعل مع الزمن.

3. قلة الدراسات والبحوث التي اهتمت بالنخلة في ليبيا بشكل عام، ورمزية النخلة بشكل خاص على الرغم من أن منطقة زلة وواحات الجفرة بيئة مناسبة تماماً لزراعة النخيل منذ أقدم الأزمنة وقبائلها من أكثر القبائل قدرة وشهرة ومهارة في التعامل مع النخلة ويتميزون بعادات وتقاليد خاصة تميزهم عن غيرهم.

أهداف الدراسة:

1. توثيق دور النخلة في التراث الشعبي الليبي مع التركيز على واحة زلة.
2. إبراز أهمية النخلة في تعزيز الهوية الثقافية للمجتمع الليبي والتي تعد رمزاً أصيلاً لحياة أبناء الصحراء على مر العصور حيث حضرت بكامل تفاصيلها في الحياة اليومية، فبعد أن كانت شريكا في سابق الأيام أصبحت أيقونة لتراثهم وحياتهم.
3. التعريف بالنخلة وأنواعها، وأسمائها، ورمزيتها، وفوائدها وإمكانية الاستفادة منها واستغلال مخلفاتها في منتوجات فنية، والحرف والألعاب الشعبية المتعلقة بها.
4. تسليط الضوء على أهمية الحفاظ على هذا التراث، في ظل التغيرات الاجتماعية والاقتصادية الحديثة وتعريف النشء بموروث أباءهم وأجدادهم، ورصد بعض المفردات والمصطلحات الخاصة بالنخيل.
5. بيان أهمية النخلة ودورها الاقتصادي والاجتماعي بأعتبارها شعاراً للواحات الليبية، كما تعد من الناحية العرفية والقانونية والقضائية من وسائل إثبات ملكية الأرض، وبالتالي لا يمكن إهمالها سواء من قبل أصحابها أومن قبل المختصين بالبحث التاريخي.

إشكالية البحث:

تكمن مشكلة البحث في التأكيد على أهمية النخلة وفوائدها ومنتجاتها التقليدية التي تحمل سمات الطابع الشعبي وما قيل عنها في تراثنا الشعبي من قصائد شعرية وأمثال سائرة، من هنا فرضت علينا طبيعة الموضوع أن نطرح عدة أسئلة منهجية منها:

- ما أهمية النخلة للسكان في مناطق واحات الصحراء الليبية؟
- ماهي أنواع وأسماء النخيل والتمور وفوائدها الغذائية والعلاجية في واحة زلة؟
- هل كان للنخلة دور يذكر في الحراك الاقتصادي وخاصة (التجاري)الذي صنفت من خلاله مناطق وواحات الجفرة الليبية أنها محطات مهمة لتجارة العبور بين مناطق الساحل والصحراء؟
- هل للنخلة أهمية ورمزية لدى سكان واحات الصحراء الليبية؟
- ماهي أسماء وانواع التمور التي مازالت متداوله في واحة زلة بأسمائها الأمازيغية؟
- ما هو تأثير النخلة على البيئة الاجتماعية والثقافية والفنون والعادات والتقاليد؟

- هـل اسـتوعب النـاس في واحـة زلـة قيمـة النخلـة الماديـة والثقافيـة؟ وكيـف اسـتطاعوا الاسـتفادة مـن تلـك النخلـة في توفـير وسـائل العيـش واحتياجاتهـم الضروريـة؟
- مـا الأمثـال المتداولـة عـن النخلـة؟ وهـل لهـا انعـكاس على حيـاة سـكان واحـات الصحراوية؟ وهـل اسـتطاعوا الحفـاظ عـلى تراثهم؟

الإطار الزمني والمكاني:

يغطـي البحـث الفـترة مـن العصـور القديمـة (عـصر القبائـل الأمازيغيـة كـمزاته وهـوارة) حتـى الوقـت الحـاضر، ومكانيـاً تشـمل الدراسـة مناطـق النخيـل الرئيسـية في واحـة زلّـة.

منهجية الدراسة:

اعتمـدت هـذه الدراسـة عـلى المنهـج الوصفـي والتحليـلي والأنثروبولوجيـا الثقافيـة الـذي عـادة مـا يتناسـب مـع هـذا النـوع مـن الدراسـات التراثيـة مـع الاعتـماد عـلى المقابـلات والزيـارات الميدانيـة للمزارعـين والأماكـن التـي تشـتهر بزراعـة النخيـل في زلـة. وتـم تقسـيم الدراسـة عـلى النحـو التـالي:

المبحث الأول(تمهيدي) :

النخلة في معاجم اللغة:

النخلـة تُعتـبر مـن الأشـجار المهمـة ولهـا حضـور بـارز في معاجـم اللغـة العربيـة، وفيـما يـلي عـرض لمفهـوم النخلـة في بعـض معاجـم اللغـة العربيـة:

ابن منظور (لسان العرب):

يعـرف النخلـة بأنهـا: مـن الشـجر واحدتـه نَخْلَـةٌ والنخلـة تذكَّـر وتؤنَّـث وقيـل: النخـلُ جماعـة النخـلات، الواحـدة نخلـة، والنخيـل مثـل النخـل، وجـاء في لسـان العـرب أن أول التمـر طلـع، ثـم خـلال، ثـم بلـح، ثـم بـسر، ثـم رطـب، ثـم تمـر، وورد ذكـر الكرنـاف (أصـول الكـرب التـي تبقـى عـلى الجـذع)، والشـمروخ عليـه بـسر والعرجـون (عـود الكباسـة) والنخلـة. ([2])

-عـرف الخليـل بـن أحمـد الفراهيـدي والأصمعـي: وغيرهـما مـن فطاحـل اللغـة العربيـة (النخـل) فقالـوا (إنهـا شـجرة التمـر وجمعهـا نخـل ونخيـل ونخـلات)، وقيـل إن الاسـم مأخـوذ مـن نخـل المنخـل وانتخـل الـشيء أي اختـار. ([3])

مـن خـلال هـذه المعاجـم، يتضـح أن النخلـة تعتـبر مـن الأشـجار المثمـرة الهامـة في الـتراث العـربي، ولهـا عـدة تعريفـات متقاربـة تشـير إلى أنهـا شـجرة التمـر، ويمكـن أن تـأتي مذكّـرة أو مؤنّثـة.

2 -النخلة في القرآن الكريم:

النخلـة بثمارهـا المباركـة تحتـل مكانـة مميـزة في القـرآن الكريـم ذكـرت في العديـد مـن الآيـات القرآنيـة لتشـير إلى عظمـة خلـق اللـه، ولتـضرب أمثلـة عـلى نعمـه ورحمتـه وقـد جـاء ذكـر النخلـة والتمـر في القـرآن الكريـم في (17) سـورة مـن أصـل (114) سـورة وفي (20) أيـة مـن أصـل(6236) أيـة وردت فيهـا بلفظـة (النخلـة)([4]) لقـد رفـع اللـه سـبحانه وتعـالى قيمـة النخلـة ووضعهـا في مكانـة خاصـة بـين بقيـة الاشـجار، وجعلهـا مـن ثمـار الجنـة أسـوة بالتـين والزيتـون والرمـان والعنـب ([5]) ونسـتعرض فيـما يـلي بعـض الآيـات التـي ذُكـرت فيهـا النخلـة، مـع شرح لمكانتهـا ودلالاتهـا في القـرآن الكريـم: - قـال

تعالى: فَنَادَاهَا مِن تَحْتِهَا أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا﴾.([6])

- قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَ جَنَّاتٍ مَّعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أُكُلُهُ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُتَشَابِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ كُلُوا مِن ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾. ([7])

- قال تعالى: ﴿وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ ﴾.([8])- قال تعالى: ﴿وَمِنَ النَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ انظُرُواْ إِلِى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ إِنَّ فِي ذَلِكُمْ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُون ﴾.([9]) صفات النخلة كما وردت في القران الكريم:

1. النخل باسقات: يعني طوالا.
2. طلعها نضيد: متراكم على بعضه .
3. ثمارها دانية : متدلية أو قريبة من المتناول .
4. - ذات الأكمام : لها أوعية للثمر .
5. يصنع من ثمارها : الخمر وقد حرمت بالمدينة المنورة.
6. يصنع من ثمارها : الرزق الحسن مثل السكر والدبس والعجوة وغيرها.
7. من النخيل صنوان: نخلة بجذع واحدة ومنها غير صنوان.
8. مختلفاً أكله: فمنه الأخضر والأحمر والأصفر والأسود والبني والطري والجاف.
9. يفضل بعضها على بعض في الأكل: فمنه شديد الحلاوة ومتوسط الحلاوة وقليل الحلاوة، وغير المليء بالألياف وقليل الألياف.
10. رطباً جنياً: صالحاً للاجتناء طريا. ([10])

-3 النخلة في السنة النبوية:

النخلة كشجرة مباركة حظيت أيضًا بمكانة مميزة في الأحاديث النبوية الشريفة، فتحدث النبي ﷺ عن النخلة في سياقات متعددة، مُشيرًا إلى فوائدها ومعبرًا عن أهمية الاعتناء بها وزراعتها، ونستعرض فيما يلي بعض الأحاديث التي تذكر النخلة، مع شرح لدلالاتها ومعانيها:

- عن ابن عمر - رضي الله عنهما - قال: قال رسول الله ﷺ: « إنَّ من الشجر شجرةً لا يسقطُ ورقُها، وإنَّها مثلُ المسلم، فحدِّثوني ما هي؟ فوقع الناس في شجر البوادي. قال عبدالله: ووقع في نفسي أنَّها النخلة، فاستحييت، ثم قالوا: حدِّثنا ما هي يا رسول الله؟ فقال: هي النخلة «. ([11])

- قال: عليه الصلاة والسلام « خلقت النخلة والرمان والعنب من فضلة طينة آدم». ([12])

- ففي الصحيحين من حديث سعد بن أبي وقاص: « من تصبح كل يوم سبع تمرات عجوة لم يضره في ذلك اليوم سُم ولا سحر «. ([13]) - عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: قال رسول الله (صلوات الله عليه وسلامه): " يا عائشة بيت لا تمر فيه جياع أهله قالها مرتين أو ثلاثاً «. ([14])

- « أطعموا نساءكم في نفاسهن التمر، فإنه من كان طعامها في نفاسها التمر خرج ولدها ذلك حليماً، فإنه كان طعام مريم حيث ولدت عيسى ولو علم الله طعاماً هو خير لها من التمر أطعمها إياه».([15])

صفات النخلة كما وردت في الأحاديث النبوية:

- شجرة ورقها لا يسقط وظلها حسن.
- ثمار هذه الشجرة ذات طعم طيب وهي بلا رائحة على خلاف معظم الفواكه.
- لثمرة النخلة فائدة في الحماية من السحر والسم والأسقام.
- ثمرها يحوي كافة العناصر التي يحتاجها الجسم ولذا فهي تحمي من الجوع وتغني الانسان عن سواها ([16])

لقد كرّم الله النخلة وحثّنا رسوله الكريم بأن نهتم بها ونكرمها ونزرعها ، كما شرّع الإسلام الآداب الكثيرة لبيع وأكل ثمر النخيل ، وتوجد عشرات الأحاديث التي تناولت النخلة وتمرها وفضلها سواء لإفطار الصائم أو الصدقات ليس مجالها في هذا المقام..([17])

4 - النخلة في النصوص التاريخية:

تعتبر النخلة رمزًا مهمًا في الثقافة والتاريخ العربي والإسلامي وتظهر في العديد من النصوص التاريخية والدينية والأدبية مما يدل على أهميتها عبر العصور وهي من أقدم المزروعات التي عرفها الإنسان منذ أقدم العهود وتتفق النصوص القديمة على إظهار النخلة كمنبع للبركة والخيرات ومعروفة في بعض الكتب المقدسة باسم شجرة الحياة ((Tree of life وقد شهدت مولد السيد المسيح ([18]) كما أن النخلة ذُكرت في الكتابات العربية التي تناولت تاريخ المنطقة مما يعكس دورها المحوري في الاقتصاد الزراعي، حيث وجدت في العراق لوحة أثرية مسجل عليها طريقة إجراء عملية تلقيح النخيل (([19] وفي الحضارة المصرية كانت للنخلة قدسية خاصة ووجد في معابد المصريين القدماء ومقابرهم صورا ورسوم لإجراء عملية التلقيح، وأقدم ما عُرف عن النخل كان في بابل القديمة كما وأن النقوش السومرية التي وجدت في جنوب العراق والخليج العربي تدل على وجود النخل في تلك المنطقة وفي الوثائق التاريخية في شريعة حمورابي التي تضمنت ثلاث مواد تتعلق بشراء النخيل وبيعه وتلقيحه إضافة إلى مادة عقابية خاصة بالاعتداء على النخيل تحدد غرامة فضية على كل من تسول له نفسه اقتلاع نخلة ([20]) وفي التاريخ نجد أن النخلة وجودها قديم جداً في ليبيا وقد ورد ذكرها في العديد من النصوص التاريخية والنقوش الأثرية في بعض المقابر القديمة وفي اللوحات الصخرية وكوشم على أجساد الليبيين في زمن الفراعنة وهي ليست مجرد شجرة بل هي رمز حضاري ارتبط بليبيا منذ العصور القديمة، حيث كانت تمثل رمزاً للحياة والعطاء ، مما يعكس أهميتها الكبيرة في مختلف جوانب الحياة الاقتصادية والاجتماعية، فذكرها المؤرخون القدماء مثل هيرودوت الذي أشار إلى زراعة النخيل في مناطق مختلفة من ليبيا كما تشير الأدلة الأثرية والنقوش التاريخية إلى أن الليبيين القدماء قد عرفوا زراعة النخيل واستخدموا منتجاته في حياتهم اليومية في المناطق الأثرية مثل لبدة الكبرى وصبراتة وأويا (طرابلس الحالية)، كان النخيل جزءًا من المشهد الطبيعي والاقتصادي، حيث اعتمدت هذه المدن الرومانية القديمة على زراعة النخيل في توفير الغذاء والمساهمة في التجارة وتعتبر شجرة مقدسة لدى الحضارات الليبية القديمة مثل الجرمنتية، وكانت تُستخدم في الطقوس الدينية والمناسبات الاجتماعية. ([21]) وفي واحة زلة([22]) تنتشر العديد من بقايا حطايا النخيل القديمة منذ عهد استقرار قبيلتي(مزاته

وهـوارة) في المنطقـة مثـل حطيـه (تـرزه[23])، عـين زلـه[24])) ولا تـكاد تخلـو سـانية(مزرعة) مـن وجـود أشـجار النخيـل ([25])ويرجـع الاهتـمام بالنخيـل عـلى مـر العصـور إلى القيمـة الاقتصاديـة التـي توفرهـا النخلـة فهـي شـجرة مباركـة وثمارهـا تـؤكل في كل أيـام السـنة كـما سـاهمت النخلـة بتمورهـا عـن طريـق الأوقـاف في الإنفـاق عـلى المسـاجد والزوايـا وغيرهـا ([26]) وفي هـذا الشـأن يعـدد عبـد القـادر جامـي فوائدهـا بقولـه:((إن هـذه الشـجرة المباركـة الثمينـة التـي هـي زينـة الصحـراء تـؤدي واجبـاً مدنيـاً في حيـاة فـزان الاجتماعيـة فضـلاً عـن ثمارهـا لا يوجـد فيهـا أي جـزء لا يصلـح لـشيء)). ([27]) ونظـراً لأهميـة النخلـة في حيـاة سـكان واحـات الصحـراء الليبيـة، فقـد أحاطوهـا بالرعايـة والاهتـمام باعتبارهـا تمثـل جـزء مـن حياتهـم وتاريخهـم، ففـي العهـد العثـماني الثـاني 1911-1835م كانـت النخلـة محـط اهتـمام الإدارة العثمانيـة في ولايـة طرابلـس فكانـت ضريبـة النخيـل مـن الضرائـب التـي سـاهمت في دخـل الولايـة وأثقلـت كاهـل الأهـالي ([28])وعـلي الرغـم مـن ذلـك نجـد سـكان زلـة وواحـات الجفـرة يعتـزون كثـيراً بثروتهـم مـن نخيـل البلـح لأنهـا كانـت تشـكل الدخـل الرئيـس لغالبيـة سـكان الواحـات، كـما تشـير أحـدي الإحصائيـات لأعـداد النخيـل في ولايـة فـزان والتـي أشـار إليهـا عبـد القـادر جامـي أثنـاء تواجـده في منطقـة مـرزق خـلال الفـترة الممتـدة مـن 1908-1906م، والتـي قـدر عددهـا بنحـو (1175000) نخلـة بإقليـم فـزان ومـن خـلال الوثيقـة نلاحـظ أن ناحيـة زلـه تعتـبر مـن أهـم واحـات الجفـرة مـن حيـث أعـداد أشـجار النخيـل والبالـغ عددهـا (120000) ألـف نخلـة، مقارنـة بأعـداد أشـجار النخيـل في واحـات سـوكنه وهـون وودان البالـغ عددهـا (130000) ألـف نخلـة ([29]) وقـد رصـدت لنـا إحـدى الوثائق الضرائـب المفروضـة عـلى أشـجار النخيـل في واحـات الجفـرة، فكانـت ناحيـة زلـه تدفـع أعـلى ضريبـة عـن الأشـجار إذ أن أعلاهـا تدفـع 90 بارة،والوسـطى70 بـارة والأدنى60 بـارة ، وتـأتي واحـة سـوكنه وهـون في المرتبـة الثانيـة حيـث تدفعـا عـن الأعـلى 80 بـارة والوسـطى 60 بـارة والأدنى45 بـارة وأدنى الأدنى 35 بـارة ([30]) وتُعـد واحة زلَّة الليبيـة واحـدة مـن الواحـات المهمـة والتـي لعبَـت دورًا حيويًـا خـلال مراحـل الجهـاد الليبـي ضـد الاسـتعمار الإيطـالي (1943-1911) بسـبب موقعهـا الاسـتراتيجي وثروتهـا الزراعيـة، وخاصـة إنتاجهـا الوفـير من التمـر، الـذي يُعـد مصـدرًا غذائيًـا أساسـيًّا للمجاهديـن. ومـما سـبق نلاحـظ أن النخلـة تُعتـبر مـن أبـرز الرمـوز الطبيعيـة وتحمـل دلالات عميقـة تتعلـق بالصمـود والعطـاء والكـرم وتلعـب دورًا حيويًـا في تاريـخ ليبيـا وجغرافيتهـا منـذ آلاف السـنين، وتمثـل رمـزاً للثقافـة والهويـة وتُعـد جـزءاً لا يتجـزأ مـن الـتراث الليبـي، حيـث لعبـت دوراً محوريـاً في حيـاة سـكان الصحـراء الليبيـة عـبر العصـور، منـذ عصـور مـا قبـل التاريـخ وحتـى العـصر الحديـث.

5 - الصفات المشتركة بين الأنسان والنخلة:

درس العلـماء طبيعـة النخلـة وأهتمـوا بأبـراز خصائصهـا ومـا تمتـاز بيـه عـن غيرهـا مـن أنـواع الأشجارواسـفرت دراسـاتهم عـن وجـود تشـابه كبـير بـين طبيعـة النخلـة وبـين طبيعـة الأنسـان، وقـد اقتضـت حكمـة اللـه أن تشـبه النخلـة الأنسـان في ذاتهـا وطبيعتهـا وأمراضهـا واعراضهـا وجوهرهـا ([31]) عـلى النحـو التـالي:

- فهي ذات جذع منتصب.

- ومنها الذكر والأنثى.
- وإذا قطع رأسها ماتت.
- وإذا تعرض قلبها لصدمة قوية هلكت. ([32])
- وإذا قطع سعفها لا تستطيع تعويضه.
- والنخلة مغطاة بالليف الشبيه بشعر الجسم في الإنسان.
-في رائحة الطلع كرائحة الفحولة ([33]).
- في التغيير والتلوث.
- العمر ومدة البقاء.
- الانشغال في فترة الحمل بالحمل عن أنتاج الفصيل.
- فضل الإنسان بالعقل وبما أرتفع منه، كالرأس والدماغ، والنخلة لبها وجمارها وإنتاجها في أعلاها.
- الموت أما فجأة أو بسبب مرض أو موتاً طبيعياً من غير مرض.
- الموت من شدة الحر أو شدة البرد. ([34])
- النخلة الحامل تشبه المرأة الحامل تكون خفيفة ثم تثقل مع كبر الحمل حتى الولادة(الجني).
- النخلة إذا ضعفت وهزلت لم تحمل وكذلك المرأة.
- النخلة لا تثمر ألا أذا لقحت.
- تطيب النخلة المريضة بالعلاج وكذلك الأنسان.
- النخلة تمل من الماء الواحد والزبل الواحد وتحتاج إلى التنوع، وكذلك الأنسان يحتاج للتنوع في الطعام.
- النخلة تحتاج للملوحة وتنزع لها، وكذلك الإنسان فصلاح غذائه كله بالملح.
- النخلة تعالج بالنار (حرق السعف اليابس) والإنسان يعالج بالكي بالنار. ([35])

(المبحث الثاني):

أجزاء النخلة:

- الجذع: تتكون شجرة النخيل من الجذع أو الساق الذي يمثل قاعدة الجذور حتى الرأس، يتراوح سمكها حتى 1.5م وطولها قد يصل حتى 30م ويحيط الكرناف بالجذع إحاطة كاملة، ويمثّل الكرناف شبه سلّم لركوب النخلة كما يشير إلى عمرها. ([36])
- الرأس: هو الموقع الذي يجمع أهم أجزاء النخلة: القلب، الليف، السعف، العذوق.

-القلب: قلب النخلة هو البرعم الطرفي لأشجار النخيل، ويسمى أيضًا رأس النخلة أو الجمارة ويؤدي موت قلب النخلة إلى موت الشجرة، وإذا تمت إزالة قلب نخلة التمر، يمتلئ التجويف بشراب حلو يتخمر بسرعة.

- الليف: نسيج يحيط بالقلب، والسعف، والعذوق، مكوناً تماسكاً صلباً.([37])

- السعف: تتميز أوراق أشجار النخيل، المعروفة بالسعف، بعدة خصائص مميزة. فهي كفية الشكل أو ريشية، وتتمتع بالخضرة الدائمة، تنمو الأوراق حلزونياً على قمة الساق، وتحتوي على غمد مفتوح جانب واحد عند النضج، وهو ينبت من القلب وينمو في شكل قوس، وينبت فيه الشوك والسعف أو الجريد ويبلغ عرضها من 60 سم 120-سم، وطولها من 6-3م. ([38])
- الطلع([39]): غلاف العرجون (الباقول) ينمو في بداية الموسم، ويحوي مادَّة الإخصاب على شكل حَبٍّ مَنْضُودٍ، وهو الذي يتلقى اللقاح.
- العذق(العرجون)([40]): يخرج من الطلع ليكون منبت الثمر وفيه تنبت أغصان صغيرة (شماريخ)([41]) وفي الشماريخ يتدلّى الرطب وثمارها التمر ينمو على شكل عناقيد تسمى العراجين. ([42])
- العنق(الكرناف): وهو الجزء الأسفل من محور الجريدة ويسمى الكرناف وهو عبارة عن قاعدة الجريدة حيث تكون عريضة وغليظة عند التحامها بالجذع وتضيق كلما اتجهت إلى الأعلى، كما أن حافتي الكرنافة الجانبيتين مستدقتين تنتهيان بالغمد الليفي الملتصق بها عادة، ويحيط الكرناف بالجذع على استمداده. ([43])

2 - طرق زراعة النخيل:

يعتبر النخيل محصول رئيسي في واحة زلة ويبدأ موسم غرس الفسائل في شهر فبراير وشهر أغسطس من كل عام ويتكاثر نخيل التمر في واحة زلة بطريقتين هما:

1. التكاثر بواسطة زرع النخيل بالنوى: إلا أن هذه الطريقة غير مرغوبة لأنه من المتوقع أن تكون الأشجار الناتجة من البذور نصفها نخيل مؤنث والنصف الأخر نخيل مذكر(فحول).([44])
2. التكاثر بالفسائل: وهي طريقة مضمونة بنسبة عالية لأن الفسيلة تحافظ على جينية أصلها، وبذلك يمكن للفلاح أن يختار النوعية التي يرغب في غرسها، وتختلف أعداد الفسائل التي تنمو بجوار جذع النخلة من نخلة لأخرى بحسب نوع النخلة. ([45])

3 - التلقيح (التوبير أو التأبير):

تعد عملية التلقيح أو التأبير من أهم العمليات الزراعية في بستان النخيل وبدون أجراء هذه العملية لا يتم تكوين محصول ثمري، وأشجار النخيل ثنائية المسكن أي أن هناك أشجار مذكرة أو أشجار مؤنثة ولذلك لابد من عملية التلقيح بواسطة الأنسان، ويتم تخصيص ذكر (فحل) لكل 25 نخلة ، ويختلف عدد الأغاريض التي تحملها الأشجار تبعاً لعوامل كثيرة لا تخرج النورات دفعة واحدة بل يتتابع خروجها على النخلة فترة تصل إلى -20 30 يوم ، وعندما تفقد الأغاريض نسبة من رطوبتها ينشق الغلاف وهذا دليل على تمام تكوين ونضج ازهاره سواء المذكرة منها او المؤنثة ويجب ان ينتخب اللقاح من ذكور قوية ومعروفة بارتفاع حيوية حبوب اللقاح وكفاءتها في الإخصاب والعقد ومن حيث تأثيرها على خصائص الثمار الناتجة، فالفحول تؤثر على حجم ولون الثمار وكذلك نسبة السكر بها بالإضافة إلى موعد نضجها. ([46])

4 - أنواع وأصناف التمور:

تعد ليبيا من الدول الرائدة في زراعة وإنتاج التمور، وتعتبر واحة زلة نموذجاً لزراعة النخيل وإنتاج التمور حيث يوجد بها مالا يقل عن (50) صنف، وتعبر اسماء النخيل عن الصفات المميزة الموجودة بالنخلة ويختلف شكل الثمرة([47]) ولونها وحجمها وطعمها ونكهتها تبعاً لصنف الثمرة، فهناك ما يسمى بلونه (كالخضراي، والحمراي ،الحمار، الصفيرة) ومن حيث الشكل هناك الأسطواني والكروي والبيضاوي والمحدّب أوتشكيلة الثمرة مثل (أم الرخم، أصبع أم العروسة، أم الدحي، أم قرين، جنت الزبيب) ([48]) أو إلى صفة من النخلة مثل ام الشوك ،أم الدندان أواسم المنطقة التي وجد فيها(نواية مكة) والبعض الأخر ينسب لأوقات نضجه أو علي التركيبة الغذائية التي تميزها عن غيرها أو إلى أسم من أكتشفه ([49]) ولا توجد أسس ثابتة تعتمد عليها تلك المسميات لأصناف التمور لأن النوع الواحد له أسماء قد تختلف من منطقة إلى أخرى، وحتى إذا كان هناك تشابه في مصدر النخيل فإن ثمره قد يختلف في بعض مواصفاته من مكان إلى أخر تبعاً للتباين والاختلاف في درجات الحرارة أو الضعف في حبات الطلع للنخلة الذكرية أو نوعية التربة المزروع فيها النخيل ([50]) ومثلما تختلف الألوان والأشكال، تتفاوت الأحجام بين ثمرة كبيرة ومتوسطة وصغيرة ولا يتحدد صنف الرطب باللون وحده، ولا الحجم، ولا الشكل، بل عبر كل ذلك مجتمعاً إضافة إلى موعد النضج ، وهذا يعني أن هناك سلسلة من السمات الخاصة بكل صنف من الأصناف، لكل صنف من التمر خصائص تميّزه عن الصنف الآخر، ليس في الحجم والشكل واللون فحسب، بل أيضاً في المذاق والنكهة ([51]) ومن أهم هذه الأصناف:

1. التمور الطرية(الرطب)([52]): تشمل أصنافا تختلف ألوان ثمارها من الأحمر إلى الأصفر والأصفر المشوب بحمرة خفيفة، وتؤكل عادة طرية (طازجة) بعد الجمع مباشرة. ([53])
2. التمور شبه الجافة: وتتميز بأن ثمارها تصبح ذو رطوبة متوسطة عند تمام نضجها.
3. التمور الجافة: نتيجة للظروف المناخية الحارة تكون نسبة الرطوبة فيها أقل من 15% وتمتاز بصلابة الثمار عند النضج حيث تكون سهلة النقل والتخزين، وثمارها تصل إلى مرحلة التمر دون المرور بمرحلة الرطب. ([54])

ويبلغ إنتاج النخلة 90 كجم أو أكثر من 150 كجم في النخلة المعتني بها أما إنتاج النخلة من التمر فيختلف من نوع إلى آخر ويتوقف على مدى الاهتمام بها وريها من حين لآخر وعلى قرب النخلة من المياه الباطنية، أما فيما يتعلق بكميات إنتاج النخيل من التمور فيتراوح ما بين (10-5) أكيال ووزن الكيلة الواحدة من (11-10) كلغ من التمر تقريباً ([55]) وتشتهر واحة زلة بتنوع التمور وتعتبر جزءاً مهماً من الثقافة والاقتصاد المحلي، ومن أهم الأنواع الأكثر شيوعا في المنطقة:

1. حمراي: من الأصناف الهامة في زلة وتتميز الثمرة بلون أصفر فاتح عند اكتمال النمو وبني مسمر في طور التمر، متوسطة الحجم وتنضج وسط الموسم ويفضل أكله رطباً وتمراً.
2. تاليس: لونه أحمر فاتح مائل للصفرة قشرته رقيقة ونواته صغيرة ويفضل أكله رطباً وتمراً.

3. خـضراي: لونـه زيتـي فاتـح وهـي حلـوة المـذاق في مرحلـة الرطـب ويفضـل أكلـه رطبـاً وتمـراً. ([56])
4. تامـج: لـون ثمـره أصفـر متوسـطة الحجـم تنضـج الثـمار في منتصـف الموسـم ويفضـل أكلـه رطبـاً.
5. بسـتيان: لـون ثمـره برونـزي متوسـطة الحجـم وتنضـج الثـمار في منتصـف الموسـم ويفضـل أكلـه رطبـاً وتمـراً.
6. تاسـفرت: أصفـر مائـل للبيـاض قشرتـه سـميكة وجـاف جـداً كبـير الحجـم تنضـج الثـمار في منتصـف الموسـم. ويفضـل أكلـه رطبـاً وتمـراً. ([57])
7. تغيـات: متوسـطة الحجـم لـون ثمـره أصفـر تنضـج الثـمار في منتصـف الموسـم ويفضـل أكلـه رطبـاً وتمـراً. ([58])
8. تاقـذاف: الثمـرة طويلـة متوسـطة الحجـم لـون البلـح أحمـر دمـوي والرطـب أسـود داكـن، تنضـج الثمـرة في بدايـة الموسـم ويفضـل أكلهـا رطبـاً.
9. بـدار: لـون ثمـره أصفـر جيـد المـذاق، متوسـطة الحجـم تنضـج الثـمار في بدايـة الموسـم ويفضـل أكلـه رطبـاً.
10. بـرني: لونـه أخـضر رمـادي متوسـط الحجـم وهـو حلـو المـذاق وتنضـج في وسـط الموسـم ويفضـل أكلـه رطبـاً .
11. حليمة: الثمرة متوسطة الحجم ذات لونها أصفر ، ويفضل أكلها رطباً.)([59])
12. مقـماق: لونـه أصفـر غامـق قشرتـه قاسـية لـه نـواة كبـيرة ورأس مدبـب متوسـط الحجـم، وتنضـج في وسـط الموسـم ويفضـل أكلـه رطبـاً وتمـراً.
13. أم بخر: لون ثمره أصفر كبير الحجم، وتنضج في وسط الموسم ويفضل أكله رطباً . ([60])
14. فرجـة: لـون ثمـره أصفـر متوسـط الحجـم، وتنضـج في وسـط الموسـم ويفضـل أكلـه رطبـاً وتمـراً.
15. اللابـلى: لـون ثمـره أصفـر متوسـط الحجـم، وتنضـج في وسـط الموسـم ويفضـل أكلـه رطبـاً وتمـراً.
16. مسـيون: لـون ثمـره أصفـر متوسـط الحجـم، وتنضـج في وسـط الموسـم ويفضـل أكلـه رطبـاً وتمـراً.
17. أم الرخـم: لـون ثمـره أصفـر مائـل للاحمـرار وشـكلها بيضـاوي متوسـط الحجـم، وتنضـج في وسـط الموسـم
18. الخمخمـوه: لـون ثمـره أصفـر مائـل للاحمـرار متوسـط الحجـم، وتنضـج في وسـط الموسـم يفضـل أكلـه تمـراً.
19. أضـوي: لـون ثمـره أصفـر متوسـط الحجـم، وتنضـج في وسـط الموسـم ويفضـل أكلـه رطبـاً وتمـراً.

20. -20 أصابع العروس: لون ثمره أصفر متوسط الحجم، وتنضج في وسط الموسم ويفضل أكله رطباً وتمراً.)[61]
21. -21 خضوري: لون ثمره أخضر مائل للاحمرار متوسط الحجم، وتنضج في وسط الموسم يفضل أكله تمراً.
22. حمار: لون ثمره أحمر متوسط الحجم، وتنضج في وسط الموسم ويفضل أكله رطباً وتمراً.
23. التاسويد: لون ثمره أصفر متوسط الحجم، وتنضج في وسط الموسم ويفضل أكله رطباً وتمراً.
24. فرجه: لون ثمره أصفر متوسط الحجم، وتنضج في وسط الموسم ويفضل أكله رطباً وتمراً.
25. جوسمي: لون ثمره أصفر متوسط الحجم، وتنضج في وسط الموسم ويفضل أكله رطباً وتمراً.
26. محجوب: لون ثمره أصفر متوسط الحجم، وتنضج في وسط الموسم ويفضل أكله رطباً وتمراً. ([62])
27. الخضار: لون ثمره أخضر متوسط الحجم، وتنضج في وسط الموسم ويفضل أكله رطباً وتمراً.
28. اللا ضودو: لون ثمره أصفر متوسط الحجم، وتنضج في وسط الموسم ويفضل أكله رطباً وتمراً.
29. أم الدحي: لون ثمره أصفر متوسط الحجم وشبه بيضاوي وتنضج في وسط الموسم ويفضل أكله رطباً وتمراً.
30. نواية مكة: لون ثمرها أصفر متوسط الحجم، وتنضج في وسط الموسم ويفضل أكله رطباً وتمراً.
31. أم العسل: لون ثمره أصفر متوسطة الحجم، وتنضج في وسط الموسم ويفضل أكلها رطباً وتمراً.)[63]
32. التيتوي: لون ثمره أصفر متوسط الحجم، وتنضج في وسط الموسم ويفضل أكله رطباً وتمراً.
33. أم الرخم: لون ثمره أصفر متوسط الحجم، وتنضج في وسط الموسم ويفضل أكله رطباً وتمراً.
34. الأسبير: لون ثمره أصفر مائل للاحمرار متوسط الحجم، وتنضج في وسط الموسم ويفضل أكله رطباً وتمراً.
35. لاغليل: لون ثمره أصفر مائل للاحمرار متوسط الحجم، وتنضج في وسط الموسم ويفضل أكله رطباً وتمراً.

36. ام اقريـن: لـون ثمـره أصفـر مائـل للاحمـرار متوسـط الحجـم، وتنضـج في وسـط الموسـم ويفضـل أكلـه رطبـاً.
37. المصرم: لـون ثمـره مائـل للاحمـرار متوسـط الحجـم، وتنضـج في وسـط الموسـم يفضـل أكلـه تمراً.
38. نفوشـية: لـون ثمـره أصفـر مائـل للاحمـرار وشـكلها بيضـاوي متوسـط الحجـم، وتنضـج في وسـط الموسـم. ([64])
39. جنـت الزبيـب: لـون ثمـره أحمـر متوسـط الحجـم، وتنضـج في وسـط الموسـم ويفضـل أكلـه رطبـاً وتمـراً.
40. لغليـلـ: لـون ثمـره أصفـر مائـل للاحمـرار وشـكلها بيضـاوي متوسـط الحجـم، وتنضـج في وسـط الموسـم.
41. عنبرة: لون ثمره أصفر متوسط الحجم، وتنضج في وسط الموسم.
42. صفيرة: لون ثمره أصفر متوسط الحجم، وتنضج في وسط الموسم.
43. صعيـدي: مـن الأصنـاف التـي اشـتهرت حديثـاً لـون ثمـره أصفـر كبـير الحجـم، وتنضـج في وسـط الموسـم.)[65])
44. صعيـدي شـو: مـن الأصنـاف التـي اشـتهرت حديثـاً لـون ثمـره مائـل للاحمـرار كبـير الحجـم، وتنضـج في وسـط الموسـم.
45. دقلـة: مـن الأصنـاف التـي اشـتهرت حديثـاً لجـودة وتميـز ثمارهـا ومردودهـا الاقتصـادي المرتفـع، لـون الثـمار أصفـر أو مشـمشي بعـد اكتـمال النمـو متوسـطة الحجـم، وحلـوة المـذاق في مرحلـة الرطـب وتنضـج متأخـرة ويفضـل أكلـه رطبـاً وتمـراً.
46. عليـق: مـن الأصنـاف التـي اشـتهرت حديثـاً لـون ثمـره أصفـر متوسـطة الحجـم تنضـج الثمـرة متأخـرة. ([66])
47. مجهـول: مـن الأصنـاف التـي اشـتهرت حديثـاً لـون ثمـره أحمـر داكـن وهـو مـن التمـور الرطبـة كبـير الحجـم.
48. إبل: لون ثمره أصفر متوسط الحجم، وتنضج في وسط الموسم ويفضل أكله رطباً وتمراً..
49. أم الشوك: لون ثمره أصفر متوسط الحجم، وتنضج في وسط الموسم. ([67])

والجديـر بالملاحظـة أن الغالبيـة العظمـى مـن أسـماء أشـجار النخيـل في واحـة زلـة تسـمى بأسـماء أمازيغيـة قديمـة مثـل (التاغيـات، التاسـفرت، التاقـذاف، والتمجـه، الأخـوي، التارقشـه، التاليـس، والـبرني) وغيرهـا وهـذه الأصنـاف تمتـاز بغـزارة الانتـاج وجـودة المحصـول وتحظـى باهتـمام المزارعـين ، كـما تحتفـظ بعـض المناطـق والحطايـا في واحـة زلـة حتـى الآن بأسـمائها الأمازيغيـة والتـي لاتـزال عالقـة ببعـض المناطـق وغابـات النخيـل مثـل: (تـرزه ،مدويـن([68])، تاقرفـت([69])، رطـرط ، تليسـم ، تلبسـا ويـن) وغابـات النخيـل والحطايـا، مثـل: (حطيـه تـرزه ،حطيـه عـين مدويـن، حطيـه أم الغـزلان([70]) ،حطيـه الحطيـة([71])، حطيـة رطـرط) ([72]) وان وجـود هـذه الأسـماء الأمازيغيـة إلى يومنـا هـذا والتـي تجـاوزت

مئات السنين تدل على قدم هذه الاصناف وانها عريقة واصيلة المكان والبيئة اصالة أسماءها، وتعتبر النخلة جزءا من الممتلكات العقارية ، ولها قوانين خاصة تنظم حقوق ملكيتها ، سواء في ما يتعلق بزراعتها أو استخدامها وهي محل بيع وتناقل وأن عملية تناقل ملكيتها لا ترتبط دائما بنقل ملكية الأرض القائمة فيها، لذلك أضحت تورث وتوقف على الأبناء، الأمر الذي أضفى عليها هذه المكانة المميزة ([73]) كما ساهمت النخلة بتمورها عن طريق الأوقاف في الإنفاق على المساجد والزوايا وغيرها ([74])

5 - طرق تخزين التمور:

أما فيما يتعلق بتخزين التمور في واحة زلة فقد جرت العادة الأهتمام بكيفية حفظ التمور لأنها تشكل وجبة رئيسية للسكان لذلك حافظوا عليها بشتى الطرق والوسائل سواء كانت رطباً أو جافة وأتبعوا عدة طرق لحفظ التمور منها:

أ. الطريقة الأولى: يتم أخذ بعض العراجين من البلح وتخزن في مكان بارد (في دار المؤونة) وفى هذه الحالة تحافظ التمور على شكلها والثمار غير الناضجة يكتمل نضجها، ولكن عملية التخزين والحفظ بهذه الطريقة قد لا تستمر لفترة طويلة.)[75])

ب.الطريقة الثانية: تقوم النساء بعملية تفقيش وتنظيف التمور وغسلها جيداً، وتترك حتى تجف لمدة ثلاثة أيام وبعد ذلك تضغط التمور بعد أن تهرس باليد أولاً ثم تعجن بالأرجل حتى تتجمع وتتراكم بعضها فوق البعض وتشكل كتلة متراصة صلبة ومتجانسة وبعد أن تصبح جاهزة توضع التمور المعجنة في سلال (قفف) مصنوعة من سعف النخيل كما توجد طريقة أخرى لحفظ التمور بأن تحفظ في وعاء من الفخار كبير الحجم يعرف بـ (الزير)([76]) ويتم أحكام غلقه ليكون المخزون من تمر العجين معزول عن ملامسة الهواء الخارجي الذي قد يكون سبباً في إفساده.([77])

ج. الطريقة الثالثة: تستخدم هذه الطريقة لتخزين التمور لفترة طويلة ،وهى الأكثر استعمالاً في واحة زلة ،حيث يقوم صاحب ثمار التمور بحفر حفرة في الأرض يتراوح قطرها المتر وعمقها متراً ونصف تقريباً ،تكون في مكان جاف أوفى منطقة رملية، وتدفن هذه التمور في المطامير والتي تعرف محلياً باسم (العقلة) وتغطى بالرمال، ويختار لها مكان حسب نوعية أرض السانية أو المزرعة التي تحيط بالقرية، وبعض العائلات تفضل أن تكون المطامير والعقل الخاصة بها قريبة من منازلها ويحيطونها بسياج والبعض الأخر من الأهالي يدفنوا مطاميرهم في أماكن مجهولة لا يتعرف عليها أحد سواهم، حيث يضعون عليها علامات ونقاط دالة تسمح لهم بالتعرف عليها وقت الحاجة، ويمكن حفظ التمور في هذه المطامير لمدة سنة أو سنتين أو أكثر وذلك حسب نوعية التمور. ([78])

6 - النخلة في الحياة اليومية:

النخلة ليست مجرد شجرة في ليبيا، بل هي جزء لا يتجزأ من الحياة اليومية للسكان، وتعتبر مصدرًا هامًا للغذاء والمواد الخام وفي هذا السياق نستعرض دور النخلة في مختلف جوانب الحياة اليومية الليبية على النحو التالي:

النخلة كمصدر غذائي:

أ. لتمر: يأكله البعض طازجا بعد قطفه من النخلة والبعض يقوم بتفقيشه وتحويله إلى تمر (عجين) ويجفف في الشمس وبعد جفافه يرص في أكياس أو معالف أو قفف خاصة بالتمر أو في أزيار من الفخار لتناوله طيلة شهور السنة ويصنع الرب من التمر وفي الغالب ما يأتي من تمور الدرجة الثانية حيث يخزن أو يسوق المتميز منه، والتمر خير طعام يقدم للضيوف، ويؤكل في الليل والنهار فطاراً وغذاءً وعشاء ويفضل أن يكون مع اللبن.

ب. عصير النخيل(اللاقبي): يُستخرج عصير النخيل من النخلة وهو سائل ابيض حلو المذاق ويسمى(اللاقبي) ويُستخدم كمشروب منعش، وله فوائد صحية متعددة، وهو شراب لذيذ تجود به النخلة حين حجمها أو قصها فيستخرج منها ذلك السائل الذي يمكن بواسطته أن يصنعوا غداء جيد فترة تتجاوز الثلاثة أشهر من النخلة الواحدة، وهو يشرب ليلاً ونهاراً على السواء وألذه ذلك الذي يصب ليلاً ويدعى (العتم) اشتقاقا من الفترة على ما يبدو وعلى أن الذي يتجمع عقب ذلك فإن مذاقه يتغير نسبياً إذا ما بقي للمساء فيتحول إلى ما يشبه المسكر. ([79])

ج. دبس التمر (رب التمر): يتم تصنيع دبس التمر من خلال غلي التمور لاستخراج عصيرها المركز وهو يستخدم كمحلٍ طبيعي ويضاف إلى الأطعمة والمشروبات.

د. الجمار: النخلة لم تكن سخية بعطاء ثمارها فحسب، بل يمتد سخاءها إلى آخر لحظة من حياتها فحين تسقط النخلة، لسبب من الأسباب يعمد المزارعون إلى استخراج جُمّارها وهو تلك المادة البيضاء التي تشبه الغضروف هو نبات أبيض يتم الحصول عليه من وسط أصناف معينة من شجرة النخيل، يتم قطع الأشجار الصغيرة وإزالة قشورها لكشف اللب الداخلي الأبيض الصالح للأكل، ويمكن أيضًا تناول قلب النخيل بمفرده. ([80])

هـ. النوى: ومفرده (نوايه) بذرة نخلة التمر (النواة) هي جسم صلب يحتل وسط الثمرة، وشكلها مستطيل مدببة الطرفين بنيّة اللون، ولها أسماء عديدة تختلف باختلاف المناطق، والبذرة تمثل الجزء غير المأكول وتتراوح نسبتها من 4٪ إلى 20٪ من إجمالي وزن الثمرة حسب الصنف، وقد تتأثر هذه النسبة بمصدر حبوب اللقاح والعمليات الزراعية ([81]) ويستفاد منه في علف الإبل أو في صناعة الدلاء ومفردها دلو الماء، ويخزن للإبل على طول العام ولا يفرط فيه، كما يتم استعمال النوى وقوداً بعد حرقه أو طعاما للحيوانات بعد طحنه. ([82])

7 -النخلة في الطب الشعبي:

النخلة في الطب الشعبي لها دور مهم وتعتمد على المعرفة التقليدية المتوارثة في المجتمعات والثقافات المختلفة وتستخدم بشكل واسع وذلك بفضل الفوائد الصحية والعلاجات العديدة التي

تقدمها ومن أهمها ما يلي:

1. يحتوي التمر على سكريات طبيعية مثل الفركتوز والسكروز التي توفر طاقة سريعة، وهو غني بالألياف، مما قد يكون مفيدًا في منع الأمساك.
2. يحتوي التمر على الفيتامينات مثل فيتامين B6، الذي يساهم في تعزيز الجسم وتحسين صحة الجهاز العصبي.
3. التمر غني بالكالسيوم والمغنيسيوم والفوسفور، مما يزيد من صحة العظام ويقلل من خطر إصابة العظام الإصابة بالقلب.
4. التمر يحتوي على نسبة عالية من الحديد، مما يساعد في زيادة مستويات الهيموغلوبين وعلاج فقر الدم. ([83])
5. طلع النخيل يستخدم في بعض الثقافات لتحفيز الخصوبة عند الرجال وعلاج بعض مشاكل الجلد.
6. يستخدم السعف المجفف والمطحون كعلاج موضعي للجروح والتهابات الجلد الصغيرة بفضل خصائصه المضادة للبكتيريا.
7. وفائدة التمر للأم ورضيعها واضحة جداً، خاصة في فترة النفاس، فهو منبّه لحركة الرحم وانقباضاته بعد الولادة، كما أنه مهم لتكوين حليب الرضاعة وتعويض الأم ما ينقصها بسبب الولادة، بفضل احتوائه على الحديد والكالسيوم وفيتامين (أ). ([84])
8. يستخدم زيت نوى التمر كمرطب طبيعي للبشرة ولتقوية الشعر وتحسين نموه.
9. رب التمر يساعد في علاج المشاكل الصحية والإمساك. ([85]).

8 - النخلة في المطبخ والصناعات التحويلية:

النخلة لها دور كبير في المطبخ الليبي منذ القدم ، حيث يستخدم أجزاء مختلفة من ثمارها لتحضير مجموعة متنوعة من الأطعمة ووفرت عدداً من مقادير الأطعمة للمرأة الليبية التي ابتكرت وطورت العديد من الوجبات التي يدخل التمر أو الرب في إعدادها مثل: (عصيدة الرب) وخميرة الخبز، وغيرها من الوجبات، يعتبر التمر وجبة صحية، ويؤكل بشكل خاص أو مع المكسرات وفي العصر الحديث يؤمّن التمر موادّ أولية للعديد من الصناعات الغذائية، كالسكر السائل، والحلويات والمعجنات، وصناعة التخليل، وزيوت النوى، وأغذية الأطفال، يمكن خلط التمر أو الحليب لتحضير مشروب منعش ومغذي، كما يمكن استخدامه في صنع الخبز والكعك لمنحهم مذاقاً خاصاً.

تعد النخلة مصدرًا غنيًا ومتنوعًا في المطبخ، حيث تُستغل جميع أجزائها في تحضير الأطعمة الشعبية وتستخدم مخلفاتها وقوداً للطهي، وليفها وسعفها للتدفئة في مشهد شتائي رائع تجلس فيه الأسرة حول منقل النار، ويستخدم زيت نوى التمر في أعداد الطعام وكبديل صحي للزيوت الأخرى، وأما الصناعات التحويلية تتمثل في صناعة السكر ، والخميرة، والخل، ويعد صنف (الحمراي) الجاف من أكثر التمور في واحة زلة التي تدخل في الصناعات التحويلية لما يتميز به

من كمية السكر الموجودة فيه، وعجين التمر، كما يدخل التمر في صناعة الحلويات الشعبية مثل المقروض، كما انه من الممكن ان يستعمل نوى التمر في صناعة القهوة)[86]) أو استخلاص الزيت منه. ([87])

9 -النخلة في الاستخدامات الحرفية:

لا تخلو البيوت الطينية في واحة زلة من مخلفات النخيل فهناك الأعمدة والأسقف والعوارض، ناهيك عن المفروشات وملحقات المنازل، وقامت على كل جزء من النخلة بعض الصناعات والحرف الشعبية حيث صنع سكان واحة زلة من أجزاء النخيل منتجات تخدم أغراضهم وساعدتهم في حياتهم اليومية وهي كالتالي:

1 - الحرف اليدوية:

- وتتمثل بصناعة (السعفيات) وهي من الصناعات الشائعة والقديمة، ويُستخدم فيها سعف النخيل، مما يعزز الحرف التقليدية ويوفر مصدر دخل للأسر الريفية ويستخدم السعف في صناعة:
- القفف: تستخدم لجني الرطب.
- السلال: لحفظ الأطعمة والأواني والملابس.
- الفته: تستخدم كالسفرة التي توضع تحت الطعام هذه السفرة جزءٌ من مفروشات المنزل.
- الأطباق: وهي أوعية من السعف تستعمل لجمع الحبوب ورحى الدقيق وحفظ الأغذية.
- الطواقي: تستخدم كأغطية للرأس.
- القدقود: يستخدم في نقل الأغراض.
- المكنسة: تصنع من الشماشيل وتستخدم لتنظيف المنازل.
- المروحة: تستخدم كمروحة يدوية. ([88])
- الشت: يستخدم لتغطية المأكولات.
- تصنع الزنابيل والقفف والقبعات الشعبية، ومن جريدها تصنع السلال وأوعية نقل الفواكه والخضراوات والأثاث الخفيف مثل الكراسي والأسرة. ([89])

2 - عراجين النخيل(الشماشيل):

أما العراجين الجافة فتستخدم في تنظيف البيوت عند الكنس، وفي صناعة المناديف وصناعة الأطباق، وتدخل في صناعة عطرية النساء(الجدرة).

3 - صناعات الليف:

وقد أستعمل الأنسان النخلة وألياقها في صناعة أغلب مقتنياته التي يحتاجها في حياته اليومية حيث يصنع من الليف ما يلي:

- المرابط: وهي حبال تربط بها الحيوانات.
- الشكيمة: هو حبل تقاد به الحيوانات كالجمال والحمير.

- الرشا: هي عبارة عن حبل غليظ مفتول يصنع من ألياف النخيل ويسمي(السلنكه) ووظيفته الربط بين الدلو والكم.
- الدحاريص: هي عبارة عن حبل عريض من الليف المفتول طوله ثلاث قامات، وظيفته جلب الدلو من البئر.
- الحبال تستخدم في بناء البيت.
- حبل تسلق النخيل (حبل الرقاية): وهي عبارة عن حبل غليظ مفتول بطريقة خاصة يستخدم لتسلق النخلة.)[90]

10 - تأثير النخلة على العمارة التقليدية:

العمارة النخيلية في واحة زلّة ليست مجرد تقنية بناء، بل فلسفة عمرانية تعكس حكمة الصحراء في تحقيق التوازن بين الجمال والوظيفة، إنها شهادة على أن الاستدامة ليست اختراعًا حديثًا، بل إرثًا تُخبئه سعفات النخيل، ومن أهم استخداماتها هي:

- جذوع النخيل: تُستخدم كأعمدة رئيسية لدعم أسقف المنازل الطينية، وتُثبَّت بشكلٍ أفقي لصنع «العوارض» التي تحمل السقف.
- السعف والجريد: يُنسج السعف لصنع حصران تُستخدم كأسقفٍ عازلة للحرارة في البيوت الريفية.
- الليف: يُستخدم كحبال لربط أجزاء البناء، أو كمادة عازلة بين الطين والسعف.
- الخصاص: وهي بيوت مصنوعة من جريد النخيل تُستخدم فيها (الأغصان) في صنع (الجدران الهوائية).
- التسوير(صفاقة): وهو بناء سورمن جريد النخيل حول المزرعة، واتخذوها كمصدات للرياح وحواجز لإيقاف زحف الرمال.)[91]

كما أن المزارع والأبار، في واحة زلة لا تخلو من مخلفات النخيل فيصنع منها:

أ- الأثاث التقليدي: تصنع بعض أنواع الأثاث التقليدي مثل المقاعد والأسرّة والطاولات من أجزاء النخلة، مما يعكس التكامل بين الموارد الطبيعية والحياة اليومية.

ب- لوازم البئر:

- المضارب: تصنع من جذوع النخيل.
- السلالم: تصنع من جذوع النخيل، وظيفتها تثبيت القاطعة.
- القاطعة: تصنع من جذوع النخيل، وظيفتها تثبيت السلالم والكريه.
- الفياق: يصنع من جذع النخل، وظيفته صب الماء في الملقة ويبلغ طوله 4 أمتار.
- الملقه: تصنع من جذع النخل، وظيفتها صب الماء في العمود (الفحل) وعن طريق السلعة يتم جذب
- المد والعوارض: تستخدم في تثبيت سقوف المنازل الريفية بعد قطعه نصفين بالطول.
- الركائز: تستخدم باعتبارها أعمده للمنازل السعفية(الخصاص).
- القرون: وهي أعمدة تثبت الجرارة في أعلى البئر.

- القرمد: الإناء الذي يقدم فيه العلف للمواشي.
- السلم: يستخدم للوصول إلى الأماكن العالية. ([92])

11 - دور شجرة النخيل في تحسين البيئة:

تُعتبر النخلة جزءًا من النظام البيئي في المناطق الصحراوية، وتلعب دوراً هاماً في الحفاظ على التوازن البيئي نظراً لما تتمتع به من مميزات انفردت عن سائر أنواع الأشجار، فالنخلة شجرة صديقة للبيئة لأن جميع مخلفاتها يستفيد منها الإنسان ولها دور في تحسين البيئة ([93]) وهي شجرة نظيفة لا تترك أوساخاً حولها. ([94])

ومن أهم الأدوار البيئية الرئيسية لشجرة النخيل ما يلي:

1. مكافحة التصحر: تساعد جذور النخيل العميقة والقوية في تثبيت التربة ومنع تآكلها، مما يساهم في الحد من التصحر الذي يعد مشكلة كبيرة في المناطق الصحراوية وشبه الصحراوية، كما يمكن استخدام النخيل في إنشاء أحزمة خضراء حول المدن والقرى لمكافحة التصحر وتثبيت التربة.
2. تحسين خصوبة التربة: تُسهم النخلة في تحسين خواص التربة وزيادة خصوبتها من خلال بقايا أوراقها وثمارها التي تتحلل وتضيف مواد عضوية مفيدة إلى التربة، حيث أن جزء كبير من هذه العناصر المفقودة يعود إلى التربة ثانية عن طريق الثمار المتساقطة على الأرض والسعف الذي يترك على أرض البستان لفترة طويلة ويتحلل في التربة. ([95])
3. توفير الظل وخفض درجات الحرارة: توفر النخلة ظلاً واسعاً يساعد في خفض درجات الحرارة في المناطق المحيطة بها، حيث تمتص أوراقها حرارة الشمس وتقلل من انعكاسها على الأرض مما يخلق بيئة أكثر اعتدالًا للسكان والنباتات الأخرى وتعمل الأشجار على تنظيم الرطوبة والحرارة بالجو المحيط بها، وتمتص الملوثات من الهواء لذلك فإن الهواء الذي يمر على أشجار النخيل يكون نظيفاً ومعتدل الحرارة والرطوبة، أي أن دور الأشجار ملطف ومكيف للهواء كما إن النخيل يشكل غطاءاً لحماية اشجار الفواكه والحمضيات في المزارع، حيث تعمل على توفير الظل الكافي والحماية من اشعة الشمس وكذلك تعمل على صد الرياح وتقليل تأثيراتها الفسيولوجية والميكانيكية على الأشجار. ([96])
4. تأمين مصادر غذاء: تُعد ثمار النخيل (التمور) مصدراً غذائياً مهماً للعديد من الحيوانات والبشر على حد سواء.
5. الاستفادة من المنتجات الثانوية: إعادة تدوير مخلفات النخيل في صناعة الأسمدة العضوية وتحسين خصوبة التربة. ([97]).

المبحث الثالث:(النخلة في التراث الشعبي)

اولاً: النخلة في الشعر الشعبي:

الشعر الشعبي يعتبر جزءًا مهمًا من التراث الثقافي والأدبي في ليبيا، يعكس بشكل عميق تجارب الحياة اليومية والقيم الاجتماعية للمجتمع، والنخلة تعتبر مصدر إلهام حيث يعبّر الشعراء من خلالها عن مشاعرهم وامتنانهم للنخلة التي تعطي ثمارها بسخاء دون مقابل، وكان لها حضور ملموس في الأغاني

والقصائد الشعبية التي تُبرز جمالها وأهميتها في الحياة، وفيما يلي نقدم نماذج من الأغاني والأهازيج الشعبية المرتبطة بالنخلة والتي يتغنى بها سكان واحة زلة في أعراسهم الشعبية منها:

شبح النخل خطر عليا بلادي وخطر عليا مرقدي ووسادي
ينالي مجروح من يا لها بيضة كما الجمار لون عضاها.
زين النخل بالعراجين وزين النساء بالسوالف ولبنادم اللى ضل مسكين جميع ما يديره مخالف.
حمره رقيقة كرانيف وهي صاخبه بالولادة عرجونها يطيب في الصيف يشفي المريض لوساده.

ويُبدي الشاعر مشاعره ويُغني على جمال النخلة وثمارها وأنواعها ومناطق زراعتها ويُعبر عن فخره بالنخلة كرمز للوفاء والانتماء إلى الأصول والتقاليد وكمصدر للغذاء والماء ويدمج ذلك بشكل جميل في قصائده التي تعكس العلاقة العميقة التي تربط سكان واحة زلة بالنخلة وتأثيرها الكبير على حياتهم وثقافتهم، وفي هذا السياق يتغنى الشاعر الشعبي (عبد الله امبيوة محمد الزنتاني) بالنخلة التي تجسد ارتباط الليبيين بأرضهم وتاريخهم وتعبر عن الجذور العميقة والانتماء القوي للأرض الليبية وفي ذلك يقول:

عشرين دقلة ما يجن بدارة ما بين نزهة ([98]) وبين غرس إجباره
ما يجن برنية ما بين حسي قنه ما بين نزهة ([99]) وبين غرس إجباره
ومخلوف وامريمي وراس القارة ([100])

تحط في تمور تكيد ف أم حويه العشرين نخلة بربعين أغرارة
وتستر بعد يلفوا البرانية أيام عين زلة ع الوطا جرجاره
خمسين دقلة ما يجن تاليسه في عين بلقاسم لخالي عيسى
هلي تمرها تكره يجي وبسيسة وتملا العقلة وما يريح خسارة
يوم يقطعوها يفرشوا في ديسة وها لشي واقع موش بصارة
ستين دقلة ما يجن مقماقه في ظلها يقيل ارقيق ساقة
رطبها عسل ينزل لذيذ مذاقه لا يشبها مجهول لا حماره
من حملها اتغلب أمرات الناقة ويميل منها ايمين مرة ايسارا
ميتين دقلة ما يجن خضريا ولايساون حتى عرجون في حماريا
اعبي القدقودين والملايا ويقعد الباقي ع الوطا بغباره
أصفر بلحها تقول غير ضويا للضيف والخاطر يبان منارة
الفين دقلة وكيفهن مجهولة ما يجن قلب تقاذفه حذا العقولة.

وفي موضع أخر يقول:

وراسك كان رطبها تذوق النخلة اللي سماها الحمرايه
تشبع ياجيعان تروق وتبقى تقول أنسيت اسماي
وخلي التاليس المرشوق أطول وما لقيله رقاي
وتغيات وبرني من فوق معسل خاطي التامجاي
قوافل يمشن م المدقوق احمول يكدين ف الرغاية
ويطقن لا برقة وسلوق وغربة يفوت بلاد الراي)([101])

كما قدم لنا الشاعر: (علي رحيل علي) قصيدة رائعة عن النخلة في واحة زلة وتُعد من الأعمال التي تستلهم جمال البيئة المحلية وتعبّر عن ارتباط الإنسان بالأرض، في هذه القصيدة يصوّر الشاعر النخلة كعنوان للصبر والكرم، ويبرز أهميتها في حياة أهل المنطقة، سواء من الناحية الاقتصادية أو الثقافية، بأسلوب شعبي بسيط ومؤثر يعكس العلاقة الحميمة بين الإنسان والنخلة التي تمثّل جزءًا من هوية المكان وتراثه فيقول:

لقيت النخل يبكي على غيابه — من يوم غيبو مهناك من يشكابه
يبكي على لكبار — لي قبل يمشو لك من لفجار
بخو لبذار وشغلو الجرار — ورجال زرع مسعاهم تكلم صابة

قالت النخلة: أنا غيرك ما عندي سيد ولوكان مكتوبك بيدي نشقلك في عمر جديد
ما عندي والي ولاحبيب ينشد عن حالي ولآلي صوت كبير وعالي

في التكسيدي يجوني — من بعد جرا ريدي
عرب ركابه على أم ركاب أصحاب — اشعار لهم تفصيل ولا لهم في التكسيدي
عليا غير انشد لكبار — نكنك تاهمني بنزيد
وقلتها ياماريت ويما صار — ويما تشكي ليل شديد
وكم ثلب هلي هدار — خذو حقه صيص وذكار
تكسر جسمه فوق جريد ويما ريتي — من وبار نزل ما خلا فيك جريد
ويما رقيلك من عصار — بفأسه ركب فيك رعيض
قطع حلقك من فوق الطار — كلاَ منك حتى الجمار
علي جنبك حلق قطار — بكيتي فيه بدمع جديد
لقيك مع طلعة لفجار — كيف بديتي في التبديد
شراب حمر لونه صفار — تقول عسل في وطن بعيد
ما تقينن من الحظار — وتم الناس عليها تميل
تملحتي دزو لك فنكار — تركب فيك بفاس جديد
وما فيهم واحد محتار — طرابه كيف نهار العيد
انتي كنتي تدوي بعبار — اليوم بديتي بالنظار
بدى تفكيرك بالدينار الميه العودة — خمس أمتار مغير معفين الذكار
حلف منك ما حاجه تزيد كتب ربك — حسرت لمطار ضعفتي حتى من الجمار
حليقك حتى الريح تحيد — بعد كنتي ترقيت صيد
انا طالب عالم لسرار بجاه اللي صلو لفجار — تصب امطار تروقي والمخزون يزيد
أنا غيرك ما عندي سيد ولكان — مكتوبك فيدي نشقلك في عمر جديد ([102])

ومن خلال استعراض هذه النصوص الشعرية نلاحظ أن النخلة تُعتبر جزءًا لا يتجزأ من الهوية الليبية، حيث تُظهر في العديد من الفنون والأدبيات الليبية وذكرها الشعراء في قصائدهم،

وهـي ليسـت مجـرد شـجرة، بـل هـي رمـزٌ يحمـل في طياتـه معـاني الكـرم، والعطـاء والصمـود والارتبـاط بـالأرض وتجسـيد القيـم والمبـادئ التـي يعتـز بهـا المجتمـع الليبـي وهـذه الرمزيـة الثقافيـة تعـزز مكانـة النخلـة في وجـدان الليبيـين وتـبرز أهميتهـا في تشـكيل هويتهـم الوطنيـة.

ثانياً: النخلة في الأمثال والمأثورات الشعبية:

تُعتـبر الأمثـال الشـعبية جـزءًا مهـمًا مـن الـتراث الشـعبي لأي مجتمـع، تعكـس الحكمـة والتجربـة المسـتمدة مـن الحيـاة العمليـة واليوميـة للنـاس في التعامـل مـع الطبيعـة والحيـاة، والأمثـال الشـعبية تزخـر بالعديـد مـن الإشـارات إلى النخلـة مـما يعكـس أهميـة هـذه الشـجرة في الوجـدان الشـعبي وتسـتخدم كرمـز للعديـد مـن القيـم والمفاهيـم الثقافيـة ([103]) وهنـاك الكثـير مـن الأمثـال الشـعبية والأقـوال والأهازيـج اعتـاد النـاس ترديدهـا مسـتعملين النخلـة وثمارهـا للدلالـة عـما يقصدون، وقـد تداولوهـا حتـى أصبحـت سـائرة في موطـن النخلـة ، وهـذه نمـاذج لبعـض الأمثـال الشـعبية الليبيـة المرتبطـة بالنخلـة:

- (كان نجيت من حمايها يطيبن عراجينها).
- (بلاد النخلة ما تخلى).
- (هذا الرجل كيف النخلة العوجه يرمي بعيد).
- (نهار ترقد بلا أغطاء حط غرستك في الوطا). ([104])-
- (التمر يُذهِب الداء ولا داء فيه).
- (كل شجرة بذورها تعطي، إلا النخلة بتمرها تعطي).
- (النخلة ما تنحني إلا تثقيلها).
- (النخلة ما تفارق جذورها ولا تترك ظلها).
- (النخلة الطويلة ما يحجبها ظلها).
- (النخلة، تعطي بلا حساب).
- (ظل النخلة يظلّ على أصله).-
- (أنت تأكل التمر وراك من يعد النواه) ([105]) -
- (أزرع في كل مكان لك نخلة).-
- خذ البيت عامر ولأتأخذ النخل دامر) ([106])
- النخلة تثمر بالصبر).
- (النخلة الطيبة تعطي بلا حساب). -
- النخلة تعطي بقدر ما تُسقى)
- اللي ما يفزّعش في التوبير، ما يفزّعوش في الجني))-

مـما سـبق نلاحـظ أن الأمثـال الشـعبية الليبيـة المرتبطـة بالنخلـة تعكـس الكثـير مـن الحكـم والقيـم التـي تُمثـل جـزءًا لا يتجـزأ مـن الثقافـة الليبيـة وهـي تجسـيدًا حيًـا للحكمـة والقيـم المتجـذرة في الثقافـة الليبيـة، ومـن خـلال هـذه الأمثـال يُمكننـا فهـم كيـف يـرى الليبيـون النخلـة كرمـز للعطـاء

والصبر والقوة والأصالة، وكيف يُسقطون هذه الصفات على حياتهم اليومية وإن دراسة هذه الأمثال تساهم في فهم أعمق للتراث الشعبي وتسليط الضوء على الأهمية الثقافية والاجتماعية لهذه الشجرة المباركة وتُبقي حية في الذاكرة الجماعية للمجتمع، مما يُسهم في استمرارية التراث الثقافي الليبي عبر الأجيال.

ثالثاً: ألعاب الأطفال المرتبطة بالنخلة:

تمتلك النخلة مكانة خاصة في التراث الشعبي ولها أدوار متعدد في حياة الناس، وترتبط بالعديد من الألعاب والأنشطة فألعاب الأطفال كثيرة وما يجمع بينهما أن النخلة فيها:(العصاً والعرجون والشمروخ و السعف والجذع)، وأحياناً تكون النخلة بكاملها مجالاً للعب، وينمو الأطفال وتنمو معهم احتياجاته، فتوفر النخلة لهم بيئة صالحة للعب، فضلاً عن قائمة طويلة من الألعاب التي تحفّز النشاط الحركي والذهني فهناك ألعاب شعبية تعتمد أساساً على جريد النخل ، فالطفل بعد أن يغفو في حجر أمه؛ فإن المكان الملائم لنومه عادةً ما يكون سريراً مصنوعاً من جريد النخيل ويتناول إنتاجها ويلعب في أجوائها، ويعاقب بجزء منها، وفيما يلي نستعرض بعض من الألعاب الشعبية المرتبطة بالنخلة وهي:

- لعبة المراوح السعفية: أو ألعاب سباق التسلق أو الاختباء والتنكر فيوفّر النخيل لهم مواقعَ تستوعب جميع مراحل هذه الألعاب.
- لعبة (الخميمة): فيتم عن طريق ربط حبل مصنوع من ليف النخيل وصله بين نخلتين متجاورتين.
- وقد يتوق الأطفال إلى لعبة صوتية (الطقطوقة) فيعمد إلى عرجون أخضر ويقتطع منه قطعة لا تتجاوز طولها 30 سم، ثم يفلقها من المنتصف إلى ثلاث شرائح متعادلة، ويثني شريحتين منها، ولم يبق عليه إلا أن يهزها يميناً ويساراً لتصدر أصواتاً يشبه التصفيق. ([107])
- لعبة السيوف الخشبية: عندما يحلم الطفل بالفروسية فيعتلي صهوة جريدة ويركض، حاملاً سيفاً من عصا، أو رمحاً من جريدة أو قوساً من عرجون قديم وكلّ ذلك يُصنع يدوياً وبواسطة الطفل نفسه.
- لعبة عصاة ايدي دي: وقد يطلبُ الأطفال لعبة أكثر تركيباً، فيصنعوا عاصتين: واحدة قصيرة بطول (50 سم) وطويلة من (60 - 70 سم) ويشترك مع آخرين في لعبة يسميها سكان واحة زلة (عصاة ايدي دي) هذه اللعبة تتكون من طرفين متنافسين أحدهما يضرب العصا الصغيرة بالكبيرة لتنطلق بعيداً، وعلى الطرف الآخر تلقفها ومن ثم رميها إلى الطرف الأول، ويجب في هذه الحالة أن تسقط في دائرة الطرف الأول المرسومة سلفاً، فإن لم تسقط؛ فإن الطرف الأول سيلحق بالثاني جهداً جهيداً في الركض ،ومما تجدر ملاحظته أن لهذه اللعبة رمزية خفية في مكوناتها حيث تشير العصا الطويلة إلى (السلطة) تُمثِّل سلطة الكبار وقدرتهم على توجيه المجتمع، حيث يُشترط أن يَضرب

اللاعب بها بعيدًا ليعبر عن مهارته في «قيادة» اللعبة، وأما العصا القصيرة تشير إلى (التحدي) وترمز إلى الصغار الذين يجب أن يبذلوا جهدًا للوصول إلى مراكز النفوذ، في إشارة إلى التدرج الاجتماعي القبلي، و هذه اللعبة ليست مجرد تسلية بل هي منهج غير مكتوب لتعليم الأطفال فلسفة الحياة الصحراوية والقدرة على التكيف مع ندرة الموارد عبر الإبداع واحترام التراتبية الاجتماعية مع السعي للتقدم، والربط العضوي بين الإنسان وبيئته عبر أدوات بسيطة، ولكن وللأسف تتراجع هذه الألعاب اليوم يُفقد الأطفال ليس فقط فرصة للترفيه، بل خريطة ثقافية كانت تُرشدهم في فهم عالمهم.

لعبة النغيزة:

تُمارس عبر إخفاء عدد من ثمار النخيل الصغيرة (الغمق) تحت الرمل تتراوح من -7 12، حيث يحاول الأطفال العثور عليها باستخدام الاشواك الخضراء ويعمل الأطفال بالدور على غرز شوكته في الغمق الذي تم ردمه في الأرض ومن يلتقط أكثر عدد من حبات الغمق تُحدد النقاط بناءً على عدد الثمار التي يُعثر عليها كل فريق ويكون هو الفائز ([108]) ولهذه اللعبة رمزية تتمثل في أن الغمق (الثمار الخضراء) ترمز إلى الموارد المحدودة في الصحراء، وتعلم الأطفال أن الازدهار يعتمد على الاستغلال الحكيم لما هو متاح و(الشوك) يجسد أدوات البساطة والاعتماد على الذات، في إشارة إلى أن حل المشكلات لا يتطلب تقنيات معقدة.

لعبة حصان الريح:

يصنع «حصان الريح» من سعف قلب النخيل، و يتم تشكيله السعف وتصنع منه ضفيرة بطريقة معينة على شكل مروحة ذات أربع ريش، ويتم غرس شوكة خضراء من 15-10سم في وسط الضفيرة ،ويقوم الأطفال بالجري بها فيساعد الهواء على دوران الضفيرة على محور الشوكة، ولهذه اللعبة دلالاتها الرمزية ودورها في تنشئة الأطفال فدوران السعف بالرياح يعكس فكرة التكيف مع الظروف الطبيعية، حيث تُعلّم الأطفال أن النجاح يتطلب الانسياب مع التحديات (كالرياح) لا مواجهتها مباشرةً،واستخدام السعف يربط الطفل بالموارد الطبيعية المتاحة، ويعزز مفهوم (إعادة التدوير) قبل أن يصبح مصطلحًا حديثًا (حصان الريح) ليست مجرد لعبة، بل مرآة تعكس فلسفة الحياة في الواحة، حيث التكيف مع الطبيعة شرط للبقاء، واختفاؤها اليوم يُضعف قدرة الأطفال على رؤية البيئة كمصدر للإلهام ،هذه بعض الأمثلة وهناك الكثير من الألعاب والأنشطة المرتبطة بالنخيل في زلة والتي تعكس التراث الغني والقيم الثقافية للشعب الليبي.)[109]

رابعاً: النخلة في الأعياد والمناسبات الاجتماعية والدينية:

1. الضيافة: تعد الضيافة جزءًا مهمًا من الثقافة الليبية، وتُقدم التمور كرمز للكرم وحسن الضيافة للزوار والضيوف.
2. الأعراس والمناسبات: تُستخدم التمور في الأعراس والمناسبات الاجتماعية كجزء من التقاليد، حيث تُقدم بأشكال مختلفة للضيوف تستخدم التمور كجزء من الضيافة في

حفلات الزفاف، وتُقدم مع القهوة والشاي للضيوف كرمز للكرم والضيافة في المناسبات مثل المواليد والختان والمأتم، يتم توزيع التمور كهدايا للضيوف.

3. الأعياد الدينية: تُعتبر التمور جزءًا أساسيًا من الأطعمة المقدمة في المناسبات الدينية، حيث تُقدم التمور مع الإفطار خلال شهر رمضان وتعتبر التمور جزءًا أساسيًا من وجبة الإفطار، حيث يبدأ الصائمون إفطارهم بتناول التمر اقتداءً بالسنة النبوية، وكذلك في عيد الفطر وعيد الأضحى تُقدم التمور ضمن الحلويات التقليدية وتوزع على الضيوف والزوار. ([110])

خامساً: النخلة في الثقافة والتقاليد:

النخلة لها مكانة ورمزية خاصة في الثقافة والتراث الشعبي في واحة زلة، فهي رمز للحياة والخصوبة وللكرم والضيافة وللصمود والقوة والبركة والخير والجمال الطبيعي وهي ترتبط بطقوس وتقاليد شعبية، ومن أهم هذه الطقوس والممارسات:

1 -التعاون المجتمعي:

خلال هذا الموسم، يتعاون الجيران والأقارب مع مجموعة متنوعة من الأشخاص وهذا التعاون يعكس روح التضامن والتكاتف في واحة زلة.

التلقيح التقليدي (التأبير):

التأبير وهو عملية نقل حبوب اللقاح من النخيل المذكر (الفحل) إلى المؤنث يدويًّا لضمان إثمارها ويتم اختيار فحل ذي خصائص جيدة وربطه بأغصان النخيل المؤنثة أو نثر حبوب اللقاح تُجرى هذه العملية في الربيع (مارس-أبريل) قبل تكوُّن الثمار.

الفزعة كآلية للتضامن المجتمعي:

وهي نظام تعاوني طوعي حيث يُسارع الناس لمساعدة مَن يحتاج يد العون من المزارعين دون مقابل، ويتم توزيع المهام فالبعض يتخصص في عملية التلقيح(التأبير) أو ما يسمى « الوبار» (متسلقو النخيل) بينما يُجهز الآخرون الطلع ويقوموا بعملية (التعريب)([111])وقطع الجريد وتنظيف النخيل ، ويُساعد الناس بعضهم البعض في السواني(المزارع) خاصة عند نقص العمالة،ويعتبر موسم التأبير مناسبةً تجمع العائلات، حيث تُقام ولائم بسيطة في السواني ،وأن عملية التلقيح التقليدي(التأبير) ليس مجرد تقنية زراعية، بل هي طقس اجتماعي يحفظ نسيج المجتمع الصحراوي و(الفزعة) فيه تجسيدٌ لحكمة الأجداد: « اليد الواحدة لا تُلقّح النخيل « الحفاظ على هذا النظام يعني الحفاظ على روح الجماعة التي تُبقي واحة زلة خضراء بوجه التحديات.([112])

2 - موسم جني التمور:

في المناطق الزراعية والواحات الصحراوية في ليبيا، يعتبر موسم جني التمور من أهم المناسبات السنوية، فالموسم يبدأ في أواخر الصيف وأوائل الخريف وهو وقت حصاد محصول التمور وخلال هذا الموسم تقام احتفالات وفعاليات شعبية متنوعة، على سبيل المثال في واحة زلة يجتمع الناس للاحتفال بالمحصول الجديد ويشارك جميع أفراد الأسرة في جني (قطاع) التمور. ([113])

العادات والتقاليد المرتبطة بجني التمور في واحة زلة:

تعتبر واحة زلة من المناطق الزراعية البارزة التي تشتهر بزراعة النخيل ، حيث تلعب العادات والتقاليد دورًا محوريًا في عملية جني التمور، مما يعكس التراث الثقافي والاجتماعي للمجتمع، وبما أن سكانها عايشوا النخيل وحرف النخيل لعقود عديدة من حياتهم لذلك نجد للنخيل تأثير كبير في ثقافتهم الشعبية، ويتضح ذلك في عاداتهم وتقاليدهم ومصطلحاتهم وفي أغانيهم الشعبية، والأدوات المستعملة في حياتهم اليومية ويعتبر جني التمور في واحة زلة من أهم الأنشطة وله عادات مرعية وتقاليد خاصة، حيث يجتمع الناس لجني التمور وتخزينها، وهذا يشكل فرصة للتواصل والاحتفال، وتمر النخلة بمراحل متعددة أثناء دورة حياتها الإنتاجية، تبدأ من مرحلة التلقيح (الإخصاب) ثم مرحلة التكوين (عقد الثمار) حيث تبدأ الزهرة المؤنثة في الإخصاب وتكوين الثمار الصغيرة، ثم مرحلة النمو(الغمق) تبدأ الثمار الصغيرة في النمو تدريجيًا من حيث الحجم والوزن وتأخذ اللون الأخضر، ثم مرحلة البسر(البلح) تتحول الثمار إلى اللون الأصفر أو الأحمر حسب النوع، وتكون في هذه المرحلة غير ناضجة تمامًا، ثم مرحلة الرطب وتبدأ الثمار بالنضج تدريجيًا، ويتغير ملمسها ليصبح طريًا، ثم مرحلة التمر حيث يكتمل نضوج الثمار وتصبح صلبة وجاهزة للجني و يتم جمع التمور يدويًا ويبدأ عادةً في أواخر الصيف وبداية الخريف (أغسطس إلى أكتوبر)، عندما تصل الثمار لمرحلة النضج الكامل يبدأ جني التمور والتلقيط ويستخدم المزارعون أدوات مثل المنجل (سكين منحني) لقطع عراجين التمر، مع الاعتماد على مهارة التسلق اليدوي للنخيل، وهي مهمة غالبًا ما يقوم بها الرجال ، وتُفرز التمور حسب أنواعها وجودتها، حيث تُخصص الأصناف عالية الجودة للاستهلاك المحلي أو التجارة.

ويتم تحديد مواعيد محددة للناس لقطع النخيل في مناطق وحطايا زلة في (حطية عين زلة، حطية ترزه، منطقة العوينية، حطية رطرط، ومنطقة السباخ) ويتولى عملية الحماية والأشراف على هذه الحطايا مجموعة من الرجال المشهود لهم بالصدق والأمانة فتم تكليف كل من: (أمبيوة بن محمد الزنتاني) لحماية نخيل منطقة العوينية، (حسن عبد الوهاب أعموم) وهو المسؤول عن حماية النخيل من منطقة السباخ إلى منطقة العوينية، (على السويدة) لحماية نخيل منطقة عين زلة)[114]) وهناك تقاليد وأعراف مرعية لدخول حطايا النخيل هي:

-أن يقوم الحامي (حارس الحطايا) بالتبريح والمناداة بصوت عالي بين الناس ويحدد لهم مواعيد دخول الحطايا لقطع التمور والأيام والمناطق المستهدفة بالقطاع والتلقيط.

- لا يسمح بدخول الحطايا ألا بأذن المسؤولين عن حماية النخيل.

- في اليوم الأول من القطاع يسمح للناس التي تملك نخيل في الحطايا فقط بالدخول للمنطقة فعلى سبيل المثال تقسم حطية ترزه إلى مجموعة مناطق مثل منطقة الحمار، ومنطقة ترزه، ومنطقة ام العبد، ومنطقة الدومة، ويوجه الحامي الناس لقطع النخيل في هذه المناطق بالترتيب ولا يسمح لهم بالتوجه للمنطقة الثانية إلأبعد إستكمال قطع جميع النخيل حسب الترتيب، ومن يخالف التعليمات ويتجاوزها يتم طرده من المنطقة.

- في اليوم الثاني من القطاع يسمح بدخول (السراته) وهم عامة الناس الذين لا يملكون نخيل في هذه الحطايا، أو يترزقون قوة يومهم فيعملون على تلقيط التمر لصاحب النخيل مقابل السماح لهم بتلقيط التمر المتساقط والزائد في قلوب النخيل ([115]) يتميز الموسم بالعمل الجماعي، حيث يتشارك الأهالي في الجني والنقل، بينما تتولى النساء والأطفال تنظيف الثمار وتعبئتها، وتُجسد هذه العادات في واحة زلة انسجامًا بين الإنسان والطبيعة، وتُبرز دور التراث في تعزيز الهوية المجتمعية، مما يجعل من جني التمور أكثر من مجرد نشاط زراعي، بل احتفالًا بالحياة والتاريخ.

3 - دور المرأة في تراث النخلة:

تلعب المرأة دوراً محورياً في تراث النخلة، كما هو الحال في العديد من الواحات الليبية فهي تشارك في مراحل مختلفة من عملية زراعة النخيل، يُظهر دور المرأة في تراث النخيل في واحة زلة تكامل بين الرجال والنساء في هذا الإرث الثقافي المهم، فالمرأة ليست مجرد مستفيدة من ثمار النخيل، بل هي شريكة منذ البداية في جميع مراحله من الزراعة إلى الصناعة التراثية، ويمكن تلخيص دورها في النقاط التالية:

- رعاية النخيل: المرأة تشارك في العناية بالنخيل من خلال تلقيح الزهور والعناية بالثمار أثناء نموها، كما تقوم بجمع وفرز الثمار المتنوعة وهو عمل يتطلب خبرة وصبر واهتمامًا كبيراً.
- الحصاد والمعالجة: تلعب النساء دورًا محوريًا في جني المحاصيل، سواءً كان ذلك بجمع الرطب أو معالجة التمر لتحويله إلى منتجات حيث تقوم بغسله وتجفيفه وتخزينه وصنع مجموعة متنوعة من المأكولات والحلويات، بالإضافة إلى منتجاتها في الصناعات التحويلية اليدوية المنزلية مما يسهم في الاقتصاد المحلي.
- الصناعات التقليدية: تستفيد النساء من مخلفات النخيل في الحرف اليدوية، مثل الأوراق(السعف) والليف والجريدة، في صناعة الأدوات المنزلية، مما يساهم في توفير الضرورات الأساسية ويعكس مهارتها الفنية ويعزز دورهن في الحفاظ على الحرف التقليدية.
- حفظ التراث: المرأة تعد حافظة أساسية لتراث النخيل، حيث تقوم بنقل المهارات والمعرفة المتعلقة بزراعة النخيل واستخدام منتجاته للأجيال القادمة من خلال تعليم بناتها مهارات رعاية النخيل وصناعته منتجاته التقليدية مما يضمن الحفاظ على المهارات والتقاليد.
- دعم الأسرة والمجتمع: من خلال عائدات زراعة النخيل وصناعاته، تسهم المرأة في دعم الأسرة ماليًا وتحقيق الأمن الغذائي للمجتمع. ([116])

4 - معارف ومصطلحات شعبية حول النخيل:

تتميز واحة زَلَّة بثراء ثقافي وزراعي مرتبط بالنخيل، حيث تُعد شجرة النخيل رمزًا للحياة والاستقرار، وتتجلى حولها منظومة من المعارف والمصطلحات الشعبية التي توارثتها الأجيال وهي

معارف ترتبط بكيفية زراعة النخيل وكيفية رعايته وتكاثره وجني ثماره ومعالجة آفاته وتلقيحه وأنواعه وعمره ،ونشأ عن هذه المعرفة مهنة خاصة وهي مهنة أوحرفة طالع النخيل(الوبار) وهو الشخص المتخصص برعاية وتلقيح وجني ثمار النخلة ومتابعتها على مدار العام، ومهنة (الحماي) أو حارس النخيل، وفيما يلي نذكر بعض المصطلحات والتسميات والمعارف المتعلقة بالنخيل مثل:(يغرس-التأبير- يوبر-يذكر ([117])-العرجون- الشمروخ- يرقى- يقطع- يذكر- الشِّيص ([118])-الغمق([119])- البلح([120])-الرطب([121])-الخمخام-الحشف([122]) -الكرناف- يلقط - يخرص - يسرت- يعرب - يحل النخل - يحسن أو(يحجم)([123]) - قب النخلة – الجمار([124])- يجمر([125])-الفكريس-العفن([126])- اللاقبي ([127]) ومما سبق نلاحظ أن النخلة كانت جزءًا حيويًا من الحياة اليومية، وإن الحفاظ على هذه الشجرة المباركة وتعزيز زراعتها يسهم بشكل كبير في تعزيز الهوية الثقافية الليبية، كما تُعتبر مصطلحاتها جزءًا من الذاكرة الجمعية التي تربط الأجيال بتاريخ الأرض والإنسان ولا تزال هذه المصطلحات تُستخدم في الحياة اليومية بالواحة رغم التحديات الحديثة، كشاهد حي على تفاعل المجتمع مع بيئته الزراعية بذكاءٍ تراكمي عبر القرون.

5 -التحديات التي تواجهها زراعة النخيل والتمور في واحة زلة:

1. يؤدي تزايد المساحات الرملية إلى دفن جذور النخيل، خاصةً في المناطق الطرفية مثل (حطية رطرط، وترزه، عين زلة، العوينية) مما يقلل الإنتاجية بنسبة 25%.
2. انخفاض منسوب المياه الجوفية بسبب الاستخدام الجائر حيث تحتاج النخلة الواحدة إلى 150 لترًا يوميًّا في الصيف.
3. ارتفاع درجات الحرارة يؤدي إلى جفاف وتيبس الثمار، مما يقلل من إنتاجية النخلة وخسارة المحصول.
4. انخفاض أسعار التمور المحلية بنسبة 30 % بسبب منافسة الأصناف المستوردة (كدقلة).
5. انتشار الأمراض والحشرات والآفات مثل: سوسة النخيل الحمراء، التي دمرت الكثير من أشجار زلة خلال الأعوام الخمسة الماضية.
6. اعتماد 80 % من المزارعين على أصناف تقليدية ذات إنتاجية منخفضة، مقابل تجاهل الأصناف المُحسَّنة.
7. عدم وجود مشاريع حديثة لتطوير صناعات تعتمد على التمور (كاستخراج الرب، الخل، السكر، الزيوت).([128])

الحلول المقترحة:

1. تشجيع الزراعة المستدامة واستخدام تقنيات الري بالتنقيط، وإعادة تدوير مياه الصرف الصحي المعالجة.
2. إنشاء مراكز لتدريب المزارعين على تقنيات الزراعة الحديثة، وتقديم قروض ميسرة لشراء المعدات.
3. تأسيس جمعيات زراعية تعاونية تُدار محليًّا لتجميع المحاصيل وتسويقها بأسعار تنافسية.([129])

ومـما سـبق نلاحـظ أن زراعـة النخيـل في واحـة زلـة ليسـت مجـرد نشـاط اقتصـادي، بـل هـي تـراث حيـوي يواجـه تحديـات كثـيرة، والنجـاح في تجـاوز هـذه التحديـات يتطلـب خطـة متكاملـة تدمـج بـين الحلـول التقنيـة (كالتكنولوجيـا الزراعيـة) والاجتماعيـة (كإحيـاء نظـام الفزعـة) لضـمان بقـاء الواحـة رمـزًا للخصوبـة في قلـب الصحـراء الليبيـة.

الخاتمة:

تمثـل النخلـة جـزءًا أساسـيًا مـن الهويـة الثقافيـة في ليبيـا، وهـي شـجرة تحمـل في طياتهـا معـاني الكـرم والصمـود والاسـتدامة، وتُجسِّـد النخلـة في واحـة زلّـة نموذجًـا فريـدًا للتفاعـل بـين الإنسـان والبيئـة، حيـث تتحـول الشـجرة إلى نظـام ثقـافي متكامـل يربـط المـاضي بالحـاضر عـبر خيـوطٍ مـن التقاليـد والحِـرف ، لقـد كشـفت هـذه الدراسـة أن النخلـة ليسـت مجـرد مـورد اقتصـادي، بـل هـي حافظـة للذاكـرة الجمعيـة، ومصـدر إلهـام للفنـون الشـعبية، فمـن طقـوس التلقيـح الجماعـي (التأبـير) إلى ألعـاب الأطفـال المصنوعـة مـن سـعفها، تُخبرنـا زلّـة بقصـة مجتمـعٍ صـاغ مـن محدوديـة الصحـراء عالمًـا مـن الـدلالات الرمزيـة الغنيـة ، والنخلـة في واحـة زلـة هـي جـزء لا يتجـزأ مـن الهويـة الوطنيـة اسـتقرت في وجـدان سـكانها منـذ زمـن بعيـد، وأصبحـت جـزءاً مـن حياتهـم ورمـزاً لشـخصيتهم وتجسـد قيـم ومفاهيـم عميقـة تمتـد عـبر الأجيـال يتباهـى بهـا سـكان الواحـة لضـمان اسـتمرارية تراثهـا الثقـافي والزراعـي للأجيـال القادمـة .

لهـذا السـبب رأينـا أن نُسـلط الضـوء عليهـا ونوليهـا شـيئاً مـن الأهميـة، وبمـرور الزمـن تغلغلـت النخلـة في حيـاة النـاس، لـذا نجدهـا في تفاصيـل حياتهـم فهـي في طعامهـم وشرابهـم ومسـكنهم وعملهـم والمهـن التـي يقومـون بهـا حتـى في أدواتهـم المنزليـة وغيرهـا مـن مفـردات حياتهـم اليوميـة، إن الحفـاظ عـلى النخلـة ليـس اختيـارًا بـل ضرورةٌ لإبقـاء الواحـة نظامًـا حيويًـا قـادرًا عـلى التأقلـم في ظلّ عولمـةٍ تهدد بمسـح الخصوصيـات، تصبـح هـذه الشـجرة المباركـة حصنًـا أخـيرًا للهويـة، وشـاهدًا عـلى أن الاسـتدامة لا تُبنـى بالتكنولوجيـا وحدهـا، بـل بـإرثٍ مـن الحكمـة يتدفـق كالمـاء تحـت الرمـال.

النتائج:

1. النخلـة تعتـبر رمـزاً للخصوبـة والحيـاة في الـتراث الليبـي وتظهـر في العديـد مـن الأمثـال والأغـاني والقصـص والفنـون الشـعبية.
2. النخلـة رمـز للهويـة الأمازيغيـة في زلـة، حيـث تحمـل بعـض أصنـاف التمـور أسـماء أمازيغية مثـل: (تاليـس، تاقـذاف، تغيات).
3. التلقيح التقليدي (التأبير) يُعزز التضامن المجتمعي عبر نظام (الفزعة).
4. كـما ارتبطـت أشـجار النخيـل بأشـكال التعبـير الشـفهي لـدى سـكان واحـات الصحـراء الليبيـة ولطالمـا تغنـوا بهـا وذكروهـا في أشـعارهم وأهازيجهـم عـلى مـر العصـور وبذلـك أضحـت النخلـة رمزيـة جامعـة للهويـة الوطنيـة والثقافيـة
5. واحـة زلـة مثـل بقيـة واحـات الجنـوب الليبـي، ارتبـط وجودهـا ارتباطـاً وثيقـاً بزراعـة النخيـل، فكانـت النخلـة ولا تـزال مصـدر رزق للسـكان إلا أن هنـاك عوامـل كثـيرة تهـدد

زراعة النخيل، لدرجة أن بعض أصناف التمور اختفت كلياً من الاسواق، ناهيك عن الحرف اليدوية التي تعتمد على الجريد والسعف وبقية مكونات النخلة، إننا بهذا سنفقد ثروة أساسية لا ينقذها سوى إعادة الاعتبار اليها والاهتمام بها.

التوصيات:

من خلال النتائج المتحصل عليها من الدراسة، نورد التوصيات التالية:

1. نشر الوعي بأهمية النخلة في التراث الليبي من خلال أنشاء متحف تراثي في زلة لحفظ أدوات الزراعة التقليدية.
2. ابراز الدور الغذائي والاقتصادي للتمور ومنتوجاتها واقتراح مشاريع سياحية بيئية تستغل النخيل كمسارات (سياحة التمور) لدعم الاقتصاد المحلي.
3. التوجه نحو الأستثمار الأفضل والأمثل لرب التمر كمصدر اقتصادي كبير بإعتباره مادة خام للعديد من الصناعات التحويلية الأخرى كصناعة العصائر والمشروبات وإنتاج الخل وإنتاج السكريات.
4. توثيق التراث غير المادي المرتبط بالنخلة عبر إنشاء أرشيف رقمي للقصص الشعبية والأمثال والأغاني المرتبطة بالنخيل، وضرورة الحفاظ على هذا التراث ونقلة للأجيال القادمة.
5. يجدر بالباحثين رصد كافة أسماء التمور في ليبيا في معجم مصور يتم فيه التعريف بها من الناحية اللغوية وماورد فيها من سياقات ثقافية وما هي أسباب تلك الأسماء وماورد فيها من خرافات وأساطير مازال بعضها حياً في الذاكرة الجمعية للمجتمع الليبي وهذا النوع من البحوث جديد ومهم لإثراء التراث الثقافي بالتدوين والنشر.
6. ضرورة تبني سياسات وطنية تعترف بالواحات كمناطق تراثية مُحمية، وتدمجها في خطط التنمية المستدامة، حتى لا تصير زلّة مجرد ذكرى في كتب التاريخ.

الهوامش:

(1) سمير الضامر. نخلة الأحساء وأثرها الثقافي على مر العصور، يونيو2022م، ص4.

(2) ابـن منظـور، لسـان العـرب، المجلـد الحـادي عـشر، بـيروت- لبنـان: دار لسـان العـرب، د.ت، ص653.

(3) الشـيخ حسـن المصطـوفي،» التحقـق مـن كلـمات القـرآن الكريم»،ج12،»مـادة نخـل»،ص65-63. كذلـك أنظـر: النخلـة في الثقافـة العربيـة(2-1)، مجلـة الوطـن ، https://www. alwatan.om/ details/12989

(4) عـادل محمـد عـلي الشـيخ حسـين. نخلـة التمـر في المصـادر العربيـة قديمـاً وحديثـاً، المجلـد 24، العـدد 2-1، الريـاض: دار التثقيـف للنـشر والتأليف،1423هـ ص3.

(5) ديفـل سـميحة ((شـجرة النخيـل دلالتهـا ورمزيتهـا في الفنـون الإسـلامي))، مجلـة دفاتـر البحـوث العلميـة، المجلـد الخامـس، العـدد10، (تيبـازة -الجزائـر: المركـز الجامعـي مرسـلي عبـد اللـه،2017م، ص87.

(6) سورة مريم، الآيات25-22.

(7) سورة الأنعام الآية 141.

(8) سورة ق، الآيات 148-146.

(9) سورة الأنعام الآية 99.

(10) فهـد بـن محمـود الرحبـي، النخلـة في الثقافـة العربيـة (2-1)، الأحـد 13/4/2014م https:// alwatan.om/details/12989

(11) صحيح البخاري: الأطعمة، باب الرطب والتمر، ح:5444.

(12) الحديث في الفردوس:2/191، والبيان والتعريف:2/37، وكثر العمال:35301.

(13) صحيـح البخـاري: الطـب، الـدواء بالعجـوة، ح: 5779،5769، صحيـح مسـلم: الأشربـة، بـاب في إدخـال التمـر مـن الأقـوات للعيـال، ح5339.

(14) صحيـح مسـلم: الأشربـة، بـاب في إدخـال التمـر، ح:5337، وسـنن أبي داود، الأطعمـة، بـاب في التمـر، ح:3831.

(15) كـر العـمال: ح:35313، عـزاه للخطيـب عـن سـلمة بـن قيـس، وفي سـنده داود بـن سـليمان الجرجـاني كـذاب، تاريـخ مدينـة السـلام:9/337 عـن سـلمة بـن قيـس.

(16) الطيـب العـماري. النخلـة في البيئـة الصحراويـة قيمـة اقتصاديـة ورمزيـة سيسـو ثقافيـة، مجلـة الواحـات للبحـوث والدراسـات، جامعـة غردايـة، العـدد 15، 2011م، ص 240.

(17) https://maryoom-maryoom.blogspot.com

(18) الطيب العماري، مرجع سابق، ص243.

(19) عبـد الوهـاب زيـد. زراعة نخيـل التمـر، تنسـيق E.J. Arias -Jimnez، وترجمة سـامي (الشـاهد)، وجميـع الحقـوق محفوظـة ل FAO رومة إيطاليـا (ISBN 92-5-104384-1)، ص 49.

(20) جعفر الخليلي. التمور قديماً وحديثاً بحث شامل عن النخيل والتمور العراقية، جمعية التمور العامة، بغداد: مطبعة المعارف،1956م، ص11.

(21) https://idrissaadi.yoo7.com

(22) واحة زلة: تقع في القاطع الجنوبي الشرقي من واحات الجفرة، بين دائرتي عرض 28°-29° شمالاً وبين خطي طول17°-18° شرقاً تقريبا، وهي إحدى مناطق الجفرة تقع وسط ليبيا وتبعد عن ودان بمسافة 160 كلم، وعن هون بمسافة 180 كلم وعن الفقهاء بمسافة 160 كلم وتبعد عن واحة مراده شمالاً بمسافة 225 كلم، كما تبعد عن واحة تازربو في الجنوب الشرقي بمسافة 400 كلم وترتفع المنطقة عن مستوى سطح البحر بمقدار200م تقريبا، وتقع شمال جبال الهروج، وتبعد عن ساحل البحر شمالاً بمسافة 280 كلم باتجاه منطقة النوفلية

(23) واحة ترزه: واحة قديمة تقع شمال زلة على بعد 11كلم، وتشتهر بكثافة أشجار النخيل وعيون المياه، يصفها الرحالة الألماني موريتس فون بويرمان: والذي كان في طريقه من أوجلة إلى مرزق، ووصل لواحة زلة في 16مارس1862م، وقدر عدد سكانها بحوالي 300 نسمه.

(24) عين زلة: تعرف محلياً بأسم العين الكبيرة وهي عبارة عن حطية نخيل قديمة تقع جنوب غرب قلعة زلة بمسافة 2كلم.

(25) مقابلة أجراها الباحث مع. احمد علي عبد الله بوزيد، مزارع ومهتم بالتراث الشعبي، زلة،23/3/2024م.

(26) عبد الله عبد الرزاق السعيد، الرطب والنخلة، (الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية،1986م)، ص49-47.

(27) عبد القادر جامي، من طرابلس الغرب إلى الصحراء الكبرى، ت. محمد الاسطى، طرابلس-ليبيا: دار المصراتي،1974م، ص87.

(28) المختارعثمان العفيف،الأوضاع الاقتصادية في إقليم فزان،ط1،(الزاوية: جامعة الزاوية،2010م)، ص 242.

(29) عبد القادر جامي، من طرابلس الغرب إلى الصحراء الكبرى، مرجع سابق،87.

(30) مجموعة مركز المحفوظات والدراسات التاريخية، طرابلس) وثيقة غير مصنفة، بشأن مجموع ومفردات الضرائب المقررة على الإفراد والأغنام والأشجار، لسنة1315هـ/1899م.

(31) أبي حاتم سهل بن محمد بن عثمان السجستاني، كتاب النخلة، ت. عبد القادر أحمد عبد القادر، ط 2، (دمشق: دار الوثائق للدراسات والطبع والنشر،2010م) ص 22

(32) فهد بن محمود الرحبي، النخلة في الثقافة العربية (2-1)، الأحد 13/4/2014م //:https alwatan.om/details/12989

(33) سمير الضامر، مرجع سابق ص4.

(34) الطيب العماري. النخلة في البيئة الصحراوية، مرجع سابق، ص243.

(35) سمير الضامر، مرجع سابق، ص4،5

(36) ديفل سميحة، مرجع سابق، ص88.

(37) قسوم حمو، دراسة المورفولوجية لبعض اصناف النخيل (L dacrylifera phoenix) النامية في منطقة الزيبان بسكرة)، رسالة ماجستير، كلية علوم الطبيعة والحياة، جامعة الأخوة منتوري- قسنطينة1، الجزائر ،2021-2020م، ص18.

(38) ديفل سميحة، مرجع سابق، ص88.

(39) الطلع: هو شيء يشبه الكوز ويحوي مادَّة الإخصاب على شكل حَبٍّ مَنْضُودٍ، ويسمى الغلاف (الباقول).

(40) العُرْجُون: وجمعه عَرَاجِيْن، وهو العِذْقُ، أو إذا يَبِسَ واعْوَجَّ، أو أصله، أو هو الساق الأصفر الذي يحمل العذق (مجموع الشماريخ) ويصله بالنخلة (وهذا المعنى الأخير هو المستعمل حالياً).

(41) الشُّمْروخ: وجمعه شَمَارِيْخ، وهو واحد السوق التي تحمل البسر (ولاحقاً التمر)، ومع الشماريخ الأخرى تكون العذق.

(42) نخلة التمر https://ar.wikipedia.org.

(43) قسوم حمو، مرجع سابق، ص18.

(44) مقابلة أجراها الباحث مع. علي رحيل علي، مزارع ومهتم بالتراث الشعبي، زلة،24/3/2024م.

(45) ابوالقاسم السنوسي قنه، واحات الجفرة في العهد العثماني الثاني 1911-1835م، ط1، الخرطوم: دار أريتريا للنشر والتوزيع،2024م، ص141.

(46) عبد اللطيف بن علي الخطيب، حسين مزمل على دينار. نخيل التمر في المملكة العربية السعودية الزراعة والإنتاج والتصنيع، الأحساء: جامعة الملك عبد العزيز مركز الترجمة والتأليف والنشر،2002م، ص90.

(47) التَمْرَة: وجمعها تَمْر وهي ثمرة النخلة في آخر مراحل نضجها، فتصبح في الأصناف اللينة متماسكة اللحم بقوام (أي يتماسك ما في داخلها) ويعتم اللون وتتجعد القشرة، وفي الأصناف الجافة يكون اللون فاتحاً عادةً وقوام اللحم (ما في داخل التمرة) صلباً يابساً.

(48) مقابلة أجراها الباحث مع. احمد علي عبد الله بوزيد، زلة،23/3/2024م.

(49) عبد الله الزروق السعيد، الرطب والنخلة، مرجع سابق، ص267.

(50) المختار عثمان العفيف، الأوضاع الاقتصادية في إقليم فزان خلال القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين، ط1، الزاوية -ليبيا: منشورات جامعة الزاوية،2010م، ص257. كذلك أنظر: رجب نصير الأبيض، مدينة مرزق وتجارة القوافل الصحراوية، مرجع سابق، ص ص 164،165

(51) ابوالقاسم السنوسي قنه، واحات الجفرة في العهد العثماني الثاني 1835-1911م، مرجع سابق، ص15، مقابلة أجراها الباحث مع. احمد علي عبد الله بوزيد، زلة،23/3/2024م.

(52) الرطب: وجمعها رُطَب وهي ثمرة النخلة عند ظهور نقط من الأرطاب فيها (أي نقط لينة) وحتى تصبح جميعها لينةً.

(53) محمد بن صالح، عبد الباسط عودة إبراهيم، أطلس أهم أصناف نخيل التمر في دول الخليج العربي، المركز الدولي للبحوث الزراعية في المناطق الجافة 2018م، ص14.

(54) نفسه، ص4.

(55) على عمر الهازل "مظاهر النشاط الاقتصادي لسكان واحات الجفرة1901-1900م»مجلة البحوث التاريخية، السنة الثالثة عشر، العدد 2،(طرابلس-ليبيا: مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية ،1991م)، ص171.

(56) مقابلة أجراها الباحث، مع زينب محمد السويدة، مهتمة بالتراث الشعبي، زلة، بتاريخ 10/3/2024م.

(57) جاسم محمد حمد المديرس، أطلس أصناف التمور في الخليج، ط4، الكويت: مكتبة الكويت الوطنية،2010م،ص139-137.

(58) التاغيات: في اللغة الأمازيغية يشير إلى اللبن الرائب أو ما رمض من الثمار.

(59) مجلة الدراسات الصحراوية، المجلد الاول. العدد الرابع. المركز العربي لأبحاث الصحراء وتنمية المجتمعات الصحراوية خريف، ص91.

(60) وثيقة تتعلق بقسمة (عائلة اطريح) مع (عائلة بوبكر بن عيسى) في جميع ملكهم من السواني والنخيل ببلدة زلة، بتاريخ جماد الاول1210هـ/1915م.

(61) وثيقة تتعلق بمشترى نخيل بين أبناء حسن بن عيسى (الحاج بلقاسم، الطاهر) من البائع أعطية بن أنبيه في بلدة زلة بتاريخ ربيع الأول 1229هـ/ 1814م.

(62) جاسم محمد المديرس، مرجع سابق، ص139-137.

(63) وثيقة تتعلق بتقاسم نخيل بين عائلة (عيسى ومادي بن محمد بن سويح) في سانية الوشكات، أوائل شهر ذي القعدة بتاريخ 1047هـ/1638م.

(64) وثيقة تتعلق بتوزيع (عبد الله بن خريص بن المهدي بن خريص) السواني والنخيل على أبنائه في بلدة زلة بتاريخ 1041هـ/ 1632م.

(65) وثيقة تتعلق بمشترى نخيل في بلدة زلة بين الشيخ (عبد الرحمن ساسي بن الشيخ عيسى) والبائع بوعافية بن عبد الجليل، بتاريخ15 ربيع الأول1153هـ/1741م.

(66) مقابلة أجراها الباحث مع. عبد الله لامين اخريص، مزارع ومهتم بالتراث الشعبي، زلة،25/3/2024م.

(67) مقابلة أجراها الباحث، مع علي السنوسي أمحمد الفقيه، مزارع ومهتم بالنخيل، زلة، بتاريخ 30/3/2024م.

(68) مدوين: هي كلمة من أصل أمازيغي تعنى(واحات) تقع إلى الشمال من واحة زلة، على بعد 18كلم، تتميز عن باقي الحطايا بأنها أكبر من حيث المساحة، وبها حي سكنى قديم، وعدد أربعة عيون ماء كلها مستغلة في الزراعة، وتعتبر هذه الحطية من أكبر الحطايا كثافة من حيث أشجار النخيل.

(69) تاقرفت: تاقرفت: كلمة من أصل أمازيغي تعنى (الغراب) تبعد عن زلة 75كلم، وهي واحة معروفة منذ القدم اكتشف فيها نقود رومانية من القرن الثاني الميلادي، يصفها البكري: بأنها مدينة عامره فيها مسجد كبير، وبها بساتين نخيل كثيره من تمور البرني، وسكانها عرب من الجنوب، ومن المحتمل أنهم أباظيون، وعرب من الشمال.

(70) حطية أم الغزلان: تقع شمال واحة زلة على بعد 25 كلم، وترجح بعض الروايات سبب التسمية لكثرة الغزلان البرية في هذه الحطية، وتوجد بها عين ماء عذبة والقليل من أشجار النخيل.

(71) حطية الحطية: تقع شرق واحة زلة على بعد 3كلم توجد بها عين ماء تحيط بها أشجار النخيل من جميع الاتجاهات.

(72) مقابلة أجراها الباحث مع. احمد علي عبد الله بوزيد، زلة،23/3/2024م.

(73) مقابلة أجراها الباحث مع. عبد الله لامين اخريص، زلة،22/3/2024م.

(74) عبد الله عبد الرزاق السعيد، مرجع سابق، ص47.

(75) ابوالقاسم السنوسي قنه، واحات الجفرة في العهد العثماني الثاني 1911-1835م، مرجع سابق، ص116.

(76) الزير: يعرف في اللهجة العامية بالجرة الكبيرة التي تصنع من الفخار، وتستعمل لحفظ الماء والزيت والتمر.

(77) المختار عثمان العفيف، الأوضاع الاقتصادية في إقليم فزان، مرجع سابق، ص260.

(78) عيسى أبوشناف محمد، مصطفى حسن محمد، مرجع سابق، ص61.

(79) أمين مازن، مسارب، ج 1، (طرابلس: مطابع الثورة العربية، 1988م)، ص 104.

(80) مقابلة أجراها الباحث مع. علي رحيل علي، زلة،24/3/2024م.

(81) نمو وتطور ثمار نخلة التمر وهو باب من كتاب نخلة التمر الشجرة الكاملة تحت الأعداد، السيد: نور الدين الناطور (تنسيق النص وأخراج الصور والرسومات)، تأليف الدكتور/ محمد يوسف الشرفا

(82) ديفل سميحة، مرجع سابق، ص88.

(83) بن ساسي شيماء، تقييم الفعالية المضادة للأكسدة والمضادة للبكتيريا للمركبات الفينولية لبعض أصناف التمور من منطقة وادي ريغ بطرق مختلفة، رسالة دكتوراه كلية الرياضيات وعلوم المادة قسم الكيمياء، جامعة قاصدي مرابح ورقلة، 2018، ص18.

(84) جاسم محمد حمد المديرس، أطلس أصناف التمور في الخليج،ط4،الكويت :مكتبة الكويت الوطنية،2010م،ص9.

(85) بن ساسي شيماء، مرجع سابق، ص18.

(86) قهوة التمر: فتُعدّ من نوى التمر الغني بالأحماض بعد غسله وتجفيفه في الشمس، ثم حمسه وطحنه، كما تُحمّس وتُطحن القهوة. ويتم إعدادها، تماماً، كطريقة إعداد القهوة العربية، وقد يُضاف إليها الهيل من أجل النكهة.

(87) مقابلة أجراها الباحث، مع أحمد علي عبد الله بوزيد، زلة، بتاريخ 8/3/2024م.

(88) ابوالقاسم السنوسي قنه، واحات الجفرة في العهد العثماني الثاني 1835-1911م، مرجع سابق، ص116.

(89) https://ar.wikipedia.org/wiki

(90) مقابلة أجراها الباحث، مع زينب محمد السويدة، مهتمة بالتراث الشعبي، زلة، بتاريخ 10/3/2024م.

(91) مقابلة أجراها الباحث، مع فاطمة رحيل علي، مهتمة بالتراث الشعبي، زلة، بتاريخ 12/3/2024م.

(92) ابوالقاسم السنوسي قنه، واحات الجفرة في العهد العثماني الثاني 1835-1911م، مرجع سابق، ص116.

(93) مقابلة أجراها الباحث، مع أحمد علي عبد الله بوزيد، زلة، بتاريخ 8/3/2024م.

(94) عبد الباسط عودة إبراهيم. نخلة التمر شجرة صديقة للبيئة، المركز العربي لدراسة المناطق الجافة والأراضي القاحلة(أكساد)،2010م، ص1.www.iraqi-datepalms.net

(95) http://www.iraqi-datepalms.net

(96) عبد الباسط عودة إبراهيم، مرجع سابق، ص3.

(97) مقابلة أجراها الباحث مع. احمد علي عبد الله بوزيد، زلة،23/3/2024م.

(98) نزهه: هي حطية نخيل تقع وسط زلة بين منطقة العوينية وحسي عائلة قنه.

(99) نزهه: هي حطية نخيل تقع وسط زلة بين منطقة العوينية وحسي عائلة قنه.

(100) رأس القارة: قلعة زلة الأثرية (الفورتي).

(101) مقابلة أجراها الباحث، مع عبد الله أمبيوة محمد، شاعر ومهتم بالتراث الشعبي، زلة، بتاريخ 10/5/2024م.

(102) مقابلة أجراها الباحث، مع علي رحيل علي، شاعر ومهتم بالتراث الشعبي، زلة، بتاريخ 15/5/2024م.

(103) سمير الضامر، مرجع سابق، ص9.

(104) مقابلة أجراها الباحث، مع محمد المهدي بن علي، مزارع ومهتم بالتراث الشعبي، زلة، بتاريخ 1/3/2024م.

(105) محمد حسين الشيخ علي رمضان، أمثال وأقوال من عامية الأحساء، ط4، بيروت: جواثا للنشر،2016م، ص169.

(106) سمير الضامر، مرجع سابق، ص ص،9،10.

(107) مقابلة أجراها الباحث، مع زينب محمد السويدة، زلة، بتاريخ 10/3/2024م.

(108) مقابلة أجراها الباحث مع. احمد علي عبد الله بوزيد، زلة،23/3/2024م.

(109) مقابلة أجراها الباحث، مع عبد الله محمد عبدالله البديوي، مهتم بالتراث الشعبي، زلة، بتاريخ 10/3/2024م.

(110) مقابلة أجراها الباحث مع. حسن مختار محمد، مزارع ومهتم بالتراث الشعبي، زلة،26/3/2024م.

(111) التعريب هي عملية قطع سعف النخل الجاف، السعف (الأغصان)، ويجري القطع عند منطقة الليف، وتتم العملية بالمنجل المسنن، وهناك عدة آلات أخرى للغرض نفسه، ويسمى الذي يقطع السعف بالمُعرّب.

(112) مقابلة أجراها الباحث مع. علي السنوسي الفقيه، زلة،26/3/2025م.

(113) مقابلة أجراها الباحث، مع علي رحيل علي، زلة، بتاريخ 25/3/2024م.

(114) مقابلة أجراها الباحث، مع زينب محمد السويدة، زلة، بتاريخ 10/3/2024م.

(115) مقابلة أجراها الباحث، مع حسن مختار محمد، زلة، بتاريخ 26/3/2024م.

(116) مقابلة أجراها الباحث، مع علي رحيل علي، زلة، بتاريخ 25/3/2024م.

(117) يذكر: إذا وضع حبوب اللقاح في فحل النخلة.

(118) الشيص: يقال للتمر الرديء أو الذي لا يشتدُّ نواه ويَقْوَى، وقد لا يكون له نوى أَصلًا، وإنما يُشَيِّصُ إذا لم يُلْقَحْ أو لفساد التلقيح أو لسبب آخر

(119) الغمق: الثمرة في مراحلها الأولى بعد التلقيح، وتكون خضراء.

(120) البَلَح: المرحلة التي تتحول فيها الثمرة إلى اللون الأصفر أو الأحمر قبل النضج.

(121) الرُّطَب: الثمرة الناضجة الطرية.

(122) (الحشف)من التمر: أردؤه. وهو الذي يجف ويصلب وينقبض قبل نضجه فلا يكون له نوى ولا لحاء ولحلاوة ولالحم.

(123) يحجم: إذا كان يستنزل اللاقبي.

(124) الجَمَّار: قلب النخلة (الجزء الداخلي الطري)، يُؤكل كطعام فاخر

(125) يجمر: إذا كان يقطعها ليصل إلى جمارها.

(126) العفن: يُصيب التمور عند سوء التخزين.

(127) مقابلة أجراها الباحث، مع علي رحيل علي، زلة، بتاريخ 25/3/2024

(128) مقابلة أجراها الباحث مع. احمد علي عبد الله بوزيد، زلة،25/3/2024م. https://nakhlaty.com

(129) مقابلة أجراها الباحث مع. عبد الله لا مين اخريص، زلة،26/3/2024م.

الملاحق:

(شكل) رقم (1)
رسم تخطيطي لشجرة نخلة التمر(Munier 1975)

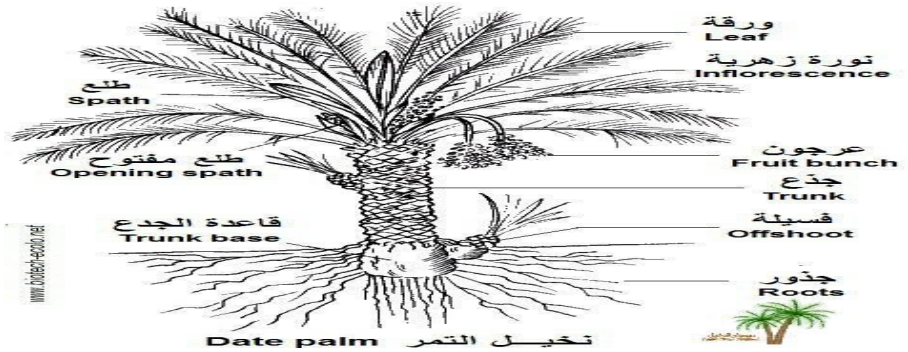

المصدر: قسوم حمو، دراسة المورفولوجية لبعض اصناف النخيل (L dacrylifera phoenix) النامية في منطقة الزيبان بسكرة)، رسالة ماجستير، كلية علوم الطبيعة والحياة، جامعة الأخوة منتوري- قسنطينة1، الجزائر ،2020-2021م، ص16.

صورة رقم (2)

الطلع(التأبير)

صورة رقم (3)

مرحلة تلقيح النخلة

صورة رقم (4)

مرحلة جني التمور(القطاع)

صورة رقم (5)

صناعة السعفيات

الخليفة عبد الله بين مطرقة الدولة وسندان الدعوة
(1885- 1898م)

د يسرية موسى أحمد جمال الدين
أستاذ التاريخ الحديث والمعاصر المشارك – قسم التاريخ
كلية التربية - جامعة كردفان

مستخلص:

جاءت هذه الورقة لتسليط الضوء على فترة الخليفة عبدالله بن السيد محمد . حياته ومجاهداته فى إقامة دولة المهدية . الدولة التى تحكم بالكتاب والسنة ، ووفق تعاليم الدعوة المهدية . فى ظل مجتمع مختلف المشارب والاهواء ناصر وأيد الدعوة المهدية لاسباب مختلفة . هدفت الدراسة، لتوضيح التحدى الذى واجهه الخليفة عبد الله بين إقامة الدعوة وتثبيتها ، وبناء وإدارة الدولة . فى العديد من المستويات الإجتماعية والإقتصادية والسياسية . وذلك من خلال التعريف به وبإدارته وسياسته الداخلية والخارجية . مع توضيح النجاحات والإخفاقات التى صاحبت فترته ، وتضارب الأراء حوله المناوئة والمدافعة عنه . إتبعت الورقة المنهج التاريخى التحليلي الوصفي . وتوصلت الى عدة نتائج أهمها : أن إختيار المهدى لعبد الله التعايشي ليخلفه فى إدارة الدولة جاء بناءاً على مبداء الكفاءة لا لصلة القربى . وعلى معرفة ودراية تامة بمقدراته القيادية . لم تنتهي جذوة المهدية بمقتل الخليفة ونهاية دولة المهدية ـ بل ظلت ملهمة للحس وللشعور الوطنى مساهمة فى بناء فكر الأمة والقومية السودانية.

كلمات مفتاحية: الدولة المهدية – السياسة الدخلية والخارجية - اخفاقات ونجاحات .

Caliph Abdullah between the hammer of the state and the anvil of the call (1885 – 1898 AD)

Dr. Yosrya Musa Ahmed

Abstract:

This paper came to shed light on the period of Caliph Abdullah bin Sayyid Muhammad. His life and his struggles in establishing the state of Mahdia. The state that rules by the Qur'an and Sunnah, and according to the teachings of the Mahdist call. In light of a society of different stripes and whims, Nasser supported the Mahdist call for various reasons. The study aimed to clarify the challenge faced by Caliph Abdullah between establishing and stabilizing the da'wah, and building and managing the state. At many social, economic and political levels. This is done by introducing it, its management and its internal and external policy. With clarification of the successes and failures that accompanied his period, and conflicting opinions about him hostile and defending him. The paper followed the historical, analytical and

descriptive approach. It reached several results, the most important of which are: that the Mahdi's choice of Abdullah Al-Ta'ishi to succeed him in the administration of the state came based on the principle of competence and not kinship. And fully aware and aware of his leadership abilities. The flame of Mahdia did not end with the death of the caliph and the end of the Mahdia state, but remained an inspiration for sense and national feeling contributing to building the thought of the nation and Sudanese nationalism.

key Word : Mahdist state - domestic and foreign policy - Failures and successes

تمهيد :

شكلت دولة المهدية،على مدى العقدين الأخيرين من القرن التاسع عشر حضوراً على الساحة السودانية في جوانب متعددة مثل الديني، السياسي، الثقافي، الاجتماعي، الاقتصادي والإداري. تعد هذه الدولة أول حكم وطني سوداني أقرب للحداثه، أضف إلى ذلك استنادها على الشريعة الإسلامية كمرجعيه أساسية. تمكن قائد دولة المهدية الإمام المهدي من إقامة بناء واضح المعالم التزم فيه بالدقة في العموميات والجزئيات على حد سواء، حدد فيه المرامي والوسائل ، لكن بوفاته واجهت الدعوة والدولة تحديات جمة فكان على خليفته أن يصمد أمامها او يذهب كل المجهود الذى بذل سابقاً أدراج الرياح . واجه الخليفة عبد الله التعايشي بعد توليه إدارة دولة المهدية ، ظروفاً قاسية وتحدياً صعباً تمثل فى المحافظة على إستقلال السودان وحكمة وفق تعاليم وأيدلوجية الدعوة المهدية ، الإ أن المجتمع السودانى لم يكن بأجمعه قد آمن بفكر المهدية وما أن توفى المهدى حتى برزت العديد من الصعوبات والتحديات امام الخليفة وأهمها كيفية المحافظة على مجتمع موحد حول فكرة وقيادة ما ، ومن ثم إدارة الدولة كل ذلك وفق تعاليم الدعوة المهدية التى حددت شكل الإدارة والسياسة الداخلية والخارجية ،، وهو مالم يلبي رغبة بعض فئات المجتمع التى تعارضت مصالحها مع تعاليم المهدية والخليفة نفسه، لذا كان على الخليفة أن يواجه هؤلاء ويسير الدولة وفق تعاليم دولة المهدية مما اكسبه عداوة بعض معاصريه هذه العداوة التى إستثمرها المستعمر بعد ذلك فى تشويه صورة الدولة المهدية ممثلة فى شخص الخليفة عبدالله.

فالصورة التي حملها وما زال يحملها الكثيرون، سودانيون وأجانب، عن الخليفة عبد الله هي صورة حاكم متسط ومتعطش للدماء ، ظالم ، محب للسلطة ، كثير الشك والغيرة على حكمة . فقد كان غرض الإنجليز من نشر هذه الصورة الدعاية السياسية وإثارة الرأى العام البريطاني لجعله يتقبل فكرة إعادة فتح السودان تحت مزعم الثأر لمقتل غردون ، وتحرير هذا الجزء من العلم من وحشية الخليفة عبد الله وطغيانه . أما السودانيون فكانوا يلقون عليه بالآئمة لمكنته من المهدى ، لإبعاد المهدى لأهله منذ فتح الأبيض ووضع الخليفة عبدالله فى مقام الخليفة الأول

خليفة ابى بكر الصديق بدليل مؤامرة الأشراف الأولي فكان إبعادهم من الحكم وسجنهم ونفهم أو قتلهم .

نجد أن مؤلفات كثير من المؤرخين الأجانب كانت تفتقر للموضوعية وسار بعض المؤرخين السودانيين على طريقهم ، لذا جاءت هذه لورقة لتوضيح مجاهدات الخليفة عبدلله فى إقامة دولة تحكم وفق فلسفة وايدلوجية المهدية فى وقت تكالبت فيه الظروف الداخلية والخارجية لتقويض أركان حكمة لذا كان كمن وقع بين لمطرقة والسندان ، مطرقة الدولة وسندان الدعوة المهدية .

مولد ونشأة ونسب الخليفة عبد اللّه :

ولد عبدالله التعايشي بن محمد الجهنى المشهور بتورشين ، بدار التعايشة في قرية أم دافوق على ضفة رهيد البردي بجنوب دارفور حوالى العام . نشأ في طفولته بمسجد أجداده وقد كانوا حفظة قرآن. وفد جدهم الأكبر محمد القطب الواوي من تونس ذات المركز العالي فى الصوفية آنذاك إلى دار التعايشة بدارفور ، ثم رجع إلى تونس حيث توفي، ودفن بمدينة القيروان ولايزال ضريحه مزاراً لمريديه. حفظ عبد الله القرآن على طريقة الخلاوي ، ودرس العلوم الدينية والفقة واللغة العربية مع إخوانه على يد والده، وأمضى حياته الأولى كبقية الأطفال في ذاك المسجد الذي كان قبلة لطلاب القرآن والعلوم الدينية في دارفور ([1]).

ذكرت الباحثة الفرنسية الدكتورة فيفيان في كتابها «الخليفة عبد الله وحياته وسياسته» إن الخليفة ينتمي من جهة أمه لمجموعة قبائل البقارة بدارفور وينحدر من عشيرة أولاد أم صرة من بطن الجبارات من التعايشة البقارية وهي قبيلة بدوية كانت تعتمد على رعي الماشية وصيد النعام والأفيال، قدم أسلافه من جهة أبيه من تونس وهم ينتمون لآل البيت ، وتضيف الكاتبة أنها أدرجت شجرة نسب عائلة الخليفة حسبما جاءتها من عائلته([2]). وأمه هي أم نعيم بنت الحسن. وكان لعشيرة أولاد أم الصرة التي ينتمي إليها عبد الله من جهتي أبيه وأمه مكانه خاصة في قبيلة التعايشة ([3]) .

لكن الزبير باشا ذكر فيما رواه لنعوم شقير أن جد الخليفة عبد الله أصلاً من بلاد الفتري الواقعة بين منطقتي وداي فى تشاد الحالية وبرنو احدى ولايات نيجريا ، وأنه سار من بلاده طالباً للحج وهو لا يملك شيئاً كجميع الحجاج التكارنة . فلما وصل إلى دار التعايشة بالسودان تزوج منهم وسكن بينهم فأنتسب إليهم. وفي رواية أخرى أن هذا الجد قدم من إقليم النيجر دون تحديد مكان معين . وحسب رواية ثالثة إن أسرة التعايشي هاجرت من تونس وما نحوها وحلت بمنطقة وادي، ثم هاجر جدّ عبد الله تاركاً والده ووالدته وإخوته وإتصل بالتعايشة وصار عندهم فقيهاً للرعاة الرحل. فلما طاب له الحال عاد إلى منطقة وادي ليجمع أسرته فوجد أن أباه قد فارق الحياة، ومن ثم أتى ببقية الأسرة إلى غربي بلاد السودان. وحسب هذه الرواية فإن أصل الأسرة عربي والرجل الذي أتى إلى دار التعايشة وتزوج منهم هو علي الكرار والذي يسمى في مصدر أخر آدم ([4]).

ووفقاً للمؤرخ والباحث محمد إبراهيم أبو سليم إن هذه الروايات غير صحيحة وأن أسرة الخليفة لا يمكن نسبها إلى قبائل وسط غرب افريقيا. والأرجح هو إنتمائها إلى أصول عربية قبل قدومها إلى بلاد السودان ومن ثمّ انصهارها في قبيلة التعايشة بالمصاهرة. ويستدل أبو سليم على ذلك بأن الخليفة وطوال حياته لم يبدر منه ما يشير بميوله أو احساسه بالإنتماءإلى أية جهة أخرى بخلاف قبيلة التعايشة وقبائل البقارة الأخرى وكان هذا ديدنه في إختيار أعوانه لاحقاً من هذه العصبية. أما بطانته الخاصة في المناصب الكبرى فكانت من أقربائه وتلاميذ أبيه. ولم يبد الخليفة أي ميل إنتماء الى الفلاتة ولم يعتبر نفسه منهم ولا خَصَّاهم بإمارة كبيرة أو عمالة فالأمير خمدان ابو عنجو واخوه فضل المولى صابون من تلاميذ والد الخليفة وينتميان إلى التعايشة. وحسب أبو سليم تظهر في محررات الخليفة إلى حمدان عاطفة قربى ومحبه جياشه. وكان الأمير مساعد قيدوم أمير دنقلا من قبيلة الهبانية ، وكذلك كان إدريس الساير أمير السجن هبانياً. ولما توفي حمدان أبو عنجة عين الخليفة مكانه الأمير الزاكي طمل وهو أيضاً من البقارة وعين أخوه حامد طمل والياً على كسلا . كما كان عامل الخليفة في دارفور، عثمان آدم جانو، من نفس أسرة الخليفة من جهة الأم.. ويونس الدكيم وأخوه عثمان الدكيم إبنا عم الخليفة، تولى الأول الإمارة في القضارف ثم في دنقلا والثاني تولى إمارة بربر وهو ما ينطبق أيضاً على صالح حماد أمي الجزيرة من التعايشة. ولا يوجد ضمن القادة والأمراء والولاة من هو من قبيلة التكارنة او الفولاني او من قبائل غرب أفريقيا الأخرى. فالخليفة لم يختر منهم أميرا أو عاملاً كبيراً ولم يكن بين مستشاريه أحد منهم وبالتالي يسقط القول - حسب أبو سليم - بوجود أية صلة بين الفلاتة والبقارة فيما يتعلق بالمهدية كما يسقط القول بأن المهدية قامت على الوصية المشتركة بين القبيلتين وأن أهل النيل كانوا بعيدين عنهما[5].

كذلك ورد ذكر أسرة التعايشي في «كتاب تشحيذ الأذهان في بلاد العرب والسودان»، لكاتبه محمد التونسي بأنهم جماة من جهينة أتوا من ناحية تونس ، وموطنهم فى الجزء الجنوبي الغربي من كردفان [6].

والده هو محمد الملقب بـ «تور شين»، وهو اللقب نفسه الذي تلقب به عبدالله، ويعني الثور القوي الصعبأو الجاموس البري المعروف يشدة بأسه، وليس الشائن القبيح دلالة على دمامة وجهه كما زعم المؤرخ نعوم شقير[7]، في كتابه تاريخ وجغرافية السودان ولكن بسبب قوته الجسدية وشجاعته وقد كان شيخاً معروفاً من شيوخ الطريقة السمانية إحدى الطرق الصوفية السائدة في السودان، وعالماً من علماء علوم القرآن واللغة العربية قام بتدريس القرآن والفقه والحديث للعديد من أبناء قبائل دارفور وكردفان وورث عن أبوه زعامة الطريقة السمانية . ووفقاً للكاتبة فيفان كان للشيخ موسي الجدّ الأكبر الخليفة ثلاثة أبناء هم عمر وعثمان وعلي الكرار الجدّ المباشر للخليفة، ولهذا الأخير ثلاث أبناء هم محمد -والد الخليفة- وأحمد وحامد وثلاث بنات هن زهراء وحواء وخادم الغني. وقرر الشيخ موسى وكان واحداً من شيوخ الطريقة السمانية أن يذهب إلى دارفور ويستقر بجانب أتباع عشيرة أولاد أم صرة وأستقر وسطهم في دار التعايشة [8].

هجرة الخليفة عبدالله الى الجزيرة أبا :

على إثر الاضطرابات التي حدثت فى دارفور حوالى عام 1877م . إبان حرب الزبير باشا ، نزح السيد محمد، والد الخليفة عبدالله، وأسرته مهاجرين إلى الأراضي المقدسة تقدموا حتى وصلوا أبوركبة في دار الجمع فنزلوا عند الشيخ عساكر أبو كلام، زعيم قبيلة الجمع([9]). وهناك تعرفوا على الشيخ محمد ود مضوي، شيخ الطريقة السمانية وكان يتردد عليه محمد أحمد المهدي كثيراً. قبل الإعلان عن مهديته، وذلك ليساعده في خلاويه بالجزيرة أبا . وهناك تعرف محمد أحمد المهدي على ، على ود حلو وعلم بوصول أسرة التعايشي ومكانة محمد التقي، فبعث إليه بخطاب يخبره برغبته في تبادل الزيارات معه لكن محمد التقي توفي قبل وصول الرسالة. وبعد أن تم رفع المأتم كلفت الأسرة إبنها الأكبر عبدالله بالذهاب إلى الشيخ محمد أحمد استجابة لخطابه. غادر عبدالله أسرته التي تركها عند الشيخ عساكر واتجه نحو مناطق النيل الأبيض وسمع وهو في الطريق عن كرامات الشيخ المهدي ، أي أفعاله الخارقة للعادة، وكان أهل السودان في ذلك الوقت بما فيهم عبدالله يتوقعون ظهور المهدي المنتظر خاصة وأن والد عبدالله كان قد أوعز إلى ابنه بظهور المهدي في جهة البحر (أي النيل) وأنه سيكون خليفته. فكان عبدالله وغيره من الناس كلما رأوا رجلا ذو دراية كبيرة بعلوم الدين والورع ظنوه أنه هو المهدي المنتظر ([10]). ولما وصل عبدالله الى الجزيرة أبا لم يجد الشيخ محمد أحمد وعلم إنه ذهب إلى قرية طيبة القريبة من مدينة الحصاحيصا لبناء ضريح للشيخ القرشي ود الزين، أحد مشايخ الطريقة السمانية بالسودان،وواحد من الذين تتلمذ على يدهم محمد أحمد المهدي، فذهب إليه هناك والتقى به وكان ذلك في أواخر غام 1880م .أبدى محمد أحمد إهتماماً بعبدالله ورافقه في رحلة عودته إلى الجزيرة أبا . وهناك سأل عبدالله الشيخ محمد أحمد فيما إذا كان هو المهدي المنتظر فأجابه بالإيجاب وطلب منه عبدالله أن يعلن عن ذلك صراحة وخرج محمد أحمد ليعلن أنه هو المهدي وأن خليفته الأول هو عبدالله حسب ما أشير إليه في الحضرة النبوية . وكان أول من بايعه هو عبدالله واسماه خليفة أبي بكر الصديق .

الخليفة عبد الله ومكانته الروحية والزمنية فى المهدية :

كان عبدالله التعايشي قد أخذ عن الشيخ محمد شريف نور الدائم طريقته الصوفية وكان يكثر عليه القول بأنه هو المهدي المنتظر وأن من انكره كفر، لكن الشيخ محمد شريف نهاه عن ذلك وأخبره عن تلميذه السابق محمد أحمد الذي طرده واقصاه بسبب ادعائه المهدية. وعندما التقى التعايشي بمحمد أحمد وهو يبني قبة ضريح الشيخ القرشي بالمسلمية ([11]). حظي باهتمام بالغ منه فشجعه عبدالله على إعلانه مهديته وأقر محمد أحمد بأن عبد الله محمد هو أول خلفائه الأربعة. وكان الرجل من ألمع من اختارهم محمد أحمد خلفاء له وأقواهم شخصية في إدراكه لطبيعة المهدية ومغزاها وقد أعانه على ذلك كثرة ما كان يسمعه من أهله التعايشة وخصوصاً والده بالتنبؤ بظهور المهدي الذي من شأنه أنهاء الوجود التركي المصرى ومحو المظالم عن أهل السودان وإقامة دولة الشريعة التي تمتد لتشمل أجزاء واسعة من السودان الحالي.

في27يناير 1883م أصدر المهدي منشوراً حدد فيه مكانة الخليفة عبد الله الروحية والزمنية في نظام دولته ودعوته، وذكر فيه أن الخليفة عبد الله في الترتيب الهرمي للمهدية هو خليفة ابي بكر الصديق وهو أيضاً القائد العام لكل جيوش المهدية وقال المهدي في منشوره «إن الخليفة عبدالله جزء مني وإن كل ما يقوم به من أعمال هي إلهام من الله وليست من هواه أو رأيه الشخصي»([12]). وقد اشتهر عبدالله التعايشي بن محمد تورشين بقدرته القتالية وسط اتباع المهدي ومن حوله من أنصار. وجاء في المنشور الذي كان بمثابة اعلان من المهدي عن عصمة خليفته: (أعلموا أيها الأحباب ان الخليفة عبد الله، خليفة الصديق المقلد بقلائد الصدق والتصديق، فهو خليفة الخلفاء، وأمير جيوش المهدية المشار إليه في الحضرة النبوية! فذلك عبد الله بن محمد، حمد الله عاقبته في الدارين، فحيث علمتم أن الخليفة عبد الله هو مني وأنا منه وقد أشار سيد الوجود، فتأدبوا معه كتأدبكم معي، وسلموا إليه ظاهراً وباطناً، كتسليمكم لي وصدقوه في قوله، ولا تتهموه في فعله فجميع ما يفعله بأمر من النبي، أو بإذن منا فحيث فهمتهم ذلك، فالتكلم في حقه يورث الوبال والخزلان وسلب الإيمان، وأعلموا ان جميع أفعاله وأحكامه محمولة على الصواب لأنه أوتى الحكمة وفصل الخطاب) ([13]).

تأتى أهمية هذه الوثيقة بأنها كانت قراءة ذكية لغيب مخبؤ وتعاط مسئول مع واقع محتقن ، ووضعت هذه الوثيقة المهمة النقاط على الحروف من حيث توضيح مكانة الخليفة من الدعوة والدولة المهدية ، ولم يكتفى المهدى بذلك المنشور بل تبع ذلك بمنشور آخر يؤكد فيه مكانة الخليفة عبدالله وهى مضاهية لوظيفة الوزير الأول فى المصطلح الإسلامي أى بمثابة رئيس الوزراء وأمين سر الدولة ، من خلال المنشور الذى أرسله الى فخر الدين حسن المعلاوى والذى ورد فيه :(وقد أتانا خبر لخضر علية السلام أن الأولياء اجتمعوا فى بيت المقدس يقولون الحمد لله الذى أظهر المهدى وجعل عبدالله وزيره ، ومن ثم وجد إجتماع الشياطين يقولون ، كان عيشنا بالغش والمكر والخداع والكذب فأتى المهدي وقطع علينا عيشنا ولولا أن عبدالله وزير له ، ولو أن الخليفة غيره لكنا وجدنا فى المهدية مدخلاً) ([14]). ودون مناقشة تفصيلية فى العبارات الواردة فى المناشير السابقة ومدى مصداقيتها وواقعيتها فقد تم تمييز الخليفة عبد الله منذ حياة المهدى وجعل رئيساً عاماً على الإدارة ، والجند فهو بمثابة وزير الدفاع والمستشار الأول والأخير والنائب الأول، وبالتالي قدمه المهدى على الخليفتين الآخريين على ود حلو القائم مقام عمر الفاروق ومحمد شريف(ابن عم المهدى) ([15]) القائم مقام خليفة الكرار ، بهذا جعل المهدى الخليفة عبد الله نائباً له وقائداً عاماً على الجيوش منذ حياته ،وجاعلاً ابن عمة فى المرتبة التالته متجاوزً ببراعة وذكاء نتانة العصبية العرقية المهلكة متجاوزاً واحداً من أمراض السلطة القاتلة ، واضعاً أسس القومية لقيام دولة وطنية جامعة تعتمد على الكفاءة .

رغم أن معيار تقديم الكفاءة على الولاء ووضع أسس نظام إدارى قويم تجاوزه الخليفة نفسة فيما بعد نتيجة معطيات شكلت لدية معادلات أحلاها مر ، فوقع بوعي أو بدون وعي تحت حكم الإضطرار فى مستنقع القربي ، جاء ذلك بعد المواقف الصريحة والواضحة التى اتخذها

الأشراف ومن إنضم لهم من جهات النيل (اولاد البلد) ومحاولتهم إثارة العامة ضده مستغلين قرابتهم من المهدى ، مما أدى الى خلق حاجز سميكاً وقوياً بينة وبين الكثيرين منهم .

خلاصة الأمر كان المهدى هو روح الثورة ومنظرها ومفكرها وفيلسوفها والخليفة عبدالله هو رجل الإدارة والدولة والتنفيذ ، بمعنى أخر كان المهدى يقوم بالجانب النظرى والخليفة بالجانب العملي . وما ينبغي التأكيد عليه هو أن الخليفة عبد الله مهما اتفقنا أو إختلفنا معه بعيداً عما غرسه الإستعمار ورسخه بعض الأكاديميين وعززه بعض أنصار العرقيات أو الجهويات ، فقد إمتاز بدرجة من الذكاء وفراسة أهلته لمعرفة اولئك الذين لم تتاصل فيهم المهدية وتجريدهم من مناصبهم ([16]).

مبايعته:

عقب وفاة المهدي مباشرة صعد الخليفة عبدالله المنبر وخاطب الأنصار متسائلاً : «أيها المؤمنون أين سيد المرسلين أين حبيب رب العالمين . وهذا ما وعد الله آمنوا بالله ورسوله . ولقد حانت ساعته وهذا ما علمنا له الأمام المهدي بوضوح. إن كنتم تعبدون المهدي فإن المهدي قد مات ورحل، وإن كنتم تعبدون الله فإن الله حي لا يموت. ولا شك ان جميع الناس سوف يشربون من كأس الموت قولوا إنا لله وإنا إليه راجعون هكذا قاله سلفكم الصالح، واستحقوا بذلك صلوات الله ورحمته عليه أولئك هم المهتدون .» وواضح إن هذه الخطبة شبيهة بخطبة أبي بكر الصديق خليفة النبي محمد بعد وفاة النبي مباشرة ([17]).

ما ان انتهت مراسيم دفن المهدي، حتى قام الأشراف اقرباء المهدي مطالبين بالخلافة للخليفة محمد شريف، خليفة الكرا ، الا أن الخليفة على ود حلو ، أحد الخلفاء الذين عينهم المهدي، وقاضى الاسلام أحمد علي وأخرين قالوا لهم بأن الخلافة يجب أن تكون من حق الخليفة عبد الله حسب أوامر المهدي وحسب ترتيب الخلافة المحمدية . وأعادوا إلى أذهانهم إعلان المهدي ومنشوره بعد فتح الأبيض الذي أعلن فيه للجميع بأن الخليفة عبد الله هو منه.وأخذ الناس يتجاوبون مع هذا الكلام يومئون برؤوسهم موافقين بينما ظل الخليفة صامتاً حتى قام الفكي محمد الداداري أحد علماء قبيلة لفلاته ومن المستشارين السابقين للمهدي، وبادر برفع يد الخليفة عبد الله قائلاَ: (بايعناك يا خليفة المهدي) ([18]). ثم قام أحمد شرفي، كبير الأشراف أقارب المهدي وصهر المهدي، فأخذ سيف المهدي وعمامته و سلمها للخليفة عبد الله مردداً بايعناك يا خليفة المهدي ثم جاء بعده الخليفة علي ود حلو والسيد المكي وبايعاه وتبعهم بقية الحاضرين بما فيهم الخليفة شريف. وبعد البيعة القي الخليفة خطاباً قال فيه: «أعلموا أن الضعيف عندي قوي حتى آخذ له حقه من القوي وأن القوي فيكم عندي ضعيف حتى آخذ الحق منه للضعيف.» ثم أصدر أول منشور له أمر بتوزيعه في كل مكان وتضمن الإعلان الرسمي عن وفاة المهدي وفيه ترحم الخليفة على روح المهدي الذي توفي يوم الإثنين8رمضان 1302هـ / 21يونيو 1885م وقت الضحى ودفن بعد صلاة الفجر داخل بيته بأم درمان في المكان الذي أقيم عليه ضريحه لاحقاَ. ثم كتب الخليفة إلى مشايخ السودان بالحضور إليه كافة إلى ام درمان لتجديد

البيعة وزيارة ضريح المهدي. أمتنع عن الحضور صالح الكباشي زعيم الكبابيش وموسى مادبو شيخ الرزيقات وعوض الكريم ابو سن شيخ الشكرية ومحمود ود زايد شيخ الضبانية الذي عفا عنه الخليفة لاحقاً بخلاف الممتنعين الآخرين الذين عاقبهم بالسجن[19].

معارضة الأشراف:

كان الأشراف أقرباء المهدي بزعامة الخليفة محمد شريف يرون بأنهم أحق بالخلافة من عبدالله تورشين وأوعزو ذلك إلى المهدي لكنه رفض طلبهم. وبعد وفاته بايعوا الخليفة عبدالله ولكن على مضض ثم جاء موت محمود عبدالقادر عامل الغرب في قتال مع النوبة وكان من الأشراف، . فعقد الأشراف اجتماعاً فيما بينهم للنظر في إمكانية أن يتولى أحدهم المنصب، وبلغ الخبر الخليفة الذي قام بسرعة بتعيين شخص يثق فيه. وأدرك نواياهم في توسيع نفوذهم فظل يعمل بصمت في استغلال أية سانحة تمكنه من تجريدهم من الأسلحة والنفوذ وسحب راياتهم وقطع المرتبات المالية عنهم وتم له ذلك، فساءت العلاقة بينه وبينهم وسادت الشائعات لتحل محل المصارحة والتشاور حتى سرت شائعة تقول بأن الخليفة عبدالله ينوي القبض على زعيمهم الخليفة شريف. عقد الأشراف مجددا اجتماعاً في نوفمبر 1891م ، قرروا فيه الإطاحة بالخليفة قسراً والقبض على ناصية الأمور في البلاد. أعد الخليفة شريف الخطة سراً مع اثنين من أبناء المهدي الصغار[20]. وقاموا بكسر أبواب أحد مخازن السلاح واستولوا على اسلحة ثم تجمهرت اعداد كبيرة منهم حول قبة المهدي التي تواجه بيت الخليفة. علم الخليفة بما حدث فأصدر أوامره لمواجهة التمرد بإعلان حالة التأهب وسط قوات الملازمين وهي بمثابة حرس رئاسي، وقوات الجهادية المسلحة بأسلحة نارية وقوات الراية الزرقاء وأمر أخاه الأمير يعقوب جراب الرأي باحتلال المسجد، وهو ساحة كبيرة مجاورة لبيت الخليفة. حدث تراشق طفيف بالنيران انتهى في وقت قصير وقدرت الخسارة بخمس قتلى [21]. إلا أن الخليفة عبدالله لم يكن يرغب في تصعيد الأمر لبلوغ مواجهة عسكرية شاملة قد تحدث فوضى في العاصمة يصعب السيطرة عليها وتقوم جماعات البقارة الوافدة بنهب المدينة والعودة إلى ديارها، فأرسل إلى الأمير علي ود حلو يدعوه إلى التوسط لحل الأزمة وأن يطلب من الخليفة شريف تقديم طلباته وشروطه. وتم الاتفاق علي أن يقوم الخليفة عبدالله برد الاعتبار للخليفة محمد شريف وإعادة رايته إليه وأن يجعله من أهل المشورة، ويمنحه معاشا شهرياَ هو وأبناء وأرامل المهدي ثم اصدار عفو عام على من حملوا السلاح ضده. وفي المقابل، يقوم الأشراف بتسليم أسلحتهم ويعلنون خضوعهم لسلطة الخليفة [22] . وكان الخليفة شريف قد اشترط ايضاً عزل كل من الأمير يعقوب محمد وقاضي الإسلام أحمد علي واطلاق سراح الأمير خالد زقل ، الذي كان قد اعتقل عندما كان في طريقه لمساندة الأشراف وهي الشروط التي تم التنازل عنها ولكنها زادت من حنق الأمير يعقوب والقاضي أحمد علي على الخليفة شريف والأشراف.

أصر القاضي أحمد علي الذي كان يحمل ضغينة ضد الخليفة محمد شريف على محاكمة المتمردين بذريعة أنه لا يُؤمَن جانبهم وحتى يكون عقابهم رادعاً لمن يفكر في إحداث فتنة وحاول إقناع الخليفة بأنه في حلٍّ مما وعد به. وجمع مجلسه القضائي وحكم على زعماء وقادة الاشراف

الذين شاركوا فيما وصفه بالفتنة بقطع رؤوسهم وقطع أرجل وأيادي الباقين من خلاف. لم يوافق الخليفة على ذلك وكذلك اعترض السيد المكي إسماعيل الولى وهو دنقلاوي من أنصار المهدي في كردفان ومن اوائل الذين بايعوا الخليفة، مقترحاً نفيهم إذا كان الغرض من المحاكمة هو اتقاء شرهم. وبعد جدل وأخذ وعطاء تم الاتفاق في نهاية المطاف على نفي قادة المحاولة وهم أحمد ود سليمان أمين بيت المال و فوزي محمود وشقيقه حمدي كاتبا الخليفة، وأحمد النور كاتب الخليفة محمد شريف، وكل من أحمد محمد خير و صالح ود سوار الذهب وسعيد محمد فرح أحد زعماء القبائل في دنقلا الى فشودة فى جنوب السودان ، لكن ما حدث هو أن تم قتلهم هناك فقد عقد القاضي أحمد جلسة أخرى غيابية وقضى باعدامهم وأوكل أمير فشودة الزاكي طمل بتنفيذها. وكان من الطبيعي أن يبدي الخليفة شريف سخطه على ما جرى ويعبّر عن استيائه فانقطع عن صلاة الجمعة والجماعة مع الخليفة وكان ذلك بمثابة عصيان أدى بالخليفة إلى عقد مجلس محاسبة يضم 46 عضوا من الأمراء والقضاة في 2مارس 1892م ، أدانوا فيه الخليفة شريف الذي قابلهم عند اللقاء به بالجفاء وأقبح الألفاظ فقرروا سجنه وهكذا ظل الخليفة شريف في السجن حتى وردت انباء تحركات الجيش المصري الإنجليزي في الحدود فتم إطلاق سراحه لتوحيد الجبهة الداخلية ضد الغزو وبعد معركة كررى تم القاء القبض عليه ونقل إلى سجن رشيد بمصر وبقي فيه حتى مماته ([23]).

إدارة الدولة :

أدار الخليفة عبد الله الدولة السودانية خلال 14 عاماً. حيث بدأ حكمه يوم وفاة المهدي في 22 يونيو 1885م وحتى تاريخ وفاته هو بأم دبيكرات يوم الجمعة 24 نوفمبر 1899م ، تمددت فيها الدولة المركزية، وعاصمتها ام درمان ، وبين دارفور فى الغرب وإلى البحر الأحمر شرقاً ، ومن نمولي فى أقاصي لجنوب الى دنقلا عند أدنى الشمال، لكنه واجه صعوبات داخلية جمه منها خلافاته مع الأشراف الذين جاهروا له بالعداء وأظهروا عدم طاعتهم له ولحكومته وتحديات خارجية كأطماع القوى الإستعمارية المحدقة بدولته وأخطار الغزو الخارجي من جهة الشمال ترك المهدي لخليفته تركة مثقلة بالمشاكل الداخلية والمسؤوليات الجسام فكثير من اتباع المهدية واركان دولتها سلموا لها كرهاً وخوفاً على رقابهم وأموالهم وكثير منهم لم ينه ولائه لشيوخ طريقته الصوفية ووفقا للمؤرخ السوداني مكي شبيكة فإن المهدي ذكر أن هناك ستة من البشر لا يرضون بأمره وهم: «العالم والظالم و الأتراك و ربائبهم الذين تربوا في كنفهم وأهل الشأن وأهل البرهان الذين يريدون ادلة على مهدية المهدي» . وبعض هؤلاء شغل وظائف إدارية وتبوأ مناصب تنفيذية و اضطلع بمهام قضائية في الدولة فكان فيهم المحاسبين والإداريين والقضاة والكتبة والمترجمين([24]). وبوفاة المهدي بدأت هذه العناصر في الجهر برفضها وعصيانها للمهدية، وقابل الخليفة ذلك بتدابير احترازية وإجراءات ردعية تارة باللين وتارة بالحيلة وتارة ثالثة بالقسوة وكان أولها هو أن يحيط نفسه بمن يثق فيهم. فعين أخاه الأمير يعقوب محمد الملقب بجراب الرأى مساعداً له يشرف على الجيش وعلى بيت المال ويعني بشؤون محطات الحدود والعبور و بأمور العاصمة أم درمان.

كذلك أراد الخليفة أن يسند مركزه بقبائل البقارة التي ينتمي إليها وبالأخص عشيرته التعايشة ، فأوعز برحيل جزء كبير منها إلى أم درمان تحت حجة زيارة ضريح الأمام المهدي والإقامة بجواره. ولما أدرك معارضوه مغزى سياسته هذه وتبين لهم إنه يريد اقصائهم عن شؤون الحكم والإدارة ويستبدلهم بأنصاره وأبناء عشيرته وذويه أبدوا تذمرهم علناً خاصة الأشراف أقرباء المهدي الذين اصطدموا معه عسكرياُ أكثر من مرة ([25]) . واجه الخليفة عبد الله مصاعب أخرى وتحديات منها مسألة تنظيم الدولة والإدارة والنهوض بها من انقاض التركية السابقة التى قضي الأنصار على ما تبقى منها عند فتحهم الخرطوم، ومسألة الخلافات الداخلية بين أمراء وقادة جيوشه وعصيان بعض القبائل وتمردها عليه والتهديدات الخارجية بما فيها التهديدات الإنجليزية فى جهة دنقلا ، والإيطالية فى جهات كسلا والقلابات والحروب مع الحبشة ووجود جيوب جيوش أجنبية في منطقة الإستوائي (جنوب السودان حالياً) وآثار المجاعة التي ضربت أطنابها بالبلاد وغير ذلك من المشاكل الأخرى المتنوعة. وذكر المؤرخ نعوم شقير بأنه لولا الدهاء والحزم الذي فُطِر عليهما عبد الله التعايشي لتصدعت أركان الدولة المهدية وعمت الفوضى السودان ([26]) .

السياسة الداخلية :

تبنى الخليفة سياسة داخلية ارتكزت على ثلاث دعامات:

1. الحفاظ عى شعائر المهدية إذ لاشئ يربطة بأنصاره سواها ولا شرعية أو حجية له فى الحكم إلا بها .
2. مراقبة المناوئين لحكمة والرافضين لخلافته والمنافسين له على السلطة ومعاقبة المتمردين منهم بالتنكيل بهم ونفيهم أو سجنهم أو حتى تدبير قتلهم متى سنحت فرصة إرتكابهم خطأ فادحاً مميتاً .
3. حصر المناصب العليا فى أهله التعايشة ومريدية من الجماعات الأخرى ([27]).

قسم الخليفة السودان إدارياً إلى ثمان عمالات هى : الجزيرة، وشرق النيل الأكبر، وغرب النيل الأكبر، وجبال ادريس، وغرب بحر ابيض، وشات، والبادية الغربية، والبادية الشرقية، إلى جانب عمالة الشلك والدينكا ومديرية فشودة بالجنوب. وكان لكل عمالة عامل يرأسها وينفذ ما يصدر إليه من أوامر و قرارات ومنشورات تصدر من العاصمة أم درمان وخزانة خاصة بها تتمثل في بيت مال المال العمالة وقاضي ونائب قاضي ([28]). وأوكل القضاء العالي في الدولة إلى قاضي الإسلام باعتباره أعلى سلطة قضائية وهي الوظيفة التي تولاها أول مرة القاضي أحمد علي تلاه حسين ود الزهرة من قبيلة الجعليين وكان خريجا من الأزهر الشريف بمصر. ويلي قاضي الإسلام في الترتيب قضاة محاكم العمالات وقاضي الملازمين بأم درمان وهو أشبه بالشرطة العسكرية الحالية ، والذي يعني بضبط سلوك افراد القوات العسكرية ومحاسبتهم. كما كان هناك قاضيان لبيت المال يفصلان في القضايا ذات الصلة بالمال العام ([29]) . وكانت الشريعة هى المصدر الأساسي للحكم إلى جانب تعاليم المهدي. ويودع المحكوم عليهم بعقوبة السجن في سجن الساير بأم درمان (دار الرياضة حالياً) الذي اطلق عليه هذا الاسم نسبة إلى رئيسه إدريس الساير([30]). عرف

نظام العقوبات في دولة المهدية ممارسات التعذيب والإعدامات والنفي . وأورد المؤرخ مكي شبيكة عمالات بربر ودنقلا والغرب وكسلا كعمالات كبرى تخضع للرقابة المباشرة للسلطة المركزية في أم درمان أي للخليفة، وإن العامل يتولى الإدارة وقيادة الجيش في عمالته. أما الأمراء فهم يتركزون فى حاميات حدودية لحماية المنافذ التي عرفت باسم البوغازات ويخضعون لعمال العمالات ([31]). وتمثل بيت المال خزينة الدولة ومصادرها الزكاة والغنائم و نظام ضريبي يشمل العشور الجمركية وخراج الضمغ العربي وغلة الأرض وجباية القوارب وقروض من التجار واتاوات العبور وحصة الحكومة المركزية في أم درمان من بيوت أموال العمالات بالأقاليم ([32]). كما قام الخليفة بضرب نقود فضية منها «ريال المهدي» و«المقبول» «وأبو بدر» «وأبو كيس» الذي كان يحمل رسم رمحين متقاطعين([33]). وبالنسبة للتعليم فقد أنشأ الخليفة بعض المدارس واقتصر تعليمها على الكتابة والقراءة وتأهيل المعلمين إلى جانب التعليم الديني التقليدي الذي كانت تعني به الخلاوي والزوايا واستعان الخليفة ببعض الأقباط فى مجال الكتابة والحسابات والادارة الحكومية ومن بينهم المسيحي القبطي يوسف ميخائيل الذي كان يستشيره الخليفة أحيانا في بعض الأمور الخارجية كما كان بعض التلاميذ يلتحقون ببيت المال للتدريب والعمل فيها بعد إكمال دراستهم الأولية في المساجد.

ما العاصمة أم درمان التي اطلق عليها المهدي اسم البقعة فقد تطورت من قرية خيام و أكواخ إلى مدينة كبيرة واهتم الخليفة بعمرانها مستخدماً مواد بناء من أنقاض الخرطوم التى تم هجرها فشيد فيها ضريحاً للمهدي باسم قبة المهدي وأقام سوراً من الطوب الآجر حول المسجد الذي بناه المهدي وهو عبارة عن ساحة مفتوحة على الهواء بلا سقف ومآذن ويجتمع فيها جميع الأنصار للصلاة فيها فقد كانت المسجد الوحيد في المدينة كما اهتم الخليفة ببعض الشوارع الرئيسية في المدينة وقسمت الأحياء السكنية على أساس قبلي مثل حي ود نوباوي او عسكري مثل حي الملازمين . وفيما يتعلق بالتجارة فإنها حسب رأي سلاطين باشا قد ازدهرت بعد كساد أصابها خاصة بعد قيام بعض التجار السودانيين بتهريب الحلى الفضية والذهبية، بعد سقوط الخرطوم إلى أسوان بكميات كبيرة «فأصدر الخليفة أوامر متشددة للتجار بعدم حمل الذهب والفضة معهم إلى مصر مهما كانت حاجتهم لها هناك وسمح فقط بمقدار من المال تحدده بيت المال حتى لا يضيع المال العام في إنفاق غير مشروع في نظر الخليفة الذي لم يكتف بذلك بل جعل العملة التي يحملونها من الطراز القديم على أن تحدد قيمتها في جواز سفر التاجر([34]). ولكن من ناحية أخرى أهمل الخليفة قطاع الزراعة وركز على صناعة الأسلحة والمراكب ولكنه أبقى على الترسانة وخط التلغراف وانشأ معملاً لصناعة الصابون ([35]) . ولذلك لم يكن غريباً تعرض البلاد إلى مجاعة.

إن الكوارث التي ألمت بعهد الخليفة هو تعرض البلاد إلى مجاعة ضربت أيضا عدداً من بلدان الساحل الإفريقي فى سنة 1881م ، نتيجة الجدب والجفاف وعُرفت في السودان «بمجاعة سنة ست» نسبة إلى العام الهجري 1306هـ الذي وقعت فيه. وقد تأثر بها السودان كله تقريباً شرقه

وغربه ووسطه وشماله. وتتفق المصادر التاريخية على أن سبب المجاعة في السودان لم يقتصر على موجة الجفاف وشح الأمطار، بل إلى تضافر عوامل أخرى أدت إلى تفاقمها . منها عدم الاستقرار السياسي، الحروب المتعددة ، انشغال المزارعين الذين هجروا الزراعة بسبب الإنخراط في الجهاد والقتال، وتهجير جماعات كبيرة من غرب السودان والجزيرة وإلى أم درمان لمناصرة الخليفة في الصراع السياسي مع الأشراف . ويضيف بابكر بدرى فى كتابه تاريخ حياتي أنها آفة الجراد التى اكتسحت البلاد آنذاك ([36]) .

مشاكل الحكومة المركزية مع الأقاليم :

بغض النظر عن سياسة التهجير التي تعمدها الخليفة وما نجم عنها من مشاكل فقد لقي الخليفة وهو القادم من أقصى الغرب مدفوعاً بحماس الدعوة للمهدية ونصرتها، متاعب أيضاً من قبائل كردفان ودارفور مثل الكبابيش والرزيقات والفور والمساليت والميدوب والماهرية والزبادية والهبانية وبني هلبة بدرجة أكثر شدة ومرارة مما شهده من متاعب من قبائل تقيم على النيل. فتمردت قبائل النوبة في الجبال وجاهر زعيم الرزيقات مادبو بعصيانه للخليفة حتى قتل واتصل الشيخ صالح بك زعيم قبيلة الكبابيش بالحكومة المصرية طالبا المعونة العسكرية لمحاربة الخليفة وطالب الأمير يوسف في دار فور بعرش أجداده قبل مقتله وفي دار تامة تزعم الفكي أبو جميزة قبائل غرب دارفور ولقب نفسه بالخليفة الرابع للمهدي وخليفة عثمان بن عفان قبل أن يموت بوباء الجدري ([37]) .

الجيش :

بلغ عدد أفراد قواته 150 ألف منهم 46 ألف من المشاة حملة السيوف والرماح والسهام و66 ألف من فرسان الخيالة و36 ألف من الجهادية المسلحين بالأسلحة النارية ويتضاعف عدد القوات عندما ينضم اليها متطوعي القبائل و هناك حوالي 60 إلى 70 ألف من هجانة البريد راكبو الجمال. وأما ترسانته العسكرية فكانت تتكون من 74 مدفعا منها 6 مدافع من طراز كروب ذات الفوهة الواسعة و حوالي 40350 قطعة من البنادق المختلفة نصفها تقريبا من طراز ريمنجتون.([38]) وقد توسعت الدولة في عهده فزادت حاميات المدن الحدودية كما في مناطق كسلا والقلابات ووادى حلفا وحتى في أقصى الجنوب كما فى فشودة . وكان الجيش كله تحت قيادة الأمير يعقوب ، شقيق الخليفة. وينقسم الجيش إلى 6 أقسام الجهادية وهي قوات نظامية مسلحة بأسلحة نارية وقائدها جاموس النوبي والملازمين وهي حرس الخليفة وقائدهم الأمير عثمان شيخ الدين ، ابن الخليفة، والكارة بقيادة إبراهيم الخليل، الراية الزرقاء بقيادة الأمير يعقوب، والراية الصفراء بقيادة الخليفة محمد شريف والراية الخضراء بقيادة الخليفة على ود حلو . وتعتبر فرقة الملازمين وهي الأكثر تنظيماً وتسليحاً وهي بمثابة الحرس الخاص بالخليفة وتتكون من الجهادية السود و اولاد العرب وقائدهم هو الأمير شيخ الدين. وقد حافظ الخليفة على نظم التدريب والفنون الحربية التي كانت في عهد التركية مع تغيير بطبيعة الحال في العقيدة العسكرية والمسميات والمصطلحات العسكرية (فمثلاً تحولت كلمة صفدن التركية إلى اليمين دور،

وصلدن إلى شمالك وكلمة حاز دور إلى اللهم أنصر راح دور إلى اللهم أستر([39]) .

السرية هي الوحدة الرئيسية في التنظيم الحربي في جيش الخليفة وتتكون من مائة مقاتل بقيادة رأس المية وتحت قيادته خمسة مقاديم (المفرد مقدم) على رأس الفصائل وكل فصيل مكون من 20 مقاتل. ويقود الجيوش الأمراء. وكان الخليفة في بداية عهده يستعرض جيشه اسبوعياً كل يوم جمعة في ساحة العرضة غرب أم درما ن (حي العرضة حاليا) ، ثم اصبح العرض العسكري ينظم 4 مرات في العام خلال احتفالات عيد الفطر وعيد الأضحي والمولد النبوي الشريف و عاشوراء . وتشارك فيه فرق عسكرية من خارج أم درمان تعرض فنونها القتالية وجاهزيتها ولياقتها البدنية واسلحتها ([40]).

السياسة الخارجية :

إعتمد الخليفة عبدالله التعايشي فى سياسته الخارجية على فلسفة وأيدلوجية الثورة المهدية التى إعتبرت كل البلاد التى لم تؤمن بالمهدية هى ديار حرب ويجب نشر المهدية بها ، لذا تركزت سياسته على نشر الدعوة للمهدية عن طريق فتح الأمصار استمرارا لسياسة خَلَفَه المهدي ولذلك أرسل رسائل تنطوي على تحذير وترغيب إلى كل من الخديوي توفيق خديوي مصر والملكة فكتوريا ملكة بريطانيا والسلطان عبد الحميد سلطان الدولة العثمانية ، كما كتب الى قبائل الحجار وأهل المدينة المنورة ، ومحمد السنوسي فى ليبيا والسلطان محمد يوسف سلطان وداى والسلطان حياتو بن محمد بلو سلطان سوكتو فى نيجيريا والإمبراطور منليك الثاني إمبراطور الحبشة ورابح الزبير فى وداى ([41]).

ففي رسالته إلى الخديوي توفيق يقول: (لو كان قصدي من هذا الأمر ملك الدنيا الزائل ، لكان في السودان وملحقاتها كفاية كما تعلم من اتساعها وتنوع ثمراتها ، ولكن القصد هو إحياء السنة المحمدية والطريقة النبوية). أما رسالته إلى الملكة فيكتوريا فقد ذكر فيها بأنه خليفة المهدي المنتظر القافي أثره. ودعاها إلى الإسلام قائلاً: (إن إسلمتِ واتبعتِ المهدي عليه السلام وأذعنتِ لحكمي فإني ابشرك بالخير والنجاة من عذاب السعير) وحذرها من مغبة الظن بأن جيوش المهدية تتخاذل عن نصرته ولا تستطيع الدفاع عن نفسها، (فهذا توهم فاسد وغرور كاسد فرجال المهدية رجال طبعهم الله على حب الموت فصاروا أشداء على الكفار) . وفي رسالته إلى السلطان عبدالحميد خاطبه قائلا: (ومع كونك تدعي إنك سلطان الأسلام القائم بتأييد سنة خير الأنام فمالك معرضاً عن إجابة داعي الله إلى هذا الآن، ومقراً رعيتك على محاربة حزب الله وصرفت مجهودك في إعانة أهل الأصنام على هدم أركان الإسلام) ([42]). وشن الخليفة حروباَ على الحبشة . حيث ارسل أولا الأمير حمدان ابو عنجة ، ثم الأمير الزاكي طمل الذي هزم جيش الأحباش . وتوغل حتى مدينة غندار بعد مصرع الإمبراطور يوهانس الرابع . كما حاول الخليفة فتح مصر وارسل حملة بقيادة الأمير عبد الرحمن النجومي ودخل في مناوشات عسكرية مع الإيطاليين في الحدود الشرقية للسودان([43]) . وكان الخليفة قد أبرم معاهدة مع الإمبراطور منليك الثاني ملك ملوك الحبشة وبمقتضاها تنازل منليك لحكومة الخليفة عن أراض متاخمة للسودان

لكن الخليفة أمر لاحقاً بحرق المعاهدة. ورغم علاقة العداء التي كانت بينه وبين الحبشة بعث منليك بمبعوث إلى الخليفة سلمه راية فرنسية لكي يرفعها في حدود ملكه في وادي حلفا حتى يكون تحت حماية فرنسا على غرار حمايتها على تونس والمغرب وبذلك لا تستطيع القوات البريطانية غزو السودان. لكن الخليفة تغاضى عن ذلك ([44]). وقد أدت سياسة الخليفة تجاه الحبشة إلى تغيير موازين الحكم فيها حيث انتقل الحكم من قومية التقراى بعد مصرع الأمبراطور يوهانس الذي ينتمي إليها إلى قومية الأمهرا بقيادة الأمبراطور منيليك الأول وأستمرت السلالات الأمهرية في حكم أثيوبيا حتى عام 1970 عندما أنقلب الجيش عليه بزعامة منقسنو هيلا ماريام ثم عودة التيقراي إلى سدة الحكم فيها بعد دخول قوات جبهة تحرير شعب التيقراي مع حلفائها إلى العاصمة أديس أبابا بقيادة ملس زيناوي في عام 1991م .

نجاحات وإخفاقات :

رغم التحديات الخارجية التي تزامنت مع فترة حكم الخليفة عبد الله كالمطامع الدولية من كل من إنجلترا ومصر وفرنسا والحبشة ، إلا أن فترة صاحبت نجاحات واخفاقات كحال كل تجارب الحكم والإدارة .

النجاحات :

نجح في إدارة دولته والحفاظ على حدودها في كافة الجبهات وأثر في تشكيل خارطة الأنظمة في الإقليم. ففي اثيوبيا مثلاً استطاع الخليفة تغيير نظام الحكم بقتل الأمبراطوريوهانس الرابع وإنهاء حكم مجموعة التقراي في شمال الحبشة وبإتاحة الفرصة للآمهرا لتنصيب كبيرهم منليك ملكاً على ملوك الحبشة. وعلى صعيد تأمين الدولة، أُكمل الخليفة عملية الاستيلاء على سنار لضمان ولاء المناطق الجنوبية حتى منابع النيل الأزرق كما عزز تأمين الحدود الشمالية بدعم الموقف في دنقلا ، تحسباً لهجمات الحكومة المصرية. أما في الشرق، ثارت قوات الخليفة بقيادة الأمير عثمان دقنة ضد الحاميات التركية هناك فحررت كسلا وأغارت على سواكن وواصلت نشاطها حتى تمكنت من احتلال طوكر سنة 1889م.

الإخفاقات : فتتمثل في الطموح غير المحدود في تصدير الثورة المهدية والذي كان في بعض الأحيان هو السمة الأبرز للدولة المهدية وقادتها، على سبيل المثال :

محاولة غزو مصر دون الإعداد لذلك إعداداً جيداً :

الإقدام على غزو الحبشة وهدم مملكتها دون تحقيق هدف معين (إذ لم يرسل من يقوم بدعوة الأحباش لإعتناق الاسلام ومن ثم المهدية) أوتحقيق نصر نهائي حاسم ، بإستثناء القضاء على المعارضين الذين لجأوا للأراضي الحبشية . وكل الذى حدث فتحت الجبهة الشرقية لإفريقية للإمبريالية العالمية ممثلة في الوجود الإيطالي في الشرق ، فبزوال يد يوحنا القوية اصبحت الدولة المهدية في مواجهة القوى الاستعمارية الاروبية ، ولم يمضي وقت طويل حتى قدمت بريطانيا المساعدة لحليفتها ايطاليا وذلك للقيام بعمل عسكرى في جهات دنقلا لصرف انظار الخليفة عن الوجود الإيطالي في الشرق .

دعى الخليفة الملكة فكتوريا لإعتناق الإسلام وعرض عليها الزواج باحد أمراء دولة المهدية إن هو وافق .

تضارب الأراء حول شخصية الخليفة وسياسته :

ما زال الاختلاف سائدا حول الخليفة ودوره في الحركة المهدية وسقوط السودان في يد الاستعمار. حيث تتعدد المراجع التاريخية التي تصفه بالظلم ووجهت انتقادات شديدة اللهجة إلى شخصية الخليفة وسياساته وإدارته للبلاد وذلك في حملات دعائية اثناء حياته وبعد مماته واستندت تلك الانتقادات إلى عدة جهات ومصادر أهمها:

سلاطين : هو أحد الأسرى الذين تمكنوا من الهرب من سجن الخليفة بأم درمان وهو صاحب كتاب السيف والنار وهو نمساوى قدم للسودان خلال حكم غردون باشا ، شارلس نيوفيلد الذى ألف كتاباً بعنوان فى سجن الخليفة ، إثنتي عشر عاماً من الأسر فى أم درمان .

ماتبقي من موظفي الإدارة التركية السابقة ومن بينهم إبراهيم فوزى مؤلف كتاب السودان بين يدي غردون وكتشنر .

القساوسة والرهبان ومن بينهم الأب جوزف أوهرفالدر مؤلف كتاب عشر سنوات من الأس فى معسكر المهدي .

الزعماء والقبائل والجماعات السودانية الذين دخلوا فى صراع مع الخليفة حول السلطة أو الذين تمردوا على السلطة المركزية أو الذين تعاونوا مع العدو وتعرضوا لحملات إنتقام أو تأديب من جانبه وصوره هؤلاء بأنه حاكماً متسلطاً متعطشاً لدماء ، ظالماً ، شهوانياً ومحب للسلطة كثير الشك على من حولة متوجساً وخائفاً على حكمة .

الاصوات المناوئة للخليفة والمدافعة عنه :

(1) إعترف المدافعون عنه بأنه كان قاسياَ بلا رحمة ولكن إزاء معارضيه. وهو مقارنة بالطغاة أو زعماء الدول الآخرين في عصره لم يكن أكثرهم قسوة. لقد اضطر للقسوة على الذين عارضوه، فقد كان مؤمنا مخلصا بالمهدية وكانت أقوال المهدي قانونا لديه. وقد قال عنه المهدي عند فتح الأبيض « جميع ما يفعله بأمر من النبي صلى الله عليه وسلم أو بإذن منا لا بمجرد اجتهاد منه و ليس عن هوى « وقد كان يشعر انه موجه شانه في ذلك شأن جميع من يعتقدون انهم مسخرون لتنفيذ مشيئة الله وكان يتصرف وفقا لما يعتقد انه إلهام رباني . ولم يكن يقتل رغبة في القتل وإنما حماية لنفسه وسلطته والقبائل التي حاربها الخليفة كانت قد ارتكبت افعالاً تشكل جرائم في أي نظام وتقول الكاتبة الفرنسية فيفان «يجب ألا يُلام على قسوته تجاه قبيلة سودانية كان قد أُدين أفرادها وزعمائها بجريمتين كبيرتين بمقتضى القانونين العسكري والمدني. الفرار من الجيش في وقت الحرب كالذين فروا من جيش الأمير عبد الرحمن النجومي فأصبحوا بذلك مدانين بتهمة الفرار أمام العدو وكذلك الفرار من الجهاد. ولدى عودتهم إلى ديارهم، استأنفوا أعمال السلب والنهب واستحقوا لذلك عقوبتي الاعدام والقطع من خلاف. فعقابهم لم يكن رغبة في الانتقام

وإنما كان الخليفة يطبق القانون[45] . هناك أيضاً من تخابر مع العدو وتعاون معه في إعادة استرداد السودان، أو رفض الوقوف معه ضد العدو. فالأمير عبد الله ود سعد ، رفض الإذعان إلى أوامر الخليفة بإجلاء مدينة المتمة وأعلن تمرده عليه جهرة وتعاون مع الجيش الغازي[46] . وهو ما أكده إبراهيم فوزي والأب أورفالدر بالنسبة للبطاحين عندما اشارا إلى أن رفض البطاحين دفع ضريبة العشور وقاوموا رسل الخليفة واجبروهم على الفرار وقتلوا بعض رجالهم ، مما أدى إلى غضب الخليفة وقراره بأن يتعامل معهم بأقسى اسلوب ، فأرسل إليهم قوة كبيرة بقيادة الأمير عبدالباقي الذي قبض على زعمائهم واقتاد 69 منهم إلى أم درمان حيث تم اعدامهم بالشنق وبقطع الرؤوس[47] . وبابكر بدري الذي القى اللائمة على رجال المتمة الذين ارتكبوا الكثير من الحماقات كما ذكر حيث قاموا برمي النساء في النهر حتى لا يتعرضوا للإغتصاب.

(2) وصف أعداء الخليفة ومنتقدوه نظامه بالظلم وحب الاستيلاء على ممتلكات الغير، إلا أن أنصاره يفندون ذلك بسرد قصة حادثتان لتأكيد حرصه على العدل ونفي ما يتهم به من ظلم، الأولى هي قصة زعيم العبدلاب، ناصر ود جمعة، وسيفه الشهير بصرامته وحدته. وتقول القصة بأن الخليفة سمع بالسيف وأثار بعض الحساد حفيظته على ناصر. فاستدعاه وطلب منه سيفه. وقال الخليفة عندما رأي السيف هذا سيف يبدو مثل أي سيف آخر فاخبره ناصر بأنه ورث السيف من أبيه وقتل به أكثر من أربعين شخصاً في حرب أبو روف، وهو سيف حاد يقطع من شدة حدته البندقية وحاملها إلى نصفين. أعاد الخليفة السيف إلى صاحبه وقال له: «خذ سيفك يا ناصر لأنك رجل أمين ومستقيم». فلو كان الخليفة ظالماً لما تجرأ رجل من رعاياه على تقديم شكوى ضده ولا انبرى قاضي بإصدار حكم ضده يدينه ويأمره بإعادة الحق لأصحابه[48] .

(3) أما قصة موت الأمير الزاكي طمل ، الذي كان الخليفة قد وضعه رهن الإعتقال ريثما يدرس الاتهامات الموجهة ضده. غير أن أوامره تم تجاوزها. وعندما علم الخليفة بموت الزاكي، أمر في الحال أن يزج بقاضي الإسلام، أحمد علي، الذي كان سبباً في ذلك في السجن ويعامل بالطريقة نفسها التي عامل بها الزاكي طمل حتى يموت[49]. هناك من يرى بأن الخليفة كان يشعر ببراءة الزاكي و اخلاصه ولكنه اذعن لحكم المحكمة، فقد استغرب كثيرا عن وفاته المبكرة وسأل عن سببها فقيل له إجتباس البول . وهو أمر لم يسمع به الخليفة من قبل رغم سؤاله الكثير عنه وعندما علم بحقيقة منع الطعام عن الزاكي حكم الخليفة على القاضي أحمد بأن يحبس هو الآخر في السجن حتى يموت جوعا بالطريقة ذاتها التي استخدمها القاضي أحمد لقتل الزاكي. وذكر عصمت حسن زلفو إن الخليفة قد أسف على موت الأمير الزاكي وقال: (هو الذي هزم جيش الطليان و قهره،إنه ليس بالرجل الهيّن الذي لا يؤسف على موته بهذه الصفة) [50] . ويرجع التنافس والغيرة بين أحمد ود علي والزاكي إلى اختيار الخليفة

للزاكي في تولي إمارة القلابات بدلاً عن القاضي أحمد الذي كان يتطلع لذلك المنصب لأن الخليفة رأى في الزاكي قائدا أنسب للقيام بالمهام هناك. كذلك زاد من حنق القاضي أحمد على الزاكي هو ما نقل عن الزاكي والمشهور بقوة الحجة وذرابة اللسان قوله (بأن القاضي لا ينبغي له أن يملك خيلاً، بل له فقط أن يركب حمارا) وذلك عندما شاهد مجموعة من الجياد في العاصمة أم درمان، سأل عنها وقيل له بأن صاحبها هو القاضي أحمد[51] ، وقيل هي إبل[52].. وكان أحمد ود علي قد أوعز إلى الخليفة بأن الزاكي أخذ يطغى ويجاهر بأنه هو صانع انتصارات الخليفة وأنه اتى إلى الخليفة بمغانم كثيرة من الحبشة من بينها تاج الأمبراطوو وبغاله ، وأنه قام ببناء قصر من طابقين جمع من الأهالي البيض لأستخدام صفار البيض في زخرفة جدران قصره في وقت نهى فيه الخليفة أمراءه عن البذخ في الحياة. وعندما أمره الخليفة بهدم البيت فإن الزاكي لم يهدم إلا الجزء العلوي منه، وأبقى على الجزء الأسفل[53] .

(4) ما عن اتهام الخليفة بتقريب أهله فهذا أمر طبيعي بإعتبار أنهم أكثر من يثق بهم في بلد يتربص به أعداؤه من كل جانب، خاصة بعد أن تآمر عليه الأشراف أقارب المهدي منذ أول يوم تلقى فيه البيعة بل أنهم كانوا يريدون الخلافة لنفسهم، رغم أنهم أيضا كانوا يحتكرون جميع الوظائف الهامة ومعهم زعماء قبائل الشمال والجزيرة الأخرين قبل وفاة المهدي، ولا يستثنى من ذلك سوى الخليفة عبد الله الذي أصبح، بعد وفاة شقيق المهدي، القائد العام لجميع جيوش المهدي، وأخيه الأمير يعقوب والأمير حمدان ابو عنجة والأمير عثمان دقنة . ورغم ذلك كان كثيرا ما يستشير أهل الرأي والمستشارين في الأمور الكبيرة بما فيهم من تبقى من مسؤولي الإدارة لتركية وكثيرا ما كان يعمل برأي الأغلبية منهم (54).

(5) يرفض الكتاب والمؤرخون المدافعين عن الخليفة القول بأن الصراع بين أبناء غرب السودان وسكان المناطق النيلية هو الذي أدى في النهاية إلى سقوط الدولة المهدية لأن الصراعات التي شهدها عهد الخليفة لم تكن صراعات إثنية بقدر ما كانت صراعات سياسية حول النفوذ والسلطة بين ساسة المهدية وأمرائها و تنافس وطموح شخصي لاحتكار القيادة مثلما حدث في بداية حملة مصر بين الأمير عبد الرحمن النجومي ومحمد الخيرعامل بربر ودنقلا عبد الله خوجلي وكلاهما ينتميان لقبيلة واحدة وينضويات تحت راية واحدة هي راية الخليفة شريف فاضطر الخليفة عبد الله للتدخل لفض الخلاف بينهما ففصل العمالتين وجعل على بربر محمد الخير وعلى دنقلا ود النجومي. وهو ما حدث أيضاً بين الأمير يونس الديكم وأحمد علي من جانب، ومساعد قيدوم من جانب آخر وثلاثتهم ينضوون تحت الراية الزرقاء وثلاثتهم من قبائل الغرب فتدخل الخليفة وفصل أماكنهم. كما كان الخليفة يضطر في أحيان كثيرة لفض الاشتباك باستدعاء أمير إلى العاصمة أم درمان حتى يتمكن الآخر

مـن أداء المهمـة الموكلـة إليـه كـما حـدث مـع الأميريـن يونـس الدكيـم ومحمـد عثـمان أبوقرجـة حيـث اسـتدعى الأول لتمكـين الأمـير حمـدان أبـو عنجـة مـن الإعـداد لحملـة الحبشـة واسـتدعى الثـاني حتـى يسـتطيع الأمـير عثـمان دقنـة مـن شـن هجـوم عـلى القـوات الإنجليزيـة المصريـة فى سـواكن (55) .

(6) ومـن التهـم التـي وجهـت للخليفـة مـن قبـل معارضيـه هـو حبـه لرغـد العيـش والرفاهيـة والملـذات وهـي التهمـة التـي وجهـت إليـه بسـبب تعـدد زوجاتـه ولم يكـن الخليفـة فريـد في ذلـك، بـل أن معظـم الزعـماء في العـالم الاسـلامي يسـعون إلى كسـب ولاء القبائـل المحيطـة بهـم وضـمان مكانتهـم وسـط تلـك القبائـل بمصاهـرة زعمائهـم. أمـا مسـكن الخليفة فلـم يكن قـصراً ملكيـاً مشـيداً بالرخـام، بـل كان منـزلاً عاديـاً مبنيّـاً بمـواد محليـة وهـو أبسـط من سـكن تجـار السـودان حتـى أن أحـد الكتـاب الإنجليـز وصفـه بأنـه أشـبه بمنـازل الفلاحـين في صعيـد مـصر ، وهـو أمـر لايحتـاج إلى دليـل لـكل مـن زار بيـت الخليفـة الـذي تحـول إلى متحـف.

(7) ويُتَهـم عبداللـه التعايـشي بالجهـل والأميـة رغـم أنـه جـاء مـن بيـت علـم وكان أسـلافه لعـدة أجيـال شـيوخاً معروفـين بعلمهـم وورعهـم. وأسـس جـده ووالـده مـدارس لتعليـم القـرآن ومسـاجد. وكان مـن الطبيعـي أن يمـلي رسـائله عـلى كتبتـه (56).

(8) يتهـم بأنـه كان بغيضا لشعبه : لو كان مبغوضا من شعبه لانتهزوا الفرصة للتخلص منه عندما دارت عليه الدوائر بهزيمة كرري، بيد ان الذي حدث قد أدهش تشيرشيل الذي قال ان الخليفة عندما وصل إلى الجمع الرئيسي من جيشه المهزوم بعد معركة كرري وجد الذين تبقوا من جيشه مصابين بخيبة أمل ولم يكن بإمكان من معه أن يحموه، ولم يكن مسلحا، وكان لدى جنوده أسباب وجيهة تبرر ذبح ذلك الرجل الذي تسبب في كل ما عانوه من عذاب، ومع ذلك لم يعتد عليه أحد بل وجد السلامة والترحيب بين جنوده والتف حوله الأمراء الذين نجوا من المعركة . ومرة أخرى عندما علم ان الغزاة في طريقهم إليه في أم دبيكرات أحل الذين تجمعوا معه عن بيعتهم له وعددهم 5 آلاف معلنا لهم انه قرر مقابلة العدووالاستشهاد فرفضوا اغتنام الفرصة وقاتلوا معه حتى النهاية . وبعد وفاته في عام 1899م أصبح قبره مزارا للناس مما أقلق الإنجليز قلقا بالغا حتى أن مفتش كوستي طلب من حاكم محافظة النيل الأبيض هدم قبر الخليفة.

الخاتمة :

أستعرضت الورقة مكانة الخليفة عبدالله من المهدى هذه المكانة التى أهلته ليتولي أعباء السلطة الزمنية منذ حياة المهدى وآلت اليه الاوضاع بعد ذلك على أساس الكفاءة لا القربي مما أدى الى وقوع الجفوة بينه وبين اقرباء وأهل المهدى ، حيث عانى من العديد من المشاكل طوال سنين حكمة ورغم الظروف والتحديات الصعبة التى واجهها يكفى أنه حافظ على جذوة المهدية من الإنطفاء وحافظ على إستقلال السودان طوال الثلاثة عشر عاماً التى قضاها حاكما على السودان وإن لم يستطع تنفيذ وصية المهدى فى نشر الدعوة المهدية خارج السودان وفى كل العالم ..

النتائج :

خلصت هذه الورقة الى عدة نتائج أهمها :

1. كان الخليفة عبدالله التعايشي حاد الذكاء ذا عقل راجح وطاقة لا تنفد وشجاعة لا تقهر وكذلك صبر قوي عند الشدائد، أي كان يتسم بجميع صفات القيادة والبطول.
2. رغم صفاته القيادية لم يتمكن من جعل السودان بلدا موحدا وقويا فالسودان بلدا شاسعا، تسكنه العديد من الأعراق المختلفة ومن الصعب السيطرة عليه سيطرة تامة وربما كان يمكن له أن يفعل ذلك لو أمهله الزمن .
3. إنطفاء الجذوة الروحية للمهدية التي كانت هي مصدر قوة الثورة المهدية قد انطفأت باستشهاد الخليفة في أم دبيكرات ولكن الفكرة ظلت حية ، فقد ظل تأثير المهدية باقيا طوال سنوات الاستعمار الإنجليزي وألهم الحركات الوطنية .
4. بينت المهدية انه يمكن لجميع الأعراق التي تشكل السودان أن تتجمع خلف راية يحركها هدف سام واحد، ناسين كل ما يفرقهم أو يقسمهم فقد كانت جميع قبائل السودان، حضراً وبدواً ، ممثلين بعدد قل او كثر في جيش الخليفة .
5. كما أخذت فكرة الأمة تنبثق في عقول السودانيين تدريجيا، وناضل أحفاد من شيدوا الدولة المهدية لضمان استقلال بلادهم .

التوصيات :

1. ضرورة أعادة قراءة ومن ثم كتابة تاريخ السودان بأقلام سودانية ووجهة نظر محايدة بعيداً عن التطرف والتحزب والقبلية .
2. إهتمام المراكز البحثية بالدراسات التاريخية والخاصة بتسليط الضؤ على فترة المهدية والخاصة بشخصيات ورجال صنعو المهدية .
3. التركيز على الحياة الإجتماعية فى السودان إبان قيام الثورة المهدية لفهم طبيعة المجتمع السودانى وفهم مواقفهم المختلفة من الثورة المهدية .

الهوامش:

(1) ياجي فيفان: الخليفة عبد الله وحياته وسياسته، (في الأصل بحث أعد لرسالة دكتوراة في التاريخ) (2011) كلية الآداب واللغات والعلوم الإنسانية، جامعة مونبلييه الثالثة، فرنسا، وقام بترجمة الكتاب إلى العربية الدكتور مكي بشير.

(2) نفس المرجع .

(3) لخليفة عبد الله التعايشي والثورة المهدية ، صحيفة الراكوبة ، نسخة محفوظة بتاريخ 13/1/2018م .

(4) نعوم شقير : جغرافية وتاريخ اسودان ، تقديم محمد إبراهيم أبو سليم ، دار الجيل ، بيروت 1981م

(5) محمد إبراهيم ابو سليم : محررات الخليفة عبد الله التعايشي ، الخرطوم ، مركز أبو سليم للدراسات ، 2001م .

(6) محمد بن عمر اتونسي : تشحيذ الأذهان بسيرة بلاد العرب والسودان ، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والنشر ، القاهرة 1965م

(7) نعوم شقير : المرجع السابق .

(8) فيفيان : المرجع السابق .

(9) عبد الله حسن : السودان من التاريخ القديم الى رحلة البعثة المصرية الجزء الاول إكتوبر 1935، ص298

(10) جرجي زيدان : مشاهير الشرق فى القرن التاسع عشر ج 1، مؤسسة كتاب بيروت ، 2012، ص238

(11) إبراهيم فوزى : السودان بين يدى غردون وكتشنر ، دار المؤيد .

(12) ابو سليم : منشورات المهدى .

(13) ب م هولت : دولة المهديةنفى السودان ،عهد الخليفة عبدالله التعايشي 1885ـــ1898م ، ترجمة هنرى رياض وآخرين ط بيروت ، دار الجيل ، مكتبة خليفة عطية الخرطوم 1983م، ص110/111

(14) ب م هولت : المرجع السابق نفس الصفحة .

(15) نعوم شقير : مرجع سابق ، ص668.

(16) سيد أحمد علي عثمان العقيد : الخليفة الشهيد عبدالله التعايشي وحكم التاريخ ، بين عجز الحفدة وعمالة السفلة ، مطابع العملة 2010م، ص 38 .

(17) ابو سليم : منشورات مهدية ، مرجع سابق .

(18) بين النيل والنيجر : جون هنريك وآخرون ، مجلة دراسات إفريقية ، مركز البحوث والدراسات الإفريقية ، جامعة إفريقية العالمية ، يناير 1999م .

(19) عبد الله حسن : المرجع السابق ص 298 .

(20) سلاطين باشا : السيف والنار فى السودان تعريب جريدة البلاغ ، القاهرة 1930، ص 214.
(21) نفس المرجع والصفحة .
(22) حقبة التعايشي فى الدولة المهدية 2 ، صحيفة الراكوبة ، بقلم بابكر عباس الأمين ، نسخة محفوظة بتاريخ 16/1/2018م
(23) مكي شبيكة : تاريخ شعوب وادى النيل فى القرن التاسع عشر ، دار الثقافة بيروت 1980، ص 701-703
(24) نفس المرجع ، ص701-703.
(25) شبيكة : المرجع السابق والصفحة .
(26) نعوم شقير : المرجع السابق ، ص 641.
(27) نعوم شقير : المرجع السابق ، ص641.
(28) جرجي زيدان ، مرجع سابق 143.
(29) المرجع نفسه و الصفحة .
(30) عبد الله حسن : المرجع السابق ، ص 149.
(31) شبيكة : المرجع السابق ، ص 707.
(32) جرجي زيدان : المرجع السابق ، ص 144.
(33) عبد الله حسن : مرجع سابق ص 149.
(34) سلاطين : المرجع السابق .
(35) عبد الله حسن : المرجع السابق ، ص 298 ـ 299
(36) بابكر بدرى : حياتي ، تحقيق ومراجعة بابكر على بدرى ، مطابع شركة العبيكان للنشر والطباعة 1990م ،، شبيكة ، المرجع السابق : ص 713-717
(37) شبيكة : المرجع السابق ، ص 713، 717.
(38) جرجي زيدان : المرجع السابق ، ص143.
(39) شبيكة ، المرجع السابق ص708.
(40) محمد ابراهيم ابو سليم : تاريخ الخرطوم ،د ت ، ص 110.
(41) نعوم شقير : اللمرجع السابق ، ص 642.
(42) شبيكة : مرجع سابق ، ص712،711.
(43) عبد الله حسن : المرجع السابق، ص298.
(44) يوسف ميخائيل : مذكرات يوسف ميخائيل ، التركية والمهدية والحكم الثنائي فى السودان تقديم وتوثيق د ابراهيم أبو شوك ،مركز عبد الكريم ميرغني الثقافي، طبعة ثالثة ، الدوحة 2016، ص 148. ، القدال : تاريخ السودان ،ص 185،178.
(45) فى الذكرى 113 لاستشهاد الخليفة عبد الله : فرنسية تعيد رسم الوجه الحقيقي للخليفة عبد الله ،النيلين نسخة محفوظة فى باك مشين بتاريخ 14 يناير 2018م ـ www.alnilin.com

(46) محمد حسن الفضالة، مختصر تاريخ السودان، أي يونيفرس، نيويورك, 2004م
(47) ابراهيم فوزى : السودان بين يدي غردون وكتشنر ، مجلد 1 ، مطبعة جريدة المؤيد ، القاهرة .
(48) فيفيان ياجي : المرجع السابق .
(49) يوسف ميخائيل : المرجع السابق ، ص 148.
(50) عصمت حسن زلفو: معركة كرري: تحليل عسكري لمعركة أم درمان، الخرطوم(1995)، ص 198.
(51) بدرالدين حلمد الهاشمي، أمراء المهدية ، سودارس 3يناير 2018م ، واي باك مشين.
(52) فيفيان أمينة ياجي : رجال حول المهدي ، ترجمة مكي بشير مصطفى، بيت الخرطوم للطباعة والنشر ، الخرطوم 2001م ص 89
(53) بدرالدين حلمد الهاشمي : مرجع سابق .
(54) يوسف ميخائيل : مرجع سابق ، ص 158.
(55) فيفيان ياجي : الخليفة عبدالله حياته وسياسته ، مرجع سابق .
(56) في الذكرى 113لإستهاده ، فرنسية تعيد رسم الوجه الحقيقي للخليفة عبدالله التعايشي ، النيلين نسخة محفوظة بتاريخ 14يناير2018م، على موقع واي باك مشين

المصادر والمراجع :

(1) ياجي فيفان: الخليفة عبد الله وحياته وسياسته، (في الأصل بحث أعد لرسالة دكتوراة في التاريخ) (2011) كلية الآداب واللغات والعلوم الإنسانية، جامعة مونبلييه الثالثة، فرنسا، وقام بترجمة الكتاب إلى العربية الدكتور مكي بشير . فيفيان أمينة ياجي، الخليفة عبد الله حياته وسياسته، ترجمة مكي بشير مصطفى البدري، الخرطوم، المروة للطباعة والنشر، 2011م

(2) محمد إبراهيم ابو سليم : منشورات المهدية ، ، تحقيق محمد إبراهيم أبو سليم، 1969م

(3) محررات الخليفة عبد الله التعايشي ، الخرطوم ، مركز أبو سليم للدراسات ، 2001م.
تاريخ الخرطوم ،د ت

(4) نعوم شقير : جغرافية وتاريخ السودن ، در الجيل بيروت ، 1981م.

(5) عبدلله حسن : السودان من التاريخ القديم الى رحلة البعثة المصرية ، الجزء الاول القاهرة 1935م .

(6) جرجي زيدان : تراجم مشاهير الشرق فى القرن التاسع عشر ، الجزء الأول مؤسسة كتاب بيروت ، بيروت 2012م .

(7) إبرهيم فوزى : السودان بين يدى غردون وكتشنر ، مجلد 1 ، مطبعة جريدة المؤيد ، القاهرة .

(8) مكي شبيكة : تاريخ شعوب وادى النيل فى القرن التاسع عشر الميلادى ، دار الثقافة بيروت 1980م .

(9) بابكر بدرى : حياتي ، تحقيق ومراجعة بابكر على بدرى ، مطابع شركة العبيكان للنشر والطباعة 1990م.

(10) يوسف ميخائيل : مزكرت يوسف ميخائيل ، التركية والمهدية والحكم الثنائي فى السودان ، تقديم وتوثيق أحمد إبراهيم ابو شوك ، مركز عبد الكريم ميرغنى الثقافي ، طبعة ثالثة الدوحة 2016م .

(11) محمد بن عمر اتونسي : تشحيذ الأذهان بسيرة بلاد العرب والسودان ، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والنشر ، القاهرة 1965م

(12) ب م هولت : دولة المهدية فى السودان ،عهد الخليفة عبدالله التعايشي 1885ـــ1898م ، ترجمة هنرى رياض وآخرين ط بيروت ، دار الجيل ، مكتبة خليفة عطية الخرطوم 1983م

(13) سيد أحمد علي عثمان العقيد : الخليفة الشهيد عبدالله التعايشي وحكم التاريخ ، بين عجز الحفدة وعمالة السفلة ، مطابع العملة 2010م

(14) محمد حسن الفضالة، مختصر تاريخ السودان، أي يونيفرس، نيويورك, 2004م .

(15) عصمت زلفو : عصمت حسن زلفو: «معركة كرري: تحليل عسكري لمعركة أم درمان »، الخرطوم(1995).

مواقع على الشبكة العنكبوتية .

(1) موقع سودارس .
(2) موقع النيلين .
(3) وكيبيديا الموسوعة الحرة .

الأسر التجارية في مدينة جدة قبيل عهد الملك عبد العزيز

د. هدى علي يحيى أبوعقار
أستاذ مساعد - قسم التاريخ - كلية العلوم الاجتماعية -جامعة أم القرى
المملكة العربية السعودية

المستخلص:

يهدف هذا البحث لتسليط الضوء على أبرز الأسر التجارية في مدينة جدة قبيل عهد الملك عبد العزيز آل سعود، وبيان أهمية دورهم الاقتصادي والسياسي والثقافي والخيري في مدينة جدة، كما تضمنت الدراسة نبذة موجزة عن جغرافية مدينة جدة وتاريخها السياسي والاقتصادي. وأخيراً أختتمت الدراسة بأهم النتائج التي توصلت إليها الباحثة ومنها الأهمية الاقتصادية لمدينة جدة وأثر موقعها الاستراتيجي على الأسر التجارية.

الكلمات المفتاحية: جدة، الأسر التجارية، آل زينل, قابل,نصيف, جمجوم,الطويل,ب اناجة, آل زاهد.

Commercial Families in the city of Jeddah before the Reign of King Abdulaziz

Dr. Huda Ali Yahya Abu Aqar

Abstract:

The current research aims to discuss the most prominent merchant families in Jeddah before the reign of King Abdulaziz Al Saud and to demonstrate the importance of their economic, political, cultural and charitable role Jeddah. It also included a brief overview of the geography of Jeddah and its political and economic history.Finally, the study concluded with the most prominent findings reached by the researcher, including the economic importance of Jeddah and the impact of its strategic location on merchant families.

Keywords: Jeddah - Merchant Families - Al Zainal - Qabil - Naseef – Jamjoum - Al Tawil - B Anajah - Al Zahid.

المقدمة:

الحمدُ لله ربِّ العالمين، والصلاةُ والسلامُ على نبيّنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد:

إن المهتمَّ بتراث جزيرتنا العربية يدرك - للوهلة الأولى- أهمية ذلك التراث وسعة ميدانه، وأنه حتى الآن لم يحظَ بالعناية المرجوّة له، فهناك أُسرٌ تاريخية في شبه الجزيرة العربية احتوت تراثًا سياسيًا واقتصاديًا وثقافيًا لم تجد طريقها إلى أيدي الباحثين والدارسين بعد، أو اقتصر بعضهم على جزء يسير، ولم يسلط الضوء على الصورة التاريخية الكاملة لهذه الأُسر. ومنطقة شبه الجزيرة العربية بمدنها المختلفة أخرجت لنا أُسرًا ساهمت في قضايا هامة في القرنين 15-14هـ/20-19م على المستوى السياسي والاقتصادي والثقافي، وكان من هذه الأُسر أسرة زينل,نصيف ,جمجوم ,آل

زاهد,باناجة و آل قابل و غيرها من الأسر الشهيرة في جدة؛ وتعد هذه من الأسر الغنية المعروفة التي تمتد أعمالها ونشاطها التجاري بين الحجاز والهند وباريس ولندن وموانئ الخليج العربي.

أولاً: التمهيد:

يجدر بنا أن نقدم لموضوع البحث المسمى نبذة تاريخية عن الأُسَر التجارية في جدة ودورها في الحياة العامة فيها قبيل عهد الملك عبد العزيز آل سعود لمحة جغرافية وتاريخية عن مدينة جدة التي تعد بوابة الحجاز الرئيسية وتقع ضمن نطاقه حيث برزت منها الأسر التجارية التي كان لها دور ريادي فيها بفعل العوامل الجغرافية والسياسية والاقتصادية.

فمن الناحية الجغرافية: تقع جدة على الشاطئ الشرقي للبحر الأحمر على خط طول 21° - 30 ° شمالاً وخط عرض -16° 19° شرقاً في المنطقة الغربية من المملكة العربية السعودية ([1]).

وجدة شأنها شأن كثير من المدن التي تقع على سواحل تلك البحار، التي تعتبر من الشرايين المائية الهامة، عندما استخدمتها حركة التجارة العالمية على مر العصور، ولاشك أن ذلك الموقع كان له أكبر الأثر في تاريخ هذه المدينة، كميناء هام ذي نشاط تجاري بارز عبر الأزمان المتعاقبة[2].ويقع ميناء جدة في منتصف الساحل الشرقي للبحر الأحمر تقريبا ([3]),أما فلكياً فهو يقع على خط عرض 29° 21°- درجة شمالاً,وخط طول -11° 39° شرقاً, كما أن الميناء والمدينة على السهل الساحلي الجنوبي للحجازمقابل مكة المكرمة([4]). ويعتبر ميناء جدة من أهم وأقدم الموانئ الإسلامية حيث يرجع تاريخ إنشائه الى العصر الاسلامي الأول، وبالتحديد في عهد الخليفة الثالث عثمان بن عفان رضي الله عنه. وكانت مدينة جدة قبل الاسلام يسكنها وماحولها قبيلة قضاعة,فلما كانت سنة 26هـ/647م أمر الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه بجعلها ميناء لمكة بدلاً من الميناء السابق الذي كان يسمى الشعيبة,ويقع على بعد عشرين كيلو مترا من جنوب جدة,وسبب ذلك أن ثغر الشعيبة كان كثير الشعب وكانت هذه تعوق حركة السفن مع خطورة الدخول والخروج منه([5]). ونتيجة لوقوع جدة على البحر الأحمر، فقد اتصف مناخها بالتأرجح بين مناخ البحر المتوسط والمناخ الموسمي المتميز بارتفاع نسبة الرطوبة صيفا.

أما المطر فانه قليل، ويتساقط بين شهري أكتوبر وأبريل، وكانت تشكل الفيضانات المفاجئة مشكلة يتم التخلص منها عن طريق قناة تصريف،أنشئت لهذا الغرض([6]). وتعد مدينة جدة من المدن التاريخية العظيمة التي ضربت في بطن التاريخ قروناً عديدة, وقد أورد المؤرخون روايات كثيرة حول بداية ظهور مدينة جدة وتسميتها, ولا يتسع البحث لذكرها ولكن الراجح منها بأنها تعود في نشأتها الأولى الى طائفة «حواتين»,وهم عرب مجاورون لهذه المنطقة التي دبت فيها الحياة وكونت فيما بعد ماسمي جدة, والذي يظهر لنا أن بداية الحياة في هذه المنطقة كانت متواضعة, وذلك عندما اتخذت هذه الطائفة العرائش([7]) البسيطة مساكن لها تحميها من التقلبات الطبيعية المختلفة, وتأوي أفراد اليها بعد رحلاتهم للصيد في عرض البحر([8]). وتعود أهمية جدة الرئيسية إلى أنها مرسى مناسب لاستقبال الحجاج الى مكة التي تبعد 46ميلا,بالاضافة إلى موقعها الفريد في منتصف الساحل الغربي للجزيرة العربية على البحر الأحمر-الذي يفصل آسيا عن أفريقيا, والمتصل

بالبحر المتوسط المطل على حضارات الغرب الحديثة, وبحر العرب والمحيط الهندي-الى أن أصبح ميناء جدة مركزا تجاريا عظيما بين الشرق والغرب يعج بالبضائع المختلفة من المنسوجات والتوابل والصناعات القديمة المختلفة والذهب وألألئ, كما أن موقعها كبوابة للحرم الشريف, أو دهليز للبيت العتيق جعلها على مدى قرون طويلة محطا للرحال ومرسى للسفن, ومناخا للإبل, وراحة لقوافل الحجيج والمعتمرين والتجار في رحلات الذهاب والعودة من بقاع شتى, أضف إلى ذلك أن موضع جدة الآثير أمام فتحة فريدة في جبال السروات الممتدة كالحاجز أو الحجاز, جعلها ميناء لوسط شبه الجزيرة العربية وقلبها([9]).

أما من الناحية السياسية: فقد تمكن السلطان العثماني سليم الأول([10]) في أوائل القرن العاشر الهجري السادس عشر الميلادي من القضاء على دولة المماليك التي كانت تحكم الحجاز، عندها أصبحت الحجاز-وجدة بالتالي-تحت السيادة العثمانية, فيرسل إليها السلطان والياً من قبله([11]), وظل الحجاز ولاية عثمانية يحكمها أشراف مكة والمدينة مع بعض الولاة العثمانيين, إلا أنه في القرن الثالث عشر الهجري و أواخر القرن الثامن عشر الميلادي أخذ الخلاف يشتد بين الدولة العثمانية والدولة السعودية الأولى في نجد وبين أشراف الحجاز([12]), حتى تمكن الأمير سعود بن عبد العزيز([13]) عام 1217هـ/1803م من دخول مكة, وكان الشريف غالب([14]) قد سبقه بالخروج منها إلى جدة متحصنا بها, مما دفع الأمير سعود إلى فك الحصار عنها والعودة إلى نجد تاركا بعض جنده في مكة, لكن الشريف غالب استطاع دخول مكة بعد رحيل الأمير سعود عنها, بيد أن السعوديين ما لبثوا أن حاصروها في أواخر1219هـ/ 1805م, وظل حصارهم مضروبا عليها حتى أوائل سنة 1220هـ/1805م,حيث سعى بعض أهل الاصلاح بالصلح بين الطرفين, وتمخض سعيهم عن قبول الشريف غالب لأن يبقى في امارة الحجاز تابعا لأهل نجد([15]), وخضعت جدة بمقتضى هذا الصلح للحكم السعودي وتولاها نيابة عنهم الشريف غالب حتى سنة 1226هـ/1811م([16]). وفي عام 1226هـ/1811م أصدر السلطان العثماني محمود الثاني[17] أوامره إلى محمد علي باشا([18])- والي مصر-بتجهيز جيش لقتال السعوديين واسترداد الحجاز والحرمين الشريفين من قبضة السعوديين, وقد حشد محمد علي جيوشه من الاتراك العثمانيين والمصريين تحت قيادة ابنه طوسون([19]) لاستخلاص الحجاز, واستطاع بمساعدة الشريف غالب له وبعد جهود حربية من السيطرة على جدة في عام 1228هـ/1813م([20]). ومنذ هذا التاريخ وقعت جدة تحت حكم محمد علي حتى عام 1256هـ/1840م,ففي هذا التاريخ أعيد الحجاز إلى الحكم العثماني المباشر مرة أخرى([21]),واستمر الحال على ذلك حتى اندلعت الثورة العربية, حينما أطلق الشريف حسين([22]) أول رصاصة في التاسع من شعبان عام1334هـ/10يونيو1916م,لتعلن مطالبة الحجاز بالاستقلال التام عن الأتراك, وكانت حامية جدة اسبق الحاميات التركية الى التسليم, اذ كانت هناك ثلاث بوارج بريطانية تساعد المهاجمين من الثوار الحجازيين على ضرب تحصينات الأتراك, مما اضطرهم إلى التسليم بعد ثلاثة أيام من بدء الحصار, ثم انهارت الحصون التركية بعد ذلك الواحد تلو الآخر في مكة والطائف ثم في المدينة المنورة بعد فترة([23]).

ومن الناحية الاقتصادية: فمجتمع جدة يعد مجتمعا تجاريا من الطراز الأول, فقد تشربت نفوس أبنائه التجارة, وأضفت لحياتهم يسرا وسعة, وقد أملت ظروف المدينة الانفتاح والاختلاط نحو العالم, فامتدت تجارتهم إلى الخليج العربي ومصر واليمن وأفريقيا, ثم ما لبثت أن وصلت إلى أوروبا, ولهذا اجتذبت جدة العديد من التجار والبيوتات العربية وغير العربية من نجد وحضرموت وإيران والهند وجنوب شرق آسيا, إضافة إلى الدولة العثمانية والمغرب وإفريقيا وأوروبا[24], وهذا ما يفسر تعدد أصول طائفة التجار في جدة من اشراف ومصريين ومغاربة وهنود وحضارم وحجازيين وتجار القرى والبوادي[25].وحقيقة أن الأسر التجارية لم تكن بمعزل عن نظام الطوائف كنظام اجتماعي فائق الأثر, عظيم الرسوخ في تكوين الحضارات المختلفة.

ثانياً: الأسَر التجارية في جدة ودورها في الحياة العامة :

عندما يعمد المؤرخون لكتابة تاريخ الدول والأمم يتضح الدور الريادي لأصحاب الاسهامات الاجتماعية في ميادين العلم والفكر والسياسة والإصلاح؛ لأن تاريخ النوابغ والأفذاذ جزء هام, ولا يغفل من تاريخ أممهم, خاصة بما تركوه لأممهم من بصمات عميقة في شتى حقول العمل لتكون نبراسا تقتدي به الأجيال القادمة[26]. وانطلاقا من هذا التصور يظهر دور الأسر التجارية في جدة, و ستعرض الباحثة أشهر الأسر التجارية التي كان لها دور في الحياة العامة في جدة قبيل عهد الملك عبدالعزيز ومن أهم هذه الأسر:

1 -أسرة آل زينل:

من أقدم البيوت التجارية بجدة, وأكثرها ثراءً, ذات علم ومال, استمرت تجارتهم ما يقارب قرن من الزمان, وقد اختلفت المصادر في أصلهم ما بين عربي وفارسي, بينما وفق بعضهم بين هذا وذاك, وارجع البعض أصلهم العربي لانتمائهم إلى قبيلة سهم القرشية, وسهم هو ابن عمرو بن هيقص بن كعب بن لؤي, ويقول الشاطري: «وقد اتصلت قبل سنوات بالحاج يوسف زينل علي رضا عميد الأسرة إذ ذاك, فأكد لي ذلك وقال: ننتمي إلى قبيلة سهم», «وذكر أن الجد الأكبر الحاج علي أكبر كان تاجرا معروفاً في مدينة جدة, ثم هاجر هو وأفراد أسرته من الحجاز إلى إيران, وأقام في بلدة بستك, وهي إحدى المدن السنية في إيران, تتبع المذهب الشافعي على الحدود الغربية القريبة من مدينة المحمرة, وهي ما يعرف الآن بإقليم عربستان, وكان يحكمها حاكم عربي اسمه خزعل[27] « [28].,وقيل انهم سكنوا شط العرب لسنوات طويلة, ثم عاد بعض أفراد الأسرة إلى الحجاز موطنهم الأصلي القديم. وقد هاجرت هذه الأسرة منذ زمن بعيد, واستقرت في مدينة جدة ميناء الحجاز المشهور ومدينة التجارة منذ القدم[29]. وفي الواقع لم يتضح للباحثة أصول هذه الأسرة وظروف هجرتها من الحجاز إلى إيران ومن إيران إلى الحجاز والذي يكتنفه الكثير من الغموض؛ وذلك لتضارب أقوال وآراء المؤرخين وتفرع أبناء الأسرة في مناطق الخليج العربي وإيران والحجاز من جهة, وعدم اثبات أصل الأسرة الهاشمي من أبنائها من جهة أخرى.

أما ما يتعلق بهجرتهم فلم تقف الباحثة على تاريخ هجرتهم، وربما لو اتضح زمن هجرة هذه الأسرة لعرفنا اصولها واسباب هجرتها من الحجاز إلى إيران، ومن إيران إلى الحجاز، ولكن بما

أن الأسرة تعمل بالتجارة فقد تكون التجارة سبباً لهجرتهم. وبأي حال اتجهت هذه الأسرة إلى جدة, وفيها ذاع صيتها, وعظمت تجارتها ونفوذها حيث كانت قريبة من السلطة([30]), ومن أهم رجال هذه الأسرة:

الحاج زينل علي رضا:

كان من أكبر تجار جدة وقد أسس مع شقيقه الأصغر الحاج عبد الله علي رضا بيتهم التجاري في مدينة جدة, أمتاز بأعمال البر والإحسان في مجتمع جدة حيث عرف عنه بأنه كان يبذل الكثير من أجل الفقراء والمساكين, وله مواقف مشرفة أثناء الحرب السعودية الهاشمية([31]).

الحاج عبد اللّه علي رضا:

ولد في الربع الأخير من القرن الثالث عشر الهجري التاسع عشر الميلادي([32]) كان قائم مقام جدة في ثلاثة عهود سياسية مختلفة العثماني, الهاشمي, والسعودي- ولم يكن يتقاضى مرتبا لعمله الحكومي وإنما كان يخدم المنصب بصورة شرفية فلقد كان واسع الثراء و كان تاجراً مخضرم فقد تولى الإدارة الفعلية لبيتهم التجاري مع أخيه زينل علي([33]), ولقد ساهم الحاج عبدالله علي رضا في استخلاص الأعمال التجارية من أيدي التجار الأجانب, فكانت هناك بيوت تجارية أجنبية كثيرة في مدينة جدة: إنجليزية, وفرنسية, وهولنية, وايطالية. وكانت هذه البيوت تتولى وكالة البواخر المختلفة التي ترد إلى مدينة جدة وكان الحاج عبد الله علي رضا من أوائل التجار الذين فكروا وعملوا لاستخلاص بعض هذه التوكيلات من أيدي الأجانب مفتتحا بذلك وكالته التجارية للبواخر وهو أمر كان يعتبر في ذلك الزمان عملاً عظيما بلا مراء. وأمتاز الحاج عبدالله بالتواضع و بأعمال البر والإحسان([34]),تم منحه الرتبة الثالثة من قبل الباب العالي نظراً لحسن خدماته عام 1317هـ/1899م([35]).

توفي رحمه الله بالطائف عام 1352هـ/1933م,وصلى عليه الملك عبدالعزيز([36]) ودفن في مقبرة عبدالله بن عباس([37]).

محمد علي زينل علي رضا:

الابن الأكبر للحاج زينل علي رضا, ولد في جدة عام 1300هـ/1383م,من أكبر تجار مدينة جدة وأبرزهم, تعلم القراءة والكتابة في دار والده على أيدي بعض علماء عصره كما بدأ دراسته اللغة الإنجليزية والفارسية على أيدي من يعرفونها ممن يعملون في بيت والده التجاري وكان مجاله الطبيعي بعد هذا العلم المحدود أن يعمل في تجارة أبيه وعمه موظفا يتدرج في الأعمال حتى يستطيع أن يمسك زمام الأمور, ولكن محمد علي زينل كان شغوفاً بالعلم منذ الصغر فأستأذن من أبيه في السفر إلى مصر والالتحاق بالجامع الأزهر ولكن والده لم يوافق على ذلك ,ولكن محمد علي زينل خرج من جدة إلى مصر دون علم أسرته ولكن تمكن والده من اعادته إلى جدة([38]), وبعد عودته عمل بالتجارة وخطط لنفسه القيام بتجارة واسعة مركزها بومباي في الهند وتمتد فروعها ومكاتبها في بلاد الخليج العربي حيث يشتري اللؤلؤ من مغاصاته في الخليج ويقوم ببيعه في الهند([39]) حتى أتسعت تجارته لتشمل معظم مدن أوروبا حيث أصبح معروفا في

عالم المجوهرات واللآلئ[40],ولكن ظهور اللؤلؤ الصناعي في اليابان كان له أثره الواضح في القضاء على تجارته؛ مما أدى إلى انخفاض أسعار اللؤلؤ الطبيعي بشكل كبير؛ حيث استمر في شراء اللؤلؤ بكميات كبيرة من تجار الخليج, ولكنه أصبح مع الوقت غير قادر على تصريفه كما كان في السابق, فتدهورت تجارته, وسلم كل ما لديه من اللآلئ والأحجار الكريمة إلى البنوك مقابل ديونه[41] .

ولرغبة محمد علي زينل بالنهوض بالتعليم في جدة فقد كان يقدم المساعدات المالية للمدارس التي قامت قبل مدرسة الفلاح , فقد قدم مساعدة مالية لمدرسة النجاح[42] والتي كانت تعتمد على التبرعات من أهالي جدة وكان على رأس هؤلاء المتبرعين محمد علي زينل[43],وأسس محمد علي زينل مدرسة الفلاح بجدة في 9شوال سنة 1323هـ الموافق 7ديسمبر سنة 1905م[44],وقد تولى مؤسس المدرسة دفع جميع النفقات الخاصة بالمدرسة لفترة طويلة, وساهم بعد ذلك الكثير من أهالي جدة بدفع مبالغ مالية ساهمت إلى حد كبير في استمرار المدرسة وتطورها[45]. ولقد عرف عن محمد علي زينل بأنه نصير المعوزين والمحتاجين حيث كان مخلصا وأمينا ومعينا للفقراء [46].

توفي رحمه الله في بومباي بالهند بتاريخ 2شعبان 1389هـ /8 نوفمبر 1969م ودفن بها[47].

ومن دلائل تماسك الأسر التجارية في جدة تمكنهم من قبل تولية الملك علي, على الحجاز, من تأليف حزب وطني, وكان هذا الحزب ألف بطريقة انتخاب أعضائه الثلاثة عشر وكان من بين أعضائه قاسم زينل, وعبد الله رضا, كذلك شاركت أسرة آل زينل في تأسيس نادي مجتمعي عرف بنادي الصلاة في جدة أيام حكم الملك حسين بن علي[48] وهو نادي علمي اجتماعي انتظم فيه الكثير من كبار السن من أهالي جدة[49].

يقول أمين الريحاني:»إن عدد أعضاء هذا النادي سبعة، من أعيان جدة, وكان النادي يعنى برياضة الجسم, في حمل كرة ثقيلة من حديد و رميها, وبرياضة الفكر بالمذاكرة, وبرياضة العقل في مطارحات الشعر والأدب والتاريخ», وذكر الريحاني أسماء أعضائه ويصف كلا منهم بما يراه منسجما مع شخصيته:

فأول أعضائه الحاج زينل علي رضا الذي يحترمه كبار التجار, ويعرفه ويحبه كل الأولاد في جدة, لاختصاصه لهم في عيد رمضان بقسم من كسبه في تجارته. وثانيهم: أخوه الحاج عبد الله,قائم مقام جدة,وهو حكيم الحلقة الأكبر وصاحب فكرة توازن العقل والروح والجسد[50].

أما محمد علي زينل فقد كان يرعى هذا النادي والذي كان شبيها بمدرسة للكبار[51], فقد كانوا يتبادلون الأحاديث في مختلف الشئون السياسية والتجارية والأدبية والدينية[52].

2 -أسرة قابل:

بدأ هذا البيت بداية متواضعة، لكنه نجح بجهد وتفاني الشيخ سليمان وأخيه عبدالقادر حتى اصبح علما من أعلام الحجاز عامة وجدة خاصة, وقد بلغ من كرمهم ونبل أخلاقهم أنهم كانوا يقيمون موائد الإفطار في رمضان يجتمع فيها كبار التجار والأعيان؛ وذلك لتوثيق الروابط الاجتماعية بينهم. وكان سليمان قابل من أبرز رجال هذه الأسرة فقد كان يمارس الأمور المتعلقة بالتجارة في العهد الهاشمي حيث كان على رأس الإدارة الخاصة بإصدار تراخيص الاستيراد كما كان

رئيسا للبلدية. ولقد كان منزل آل قابل من المنازل القليلة التي تضاء بالكهرباء في وقت لم تكن فيه الكهرباء معروفة إلا في منازل السفارات والشركات الأجنبية(53). وبذلك ساهمت أسرة آل قابل بإدخال بعض مظاهر الحضارة على جدة. وقام سليمان قابل من افتتاح شارع قابل المعروف باسم أسرته وهو من أهم شوارع جدة، وقد كان قد أشترى هذا الشارع من الملك علي بن الحسين الذي كان بحاجة للمال لإمداد جيشه في الحرب السعودية الهاشمية. وكان لسليمان قابل حضور سياسي في جدة وذلك بعد أن أصبح عضوا في الحزب الحجازي الوطني، كما كان له حضورا هو وأخيه عبدالقادر قابل في مجتمع جدة فقد كانا من أعضاء نادي الصلاة (54),ولقد وصف الريحاني سليمان وعبد القادر قابل بأنهما أنيقان، آخذان من الحضارة والدين نصيب وافر (55).

توفي سليمان قابل رحمه الله في أعقاب عودته من مصر حيث سافر إليها للعلاج من مرض أصابه وكانت وفاته نذيرا بانطواء تاريخ الأسرة (56).

3 -أسرة نصيف:

بيت علم وثروة, وعمر نصيف أفندي كبير جدة في أوائل القرن الرابع عشر الهجري, ثم خلفه عمر نصيف (1327-1237هـ/1908-1822م)كوكيل لأمير مكة في جدة في عام 1289هـ/ 1873م. رزق عمر نصيف بست بنات, فتزوج بثانية أنجبت له ولدا(حسين نصيف), لكنه توفي وهو شاب وقد رزق بولد, ويعد (الشيخ محمد نصيف)الحفيد الذكر الوحيد لأفندي, توفي عمر نصيف عام 1323هـ/1905م,وقد ترك لحفيده ثروة طائلة, وكان وجيها من وجهاء جدة, ومقصد لعلية القوم عند قدومهم لجدة, عُد منزلهم معلما بارزا في جدة, ومقصدا للزائرين, ومحصنا لكبار الشخصيات والسلاطين, والملوك والأمراء, فهو قصر الضيافة في جدة في وقت خلا من الفنادق, كما كان الوالي التركي يقصده للإقامة فيه خاصة في فصل الربيع(57).

الشيخ محمد حسين نصيف:

ولد عام 1302هـ/1884م,فتولى جده رعايته, وحفاظا على الدور الذي كان يقوم به قصر نصيف حرص والي جدة راتب باشا على أن يكون من نصيب الشيخ محمد نصيف لأنه الشخص الوحيد من الورثة القادر على ابقائه مستعدا لاستقبال الضيوف من الملوك والعظماء(58).

كان محمد نصيف وكيلا للأتراك والأشراف بجدة, وبعد أن أستقل الحسين بن علي بإمارة مكة عينه وكيلا له بجدة(59), وكان محمد نصيف عضوا في الحزب الحجازي الوطني و عضوا في نادي الصلاة, ولقد وصف محمد نصيف نادي الصلاة فقال: «إن نادي الصلاة, ناد خلوي, موقعه أمام الثكنة العسكرية.....يجتمع عليها أعيان جدة-وكنت أحدهم- من قبل صلاة المغرب إلى ماب عد غروب الشمس وبه يصلون المغرب, ومن هنا جاءت تسميته المذكورة, ويتبادلون الأحاديث في مختلف الشئون السياسية والتجارية والأدبية والدينية, وكل أعضائه شيوخ»(60).

كان الشيخ محمد مثقفا كثير الاطلاع، عد مرجعا للكثير من المعلومات التاريخية، كما عرف «بأمير الكتب» و»بدائرة المعارف الناطقة», وقد حوى القصر مكتبة كبيرة تضم مختلف العلوم والفنون, حيث كان يقضي معظم وقته هناك(61).

محمد صالح نصيف:

ولد بمدينة جدة 1310هـ/1892م، كان رئيس بلدية جدة في عهد الشريف الملك علي بن الحسين، كان رائدا من رواد الصحافة في الحجاز وإن لم يكن هو من رجال القلم ولا من أعلام الأدب والكتابة, إلا أنه كان السابقين إلى اصدار الصحف في الحجاز([62]),وقد أصدر جريدة بريد الحجاز في عهد الملك الشريف علي بن حسين عام 1343هـ/1924م بجدة لتكون لسان حال الحزب الوطني الحجازي والناطق الرسمي له([63]). وتوفي محمد نصيف عام 1391هـ/1971م,ومن أفراد هذه الأسرة كذلك محمود حسين نصيف, والد الشيخ حسين نصيف صاحب كتاب ماضي الحجاز وحاضره([64]).

4 -أسرة آل جمجوم:

بيت تجاري يعود أصله إلى مصر, ويصنف من تجار جدة المتوسطين, أسس بيتهم التجاري الشيخ عبد العزيز صلاح جمجوم بعد قدومه إلى جدة, وقد نجح مع اخوته في انعاش البيت التجاري, وعرف عنهم في جدة بأنهم تجار مرموقين, ومن أبناء الشيخ عبد العزيز جمجوم الشيخ عبد الرؤوف جمجوم وأخوه الشيخ محمد صالح جمجوم, و لمناقب هذه الأسرة ودورها بالمجتمع سمي حي كبير بحي الجماجمة في البغدادية([65]), ومن أهم رجالات هذه الأسرة:

الشيخ عبد الرؤوف جمجوم:

ولد بجدة بمدينة جدة عام 1299هـ/1882م,تعلم الكتابة والقراءة والعلوم الدينية, وبعد أن أتم تعليمه عمل في بيتهم التجاري يساند والده حيث أمتلك سياسات المهنة فقد حسن الخط جيد الحساب, وعندما توفي والده اضطرته الظروف الاقتصادية للعائلة أن يعمل كاتبا عند عدد من البيوت التجارية, كما عمل إلى جانب الكتابة بالتجارة في بيتهم التجاري إلى جانب أخوته, فضلا عن اشتغاله في الدلالة بين التجار, وهذا يدل على علو همته, وإصراره على النجاح, و كان الشيخ عبد الرؤوف أحد المعاونين لتأسيس مدرسة الفلاح فقد وقف إلى جانب الحاج محمد علي زينل والذي جعل من الشيخ عبد الرؤوف عضوا في ادارة مدارس الفلاح([66]), ومن أهم آثاره التي تذكر له حينما مرت المدرسة بأزمة مالية خانقة نتيجة توسع متطلباتها, فقد كتب في وصيته بأن: «كل من يتزوج من آل جمجوم يدفع للفلاح مبلغ خمسين جنيها تمثل تكاليف الزواج, وفي حال وفاة أحد أسرة آل جمجوم تدفع عشرين جنيها»([67]).

توفي عام 1338هـ/1920م بمكة المكرمة ودفن بمقبرة المعلاة([68]).

الشيخ محمد صالح جمجوم:

ولد عام 1303هـ/1885م,رافق أخاه الشيخ عبد الرؤوف في جلب الفلاحين من بيوتهم للدراسة الليلية, وكان هو وأخوه يتوليان القيام بشئون المدرسة كوكلاء مفوضين من الحاج محمد علي زينل,و بعد وفاة أخيه آلت إليه مهمة بيت آل جمجوم التجارية. ومهمة إدارة مدارس الفلاح وظل يديرها حتى توفاه الله عام 1363هـ/ 1944م ([69]).

5 -بيت باناجة:

من أشهر البيوت الحضرمية التي تميزت بتعدد هجرتها وفقا للمتطلبات السياسية والاجتماعية, وعميد الأسرة هو الشيخ يوسف باناجة أحد كبار التجار بجدة قبل عام

1275هـ/1858م,واسع الثراء, امتد نشاطه التجاري إلى القاهرة وإسطنبول, وقد لجأت حكومة الحجاز للاقتراض منه في أوقات الأزمات, تغير مجرى حياة الأسرة بعد مشاركة الشيخ يوسف في حادثة مذبحة جدة؛ حيث حكم عليه بالنفي إلى جزيرة قبرص التي توفي فيها, وله ثلاثة أبناء محمد, وعبدالله, وعبدالرحمن, ولقد كان عبدالله من أهم رجال هذه الأسرة, فقد ولد عام 1270هـ/1854م,ورافق والده في منفاه بقبرص وكانت تابعة للدولة العثمانية, ووتلقى تعليمه بها وأتقن اللغة التركية, عاد أخوته إلى جدة ,وسافر هو إلى تركيا وأشتغل بتجارة المجوهرات فوجد طريقه للبلاط السلطاني, وأصبح مقربا من السلطان عبد الحميد([70]), وبعد وفاة أخيه الأكبر عاد إلى جدة رئيسا للعائلة, ولكنه غادر منها عام 1334هـ/ 1916 م حينما تولى الملك حسين بن علي على الحجاز([71]) وكان سبب خروجه منها ولائه للأتراك, لكنه دفع بإبن أخيه أحمد أفندي باناجة ليكون وزيرا للمالية عند الحسين بن علي والذي كان يطلق عليه الوزير الحضرمي([72]). ولقد كان للشيخ عبد الله باناجة نشاطات خيرية واسعة من بينها إنشاء رباط بحارة الشام لسكنى الأرامل([73]). وتوفي الشيخ عبد الله باناجة بالقاهرة عام 1344هـ/1926م.

6 -أسرة الطويل:

وبرز منها الشيخ محمد الطويل والذي ولد في أوائل القرن الرابع عشر الهجري الموافق القرن العشرين, كان من أهم تجار جدة ذو أصول نجدية وكان في بداية شبابه موظفا بدائرة الجمارك في العهد العثماني, عُد شيخا للتجار بعد ذلك, زكان أحد الرجال الذين أعتمد عليهم الملك حسين بن علي لدى قيام الثورة على الحكومة العثمانية عام 1334هـ/1916م وتولى منصب ناظر على عموم الرسوم بما فيها رسوم الجمارك في العهد الهاشمي([74]),ويعد مصرف الحكومة فيقرضها بما تحتاج إليه, قال الريحاني عنه: «إنه لا يوجد اختصاصي أوروبي يفوق الشيخ محمد الطويل في علمي الإدارة والاقتصاد, ولا يفوقه يقينا في النزاهة([75])».

ساند الفقراء والمحتاجين, وكان وسيطا للغارمين والمساجين, ولبسط يده في تقديم العون جرى عليه وقت كان يتدين فيه من أجل ذلك. عُد بيته بمثابة محكمة صغيرة لحل المشاكل الاجتماعية([76]),كما كان رئيسا للحزب الوطني الحجازي, و أحد أعضاء نادي الصلاة بجدة([77]).

سافر إلى فيينا للعلاج لكنه توفي عام 1381هـ/1962م, ودفن بجدة ([78]) .

7 -أسرة آل زاهد:

بيت زاهد واحد من أكبر البيوت التجارية بجدة, تمثلت تجارة آل زاهد في تأمين الاحتياجات الغذائية بالاستيراد من الهند ومصر والعراق, ومن أشهر رجال أسرة آل زاهد محمد محمود زاهد عميد الأسرة وكان شخصية متواضعة محبة للخير, وكان يعول المئات من الأسر المحتاجة مع محاولة إبقاء أمرها طي الكتمان([79]), كما كان أحمد زاهد أحد المدرسين بمدرسة فلاح جدة عند تأسيسها([80]). وُجدت أيضا أسر تجارية أخرى في جدة مثل أسرة آل قزاز وآل المشاط وآل الفضل وآل البسام وبقشان والصبان وباعشن وأبو زنادة والدباغ وبن زقر, وغيرها من الأسر التي ظهرت بعد ذلك.

النتائج:

خلصت هذه الدراسة إلى عدد من النتائج، أهمها:

الأهمية الاستراتيجية لمدينة جدة.

يعد مجتمع جدة مجتمعا تجاريا من الطراز الأول.

اثر الموقع الاستراتيجي لمدينة جدة على الأسر التجارية.

كان لبعض الأسر التجارية دوراً اداريا وسياسياً في العهد العثماني والهاشمي في مدينة جدة مثل أسرة آل زينل وقابل والطويل وباناجة, وبعضها الآخر أسهم في مجال التعليم والثقافة مثل أسرة زينل وجمجوم ونصيف وغيره.

الهوامش:

(1) عبد القدوس الأنصاري: تاريخ مدينة جدة,(ط3,القاهرة,دار مصرللطباعة,1402هـ/1982م),ص17.

(2) أحمد الزيلعي: مكة وعلاقاتها الخارجية 487-301هـ(ط2,الدار العربية للموسوعات, بيروت, 2004م), ص 16.

(3) محمد فارسي: نظام بيئي متغير,(د.ط, اصدار أمانة مدينة جدة ,ادارة الأبحاث, البحث الرابع, جدة),ص10.

(4) محمد الرويثي: الموانئ السعودية على البحر الأحمر, (ط1,مؤسسة الرسالة, دمشق, 1403هـ), ص 213.

(5) محمد البتنوني: الرحلة الحجازية,(د.ط,القاهرة,1329هـ/1911م),ص13.

(6) سبرت جاكسون انترناشيونال: جدة الماضي والمستقبل,(د.ط,د.ن,جدة,1979م),ص5.

(7) العرائش:هي المباني التي تبنى من القش من أجل السكن بها,وتقام على أعمدة من سيقان الأثل الذي ينمو في الأودية التي تقع شرق جدة. مبارك المعبدي: تاريخ خليص في الماضي والحاضر,(ط1,دار العلم,جدة,1408هـ),ص114.

(8) مبارك المعبدي: أهم البيوتات التجارية والتنظيمية في جدة خلال الفترة1373-1256هـ(ط1,جامعة الملك عبد العزيز,جدة,1435هـ),ص17.

(9) فارسي: مرجع سابق,ص204.

(10) سليم الأول: هو السلطان سليم الأول ابن بايزيد الثاني, تولى الحكم بعد والده عام(918هـ/1512م),كانت مدة حكمه ست سنوات قضاها في فتوحات خارجية في مناطق أوروبا, إضافة إلى استيلائه على الشام ومصر وبسط نفوذه على الحجاز, كما تم في عهده العديد من التنظيمات الداخلية توفي عام(926هـ/1520م),انظر: محمد فريد بك المحامي: تاريخ الدولة العلية العثمانية,(بيروت, دار الجيل,1397هـ/1977م),ص78.

(11) عبد القدوس الأنصاري: موسوعة تاريخ مدينة جدة,ج1,(ط4,دار المنهل, جدة, 1439هـ/ 2018م), ص 154.

(12) محمد الغامدي: جدة في عهد الملك عبد العزيز,(ط1,الوادي الجديد,القاهرة,1421هـ/2000م) ,ص47.

(13) سعود بن عبد العزيز: ثاني أئمة الدولة السعودية الأولى, ولد سنة 1161هـ,تتلمذ على يد الشيخ محمد بن عبدالوهاب, كان من أشجع أئمة الدولة السعودية الأولى, بويع الامام سعود بالامامة بعد استشهاد والده الامام عبدالعزيز سنة 1218هـ,فيصل بن عبدالعزيز: مختصر تاريخ الدولة السعودية, (د.ط, د.ن,د.م, 1431هـ/ 2010م), ص40.

(14) الشريف غالب: الشريف غالب بن مساعد بن سعيد, تولى شرافة مكة 1202هـ/1787م,ودخل في حروب كثيرة مع الدولة السعودية الأولى انتهت بخضوعه لها مكرها, فاستنجد بالدولة العثمانية لمساعدته, وعندما وصلت قوات محمد علي باشا من مصر إلى الحجاز تنكر للدولة

السعودية =وحاربها مع القوات العثمانية, غير أن محمد علي باشا كان يشك في ولاء الشريف غالب فقبض عليه سنة 1229هـ/1813م,ونفاه إلى مصر ثم إلى سالونيك, وظل بها حتى توفى سنة 1231هـ/1815م.أحمد دحلان: خلاصة الكلام في بيان أمراء البلد الحرام,(ط1,المطبعة الخيرية,القاهرة,1305هـ),ص298, 299.

(15) أحمد السباعي: تاريخ مكة,ج2,(ط1,مطبوعات نادي مكة الثقافي,مكة,1404هـ/1984م),ص503.

(16) دائرة المعارف الاسلامية:م11,(د.ط, طبعة الشعب, الترجمة العربية),ص131.

(17) محمود الثاني:من أشهر السلاطين العثمانيين في القرن الثالث عشر الهجري الموافق التاسع عشر الميلادي, ولد سنة 1199هـ/1784م,تميز عهد بأحداث كثيرة, منها استمرار الحروب الروسية العثمانية, وثورة اليونان والقضاء على الانكشارية واستبدالهم بقوات جديدة, وتمرد محمد علي باشا على الدولة العثمانية, وقد أهتم السلطان كثيرا بعملية الاصلاح الداخلي, توفي عم 1255هـ/1893م.انظر:محمد غربال: الموسوعة العربية الميسرة,ج1,(د.ط, دار احياء التراث, بيروت, د.ت),ص1663.

(18) محمد علي باشا: ولد في مدينة مقدونية, وذلك في سنة 1182هـ/1769م,توفي والده وهو صغير فرباه عم له, عمل في بداية حياته بتجارة الدخان, ثم جاء مع جنود االدولة العثمانية الذين قدموا إلى مصر لمحاربة الفرنسيين, وعين قائد فرقة, وثم واليا لمصر, توفي بالقاهرة في 13 رمضان,سنة1265هـ,الثاني من أغسطس سنة1849م,ودفن في الجامع الذي بناه في قلعة صلاح الدين الأيوبي بالقاهرة, عايض خزام الروقي: حروب محمد علي في الشام وأثرها في شبه الجزيرة العربية,(ط2,جامعة أم القرى,1419هـ),ص15.

(19) أحمد بن طوسون: الابن الثاني لمحمد علي باشا, أسند إليه والده قيادة الحملة العثمانية الأولى إلى شبه الجزيرة العربية, ونتيجة لقلة خبرته العسكرية تعرض لبعض الهزائم في بداية الأمر, لكنه مالبث أن حقق بعض الانتصارات وتوغل بقواته في نجد حتى بلدة الرس, إلا أن المرض الذي علق به أضطره إلى العودة إلى مصر, ثم توفي بها سنة 1231هـ/1816م. انظر:عثمان ابن بشر: عنوان المجد في تاريخ المجد,ج1,(د.ط, دار الرياض الحديثة, الرياض, د.ت)ص-157 187.

(20) أمين الريحاني: تاريخ نجد الحديث,مجلد5,(ط1,المؤسسة العربية للدراسات والنشر, بيروت, 1980م), ص 72-71.

(21) السباعي: مصدر سابق,ج2,ص563.

(22) الشريف حسين: الحسين بن علي بن محمد بن عبد المعين ابن عون، من أحفاد أبي نمىّ ابن بركات، الحسني الهاشمي, أول من قام في الحجاز باستقلال العرب عن الترك. وآخر من حكم مكة من (الأشراف) الهاشميين, حصلت بينه وبين الملك عبد العزيز آل سعود عدة معارك حتى أنتهى به الأمر التنازل بالعرش لإبنه الشريف علي, وانتقل من مكة إلى جدة (سنة 1343 هـ 1924 م) فركب البحر إلى (العقبة) آخر حدود الحجاز، في الشمال، وكانت في ولاية

ابنه عبد الله. وأقام بضعة أشهر. ثم أخبره ابنه بأن البريطانيين يرون أن إقامته فيها قد تحمل (ابن سعود) على مهاجمتها. وتلقى إنذارا بريطانيا بوجوب رحيله عنها. ووصلت إلى مينائها مدرَّعة بريطانية، ركبها وهو ساخط، إلى جزيرة قبرص سنة1344هـ/ 1925 م فأقام ست سنين، ومرض، فأذن الإنجليز بسفره إلى عمّان. وجاءه ابناه فيصل وعبد الله، فصحباه إليها. فمكث معتلّا، ستة أشهر وأياما، ووافته منيته. فحمل إلى القدس، ودفن في المسجد الأقصى. انظر: الأعلام: خير الدين الزركلي,ج2,(ط15,دار العلم للملايين, بيروت, 2002), ص250-240.

(23) السباعي: مصدر سابق,ج2,ص607.

(24) الغامدي:مرجع سابق,ص58.

(25) المعبدي: أهم البيوت التجارية,ص115.

(26) محمود رضوان: قالوا عن محمد علي زينل مؤسس مدارس الفلاح,(د.ط, د.م,د.ن, د.ت),ص132.

(27) خزعل: خزعل بن جابر بن جاسب الكعبي العامري: أمير المحمرة (من مقاطعة لأهواز، الواقعة بين إيران والعراق, ولد ونشأ بالمحمرة، وكانت إمارتها قد توطدت لأبيه من سنة 1273هـ إلى وفاته سنة 1299 هـ وخلفه عليها أخوه الأكبر (مزعل) بن جابر، فتولاها من سنة 1299 إلى أن قتل أمام باب قصره سنة 1315 هـ فقام صاحب الترجمة بأمرها. ويقال إنه هو الّذي قتل أخاه مزعل, ، جدد بناء المحمرة، وضم إليها جميع بلاد الأهواز, وناوأ حكومة (رضا بهلوي) في إبان قيامها، فلما استقر بهلوي ملكا في إيران احتال على خزعل بأن أرسل (سنة 1344 هـ - 1925 م)مركبا تمكن من القبض على خزعل وارساله إلى طهران, وامرته حكومته بالإقامة فيها, واستولت على المحمرة وسائر بلاد الأهواز، وسمتها (خوزستان) وعينته (نائبا) عن خوزستان في مجلس إيران النيابي. فأقام إلى أن مات بطهران ونقل جثمانه بعد مدة الى وادي السلام في النجف. وعلى يديه ضاعت إمارة (بني كعب) في الأهواز. انظر: الزركلي: مصدر سابق,ج2, ص 305-304.

(28) محمد أحمد الشاطري: محمد علي زينل رائد نهضة وزعيم اصلاح,(ط1,دار الشروق,جدة, 1977م), ص 39.

(29) حسين البقمي: تاريخ مدارس الفلاح والحاج محمد علي زينل,(ط2,مكتبة الملك فهد الوطنية, جدة, 1438هـ), ص93.

(30) رضوان: المرجع السابق,ص90 ,91.

(31) محمد علي مغربي:أعلام الحجاز في القرن الرابع عشر للهجرة,(ط1,دار عكاظ, جدة, 1401هـ/ 1981م), ص 38-37.

(32) مغربي: نفس المصدر,ص139.

(33) المعبدي: أهم البيوت التجارية,ص135.

(34) مغربي: المرجع السابق,ص140 , 143.

(35) المعبدي: أهم البيوت التجارية,ص135.

(36) الملك عبدالعزيز: هو عبدالعزيز بن عبدالرحمن بن فيصل بن تركي بن عبدالله آل سعود, ولد في الرياض عام 1293هـ/ نشأ وتربى على يد والده الامام عبد الرحمن وتعلم مبادئ القراءة والكتاب, وتعلم الفقه والتوحيد, وتعلم الفروسية عاصر في بداية عمره أحداث الدولة السعودية الثانية والتي أدت إلى نهايتها وكان لها أكبر الأثر على شخصيته, تمكن من استرداد الرياض عام 1319هـوكانت النواة الأولى لتأسيس المملكة العربية السعودية والتي تم لها التوحيد عام 1351هـ,توفي عام 1373هـ بالطائف ولى عليه بالحوية ثم نقل إلى الرياض ودفن في مقبرة العود. فيصل بن عبدالعزيز: مختصر تاريخ الدولة السعودية, 70 , 73 , 92.

(37) مغربي: المرجع السابق:ص146.

(38) مغربي: المصدر السابق,ص279, 280.

(39) رضوان: المرجع السابق,197.

(40) البقمي: المرجع السابق,ص104.

(41) مغربي: المصدر السابق,ص285, 286.

(42) مدرسة النجاح: أول مدرسة أهلية حديثة بؤسس في جدة,و كان تأسيسها في أوائل عام 1317هـ/1899م,وقد أسسها بعض الشخصيات البارزة في جدة, انظر: عبد اللطيف بن دهيش: المدارس الأهلية بجدة والطائف في أواخر العهد العثماني,(مجلة الدارة,الرياض,س10,ع3,ربيع الثاني 1405هـ/ديسمبر 1984م),ص154.

(43) بن دهيش:.المدارس الأهلية,,ص155.

(44) رضوان: المرجع السابق,194.

(45) بن دهيش: المدارس الأهلية,ص158-175 .

(46) رضوان: المرجع السابق,ص31.

(47) مغربي: المصدر السابق,ص292.

(48) الأنصاري: تاريخ مدينة جدة,ج1,ص305 , 306.

(49) رضوان: مصدر سابق,ص196.

(50) أمين الريحاني: ملوك العرب,ج1,(ط1,صادر الريحاني,بيروت,1951م)ص50, 51.

(51) رضوان: مصدر سابق,ص196.

(52) الأنصاري: تاريخ مدينة جدة,ج1,ص310.

(53) مغربي: أعلام الحجاز,55, 56.

(54) الأنصاري: تاريخ جدة,ج1,ص305, 306, 308 , 309.

(55) الريحاني: المصدر السابق,ج1,ص15.

(56) مغربي: أعلام الحجاز,ص60.

(57) مغربي: أعلام الحجاز,ص209, 210.

(58) مغربي: أعلام الحجاز,ص209, 210 ,211.

(59) محمد الطرابلسي: جدة حكاية مدينة,(ط1,شركة المدينة المنورة للطباعة والنشر, جدة, 1427هـ/ 2006م), ص 592.

(60) الانصاري تاريخ مدينة جدة,ج1,ص310.

(61) نورة النامي: البيوتات التجارية بجدة1335-1256هـ/1916-1840م,(رسالة ماجستير غير منشورة, قسم الدراسات الاجتماعية, كلية الآداب, جامعة الملك فيصل بالأحساء,1439هـ/2018م),63.

(62) مغربي: أعلام الحجاز,ص259.

(63) دلال الحربي: الأوضاع الداخلية في جدة في فترة الحصار1344-1343هـ/1925م من خلال صحيفة بريد الحجاز,(مجلة الدرعية,الرياض,س12,ع7, 48 , رمضان-ذو الحجة 1430هـ/نوفمبر 2009م-يناير 2010م),128, 129.

(64) مغربي: أعلام الحجاز,ص217, 218.

(65) مغربي أعلام الحجاز,ص254.

(66) مغربي: اعلام الحجاز, ص 101 , 104.

(67) طرابلسي: المرجع السابق,ص594.

(68) مغربي:أعلام الحجاز,ص109.

(69) مغربي: اعلام الحجاز,ص251, 252, 254.

(70) السلطان عبدالحميد الثاني: هو عبدالحميد ابن السلطان عبد المجيد, والسلطان عبد الحميد هو السلطان الرابع والثلاثون للدولة العثمانية, ولد عام1258هـ/1842م,تمت مبايعته بالسلطنة العثمانية عام 1293هـ/1876م, وتبوَّأ عرش السلطنة يومئذٍ على أسوأ حال، حيث كانت الدولة في منتهى السوء والاضطراب، سواء في ذلك الأوضاع الداخلية والخارجية. وفي نفس السنة دخلت الدولة العثمانية في أزمة مالية خانقة, من أهم انجازاته سكة حديد الحجاز, دعوته إلى فكرة الجامعة الإسلامية, أصدر أمرا بمنع هجرة اليهود إلى فلسطين الأمر الذي أدى إلى عزله عن العرش عام1909م,وتوفي في المنفى 1918م.انظر:عبدالحميد الثاني: مذكراتي السياسية,(ط5,مؤسسة الرسالة,بيروت,1406هـ),ص15-12-11.

(71) طرابلسي: المرجع السابق,ص589, 590.

(72) مغربي: أعلام الحجاز,ص250.

(73) طرابلسي: المرجع السابق,ص590.

(74) طرابلسي: نفس المرجع,591.

(75) الريحاني: المرجع السابق,ج1,ص52.

(76) مغربي: أعلام الحجاز,ص315, 316, 317.

(77) الأنصاري: تاريخ مدينة جدة,ج1, 310.

(78) طرابلسي: مرجع سابق:592.

(79) طرابلسي: المرجع السابق,ص593.

(80) بن دهيش: المدارس الأهلية,ص158.

المنشآت العُمرانية في اليمن خلال عصر الدولة الرّسولية
(626 - 858هـ/1228-1454م)

أ. طارق جابر يحيى المالكي
طالب دكتوراه – قسم التاريخ والآثار – جامعة الملك خالد
المملكة العربية السعودية

المستخلص:

يهدف هذا البحث إلى الوقوف على أبرز نماذج المنشآت العُمرانية في اليمن خلال عصر الدولة الرسولية التي دامت حقبتها ما يزيد عن قرنين من الزمن، وهي منشآت تنوعت بين دينية ومدنية وعسكرية، بيّنتْ بوضوح مدى اهتمام الرسوليين بالجانب الحضاري في دولتهم، لاسيما في الجانب العلمي والمعماري. وتكمُن أهمية هذا البحث في كونه ناقش جانبًا هامًّا من تاريخ اليمن الحضاري خلال تلك الحقبة والمتمثّل في الجانب العمراني الذي لم يلق الدراسة المطلوبة مقارنة بالجوانب الأخرى السياسية والاجتماعية والدينية. وقد اتّبع البحث المنهج الوصفي التاريخي المرتكز على جمع المادة التاريخية حول المنشآت العُمرانية الرسولية في اليمن من مصادرها الأصلية ثم ترتيبها والتأليف بينها، ثم اتّبع البحث المنهج التحليلي المرتكز على مناقشة ما تمّ جمعه من معلومات بصورة موضوعية للوصول إلى أفضل النتائج المرجوّة. وقد توصّل البحث إلى مجموعة من النتائج المهمة، منها أن الدولة الرسولية في اليمن قامت على أنقاض الدولة الأيوبية فورثت منها الكثير من المظاهر الحضارية ومنها جانب الاهتمام بالمنشآت المعمارية. ومنها أن المنشآت الدِّينية الرسولية امتازتْ بكثرة المدارس التي شيّد السلاطين مما يؤكّد أن العصر الرسولي في اليمن امتاز بازدهار واضح في الحياة العلمية.

الكلمات المفتاحية: المساجد، المنشآت العُمرانية، القلاع، الدولة الرسولية، المدارس ، اليمن.

Architectural structures in Yemen during the Rasulid dynasty (626 – 858 HA/ 1228-1454AD)

A.Tariq Jaber Yahya Al-Maliki

Abstract:

This research aims to examine the most prominent examples of urban structures in Yemen during the Rasulid dynasty, which lasted for more than two centuries. These structures varied between religious, civil, and military, clearly demonstrating the Rasulids' interest in the civilizational aspect of their state, especially in the scientific and architectural aspects. The importance of this research lies in the fact that it discussed an important aspect of Yemen's cultural history during that era, namely the urban aspect, which has not received the required study compared to other political, social, and religious aspects. The research followed the descriptive historical approach based on collecting histor-

ical material about the Rasulid architectural structures in Yemen from their original sources, then arranging and composing them. The research then followed the analytical approach based on discussing the information collected objectively to reach the best desired results. The research reached a number of important conclusions, including that the Rasulid state in Yemen was established on the ruins of the Ayyubid state, inheriting many aspects of civilization, including its interest in architectural structures. Rasulid religious buildings were also distinguished by the large number of schools constructed by the sultans, confirming that the Rasulid era in Yemen was characterized by a clear flourishing of academic life.

key words: Mosques - urban structures - Castles - Rasoulit state - Schools - Yemen.

المقدمة:

إنّ الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونستهديه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مُضلّ له، ومن يُضلل فلن تجد له وليًّا مرشدًا، وبعد:

لقد قامت الدولة الرسولية (858-626هـ/1454-1228م) على يدي مؤسسها السلطان الملك المنصور نور الدين عمر بن علي الرسولي الغساني التركماني الأصل ثم المصري ثم اليمني[1] (ت647هـ/1249م) على أنقاض الدولة الأيوبية سنة 626هـ/1228م[2]، حيث اتّخذ ابتداءً من مدينة زبيد[3] عاصمة لدولته، ثم تحوّلتْ العاصمة إلى مدينة تعز[4]، واستمرّت الدولة الرسولية أكثر من قرنين وربع القرن من الزمن، وتداول على حُكمها أربعة عشر سلطانًا، وهذا إلى عام سقوطها سنة 858هـ/1454م بقيام الدولة الطاهرية (923-858هـ/1517-1454م)[5]، حيث كان من أسباب ضعف الدولة الرسولية ثم انهيارها الصراع الداخلي بين أفراد الأسرة المالكة على العرش[6]. وباعتبار أن حضارة الدولة الرسولية في اليمن من أزهى فترات الحضارة الإسلامية، فقد شهدت تطورًا كبيرًا في مختلف المجالات السياسية والاقتصادية والثقافية والتجارية، ومنها المجال العمراني، حيث شَهِدت المنشآت العُمرانية خلال تلك الحقبة الزمنية تنوّعًا في تلك المنشآت بين دينية ومدنية وأخرى عسكرية، ويُمكن تسليط الضوء على مظاهر ازدهار الحضارة الرسولية من خلال المنشآت العُمرانية في النقاط التالية:

أولاً: المنشآت الدّينية:

عرف اليمن خلال العصر الرسولي قيام العديد المنشآت الدينية، وقد شملت تلك المنشآت الجوامع والمساجد والمدارس وغيرها من دور العلم والعبادة، ويُمكن ذكر نماذج من تلك المنشآت في ما يلي:

أ- الجوامع والمساجد: حظيت الجوامع والمساجد ببلاد اليمن عناية فائقة من قِبل سلاطين الدولة الرسولية، ولم يكن ذلك مقتصرًا على السلاطين وحدهم فحسب، بل شاركهم في ذلك التوجه

والاهتمام بعض كبار الأمراء والعلماء، وبعض أصحاب الخير من الأغنياء والأعيان من أهالي اليمن، كما أسهمت نساؤهم من الأميرات وزوجات السلاطين بتشييد العديد من المساجد. ولعل من أبرز تلك الجوامع والمساجد - على سبيل المثال لا الحصر - نذكر:

1. المساجد التي أقامها مؤسس الدولة الملك المنصور عمر في كل قرية من التَّهائم[7]، وأوقف على تلك المساجد أوقافًا جيدة[8] ، كما بنى مسجدًا في مفازة النوري الواقعة بين حيس [9] وزبيد[10].
2. شيّد االملك المظفر يوسف[11] جامع المهجم بمنطقة تِهامة والمعروف بالجامع المظفري، ورتب فيه مدرسًا، وإمامًا، وخطيبًا، ومؤذنًا، وأيتامًا، وأوقف عليهم وقفًا جيدًا يقوم بكفايتهم[12] ، كما شيّد جامع واسط في مدينة المحالب[13]، وجامع آخر في مغربة تعز، وكان هذا الجامع الأخير يُعرف في زمن الخزرجي بالمسجد الجديد[14].
3. شيّد الملك المجاهد علي [15] جامعًا في قرية النويدرة على باب مدينة زبيد، ورتب فيه إمامًا، وخطيبًا، ومؤذنًا، ومعلمًا، وأيتامًا يتعلمون القرآن الكريم، كما شيّد جامعًا في ثعبات بتعز، ورتب فيه كذلك إمامًا، وخطيبًا، وشيخًا للحديث، ومعلمًا، وأيتامًا يتعلمون القرآن الكريم[16].
4. أنشأ الأمير بدر الدين الحسن بن علي بن رسول[17] مسجدًا في عَكَّار[18] وأوقف عليه وقفًا جيدًا[19].
5. أنشأ الفقيه أبو إسحاق إبراهيم بن عثمان بن آدم الجبرتي [20] مسجدًا في مدينة زبيد عُرف باسمه "مسجد الجبرتي"[21].
6. أنشأت الأميرة نبيلة[22] بنت الملك المظفر يوسف مسجدًا في مغربة تعز، وآخر في جبل صبر، وأوقفت على المسجدين أوقافًا تقوم بكفاية الكل[23].
7. أنشأت الأميرة الدار نجمي[24] مسجدًا في ذي جبلة[25] ورتّبتْ فيه مدرسين ودارسين[26].

وما يُمكن قوله في هذا المقام، أن المساجد والجوامع قد أدّتْ دورًا أساسيًا في إقامة الشعائر الدينية ونشر العلوم المختلفة في المجتمع اليمني، وهو ما أسهم في ازدهار الثقافة والمعرفة في الدولة الرسولية.

ب- المدارس: سارت الدولة الرسولية على خُطى سلفهم السابقين من الأيوبيّين في إنشاء المدارس ودور العلم والعناية بها ووقف الأحباس الكافية عليها، ولم يقتصر هذا الاهتمام على السلاطين فحسب، بل شاركهم في ذلك كبار الأمراء وكبار رجال الدولة وغيرهم من العلماء وأعيان المجتمع وحتى التجار، كما أسهمت نساء البيت الرسولي من الأميرات وزوجات السلاطين وشقيقاتهم وأمهاتهم في إقامة العديد من المدارس والمؤسسات التعليمية[27] . ولعلَّ من أبرز تلك المدارس التي أنشئت خلال حقبة الدراسة، نذكر:

1. المدرسة المنصورية: شيَّدها الملك المؤسّس منصور عمر في مدينة الجند[28]، ورتب فيها مدرسًا ومعيدًا وطلابًا وإمامًا ومؤذنًا ومعلمًا وأيتامًا يتعلمون القرآن الكريم، وأوقف

عليها - وعلى سائر مدارسه الأخرى المنتشرة في اليمن - أوقافًا كثيرة ومفيدة تقوم بكفايتهم جميعًا[29]، كما أنشأ مدرستين في تعز، الأولى المدرسة الوزيرية والثانية هي المدرسة الغُرابية[30].

2. المدرسة الأشرفية: بناها الملك الأشرف (الأول) عمر[31] ابن الملك المظفر يوسف في حافة المِلْح من حي الحُمَيراء في مغربة تعز، وأجرى لها الماء من جبل صَبَر، وجعل فيها بركة ومطاهير للوضوع، وخصّصها لتدريس الفقه الشافعي[32].
3. المدرسة المؤيدية: شيَّدها الملك المؤيد داود[33] في مغربة تعز سنة 672ه/1273م، وأوقف عليها أوقافًا جليلة، وخصّصها لتدريس المذهب الشافعي[34] ، كما أقام أيضًا مدرسة في حي المحاريب في الطرف الشرقي لمدينة تعز عُرفت بالمدرسة المظفرية، حيث أنشأها بطلب من ابنه الأمير حسن[35] بن داود الذي مات في حياة أبيه سنة 712ه/1312م[36].
4. مدرسة المُجاهدية: شيّدها الملك المجاهد عليّ ابن الملك المؤيد داود سنة 731ه/1331م، وكانت قائمة في رأس راحة الشريف في حبيل المَجَّلية شرق مدينة تعز، وقد جعلها مدرسة وجامعًا، وخانقاه[37]، وأيتامًا يتعلمون القرآن، وأوقف عليها وقفًا جيدًا[38].
5. المدرسة الأفضلية: أنشأها الملك الأفضل العباس[39] ابن الملك المجاهد عليّ سنة 765ه/1363م، وكانت في ناحية الحبيل من مدينة تعز بجوار المدرسة المجاهدية[40]، وقد أشاد ابن الدَّيْبع بحسن بنائها فقال: "ليس لها نظير في البلاد"[41].
6. المدرسة التاجية: وكانت تسمى "مدرسة المُبَردعين"؛ لأن المبردعين كانوا يعملون البرادع بجوارها، وقد أنشأها الطواشي[42] تاج الدين بدر بن عبد الله المظفري[43] في زبيد وخصَّها لدراسة الفقه الشافعي، ورتب فيها مدرسًا على نفس المذهب وإمامًا ومؤذنًا، وأوقف عليهم وقفًا جيدًا يقوم بكفاية الجميع[44].
7. المدرسة العُمَرية: شيّدها الأمير نجم الدين عمر بن سيف الدين[45] أخو الملك المظفر يوسف لأمه في حافة المِلْح من مغربة تعز، وكان الأمير نجم الدين أميرًا كبيرًا ذا همة عالية، وإقطاع جيد، وسيرة حسنة[46].
8. المدرسة الأسدية: شيّدتها بتعزّ دار الأسد[47] ابنة الأمير أسد الدين محمد بن الحسن بن علي بن رسول[48]، وزوجة الملك المظفر يوسف، وقد أوقفتْ على مدرستها وقفًا جيدًا[49].
9. المدرسة الشّمسية: بنتها بتعز الدار الشمسي[50] ابنة عمر بن علي بن رسول، شقيقة الملك المظفر يوسف، وقد رتّبت فيها إمامًا ومؤذنًا وقيمًا ومعلمًا، وأيتامًا يتعلمون القرآن الكريم، ومدرسًا للفقه الشافعي، وأوقفت عليهم وقفًا جيدًا[51].
10. المدرسة الواثقية: شيّدتها ماء السماء[52] ابنة الملك المظفر يوسف بجوار منزل أخيها الملك الواثق إبراهيم[53] بزبيد فنُسبت إليه، وقد رتبت لها إمامًا ومعلمًا وأيتامًا يتعلمون القرآن الكريم، ووقفت عليها من أملاكها ما يكفيهم[54].

ثانيًا: المنشآت المدنية:

شهدتْ بلاد اليمن في العصر ازدهارًا واضحًا في الجانب الحضاري، ومنها الجانب المعماري المدني، وهذا بفضل الثروة المالية التي تمتّع بها بعض سلاطين الرسوليين من جهة، وبفضل الهدوء النسبي الذي نعمتْ به هذه الدلة في معظم أطوارها[55]، وقد اهتم بعض سلاطين بني رسول بتشييد الدُور والقصور والعناية بها كجانب من إظهارهم القوة المادية والمعنوية التي تمتّعوا بها، وسنعرض في ما يلي لبعض النماذج منها:

1. دار الضيافة التي شيَّدها الملك المظفر يوسف في ذي عُدينة بتعز[56].
2. دار العدل التي بناها الملك المجاهد عليّ وخصّصها للنظر في مظالم الرعية، وكانت قائمة في سوق الأحد بذي عدينة بتعز[57].
3. دار النصر التي شيَّدها الملك الأشرف (الثاني) إسماعيل[58] في ناحية القوز من زبيد[59].
4. دار النعيم التي شيَّدها الملك الناصر أحمد[60] سنة 820ه/1417م[61].
5. قصر المعقلي الذي شيَّده الملك المؤيد داود في ثَعَبَات[62] بالقرب من مدينة تعز، وقد شرع في عمارته في حدود سنة 701ه/1301م واستغرق في تشييده سبع سنوات، حيث فرغ من عمارته سنة 708ه/1308م. ويعد هذا القصر من مفاخر العمارة المدنية الرسولية[63].
6. قصر الفائق الذي شيّده الملك مجاهد عليّ في الموضع المعروف باسم نخل الأبيض من وادي زبيد[64].

ثالثًا: العمارة العسكرية:

تُعدُّ التحصينات الدفاعية من أهم الوسائل المستخدمة من قبل السلطات الرسولية للدفاع عن المدن من غارات الثوار والخارجين عليها، وقد سارت الدولة الرسولية على نهج الدولة الأيوبية في عمارة وتشييد العمائر العسكرية، ولعلّ من أهم تلك المنشآت التي شيدوها أو أعادوا تجديدها وترميم عمارتها القديمة هي:

1 - الحصون: شيَّد المؤسس الملك المنصور عمر العديد من الحصون العسكرية، مثل حصن القاهرة الذي شيّده على أنقاض موقع قديم، وكان يسمى بـ "حجر الجراد"، وكان موقعه في جبل حضور، فهدمه وأعاد بناءه ورتّب في الجبل عسكرًا من المشاة، كما رتب فيه واليًا يقوم على أمره[65]. وفي السياق ذاته، فقد سار على نهجه ولده الملك المظفر يوسف الذي يُعدُّ أكثر سلاطين بني رسول تشييدًا للمعاقل والحصون، ويرجع السبب في ذلك إلى طول فترة حكمه، حيث قام بعمارة العديد من الحصون، منها حصن الطويلة غربي صنعاء[66]، وحصن الزاهر[67] ، كما عَمَّر حصن التعبرة[68] القريب من حصن ثلا[69] والذي تم ترميمه وتجديده سنة 667ه/1268م[70]، كما أمر في سنة 670ه/1271م بعمارة حصن الجنات[71] المواجه لحصن ثلا[72]. وأما في عهد الملك المؤيد داود فقد سار على نهج أسلافه في الاهتمام بعمارة الحصون، فشيَّد الجديد منها، ورمَّمَ ما كان بحاجة إلى إصلاحها، ومنها عمارته لحصن القنة، وتجديده لعمارة حصن تعز، وعمارة الحصن الواقع

في البرك المطلة على البحر الأحمر، وكان جميع ذلك في سنة 703ه/1303م، وهذا تحضيرًا لمواجهة أي عدوان خارجي خاصة من قبل المماليك في مصر[73]، ولم يكتفِ بعمارة المنشآت العسكرية فحسب، بل قام بشراء العديد من الحصون، منها حصن الشوكة الذي كان بيد الأشراف، فاشتراه منهم بمبلغ ألف دينار ذهبي، واشترى حصن تلمص بخمسين ألف دينار ليكون حصنًا منيعًا للجيش، وكذلك الدفاع عن البلاد ضد أي عدوان خارجي وداخلي يهدد أمن البلاد[74]. وأما الملك الناصر أحمد بن الأشرف (الثاني) إسماعيل فقد اهتم بعمارة بعض الحصون، منها حصن الفص بقوارير، فأقدم على عمارته وزيادة تحصيناته[75].

2 - الأسوار: كان للملك المجاهد عليّ عناية كبيرة بإقامة الأسوار حول المدن والبلدات؛ ففي سنة 733ه/1333م قام ببناء سور مدينة ثعبات ناحية تعز، ولم تكن مسوَّرة من قبل، وفتح في السور أبوابًا، ورتب عليها حراسًا وحفظة، وقد استغرقت عمارة هذا السور عامًا كاملاً، وانتهى العمل منها سنة 734هـ/1334م، ويقول الخزرجي في هذا السياق: "وفي هذه السنة (734هـ) كمُلت عمارة سور ثعبات ورُكّبت أبوابها وصارت مدينة حصينة، وعمّر جامعها وأجرى إليه الماء، ورتّب فيه إمامًا ومؤذناً وخطيبًا ومعلمًا، وأيتامًا يتعلمون القرآن الكريم، ومحدثًا يقرأ حديث رسول ﷺ، وأوقف على جميع ذلك وقفًا جيّدًا يقوم بكفاية الجميع منهم"[76].

كما اهتم الملك الأشرف (الثاني) إسماعيل بمدينة الجند فأعاد بناء سورها سنة 793ه/1390م، وهذا بعد أن تهدم سورها القديم، ويقول الخزرجي عن ذلك السور بعد أن تمّ ترميمه: "وربما هو اليوم أحسن مما كان"[77].

الخاتمة:

وبعد؛ فمن خلال عرضنا المفصّل لأبرز المنشآت العُمرانية في اليمن خلال عصر الدولة الرسولية الذي امتدّ لما يقوب من قرنين من الزمن، نستعرض في ما يأتي أهمّ النتائج التي أمكن الوصول إليها في هذه الدراسة:

1. قامت الدولة الرسولية في اليمن على أنقاض الدولة الأيوبية فورثت منها الكثير من المظاهر الحضارية ومنها جانب الاهتمام بالمنشآت المعمارية.
2. استمرّ الأيوبيون ينظرون إلى الرسوليين على أنهم أتباعهم ولهذا احتدم الصراع السياسي ثم العسكري بين الطرفين في محاولة السيطرة على مكة المكرمة وعموم الحجاز خاصة في عهد السلطان القوي مؤسس لدولة الرسولية الملك المنصور عمر.
3. سقطت الدولة الرسولية وقامت على أنقاضها الدولة الطاهرية كأمر حتمي بعد انتشار الفوضى والاضطرابات داخل البيت الرسولي بسبب الصراع على العرش.
4. تمثلتْ المنشآت الدِّينية في اليمن في العهد الرسولي في الجوامع والمساجد والمدراس وغيرها من دور العلم والعبادة والتي شيّد معظمها سلاطين الرسوليين ثم بعض كبار أمرائهم فضلاً عن نسا من البيت الرسولي كُنّ زوجات للسلاطين أو لكبار الأمراء.
5. تركّزت معظم المنشآت الدِّينية في تعز وزبيد وضواحيهما، وخدمت تلك المنشآت

العديـد مـن الأوقـاف التـي كانـت تقـوم بكفايتهـا.

6. امتـازتْ المنشـآت الدِّينيـة بكـثرة المـدارس (أكـثر مـن عـشرة مـدارس) التـي شـيّدها في معظمهـا السـلاطين، وهـو مـا يؤكّـد عـلى أن العـصر الرسـولي في اليمـن امتـاز بصحـوة تعليمـة واضحـة وبازدهـار جـليّ في الحيـاة العلميـة.
7. تمثلـتْ المنشـآت المدنيـة التـي عرفهـا اليمـن في العـصر الرسـولي في تشـييد القصـور ودور الضيافـة ودور العـدل وغيرهـا مـن العمائـر التـي أظهـرتْ مـا كان يتمتّـع بـه بعـض سـلاطين الرسـوليين مـن ثـروة ماليـة عمومًـا، ومـا كان تتمتـع بـه مـن البـلاد مـن هـدوء نسـبي في معظـم مراحـل تاريخهـا عـلى وجـه الخصـوص.
8. عمـل سـلاطين الرسـوليين عـلى الاهتـمام بالمنشـآت العسـكرية والدفاعـات التحصينيـة كتقليـد متّبـع عـلى مـا ورثـوه مـن الأيوبيـين مـن جهـة، وكسياسـة راسـخة مـن طـرف هـؤلاء السـلاطين في دعـم دفاعتهـم العسـكرية ضـد أطـماع الـدول المجـاورة لاسـيما الدولـة المملوكيـة، وضـد هجـمات الثـوار الخارجـين عـلى السـلطة في فـترات زمنيـة متقطعـة.
9. تمثلـتْ معظـم المنشـآت العسـكرية الرسـولية في اليمـن في الحصـون التـي شـيّد معظمهـا الملـك المنصـور عمـر في بدايـة تأسـيس دولتـه، ثـم تبعـه في ذلـك ابنـه الملـك المظفـر يوسـف الـذي يُعـدُّ أكـثر سـلاطين الرسـوليين تشـييدًا للحصـون والأسـوار والمعاقـل العسـكرية.

الملاحق:

خريطة تُبيّن حدود الدول التي كانت قائمة إلى جانب الدولة الرسولية في اليمن في القرن الثامن الهجري/الرابع عشر الميلادي

(عن: سامي المغلوث: أطلس تاريخ العصر المملوكي، ص125)

خريطة تُبيّن مساحة حدود الدولة الرسولية في في أوجّ توسّعها

(عن: سامي المغلوث: أطلس تاريخ العصر المملوكي، ص127)

جدول بأسماء السلاطين الرسوليّين الذين حكموا اليمن خلال الحقبة 626-858هـ/1228-1454م[78]

التّسلسل	اسم السلطان	تاريخ حُكمه
1	الملك المنصور (الأول) عمر بن علي بن رسول	626-647هـ/1229-1249م
2	الملك المظفر (الأول) يوسف ابن الملك المنصور عمر	647-694هـ/1249-1295م
3	الملك الأشرف (الأول) عمر ابن الملك المظفر يوسف	694-696هـ/1295-1297م
4	الملك المؤيد داود ابن الملك المظفر يوسف	696-721هـ/1297-1321م
5	الملك المجاهد عليّ ابن الملك المؤيد داود	721-764هـ/1321-1363م
6	الملك الأفضل العباس ابن الملك المجاهد عليّ	764-778هـ/1363-1376م
7	الملك الأشرف (الثاني) إسماعيل ابن الملك الأفضل العباس	778 –803هـ/1376 –1400م
8	الملك الناصر أحمد بن الملك الأشرف (الأول) إسماعيل	803-827هـ/1400-1424م
9	الملك المنصور (الثاني) عبد الله ابن الملك الناصر أحمد	827-830هـ/1424-1427م
10	الملك الأشرف (الثاني) إسماعيل ابن الملك الناصر أحمد	830-831هـ/1427-1428م
11	الملك الظاهر يحيى ابن الملك الأشرف (الأول) إسماعيل	831-842هـ/1428-1438م
12	الملك الأشرف (الثالث) إسماعيل ابن الملك الظاهر يحيى	850-858هـ/1446-1454م
13	الملك المظفر (الثاني) يوسف بن عمر ابن الملك الأشرف (الأول) إسماعيل	845-847هـ/1441-1443م
14	الملك المسعود أبو القاسم ابن الأشرف (الثاني) إسماعيل	847-858هـ/1443-1454م

الهوامش:

(1) هـو الملـك المنصـور أبـو الفتـح نـور الديـن عمـر بـن عـلي بـن محمـد الرسـولي الغسـاني التركـماني الأصـل المـصري ثـم اليمنـي. ولـد بمـصر ونشـأ بهـا أديبًـا فاضـلاً، ثـم دخـل اليمـن مـع الأيوبيـين بقيـادة الملـك المسـعود، وبسـبب نجابتـه قلـده المسـعود أعـمالاً كثـيرة ظهـرت فيهـا كفايتـه، ولهـذا لمـا توجـه المسـعود إلى مـصر جعلـه نائبًـا عنـه في اليمـن، غـير أن المسـعود تـوفي بمكـة في طريـق عودتـه إلى مـصر سـنة 626هـ/1228م فاسـتولى عمـر عـلى اليمـن وأظهـر النيابـة عـن الأيوبيـين إلى أن أعـدّ جيشًـا كبـيرًا حـارب بـه العسـاكر الأيوبيـة واسـتقل بالملـك، ثـم اسـتولى عـلى مكـة وعـلى جميـع المناطـق التـي بينهـا وبـين حضرمـوت. قتلـه مماليكـه بزبيـد سـنة 647هـ/1249م. انظـر ترجمتـه في: الخزرجـي: عـليّ بـن وهـاس اليمنـي (ت812هـ/1409م): العقـود اللؤلؤيـة في تاريـخ الدولـة الرسـولية، مركـز الدراسـات والبحـوث اليمنـي، صنعـاء، 1403هـ (1/44)؛ الفـاسي: محمـد بـن أحمـد المـكي (ت832هـ/1428م): العقـد الثمـين في تاريـخ البلـد الأمـين، تحقيـق: فـؤاد السـيّد، مطبعـة السـنة المحمديـة، القاهـرة، ط1، 1378هـ (6/339).

(2) الخزرجـي: عـليّ بـن وهـاس اليمنـي (ت812هـ/1409م): العقـد الفاخـر الحسـن في طبقـات أكابـر أهـل اليمـن المعـروف كذلـك بطـراز الزمـن في طبقـات أعيـان اليمـن، تحقيـق: عبـد اللـه قائـد العبـادي وآخـرون، مكتبـة الجيـل الجديـد، صنعـاء، ط1، 2009م، (1/26) ومـا بعدهـا.

(3) زبيـد: مدينـة مشـهورة باليمـن تقـع بالقـرب سـاحل البحـر الأحمـر شـمال غـرب تعـز، وقـد عُرفـت باسـم وادٍ بهـا، ويُنسـب إليهـا العديـد مـن العلـماء. اختطّـت في العهـد العبـاسي سـنة 204هـ/819م، وهـي مـن أكـبر مـدن اليمـن بعـد مدينـة صنعـاء، وتمتـاز بكـثرة مياههـا وبسـاتينها. ياقـوت الحمـوي: ياقـوت بـن عبـد اللـه الرومـي (ت626هـ/1228م): معجـم البلـدان، تحقيـق: فريـد عبـد العزيـز الجنـدي، دار الكتـب العلميـة، بـيروت، ط1، 1410هـ/1990م، (2/389)؛ ابـن العديـم: عمـر بـن أحمـد الحلبـي (ت660هـ/1261م): زبـدة الحلـب مـن تاريـخ حلـب، وضـع حواشـيه: خليـل المنصـور، دار الكتـب العلميـة، بـيروت، ط1، 1417ه/1996م، ص357.

(4) تعـز: مدينـة يمنيـة تقـع في سـفح جبـل صـبر عـلى ارتفـاع 1300متـر فـوق سـطح البحـر، وتمتـاز بمناخهـا المعتـدل طـوال أيـام السـنة، وكانـت في القـرن الثالـث الهجري/التاسـع الميـلادي مجـرّد قلعـة شـهيرة، وكان أول مـن مَدَّنهـا ومصَّرهـا هـو الملـك المظفـر الرسـولي سـنة 653هـ/1255م وأصبحـت عاصمـة الدولـة الرسـولية. ياقـوت الحمـوي: معجـم البلـدان، (2/34)؛ مجموعـة مؤلفـين: الموسـوعة العربيـة العالميـة، مؤسسـة أعـمال الموسـوعة للنـشر والتوزيـع (شـارك فيهـا مجموعـة كبـيرة مـن المفكريـن وأهـل العلـم العـرب والمسـلمين وغيرهـم)، الريـاض، ط2، 1419هـ/1999م، (19/67).

(5) عبـد اللـه حامـد الحبيـد: قيـام الدولـة الطاهريـة تحـت قيـادة الملكـين المجاهـد عـليّ والظافـر عامـر ابنـا طاهـر بـن طاهـر بـن معوضـة آل طاهـر (883-858هـ/1478-1458م)، (د.ن)، (د.ط)، 1418هـ/1998م، ص9 ومـا بعدهـا.

(6) بامخرمـة: الطيـب بـن عبـد اللـه الحضرمـي (ت947 هـ/1540م): قلادة النحـر في وفيات أعيـان الدهر، اعتنـى بـه: بو جمعة مكـري وخالـد زواري، دار المنهاج، جـدة، ط1، 1428هـ/2008م، (6/438).

(7) التّهائم: جمع تِهامة؛ وهي هي أحد الأقسام الخمسة التي تتشكل منها جغرافية شبه الجزيرة العربية، والأربعة الباقية هي الحجاز ونجد والعَروض واليمن. وتُطلق كلمة تهامة غالبًا على شمال اليمن جهة ساحل البحر (الأحمر)، وهي أراضي جبلية تمتدّ حدودها من الليث جنوبًا إلى العقبة شمالاً، بين سلسلة جبال السراة شرقًا والسهل الساحلي غربًا. الهمذاني: الحسن بن أحمد بن يعقوب (ت بعد سنة 344هـ/955م): صفة جزيرة العرب، تحقيق: محمد بن عليّ الأكوع، دار اليمامة، الرياض، ط1، 1394هـ/1974م، ص65؛ عاتق غيث البلادي: معجم معالم الحجاز، دار مكة، مكة، مؤسسة الريان، بيروت، ط2، 1431هـ/2010م، ص283.

(8) الجندي: محمد بن يوسف الكندي اليمني (ت732هـ/1331م): السلوك في طبقات العلماء والملوك، تحقيق: محمد بن علي الأكوع، مكتبة الإرشاد، صنعاء، ط2، 1995م، (2/543)؛ الخزرجي: العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة الرسولية، (1/82).

(9) حيس: بلد وكورة (أي إقليم) واسعة من نواحي زبيد باليمن، بينها وبين مدينة زبيد نحو مسيرة يوم للمُجدّ. ياقوت الحموي: معجم البلدان، (2/332).

(10) الجندي: السلوك في طبقات العلماء والملوك، (2/543).

(11) هو الملك المظفر (الأول) شمس الدين يوسف ابن المنصور عمر بن عليّ بن رسول التركماني اليمني. ثاني ملوك الدولة الرسولية. تولّى الملك بعد مقتل والده سنة 646هـ/1248م، فامتدت أيامه وبقي على العرش ما يقرب من 47 سنة وأشهرًا إلى أن توفي بقلعة تعز في رجب سنة 694هـ/1294م، وكان له من العُمر 75 سنة. كان ملكًا سمحًا جوادًا، عفيفًا عن أموال الرعية. له مسموعات حديثية ومؤلّفات صنّفها. انظر ترجمته في: الخزرجي: العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة الرسولية، (1/50، 184)؛ المقريزي: أحمد بن عليّ المصري (ت845هـ/1461م): السلوك لمعرفة دول الملوك، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، (د.ط)، 1997م، (3/810)؛ ابن تغري بردي: يوسف بن عبد الله الأتابكي (ت874هـ/1469م): النجوم الزاهرة في أخبار ملوك مصر والقاهرة، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1413هـ/1992م، (8/71).

(12) الخزرجي: العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة الرسولية، (1/233).

(13) المحالب: مدينة صغيرة تقع بالقرب من كندة في تهامة اليمن. ياقوت الحموي: معجم البلدان، (5/59).

(14) الخزرجي: العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة الرسولية، (1/233).

(15) هو الملك المجاهد أبو يحيى سيف الإسلام عليّ بن داود بن يوسف بن عمر التركماني الرسولي اليمني. تولّى الملك بعد وفاة أبيه سنة 721هـ/1320م فأقام سنة ثم خلعه الأمراء والمماليك وولّوا الملك المنصور، فمكث أشهرًا ثم ثار بعضهم فأعادوا المجاهد. كان عاقلاً، محمود السيرة، وكان شاعرًا عالمًا بالأدب، مقربًا للعلماء والأدباء، محسنًا إليهم. له كتب وديوان شعر. توفي بعدن سنة 764هـ/1362م وهو يقود حملة لتأديب ابنه المظفر، وكان له

من العُمر 58 سنة، ثم نُقل إلى مدينة تعزّ ودُفن بها. انظر ترجمته في: الصفدي: خليل بن أيبك المصري (ت764هـ/1362م): الوافي بالوفيات، تحقيق: دوروتيا كرافولسكي، دار النشر فرانز شتايز، شتوتغارت، ألمانيا، 1411هـ/1991م، (5/390)؛ الخزرجي: العقود اللؤلؤية في أخبار الدولة الرسولية، (2/69).

(16) الخزرجي: العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة الرسولية، (2/107)؛ الفاسي: العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين، (5/260).

(17) هو أبو محمد بدر الدين الحسن بن علي بن رسول الغساني التركماني. أخو الملك المنصور نور الدين عمر الرسولي الذي تسلطن في اليمن بعد سقوط الدولة الأيوبية. دخل اليمن صغيرًا مع أبيه في سنة 579هـ/1183م صحبة الملك العزيز طغتكين، ولما شبّ صار نائبًا على صنعاء من طرف الأيوبيين، وكان فارسًا شجاعًا لا نظير له في عصره. توفي سجينًا بصنعاء - وقد سجنه ابن أخيه الملك المظفر الرسولي - في حدود سنة 662هـ/1264م. انظر ترجمته في: الخزرجي: العقود اللؤلؤية في أخبار الدولة الرسولية، (1/34)؛ الجندي: السلوك في طبقات العلماء والملوك، (2/283)؛ خير الدين محمود الزركلي: الأعلام؛ قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، دار العلم للملايين، بيروت، 1401هـ/1980م، (2/203).

(18) عَكّار: قرية كانت بالقرب من مدينة جبلة من شمالها، بالقرب من مركز محافظة إبْ، وإليها يُنسب الفقيه محمد بن علي بن عيسى العكاري المتوفي سنة 701هـ/1301م. إبراهيم أحمد المقحفي: معجم البلدان والقبائل اليمنية، دار الكلمة للطباعة والنشر والتوزيع، صنعاء، ط1، 1422هـ/2002م، (2/1100).

(19) الخزرجي: العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة الرسولية، (1/67).

(20) هو أبو إسحاق إبراهيم بن عثمان بن آدم الجبرتي الحبشي. الفقيه الصالح. كان له مسموعات وإجازات أخذها عن أبي الخير بن منصور الشماخي وغيره، وكان غالب دهره بمسجد يُعرف به يُقال له مسجد الجبرتي، وكان ورعًا زاهدًا. توفي بزبيد في سنة 704هـ/1304م. انظر ترجمته في: الجندي: السلوك في طبقات العلماء والملوك، (2/36)؛ الخزرجي: الخزرجي: العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة الرسولية، (1/299).

(21) الخزرجي: العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة الرسولية، (1/300).

(22) هي نبيلة بنت السلطان الملك المظفر يوسف ابن عمر بن علي بن رسول، المعروفة بجهة دار الدملوة. كانت تقية محسنة, من بيت مجد وملك، برة بأهلها، محسنة إلى من لاذ بها، وكانت إقامتها في حصن تعز. توفيت بمدينة تعز في المحرم سنة 718هـ/1318م. انظر ترجمتها في: الجندي: السلوك في طبقات العلماء والملوك، (2/130)؛ الخزرجي: الخزرجي: العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة الرسولية، (1/202)؛ الزركلي: الأعلام، (8/8).

(23) الجندي: السلوك في طبقات العلماء والملوك، (2/130)؛ الخزرجي: الخزرجي: العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة الرسولية، (1/350).

(24) الدار نجمي هي ابنة الأمير علي بن رسول أحد أمراء البيت الرسولي، وقد عُرفت بالنجمية نسبة لزوجها الأمير نجم الدين ابن أبي زكريا أحد الأمراء القادمين لليمن، وكان مقدامًا شجاعًا. الجندي: السلوك في طبقات العلماء والملوك، (2/252).

(25) ذي جبلة: مدينة باليمن تحت جبل صبر، كانت تسمى ذات النهرين لأنها واقعة بين نهرين جاريين في الصيف والشتاء، وهي من أحسن مدن اليمن وأنزهها وأطيبها. ياقوت الحموي: معجم البلدان، (2/106).

(26) الخزرجي: العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة الرسولية، (1/125).

(27) محمد سيف النصر: المدارس اليمنية، مجلة الأكليل، وزارة الثقافة، العدد الأول، صنعاء، 1985م، ص101.

(28) الجند: مدينة يمنية من أرض السكاسك، وإلى أعمالها ينسب في دواوين الخلفاء قرى تهامة اليمانية. الهمداني: صفة جزيرة العرب، ص54.

(29) إسماعيل علي الأكوع: المدارس الإسلامية في اليمن، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط2، 1986م، ص38.

(30) المرجع نفسه، ص42، 46.

(31) هو الملك الأشرف (الأول) أبو حفص ممهّد الدين عمر ابن الملك المظفر يوسف ابن الملك المنصور عمر ابن الأمير عليّ الرسولي التركماني اليمني. ثالث سلاطين الدولة الرسولية في اليمن. تولّى الحُكم سنة 694هـ/1295م، كان رؤوفاً بالرعية، صالحاً فاضلاً، حسن السيرة، برًّا بقرابته، وكان معتني بالعلم وأهله منذ أن كان أميرًا، وقد برع في عدة علوم كثيرة، وألّف مصنفات كثيرة في الأنساب والفلك وطب الإنسان والحيوان، منها كتاب "طرفة الأصحاب في معرفة الأنساب"، وكتاب "التبصرة في علم النجوم"، وكتاب "المعتمد في مفردات الطب" وغيرها. توفي بتعزّ سنة 696هـ/1297م عن 34 سنة. انظر ترجمته في: الخزرجي: العقود الؤلؤية في تاريخ الدولة الرسولية، (1/284)؛ الزركلي: الأعلام، (5/69).

(32) إسماعيل الأكوع: المدارس الإسلامية في اليمن، ص184.

(33) هو الملك المؤيد هزبر الدين داود ابن الملك المظفر يوسف بن عمر بن عليّ بن رسول التركماني الأصل اليمني. تولّى الحُكم بعد وفاة أخيه الملك الأشرف سنة 696هـ/1296م واستمرّ على الملك أكثر من 25 سنة. كان ملكًا حازمًا كريمًا جوادًا، وعالمًا أديبًا، صاحب مؤلفات، كما كان مهتمًّا بالرعية محاسبًا لوزراء دولته، فساد في عهده الأمان والرخاء. توفي بزبيد في ذي الحجة سنة 721هـ/1321م، ثم نُقل إلى تعزّ حيث دُفن جثمانه. انظر ترجمته في: الخزرجي: العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة الرسولية، (1/286)؛ ابن شاكر الكتبي: محمد بن شاكر (ت764هـ/1336م): فوات الوفيات والذيل عليها، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، ط1، بيروت، 1973م، (1/428).

(34) إسماعيل الأكوع: المدارس الإسلامية في اليمن، ص-202 203.

(35) هو الأمير المظفر حسن ابن الملك المؤيد داود ابن الملك المظفر يوسف الرسولي التركماني اليمني. وُليّ لأبيه أعمالاً، وتوفي بتعز في حياة والده في ذي القعدة سنة 712 هـ/1313م. انظر ترجمته في: الخزرجي: العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة الرسولية، (1/322)؛ الزركلي: الأعلام، (2/190).

(36) إسماعيل الأكوع: المدارس الإسلامية في اليمن، ص312.

(37) الخانقاه: جمعها خوانق؛ وهي كلمة فارسية تعني محلّ التعبد والتزهد والبعد عن الناس, ومعناه بيت أو دار الصوفية, جُعلت لتخلي الصوفية فيها لعبادة الله عزّ وجل, واستحُدثت الخوانق في الإسلام في القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلاديين ومن أشهر الخوانق "خانقاه سعيد السعداء" بمصر. الزبيدي: محمد بن محمد المرتضى اليمني (ت1205هـ/1790م): تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: عبد الستار أحمد الفرّاج، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1365هـ/1945م، (36/374)، مادة "خانقاه"؛ محمد أحمد دهمان: معجم الألفاظ التاريخية في العصر المملوكي، دار الفكر، بيروت، ط1، 1410هـ/1990م، ص66.

(38) إسماعيل الأكوع: المدارس الإسلامية في اليمن، ص230.

(39) هو الملك الأفضل ضرغام الدين العباس ابن الملك المجاهد عليّ ابن الملك المؤيد داود ابن الملك المظفر يوسف الرسولي التركماني اليمني. سادس سلاطين الدولة الرسولية. كان شجاعاً مهاباً كريماً، فيه برّ وصدقة ومآثر حسنة، وكان له إلمام بالمعارف، ومشاركة جيّدة في عدة علوم، صنّف تصانيف منها كتاب "العطايا السَّنية في ذكر أعيان اليمنية" (في تراجم فقهاء اليمن)، وكتاب "نزهة العيون في تاريخ طوائف القرون"، وكتاب "اللمعة الكافية في الأدوية الشافية" (في الطب)، وغيرها. توفي في تعز سنة 778هـ/1376م. انظر ترجمته في: الخزرجي: العقود اللؤلؤية في أخبار الدولة الرسولية، (1/230)؛ ابن خلدون: عبد الرحمن بن محمد الحضرمي (ت808هـ/1405م): كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، تحقيق: خليل شحاذة وسهيل زكار، دار الفكر، بيروت، ط3، 1417هـ/1996م، (5/513).

(40) إسماعيل الأكوع: المدارس الإسلامية في اليمن، ص243.

(41) ابن الدَّيْبع: عبد الرحمن بن عليّ الشيباني (ت944هـ/1537م): الفضل المزيد على بغية المستفيد في أخبار مدينة زبيد، تحقيق: يوسف شلحد، دار العودة، بيروت،، (د.ط)، 1983م، ص102.

(42) الطواشي: لفظ تركي أصله طابوشي ثم حرف إلى كلمة طواشي, وقد أطلق هذا عمومًا على طبقة الخصيان من المماليك الأيوبيين الذين عملوا كخدام في قلعة الجبل بالقاهرة واختص عدد منهم بتربية المماليك السلطانية (الكتابية) في الطباق ومراقبة عدم اختلاط الكبار بالصغار منهم، كما عملوا في خدمة بيوت السلطان وحريمه. محمد دهمان: معجم الألفاظ التاريخية في العصر المملوكي، ص109؛ محمد عبد الله العمايرة: المعجم العسكري المملوكي, دار كنوز المعرفة، عمان، (د.ط)، 2010م، ص203.

(43) هو تاج الدين بدر بن عبد الله المظفري. كان ذا همة عالية ونفس أبية، وله آثار محمودة في بداء المدارس، حيث أنشأ أربعة مدراس وخانقاه في تعز ومحيطها. توفي بتعز في ربيع الثاني سنة 654هـ/1256م. انظر ترجمته في: الخزرجي: العقود اللؤلؤية في أخبار الدولة الرسولية، (1/113)؛ العقد الفاخر الحسن في طبقات أكابر أهل اليمن، (1/571).

(44) إسماعيل الأكوع: المدارس الإسلامية في اليمن، ص176.

(45) هو الأمير نجم الدين عمر بن يوسف الرسولي اليمني، المعروف بالرين، أخو الملك المظفر يوسف لأمه. كان أميرًا كبيرًا ذا همة عالية وسيرة حسنة. توفي في صفر سنة 667هـ/1268م. انظر ترجمته في: الخزرجي: العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة الرسولية، (1/153)؛ الزركلي: الأعلام، (5/69).

(46) إسماعيل الأكوع: المدارس الإسلامية في اليمن، ص116.

(47) لم أجد لها ترجمة في وقفتُ عليه من مصادر ومراجع.

(48) هو أسد الدين محمد بن الحسن بن علي بن رسول الرسولي اليمني. كان من أكمل أمراء الرسوليين أخلاقًا، وكان يُضرب به المثل في قوته. له آثار عمرانية في اليمن، منها مدرسة في مدينة إبْ ومدرسة في الحبالي وسد في قرية قرفة. سجنه ابن عمّه السلطان الملك المظفر مدة ثم توفي سنة 677هـ/1279م. انظر ترجمته في: الخزرجي: العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة الرسولية، (1/233)؛ الزركلي: الأعلام، (6/86).

(49) إسماعيل الأكوع: المدارس الإسلامية في اليمن، ص136.

(50) لم أجد لها ترجمة في وقفتُ عليه من مصادر ومراجع.

(51) إسماعيل الأكوع: المدارس الإسلامية في اليمن، ص152-151.

(52) هي الأميرة ماء السماء بنت السلطان الملك المظفر يوسف بن عمر الرسولي المعروفة بالجهة الكريمة. كانت أميرة محسنة، لها من الآثار المدرسة الواثقية في زبيد والتي أنفقت على بنائها مبلغًا طائلاً، وأوقفت عليها أوقافا صالحة من أملاكها. توفيت في قرية التربية من قرى وادي زبيد سنة 724هـ/1324م. انظر ترجمتها في: الخزرجي: العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة الرسولية، (2/45)؛ الزركلي: الأعلام، (5/251).

(53) هو الملك الواثق إبراهيم ابن الملك المظفر يوسف ابن الملك المنصور عمر الرسولي التركماني اليمني. أقطعه أبوه إقليم ظفار سنة 692هـ/1292م فسار إليها ولم يزل فيها محمود السيرة إلى أن توفي بها سنة 711هـ/1311م. كان حسن السيرة عاقلاً محباً للعلم، وكانت له مشاركة في الفقه والنحو واللغة، وله شعر حسن. وقد استقل أولاده بالملك بظفار بعده وصاروا ملوكها. توفي في ظفار سنة 711هـ/1311م. انظر ترجمته في: الخزرجي: العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة الرسولية، (1/398)؛ بامخرمة: قلادة النحر في وفيات أعيان الدهر، (6/70).

(54) إسماعيل الأكوع: المدارس الإسلامية في اليمن، ص201.

(55) يوسف عبد العزيز الحميدي: الملك الأفضل الرسولي وجهوده السياسية والعلمية (٧٦٤-٧٧٨هـ/١٣٦٣-1376م)، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، قسم الدراسات العليا التاريخية والحضارية، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، 2008م، ص39.

(56) الخزرجي: العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة الرسولية، (1/233)؛ أسامة أحمد حماد: مظاهر الحضارة الإسلامية في اليمن في العصر الإسلامي: عصر دولتي بني أيوب وبني رسول، مركز الإسكندرية، الإسكندرية، ط1، 2004م، ص881.

(57) الخزرجي: العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة الرسولية، (2/107)؛ أسامة حماد: مظاهر الحضارة الإسلامية في اليمن في العصر الإسلامي: عصر دولتي بني أيوب وبني رسول، ص881.

(58) هو الملك الأشرف (الثاني) ممهّد الدين إسماعيل ابن الملك الأفضل العباس ابن الملك المجاهد عليّ الرسولي التركماني اليمني. صاحب زبيد وتعزّ وعدن وسابع سلاطين الدولة الرسولية في اليمن. كان حليمًا، كثير السخاء، مقبلاً على العلم، محبًّا للغرباء. صنّف تاريخًا لليمن. توفي بمدينة تعزّ سنة 803هـ/1400م، وكان له من العُمر 37 سنة. انظر ترجمته في: الخزرجي: العقود اللؤلؤية في أخبار الدولة الرسولية، (2/163)؛ ابن حجر: أحمد بن عليّ العسقلاني (ت852هـ/1449م): إنباء الغمر بأبناء العمر، تحقيق: محمد عبد المعيد خان، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 1406هـ/1986م، (4/265).

(59) الخزرجي: العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة الرسولية، (2/143)؛ ابن الدَّيْبع: الفضل المزيد على بغية المستفيد في أخبار مدينة زبيد، ص103.

(60) هو الملك الناصر أحمد ابن الملك الأشرف (الثاني) إسماعيل ابن الملك الأفضل عباس الرسولي التركماني اليمني. تولّى العرش بعد وفاة والده سنة 803هـ/1400م ولم تحمد سيرته، فقد كان فاجرًا جائرًا. خرج عليه أخوه حسين وتلقب بالملك الظافر واستولى على زبيد سنة 822هـ/1418م فقاتله الناصر ثم قبض عليه وسمل عينيه. توفي في جمادى الآخرة سنة 827هـ/1424م متأثرًا من روعة أصابته بسقوط صاعقة على حصنه خارج مدينة زبيد، وحمل إلى مدينة تعز فدُفن فيها. انظر ترجمته في: مجهول: (من أهل القرن التاسع الهجري/الخامس عشر الميلادي): تاريخ الدولة الرسولية في اليمن، تحقيق: محمد الحبيشي، دار الجيل، صنعاء، (د.ط)، 1984م، ص201؛ ابن العماد: عبد الحي بن أحمد الحنبلي (ت1089هـ/1678م): شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1419هـ/1998م، (9/257)؛ الزركلي: الأعلام، (1/97).

(61) ابن الدَّيْبع: الفضل المزيد على بغية المستفيد في أخبار مدينة زبيد، ص106.

(62) ثَعَبَات: منطقة أعلى مدينة تعز من الناحية الشرقية في جبل صبر. إبراهيم المقحفي: معجم البلدان والقبائل اليمنية، (1/265).

(63) الخزرجي: العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة الرسولية، (1/311)؛ ابن الدَّيْبع: عبد الرحمن بن عليّ الشيباني (ت944هـ/1537م)، قرة العيون بأخبار اليمن الميمون، تحقيق: محمد علي الأكوع، مكتبة الإرشاد، صنعاء، ط1، 2006م، ص346.

(64) الخزرجي: العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة الرسولية، (2/69).

(65) الهمداني: بدر الدين محمد بن حاتم اليامي (ت694هـ/1295م): السمط الغالي الثمن في أخبار الملوك من الغز باليمن، تحقيق: ريس سميث، جامعة كمبريدج، بريطانيا، 1973م، (د.ط)، ص228؛ أسامة حماد: مظاهر الحضارة الإسلامية في اليمن في العصر الإسلامي: عصر دولتي بني أيوب وبني رسول، ص897.

(66) الهمداني: السمط الغالي الثمن في أخبار الملوك من الغز باليمن، ص364؛ الخزرجي: العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة الرسولية، (1/139).

(67) الزاهر: قرية مشهورة في بلاد الجوف. إبراهيم المقحفي: معجم البلدان والقبائل اليمنية، (2/903).

(68) التعبرة: من قرى بني المصعب في مديرية الرُجُم بالمحويت. إبراهيم المقحفي: معجم البلدان والقبائل اليمنية، (1/241).

(69) ثلا: مدينة وحصن بالشمال الغربي من مدينة صنعاء على مسافة 45 كيلومتر. إبراهيم المقحفي: معجم البلدان والقبائل اليمنية، (1/267).

(70) الهمداني: السمط الغالي الثمن في أخبار الملوك من الغز باليمن، ص381؛ أسامة حماد: مظاهر الحضارة الإسلامية في اليمن في العصر الإسلامي: عصر دولتي بني أيوب وبني رسول، ص897.

(71) الجنات: مدينة أثرية تقع بالجهة الشمالية الشرقية من مدينة عمران بمسافة ثلاثة كيلومترات، وقد أصبحت الآن جزءًا من المدينة بعد التوسع العمراني الذي شهدته المنطقة. إبراهيم المقحفي: معجم البلدان والقبائل اليمنية، (1/364).

(72) ( ) الهمداني: السمط الغالي الثمن في أخبار الملوك من الغز باليمن، ص405؛ أسامة حماد: مظاهر الحضارة الإسلامية في اليمن في العصر الإسلامي: عصر دولتي بني أيوب وبني رسول، ص897.

(73) بدأت المواجهة العسكرية بين الرّسوليّين والمماليك عندما حاول الرسوليون بسط نفوذهم على مكة المكرمة وعموم منطقة الحجاز، وهي محاولة بدأت في العهد الأيوبي وقبل قيام الدولة المملوكية عندما كان الحجاز لا يزال يخضع للسيطرة الأيوبية، فحاول مؤسس الدولة الرسولية الملك المنصور عمر ضمّ الحجاز إلى دولته الفتية، فتطوّر التنافس إلى نزاع سياسي وصراعٍ عسكري دام قريبًا من عشرين عام. وأما في العهد المملوكي فقد زاد الصراع حدّة وتصاعد منذ أن أعلن أمير مكة أمير مكة أبو نمي التبعية للسلطان المملوكي للملك الظاهر بيبرس، وصار هذا الصراع الذي استمرّ طيلة عُمر الدولة الرسولية يزيد وينقص وينقطع لمعاودة الاستمرار، وكان سببًا مباشرًا في الصراع المرير الذي كان بين أمراء مكة من الأشراف في تنافسهم على الإمارة. انظر: الخزرجي: العقود اللؤلؤية في أخبار الدولة الرسولية، (1/49)؛ الفاسي: العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين، (4/85)، (5/397).

(74) عابد علي الرشيدي: الحياة السياسية والحضارية في اليمن خلال عهد السلطان المؤيد داود بن يوسف الرسولي (696-721هـ/1297-1321م)، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة القصيم، بريدة، 2016م، ص258.

(75) ابن الدَّيْبع: قرة العيون بأخبار اليمن الميمون، ص391.

(76) الخزرجي: العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة الرسولية، (2/58-59)؛ أسامة حماد: مظاهر الحضارة الإسلامية في اليمن في العصر الإسلامي: عصر دولتي بني أيوب وبني رسول، ص901.

(77) الخزرجي: العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة الرسولية، (2/187).

(78) الجدول من عمل الباحث من خلال مصادر الدراسة ومراجعها.

المصادر والمراجع:

أولاً: المصادر:

(1) ابـن تغـري بـردي: يوسـف بـن عبـد اللـه الأتابـكي (ت874هـ/1469م): النجـوم الزاهـرة في أخبـار ملـوك مـصر والقاهـرة، تحقيـق: محمـد حسـين شـمس الديـن، دار الكتـب العلميـة، بـيروت، ط1، 1413هـ/1992م.

(2) ابـن حجـر: أحمـد بـن عـليّ العسـقلاني (ت852هـ/1449م): إنبـاء الغمـر بأبنـاء العمـر، تحقيـق: محمـد عبـد المعيـد خـان، دار الكتـب العلميـة، بـيروت، ط2، 1406هـ/1986م.

(3) ابـن خلـدون: عبـد الرحمـن بـن محمـد الحضرمـي (ت808هـ/1405م): كتـاب العـبر وديـوان المبتـدأ والخـبر في تاريـخ العـرب والعجـم والبربـر ومـن عاصرهـم مـن ذوي السـلطان الأكـبر، تحقيـق: خليـل شـحاذة وسـهيل زكار، دار الفكـر، بـيروت، ط3، 1417هـ/1996م.

(4) ابن الدَّيْبع: عبد الرحمن بن عليّ الشيباني (ت944هـ/1537م):

(5) - الفضـل المزيـد عـلى بغيـة المسـتفيد في أخبـار مدينـة زبيـد، تحقيـق: يوسـف شـلحد، دار العـودة، بـيروت،، (د.ط)، 1983م.

(6) - قـرة العيـون بأخبـار اليمـن الميمـون، تحقيـق: محمـد عـلي الأكـوع، مكتبـة الإرشـاد، صنعـاء، ط1، 2006م.

(7) ابـن شـاكر: محمـد بـن شـاكر الكتبـي (ت764هـ/1336م): فـوات الوفيـات والذيـل عليهـا، تحقيـق: إحسـان عبـاس، دار صـادر، ط1، بـيروت، 1973م.

(8) ابـن العديـم: عمـر بـن أحمـد الحلبـي (ت660هـ/1261م): زبـدة الحلـب مـن تاريـخ حلـب، وضـع حواشـيه: خليـل المنصـور، دار الكتـب العلميـة، بـيروت، ط1، 1417ه/1996م.

(9) ابـن العـماد: عبـد الحـي بـن أحمـد الحنبـلي (ت1089هـ/1678م): شـذرات الذهـب في أخبـار مـن ذهـب، تحقيـق: مصطفـى عبـد القـادر عطـا، دار الكتـب العلميـة، بـيروت، ط1، 1419هـ/1998م.

(10) بامخرمـة: الطيـب بـن عبـد اللـه الحضرمـي (ت947 هـ/1540م): قـلادة النحـر في وفيـات أعيـان الدهـر، اعتنـى بـه: بـو جمعـة مكـري وخالـد زواري، دار المنهـاج، جـدة، ط1، 1428هـ/2008م.

(11) الجنـدي: محمـد بـن يوسـف الكنـدي اليمنـي (ت732هـ/1331م): السـلوك في طبقـات العلـماء والملـوك، تحقيـق: محمـد بـن عـلي الأكـوع، مكتبـة الإرشـاد، صنعـاء، ط2، 1995م.

(12) الخزرجي: عليّ بن وهاس اليمني (ت812هـ/1409م):

(13) - العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة الرسولية، مركز الدراسات والبحوث اليمني، صنعاء، 1403هـ

(14) - العقـد الفاخـر الحسـن في طبقـات أكابـر أهـل اليمـن المعـروف كذلـك بطـراز الزمـن في طبقـات أعيـان اليمـن، تحقيـق: عبـد اللـه قائـد العبـادي وآخـرون، مكتبـة الجيـل الجديـد، صنعـاء، ط1، 2009م.

(15) الزبيـدي: محمـد بـن محمـد المرتـضى اليمنـي (ت1205هـ/1790م): تـاج العـروس مـن جواهـر القامـوس، تحقيـق: عبـد السـتار أحمـد الفـرّاج، دار إحيـاء الـتراث العـربي، بـيروت، 1365هـ/1945م.

(16) الصفدي: خليل بن أيبك المصري (ت764هـ/1362م): الوافي بالوفيات، تحقيق: دوروتيا كرافولسكي، دار النشر فرانز شتايز، شتوتغارت، ألمانيا، 1411هـ/1991م.
(17) الفاسي: محمد بن أحمد المكي (ت832هـ/1428م): العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين، تحقيق: فؤاد السيّد، مطبعة السنة المحمدية، القاهرة، ط1، 1378هـ.
(18) مجهول: (من أهل القرن التاسع الهجري/الخامس عشر الميلادي): تاريخ الدولة الرسولية في اليمن، تحقيق: محمد الحبيشي، دار الجيل، صنعاء، (د.ط)، 1984م.
(19) المقريزي: أحمد بن عليّ المصري (ت845هـ/1461م): السلوك لمعرفة دول الملوك، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، (د.ط)، 1997م.
(20) الهمذاني: الحسن بن أحمد بن يعقوب (ت بعد سنة 344هـ/955م): صفة جزيرة العرب، تحقيق: محمد بن عليّ الأكوع، دار اليمامة، الرياض، ط1، 1394هـ/1974م.
(21) الهمذاني: بدر الدين محمد بن حاتم اليامي (ت694هـ/1295م): السمط الغالي الثمن في أخبار الملوك من الغز باليمن، تحقيق: ريس سميث، جامعة كمبريدج، بريطانيا، 1973م، (د.ط).
(22) ياقوت الحموي: ياقوت بن عبد الله الرومي (ت626هـ/1228م): معجم البلدان، تحقيق: فريد عبد العزيز الجندي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1410هـ/1990م.
(23) ثانيًا: المراجع العربية:
(24) الأكوع: إسماعيل علي: المدارس الإسلامية في اليمن، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط2، 1986م.
(25) البلادي: عاتق غيث: معجم معالم الحجاز، دار مكة، مكة، مؤسسة الريان، بيروت، ط2، 1431هـ/2010م.
(26) حماد: أسامة أحمد: مظاهر الحضارة الإسلامية في اليمن في العصر الإسلامي: عصر دولتي بني أيوب وبني رسول، مركز الإسكندرية، الإسكندرية، ط1، 2004م.
(27) الحميدي: يوسف عبد العزيز: الملك الأفضل الرسولي وجهوده السياسية والعلمية (764-778هـ/1363-1376م)، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، قسم الدراسات العليا التاريخية والحضارية، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، 2008م.
(28) الحييد: عبد الله حامد: قيام الدولة الطاهرية تحت قيادة الملكين المجاهد عليّ والظافر عامر ابنا طاهر بن طاهر بن معوضة آل طاهر (858-883هـ/1458-1478م)، (د.ن)، (د.ط)، 1418هـ/1998م.
(29) دهمان: محمد أحمد: معجم الألفاظ التاريخية في العصر المملوكي، دار الفكر، بيروت، ط1، 1410هـ/1990م.
(30) الرشيدي: عابد علي: الحياة السياسية والحضارية في اليمن خلال عهد السلطان المؤيد داود بن يوسف الرسولي (696-721هـ/1297-1321م)، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة القصيم، بريدة، 2016م.
(31) الزركلي: خير الدين محمود: الأعلام؛ قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، دار العلم للملايين، بيروت، 1401هـ/1980م.

(32) سيف النصر: محمد: المدارس اليمنية، مجلة الأكليل، وزارة الثقافة، العدد الأول، صنعاء، 1985م.

(33) العمايرة: محمد عبد الله: المعجم العسكري المملوكي, دار كنوز المعرفة، عمان، (د.ط)، 2010م.

(34) مجموعة مؤلفين: الموسوعة العربية العالمية، مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع (شارك فيها مجموعة كبيرة من المفكرين وأهل العلم العرب والمسلمين وغيرهم)، الرياض، ط2، 1419هـ/1999م.

(35) المغلوث: سامي عبد الله: أطلس تاريخ العصر المملوكي، مكتبة العبيكان، الرياض، ط1، 1434هـ/ 2013م.

(36) المقحفي: إبراهيم أحمد: معجم البلدان والقبائل اليمنية، دار الكلمة للطباعة والنشر والتوزيع، صنعاء، ط1، 1422هـ/2002م.

العلاقات العلمية بين الهنود والدولة العباسية
(132 - 656هـ/750 - 1258م)

أ.عبد الرب عبد الصمد محمد سعي
طالب دكتوراه – قسم التاريخ - كلية العلوم الاجتماعية
جامعة أم القرى – المملكة العربية السعودية

المستخلص:

الهدف من الدراسة إلى تسليط الضوء على العلاقات العلمية بين الهنود والدولة العباسية. بيان دور العلماء الهنود في إثراء الحضارة الإسلامية، من خلال مساهماتهم في مختلف العلوم، مثل الطب، والفلك، والرياضيات، والفلسفة، والأدب. استعراض جهود الترجمة التي ساهمت في نقل المعارف الهندية إلى العالم الإسلامي. إبراز دور الخلفاء العباسيين، خاصة الخليفة المنصور وهارون الرشيد، في دعم هذه العلاقات وتعزيزها عبر استقدام العلماء الهنود وترجمة كتبهم.أهمية الدراسة تتجلى أهمية الدراسة كالتالي: إبراز التأثير المتبادل بين الحضارتين (الهند والدولة العباسية)، خاصة في مجالات الفلك، الرياضيات، الطب، والفلسفة.تسلط الضوء على الجهود الكبيرة التي بذلتها الدولة العباسية في ترجمة العلوم الهندية إلى العربية، مما ساهم في تطور المعرفة العلمية الإسلامية.تساعد الدراسة في تحليل كيفية استفادة العلماء المسلمين من المعارف الهندية، وتوظيفها لتطوير النظريات العلمية التي أثرت لاحقا في النهضة الأوروبية. توضح دور الخلفاء، مثل المنصور وهارون الرشيد، في دعم العلماء الهنود، وتأسيس مراكز علمية مثل «بيت الحكمة» لنقل العلوم الهندية إلى العربية.المنهج المستخدم في الدراسة:تعتمد هذه الدراسة على المنهج التاريخي التحليلي، وذلك من خلال:جمع المعلومات من المصادر التاريخية، مثل كتب المؤرخين المسلمين والهنود التي تناولت العلاقات العلمية بين الجانبين.تحليل النصوص والمخطوطات التي وثّقت الترجمة والنقل العلمي بين الهند والدولة العباسية، مثل الأعمال الفلكية والرياضية والطبية.استخدام المنهج المقارن لمقارنة التأثيرات العلمية الهندية على العلوم الإسلامية، ومدى تطورها بعد دخولها إلى الدولة العباسية. استخلاص النتائج من الوقائع التاريخية حول كيفية انتقال العلوم الهندية، وتأثيرها على الفكر العلمي العباسي. تقديم رؤية متكاملة عن طبيعة العلاقات العلمية بين الحضارتين وتأثيرها على تطور المعرفة.أهم النتائج التي توصل إليها البحث:التأثير الكبير للعلوم الهندية على الدولة العباسية، حيث لعبت الهند دورا مهما في نقل العلوم، خاصة في الفلك والرياضيات والطب.ترجمة العديد من الكتب الهندية إلى العربية في عصر الخلافة العباسية، خصوصا في عهد الخليفة المنصور والخليفة هارون الرشيد، ومن أشهر هذه الكتب «السند هند» في الفلك والرياضيات.دور بيت الحكمة في تعزيز التبادل العلمي، حيث ساهمت هذه المؤسسة في ترجمة ونقل المعارف الهندية إلى العالم الإسلامي.استفادة العلماء المسلمين من الحساب الهندي، حيث أدى ذلك إلى تطوير علم الحساب والجبر، مثل استخدام الأرقام الهندية التي أصبحت أساس الأرقام العربية المستخدمة اليوم.التأثير الهندي في الطب والصيدلة، حيث تم نقل تقنيات علاجية وأعشاب طبية من الهند، وأثّرت على تطور الطب الإسلامي. استمرار التأثير العلمي الهندي في العالم الإسلامي، حيث لم

يقتصر على العصر العباسي، بل امتد ليؤثر في العصور اللاحقة من خلال الكتب والمخطوطات التي تم تبنّيها وتطويرها. دور الرحلات والسفر في تعزيز العلاقات العلمية، حيث قام علماء مسلمون بزيارة الهند ونقلوا منها العلوم، كما جاء علماء هنود إلى بغداد وشاركوا في الحوارات العلمية. تظهر هذه النتائج أن العلاقات العلمية بين الهند والدولة العباسية كانت غنية ومثمرة، وأسهمت في تشكيل النهضة العلمية الإسلامية.

الكلمات المفتاحية: الترجمة، بيت الحكمة، الأرقام الهندية، التبادل المعرفي، التراث الهندي

Relations Between Indians and the Abbasid Caliphate (132-656 HD /750-1258HD)

A. Abdur Rab Abdus Samad Mohammad

Abstract:

The Scientific Relations Between Indians and the Abbasid State Study Objectives:To highlight the scientific relations between Indians and the Abbasid state.To demonstrate the role of Indian scholars in enriching Islamic civilization through their contributions to various sciences, such as medicine, astronomy, mathematics, philosophy, and literature.To review the efforts of translation that facilitated the transfer of Indian knowledge to the Islamic world.To emphasize the role of Abbasid caliphs, especially Caliph Al-Mansur and Harun Al-Rashid, in supporting and strengthening these relations by inviting Indian scholars and translating their works.Significance of the Study The importance of this study lies in:Highlighting the mutual influence between the Indian and Abbasid civilizations, especially in astronomy, mathematics, medicine, and philosophy.Shedding light on the Abbasid state's great efforts in translating Indian sciences into Arabic, which contributed to the advancement of Islamic scientific knowledge.Analyzing how Muslim scholars benefited from Indian knowledge and utilized it to develop scientific theories that later influenced the European Renaissance.Clarifying the role of Abbasid caliphs, such as Al-Mansur and Harun Al-Rashid, in supporting Indian scholars and establishing scientific centers like the "House of Wisdom" to transfer Indian sciences into Arabic. Methodology Used in the Study:This study adopts the historical-analytical method through:Collecting information from historical sources, such as Muslim and Indian historians' books that addressed scientific relations between both civilizations.Analyzing texts and manuscripts

that documented translation and scientific transmission between India and the Abbasid state, including astronomical, mathematical, and medical works.Using the comparative method to examine the impact of Indian sciences on Islamic sciences and how they evolved after their introduction into the Abbasid state.Deriving conclusions from historical facts regarding how Indian sciences were transferred and their impact on Abbasid scientific thought.Providing a comprehensive perspective on the nature of scientific relations between the two civilizations and their effect on knowledge development.Key Findings of the Research:Indian sciences had a significant influence on the Abbasid state, playing a crucial role in transferring knowledge, particularly in astronomy, mathematics, and medicine.Many Indian books were translated into Arabic during the Abbasid Caliphate, particularly under Caliph Al-Mansur and Caliph Harun Al-Rashid. One of the most famous translated works was “Sindhind”, which focused on astronomy and mathematics.The House of Wisdom (Bayt Al-Hikma) played a major role in promoting scientific exchange, as this institution facilitated the translation and transfer of Indian knowledge to the Islamic world.Muslim scholars benefited from Indian numerals, leading to advancements in arithmetic and algebra, such as the adoption of Indian numerals, which later evolved into the Arabic numeral system used today.Indian influence in medicine and pharmacy was evident, as medical techniques and medicinal herbs from India were integrated into Islamic medicine, significantly contributing to its progress.The scientific impact of India on the Islamic world continued beyond the Abbasid era, influencing later periods through preserved books and manuscripts that were further developed.Travel and exploration played a key role in strengthening scientific relations, as Muslim scholars visited India to acquire knowledge, while Indian scholars traveled to Baghdad and participated in scholarly discussions.These findings demonstrate that scientific relations between India and the Abbasid state were rich and fruitful, significantly shaping Islamic scientific advancements.

Keywords:Translation ,House of Wisdom, Indian Numerals, Knowledge Exchange ,Indian Heritage

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد المرسلين، نبينا محمد، وعلى آله وأصحابه أجمعين.

أما بعد،

العلاقات العلمية بين الهند والعرب تمتد عبر قرون من التفاعل الثقافي والتبادل العلمي، حيث لعبت الهند دورا بارزا في إثراء الحضارة الإسلامية بعلومها ومعارفها، خاصة في مجالات الفلك، والرياضيات، والطب، والفلسفة. وقد بدأت هذه العلاقات منذ الفتوحات الإسلامية في شبه القارة الهندية، وازدادت قوة في العصر العباسي، عندما أصبحت بغداد مركزا للعلم والترجمة، واستقبلت العلماء الهنود الذين جلبوا معهم تراثهم الغني.

كان للهند تأثير كبير على العلوم العربية، حيث تم نقل العديد من الكتب الهندية إلى العربية، خاصة في علم الفلك مثل كتاب «السند هند»، وفي الطب مثل مؤلفات شاناق الهندي. كما ساهم العلماء الهنود في تطوير الرياضيات من خلال تقديم الأرقام الهندية التي أصبحت أساس الحساب العربي، إضافةً إلى مفاهيم الصفر والخوارزميات التي استخدمت لاحقا في الرياضيات الإسلامية والأوروبية.

فضائل الهنود العلمية:

فلا يخفى على الكثير أن للهند وأهلها فضائل كثيرة، لا سيما في درايتهم ومهارتهم في العديد من العلوم والفنون. وقد شهد بذلك كثير من المؤرخين، ومنهم الجاحظ، واليعقوبي، والسيرافي، أما الجاحظ فقد أثنى عليهم في العلوم المختلفة كعلم النجوم والحساب، والطب وفي تطوير الخط الهندي. وكذلك في الفنون أو الصناعات أيضا، حيث أخبر بأنهم أبدعوا في نحت التماثيل ورسم الصور بالأصباغ، والتي استخدمت في المحاريب وغيرها، كما أنه أخبر بأن الهنود هم الذين اخترعوا لعبة الشطرنج.

كذلك أخبر بأن الهنود هم الذين امتلكوا معرفة دقيقة بالرقى المستخدمة في علاج السموم والأوجاع، كما كانوا أهل غناء عذب وموسيقى فريدة، وأيضا بين تميزهم في الرقص. وقد أخبر بأن الهنود عرفوا بثرائهم الأدبي، حيث أنتجوا الشعر الكثير والخطب الطوال، وأبدعوا في الفلسفة والأدب، حتى أخبر بأن كتاب «كليلة ودمنة» من منجزاتهم.

قال الجاحظ في رسالته فتح السودان على البيضان: « وأما الهند فوجدناهم يقدمون في النجوم والحساب، ولهم الخط الهندي خاصة، ويقدمون في الطب، ولهم أسرار الطب وعلاج فاحش الأدواء خاصة، ولهم خرط التماثيل ونحت الصور بالأصباغ تتخذ في المحاريب وأشباه ذلك، ولهم الشطرنج، وهي أشرف لعبة وأكثرها تدبيرا وفطنة. ولهم السيوف القلعية، وهم ألعب الناس بها وأحذقهم ضربا بها. ولهم الرقى النافذة في السموم وفي الأوجاع، ولهم غناء معجب، ولهم الكنكلة، وهي وتر واحد يمد على قرعة فيقوم مقام أوتاد العود والصنج، ولهم ضروب الرقص والخفة، ولهم الثقافة عند الثقاف خاصة، ولهم مغرفة المناصفة، ولهم السحر والتدخين والدمازكية، ولهم خط جامع لحروف اللغات، وخطوط أيضا كثيرة، ولهم شعر كثير وخطب طوال، وطب في

الفلسفة والأدب، وعنهم أخذ كتاب كليلة ودمنة، ولهم رأي ونجدة، وليس لأحد من أهل الصبر ما لهم، ولهم من الزي الحسن والأخلاق المحمودة مثل الأخلة والقرن والسواك، والاحتباء، والفرق والخضاب، وفيهم جمال وملح واعتدال وطيب عرق، وإلى نسائهم يضرب الأمثال، ومن عندهم جاءوا الملوك بالعود الهندي الذي لا يعدله عود، ومن عندهم خرج علم الفكر، وما إذا تكلم به على السم لم يضر، وأصل حساب النجوم من عندهم أخذه الناس خاصة، وآدم عليه السلام إنما هبط من الجنة فصار ببلادهم».([1]) وقد أثنى اليعقوبي أهل الهند مثل ما أثنى الجاحظ، فقد شيد اليعقوبي أهل الهند بالحكمة والمعرفة التي يتميزون بها، مشيرا إلى تفوقهم في العلوم والفلسفة، وهم يتقدمون على غيرهم في النجوم، ويعتبر قولهم فيها الأصح، مستندا إلى كتاب السند هند، الذي اشتقت منه معظم علوم الفلك التي تناولها اليونانيون والفرس وغيرهم. وأما في الطب فهم أهل الريادة، ولهم مؤلفات عظيمة، منها كتاب «سسرد» الذي يتناول علامات الأمراض وعلاجها، وكتاب «شرك»، وكتاب «ندان» الذي يتناول تشخيص أربع مئة وأربعة أمراض دون علاج، بالإضافة إلى كتاب «سند هستان»، الذي يفسر ب»صورة النجح»، وكتاب يبحث في اختلاف الهند والروم حول طبيعة الأدوية وقواها وتقسيم الفصول، إلى جانب كتاب يتحدث عن أسماء العقاقير، حيث يذكر لكل عقار عشرة أسماء مختلفة.

كما أن لهم إسهامات بارزة في المنطق والفلسفة، إذ ألفوا كتبا كثيرة في أصول العلم، منها كتاب «طوفا» الذي يعالج حدود المنطق، وكتاب يبحث في الفروقات بين فلسفات الهند والروم، وغيرها من المؤلفات التي يصعب إحصاؤها. وقد أكد اليعقوبي بأن كثرة مؤلفاتهم في مختلف العلوم تجعل من العسير عرضها جميعا، مما يوضح مدى عمق التراث العلمي والفكري للهند، وتأثيره الواسع على الأمم الأخرى. وقال اليعقوبي في تاريخه: « والهند أصحاب حكمة ونظر، وهم يفوقون الناس في كل حكمة، فقولهم في النجوم أصح الأقاويل، وكتابهم فيه كتاب السند هند الذي منه اشتق كل علم من العلوم مما تكلم فيه اليونانيون والفرس وغيرهم، وقولهم في الطب المقدم، ولهم فيه الكتاب الذي يسمى سسرد فيه علامات الأدواء، ومعرفة علاجها وأدويتها، وكتاب شرك، وكتاب ندان في علامات أربعمائة وأربعة أدواء ومعرفتها بغير علاج، وكتاب سند هستان، وتفسيره صورة النجح، وكتاب فيما اختلفت فيه الهند والروم من الحار والبارد و قوي الأدوية وتفصيل السنة، وكتاب أسماء العقاقير كل عقار بأسماء عشرة، ولهم غير ذلك من الكتب في الطب، ولهم في المنطق والفلسفة كتب كثيرة في أصول العلم منها: كتاب طوفا في علم حدود المنطق، وكتاب ما تفاوت فيه فلاسفة الهند والروم، ولهم كتب كثيرة يطول ذكرها ويبعد عرضها».([2])

يصف السيرافي في كلامه تنوع طبقات المجتمع الهندي ومجالات تفوقهم، مشيرا إلى أن الهند تضم عبادا وزهادا يعرفون بالبراهمة، وهم أهل علم وحكمة، كما أن بها شعراء يحضرون مجالس الملوك، مما يعكس مكانة الأدب والشعر لديهم. ويؤكد أن الهند تتميز بوجود منجمين وفلاسفة وكهان، مما يدل على اهتمامهم بالنجوم والتنجيم والتأمل الفلسفي، إلى جانب أهل الزجر، الذين يعتمدون على زجر الغربان وغيرها لاستشراف الغيب أو التنبؤ بالأحداث. وقال السيرافي: « وللهند

عباد وأهل علم يعرفون بالبراهمة وشعراء يغشون الملوك، ومنجمون وفلاسفة وكهان، وأهل زجر للغربان وغيرها».([3])

بداية العلاقات ونشأتها

بدأ تعريب اللغات الأخرى منذ أواسط القرن الأول الهجري، ففي ذلك الوقت كانت عاصمة الخلافة الإسلامية في الشام (دمشق)، حيث سادت اللغتان اليونانية والسريانية. ولكن بعد انتقال الخلافة إلى العراق (بغداد)، وجد العلماء الهنود فرصة لإظهار كفاءاتهم العلمية، ومن الأسباب التي عززت العلاقات العلمية بين الهند وبغداد هي سيطرة البرامكة على الحكم، إذ كانوا ينحدرون من أصول هندية، مما أسهم في تقوية الروابط بين البلدين. وعندما انتشر شغف الخليفة المنصور بالعلم، وصل إلى بغداد وفد من العلماء الهنود، وأحضروا معهم كتاب «السندهند» باللغة السنسكريتية، فقام إبراهيم الفزاري بترجمته إلى العربية، وكان هذا الحدث أول مرة يتعرف فيها العرب على إسهامات الهنود العلمية، ثم استدعى الخليفة هارون الرشيد أطباء هنودًا للعلاج، مما عزز مكانة الهند العلمية في نظر العرب، كما تم تعريب كتب الطب والنجوم والفلك والأدب والأخلاق السنسكريتية تحت إشراف البرامكة، الذين لعبوا دورًا بارزًا في دعم حركة الترجمة والعلوم في العصر العباسي.([4])

أسماء الأطباء الهنود الذين قدموا إلى بغداد عاصمة الخلافة العباسية:

وسمى الجاحظ أسماء بعض الأطباء، حيث قال: «قال معمر أبو الأشعث: قلتُ لبهلة الهندي - أيام اجتلب يحيى بن خالد أطباء الهند، مثل منكه، وبازيكر، وقلبرقل، وسندباد، وفلان وفلان...» ([5]) وذكر ابن أبي أصيبعة أسماء أخرى، حيث قال: «كان من بعد صنجهل الهندي جماعة في بلاد الهند، ولهم تصانيف معروفة في صناعة الطب وفي غيرها من العلوم، مثل باكهر، راحه، صكة، داهر، أنكرزنكل، جبهر، أندي، كل هؤلاء أصحاب تصانيف، وهم من حكماء الهند وأطبائهم، ولهم الأحكام الموضوعة في علم النجوم، والهند تشتغل بمؤلفات هؤلاء فيما بينهم، ويقتدون بها ويتناقلونها، وقد نُقل كثير منها إلى اللغة العربية.».([6])

التعريف بأهم علماء الهند:

كنكه الهندي:

كان حكيما بارعا ومن كبار حكماء الهند وأكابرهم، وله دراية واسعة في صناعة الطب، وقوى الأدوية، وطبائع المولدات، وخواص الموجودات. كما كان من أعلم الناس بهندسة العالم، وتركيب الأفلاك، وحركات النجوم.

وقد ذكره أبو معشر جعفر بن محمد بن عمر البلخي في كتاب الألوف، حيث قال: «إن كنكه هو المقدم في علم النجوم عند جميع علماء الهند في سالف الدهر، وله مؤلفات كثيرة . ([7])

صنجهل:

صنجهل كان من أبرز علماء الهند وفضلائها، واشتهر بخبرته في علم الطب والنجوم، كما أن له بعض المؤلفات في هذه المجالات. ([8])

شاناق:

كان من أطباء الهند البارزين، وله خبرة واسعة في الطب، والتجارب العلاجية، والعلوم، والحكمة. كما كان بارعا في علم النجوم، وفصيح الكلام، وله مكانة رفيعة عند ملوك الهند. وقد ألف كتابا بعنوان «منتحل الجوهر»، ومن كلامه فيه: «يا أيها الوالي، اتق عثرات الزمان، واخش تسلط الإمام ولوعة غلبة الدهر، واعلم أن الأعمال جزاء، فاتق عوائق الدهر والأيام، فإن لها غدرات، فكن منها على حذر. والأقدار مغيبات، فاستعد لها، والزمان منقلب، فاحذر دولته، لئيم الكرة، فخف سطوته، سريع الغزوة، فلا تأمن دولته. واعلم أن من لم يداو نفسه من سقام الآثام في أيام حياته، فما أبعده من الشفاء في دار لا دواء لها. ومن أذل حواسه واستعبدها فيما تقدم من خير لنفسه، أبان فضله وأظهر نبله. ومن لم يضبط نفسه وهي واحدة، لم يضبط حواسه وهي خمس، فإذا لم يضبط حواسه مع قلتها وذلتها، صعب عليه ضبط الأعوان مع كثرتهم وخشونة جانبهم، فكانت عامة الرعية في أقاصي البلاد وأطراف المملكة أبعد من الضبط». ([9])

جودر :

كان حكيما فاضلا من حكماء الهند وعلمائها، تميز في عصره بالمعرفة الواسعة في الطب، كما كانت له تصانيف في العلوم الحكمية. ([10])

منكه الهندي :

كان عالما بارعا في صناعة الطب، حسن المعالجة، لطيف التدبير، وفيلسوفا من كبار علماء الهند الذين يشار إليهم بالبنان، كان متقنا للغة الهندية والفارسية، وهو الذي قام بترجمة كتاب شاناق الهندي في السموم من الهندية إلى الفارسية.

عاش في عهد الخليفة هارون الرشيد، وسافر من الهند إلى العراق خلال حكمه، حيث اجتمع بالخليفة وداواه، وقد ورد في بعض الكتب أن منكه الهندي كان من جملة إسحاق بن سليمان بن علي الهاشمي، وكان ينقل العلوم من الهندية إلى الفارسية والعربية.

قصة علاجه للخليفة هارون الرشيد، ورد في كتاب أخبار الخلفاء والبرامكة أن الرشيد أصيب بمرض شديد استعصى على الأطباء علاجه. فقال له أبو عمر الأهجمي: «في الهند طبيب يدعى منكه، وهو أحد عبادهم وفلاسفتهم، فلو بعث إليه أمير المؤمنين، فلعل الله يجعل الشفاء على يده، فأمر الرشيد بإحضاره، ووصله بصلة تكفيه لمشقة السفر، فلما وصل إلى بغداد، قام بعلاج الخليفة حتى شفي تماما، فأجزل له العطاء، وأجرى عليه رزقا واسعا وأموالا كافية.

تعليق منكه على جهل بعض المعالجين في بغداد: بينما كان منكه الهندي يسير في قصر الخلد، رأى أحد المعالجين قد بسط كساءه، وعليه عقاقير كثيرة، وسمعه يقول: «هذا دواء للحمى الدائمة، وحمى الغب، وحمى الربع، ولوجع الظهر والركبتين، وللخراج، والبواسير، والرياح، ووجع المفاصل، ووجع العينين، ووجع البطن، والصداع، والشقيقة، ولتقطير البول، والفالج، والارتعاش...» فلم يدع علة إلا وزعم أن هذا الدواء يشفيها جميعا، فسأل منكه ترجمانه عن كلام الرجل، فلما سمع الترجمة، تبسم وقال: «على كل حال، ملك العرب جاهل؛ فإن كان هذا الدواء بهذه الفعالية

كما يقول الرجل، فلماذا استدعاني من بلادي وقطعني عن أهلي، وتكلف مشقة إحضاري، وهو يرى هذا الدواء أمامه؟

وإن كان كلام الرجل كذبا، فلماذا لا يقتل؟ فقد أباح الشرع قتل أمثاله، لأنه إن مات، فلن يهلك إلا نفس واحدة، لكنها بفنائها ستحيا أنفس كثيرة، أما إن ترك على جهله، فإنه في كل يوم يقتل نفسا، بل ربما اثنتين أو ثلاثا أو أربعا، وهذا فساد في الدين، ووهن في المملكة.». (11)

صالح بن بهلة الهندي:

كان صالح بن بهلة الهندي عالما متميزا من علماء الهند، خبيرا في المعالجات الطبية التي اشتهر بها أهل الهند، وكانت له بصيرة نافذة وقدرة على التنبؤ بالأحداث الطبية بناء على معرفته الواسعة، عاش في العراق في زمن الخليفة هارون الرشيد.

قصة علاجه لإبراهيم بن صالح:

روى أبو الحسن يوسف بن إبراهيم الحاسب، المعروف بابن الداية، عن أحمد بن رشيد الكاتب، مولى سلام الأبرش، أن مولاه أخبره بما جرى في أحد أيام هارون الرشيد، ففي ذلك اليوم، قدمت الموائد بين يدي الرشيد، وكان طبيبه جبرائيل بن بختيشوع غائبا، فأمر الرشيد أحمد بإحضاره ليشاركه الطعام كعادته، لكن لم يعثر على أثر له في أي مكان، فلما أخبر أحمد الخليفة بذلك، غضب الرشيد وطفق يلعنه ويقذفه، وفي أثناء ذلك، دخل جبرائيل، فقال للخليفة: «لو انشغل أمير المؤمنين بالبكاء على ابن عمه إبراهيم بن صالح، وترك سبي، لكان أولى»، ففزع الرشيد وسأله عن الخبر، فأخبره جبرائيل أن إبراهيم يحتضر، ولن يبقى على قيد الحياة حتى صلاة العتمة، فاشتد جزع الرشيد، وبكى حتى أمر برفع الموائد، واستمر في ذلك حتى أشفق عليه جميع الحاضرين، عندئذ، قال جعفر بن يحيى للخليفة: «يا أمير المؤمنين، إن طب جبرائيل طب رومي، وصالح بن بهلة الهندي في علم الطب بطريقة أهل الهند مثل جبرائيل في معرفته بمقالات الروم، فإن رأى أمير المؤمنين أن يأمر بإحضاره، فلعلنا نجد عنده ما ينفع إبراهيم»، فأمر الرشيد بإحضار صالح بن بهلة، وإرساله إلى إبراهيم بن صالح، ثم العودة بعد الفحص وإبلاغ الخليفة بما يرى.

ذهب صالح إلى إبراهيم، وفحصه بعناية، ثم عاد إلى جعفر، فسأله عن حال المريض، فقال: «لن أخبر بالخبر إلا أمير المؤمنين»، حاول جعفر استمالته ليخبره ولو بجزء من الحقيقة، لكنه رفض تماما، فأبلغ الرشيد بذلك، فاستدعاه الخليفة، وسأله عن رأيه في حال إبراهيم بن صالح، فقال صالح: «يا أمير المؤمنين، أنت الإمام، وعقدت ولاية القضاء للحكام، وما تحكم به لا يجوز لأحد أن يبطله، وأنا أشهدك وأشهد من حضرك أن إبراهيم بن صالح، إن توفي هذه الليلة أو بسبب هذا المرض، فكل مماليكي أحرار لوجه الله، وكل دوابي وقف في سبيل الله، وكل مالي صدقة على المساكين، وزوجتي طالق ثلاثا بتاتا»، فقال له الرشيد: «ويحك، كيف تحلف على أمر غيبي؟»، فأجاب صالح: «كلا يا أمير المؤمنين، إنما الغيب ما لا يعلمه أحد، ولا دليل عليه، أما أنا فلم أقل ما قلت إلا بعلم واضح وأدلة بينة».

هشة الرشيد وتحقيق النبوءة:

هـدأت نفـس الرشـيد قليـلا، واسـتعاد هـدوءه، ثـم شرب الـشراب الـذي قـدم لـه، وعنـد وقـت صـلاة العتمـة، ورد كتـاب مـن صاحـب البريـد في بغـداد يخـبر بوفـاة إبراهيـم بـن صالـح، فاسـترجع الرشـيد وقـال: «واسـوءتاه مـن اللـه، كيـف كنـت أشرب النبيـذ وابـن عمـي يتجـرع غصـص المـوت؟»، ثـم أمـر بإحضـار قـدح نبيـذ بالمـاء، وأضـاف إليـه قليـلا مـن الملـح، وشربـه حتـى تقيـأ كل مـا في جوفـه مـن طعـام وشراب، ثـم توجـه إلى دار إبراهيـم بـن صالـح، حيـث وجـد الخـدم قـد فرشـوا لـه نمـارق ومسـاند لاسـتقباله، فوقـف وقـال: «لا يحسـن الجلـوس في مصيبـة الأحبـة عـلى غـير البسـط، ارفعـوا هـذه الفـرش»، وهكـذا سـن تقليـدا جديـدا لبنـي العبـاس في الحـداد، أمـا صالـح بـن بهلـة، فوقـف بـين يـدي الرشـيد صامتـا، حتـى انتـشرت روائـح البخـور، فصـاح فجـأة: «اللـه اللـه يـا أمـير المؤمنـين، لا تحكـم عـلي بطـلاق زوجتـي فتنزعهـا منـي وتزوجهـا لغـيري، لا تخرجنـي مـن نعمتـي بغـير وجـه حـق، لا تدفـن ابـن عمـك حيـا، فواللـه مـا مـات»، طلـب السـماح لـه برؤيـة إبراهيـم بـن صالـح، فسـمح لـه الخليفـة بذلـك.

المعجزة الطبية:

دخـل صالـح وحـده، وبعـد لحظـات، سـمع الحـاضرون صـوت ضرب عـلى الجسـد بكـف اليـد، ثـم سـمعوا تكبـيرا، وخـرج صالـح وهـو يقـول: «يـا أمـير المؤمنـين، قـم حتـى أريـك أعجوبـة»، دخـل الرشـيد مـع مـسرور الكبـير وأبـو سـليم، فـرأى صالـح بـن بهلـة يأخـذ إبـرة، ويدخلهـا بـين ظفـر إبهـام إبراهيـم بـن صالـح ولحمـه، فتحـرك إبراهيـم فجـأة، وسـحب يـده بسرعـة، فقـال صالـح للخليفـة: «يـا أمـير المؤمنـين، هـل يشـعر الميـت بالوجـع؟»، قـال الرشـيد: «لا»، فقـال صالـح: «إذن، لـو شـئت أن أجعلـه يكلـم أمـير المؤمنـين الآن لفعلـت، لكننـي أخـشى أن يصحـو وهـو مكفـن برائحـة الحنـوط، فيرتعـب وينصـدع قلبـه، ويمـوت موتـا حقيقيـا، فـلا تكـون لي حيلـة في إنقـاذه»

فاقـترح أن يجـرد إبراهيـم مـن الكفـن، ويعـاد غسـله، وتـزال عنـه رائحـة الحنـوط، ويلبـس مثـل ثيابـه التـي كان يرتديهـا وهـو معـافى، ثـم يوضـع في سريـره المعتـاد، حتـى يتـم علاجـه أمـام الخليفـة. وافـق الرشـيد عـلى ذلـك، وبعـد فـترة، أحـضر صالـح «كندسـا» (دواء هنديـا) ومنفخـة، ونفـخ الـدواء في أنـف إبراهيـم، وبعـد ثـلاث سـاعات، اضطـرب جسـد إبراهيـم، وعطـس، ثـم جلـس أمـام الرشـيد، وقبـل يـده.

عودة إبراهيم بن صالح إلى الحياة:

سـأله الرشـيد عـن حالـه، فقـال إبراهيـم: «يـا أمـير المؤمنـين، مـا كنـت في حيـاتي أنـام نومـا ألـذ مـن هـذا، ولكـن رأيـت في منامـي كلبـا يهجـم عـلي، فدافعتـه بيـدي، فعـض إبهامـي، فأحسسـت بـألم شـديد»، ثـم رفـع يـده، وأشـار إلى موضـع الإبـرة التـي أدخلهـا صالـح في إبهامه.وبعـد هـذه الحادثـة، عـاش إبراهيـم طويـلا، وتـزوج العباسـة بنـت المهـدي، وتـولى حكـم مـصر وفلسـطين، ثـم تـوفي في مـصر، ودفـن فيهـا. ([12])

التعريف بأهم العلوم والفنون والعلاقات العربية الهندية بها:

علم الرياضيات:

هـو علـم بقواعـد تعـرف بهـا طـرق اسـتخراج المجهـولات العدديـة مـن المعلومـات العدديـة المخصوصـة مـن الجمـع والتفريـق والتصنيـف والتضعيـف والـضرب والقسـمة. ([13])

قال الشيخ سليمان المنصورفوري:

«للعرب بيان صريح بأنهم تعلموا الأرقام من (الواحد إلى التاسع) من الهنود، ولذلك يطلقون عليها الأرقام الهندية، وقد تعلمها الأوروبيون من العرب، لا أعلم بالتحديد متى تعلم العرب هذه الأرقام، ولكنني أظن أن ذلك كان عند قدوم العالم الهندي إلى بلاط جعفر المنصور مع سداند، حيث ذكرت الأرقام الهندية في البابين الثالث عشر والرابع والعشرين، ومن هنا راج استخدامها بين العرب.

كان العرب يكتبون الأرقام بالحروف الأبجدية قبل أن يقوم موسى الخوارزمي بتطويرها، حيث صاغها في قالب عربي وهذب أشكالها، ثم انتقلت هذه الأرقام إلى أوروبا عبر الأندلس.

وهناك أدلة على أن هذه الأرقام ليست ذات أصل عربي:

العرب ينطقونها من اليمين إلى اليسار، رغم أنها تكتب من اليسار إلى اليمين.

ذكر ابن النديم في الفهرست أن هذه الأرقام كانت تستخدم في ديوان الخط السندي، وقد تعلم العرب طريقة كتابتها من 1 إلى 1000 من العلماء الهنود.

بعد الخوارزمي، جاء أحمد النسوي وألف كتابا بعنوان «المقنع في الحساب الهندي»، ثم ألف العديد من الكتب في الأرقام الهندية». [14]

علم الفلك:

علم الفلك: معرفة حركات النجوم والكواكب وتنقلاتها ومنازلها. [15]

كما هو معروف في علم الحساب، فإن الكاهن الهندوسي الذي ذهب إلى بغداد كان يحمل معه كتاب برهمسبت سداند، والذي عُرف في العربية باسم السند هند. أما الكتاب الثاني الذي تُرجم من اللغة السنسكريتية فهو آريه بهت، والذي عُرف في العربية باسم أرجهبذ. كما تم تعريب كتاب ثالث في هذا المجال يُسمى كهندا كيدك، ويُعرف في العربية باسم أركند. وقد أصبح الكاهن الهندوسي الذي قام بتعريب سداند أستاذًا في بغداد، وكان له تلميذان، هما إبراهيم الفزاري ويعقوب بن طارق، اللذان قاما بنقل محتوى السند هند بأسلوبهما الخاص. وقد لاقت هذه الكتب الثلاثة رواجًا واسعًا، وظل العلماء العرب، من بغداد إلى الأندلس، منشغلين بدراستها وتلخيصها وشرحها وتصحيح أخطائها حتى القرن الخامس الهجري. وفي عهد الخليفة المأمون، أعد الخوارزمي جداول فلكية، وأبقى فيها الأصول الهندية، رغم أن التأثيرات الإيرانية واليونانية قد بدأت تظهر في علم الفلك. وقد ساهم عدد من العلماء في تصحيح وتكميل كتاب سداند، ومن بينهم: حسن بن صياح، حسن بن خصيب، فضل بن حاتم التبريزي، عبد الله بن مروزي بن الآرمي، وأبو الريحان البيروني، حيث قاموا بمراجعته وإضافة تحقيقاتهم الخاصة، مع الاستفادة من الأصول اليونانية. ووصلت أصول السند هند إلى الأندلس في القرن الرابع الهجري، حيث قام سلمة بن أحمد المجريطي بتلخيص كتاب السند هند الصغير الذي ألفه الخوارزمي، وبعد ذلك قام أبو القاسم أصبغ المعروف بابن السمح الأندلسي، المتوفى سنة 426هـ بوضع جدول فلكي كبير مستندًا إلى أصول السند هند. [16]

علم الطب:

هـو علـم يبحـث فيـه عـن بـدن الإنسـان مـن جهـة مـا يصـح ويمـرض لحفـظ الصحـة وإزالـة المـرض. ([17])

العلـم الثالـث الـذي انتقـل مـن الهنـد إلى العـرب هـو علـم الطـب وبدايتـه كانـت باسـتدعاء منكـه لعـلاج الخليفـة هـارون الرشـيد وشـفاء الخليفـة هـارون الرشـيد وتعيـين البرامكـة طبيبـا هنديـا لمستشـفاه. ([18])

أما الكتب الهندية التي تُرجمت إلى العربية فهي كالتالي:

- كتـاب «سـسرد»: يحتـوي عـلى عـشرة أبـواب، ويتنـاول علامـات الأمـراض وأدويتهـا. وقـد قـام الطبيـب منكـه بترجمتـه إلى العربيـة بأمـر مـن خالـد بـن يحيـى البرمـكي، ليصبـح مرجعًـا طبيًـا في المستشـفى.
- الكتـاب الثـاني: ألفـه جـرك، الـذي كان طبيبـا ماهـرا. وقـد قـام عبـد اللـه بـن عـلي بترجمتـه مـن الفارسـية إلى العربيـة، حيـث كان قـد نُقـل مـن الهنديـة إلى الفارسـية أولًا.
- أسماء الكتب الطبية الهندية المترجمة إلى العربية:
- كتـاب «سـسرد»: يتكـون مـن عـشر مقـالات، وقـد أمـر يحيـى بـن خالـد البرمـكي الطبيـب منكـه الهنـدي بترجمتـه في البيمارسـتان، ويُعـدّ مرجعًـا طبيًـا مهـمًا.
- كتاب «استانكر الجامع»: ترجمه ابن دهن.
- كتـاب «سـيرك»: ترجمـه عبـد اللـه بـن عـلي مـن الفارسـية إلى العربيـة، بعـد أن نُقـل أولًا مـن الهنديـة إلى الفارسـية.
- كتـاب «سندسـتاق»: يعنـي «كتـاب صفـوة النجـاح»، وقـد ترجمـه ابـن دهـن، الطبيـب المـشرف عـلى البيمارسـتان.
- كتاب «مختصر الهند في العقاقير».
- كتاب «علاجات الحبالى للهند».
- كتاب «توقشتل»: يتناول مائة داء ومائة دواء.
- كتاب «روسا الهندية في علاجات النساء».
- كتاب «السكر للهند».
- كتاب «أسماء عقاقير الهند»: ترجمه منكه إلى العربية لصالح إسحاق بن سليمان.
- كتاب «رأي الهندي في أجناس الحيّات وسمومها».
- كتاب «التوهم في الأمراض والعلل» لمؤلفه توقشتل الهندي. ([19])

علم البيطرة:

هـو: علـم يبحـث فيـه عـن أحـوال الخيـل مـن جهـة مـا يصـح ويمـرض وتحفـظ صحتـه ويـزول مرضـه وهـذا في الخيـل بمنزلـة الطـب في الإنسـان. ([20])

وقد عرب في هذا الفن كتاب البيطرة للشاناق. ([21])

علم النجوم:

هو علم يعرف به الاستدلال على حوادث علم الكون والفساد بالتشكلات الفلكية وهي أوضاع الأفلاك والكواكب كالمقارنة والمقابلة والتثليث والتسديس والتربيع إلى غير ذلك وهو عند الإطلاق ينقسم إلى ثلاثة أقسام حسابية وطبيعيات ووهميات.

أما الحسابيات: فهي يقينية في علمها قد يعمل بها شرعاً. وأما الطبيعيات: كالاستدلال بانتقال الشمس في البروج الفلكية على تغيير الفصول كالحر والبرد والاعتدال فليست بمردودة شرعا أيضا.

أما الوهميات: كالاستدلال على الحوادث السفلية خيرها وشرها من اتصالات الكواكب بطريق العموم والخصوص فلا استناد لها إلى أصل شرعي ولذلك هي مردودة شرعا كما قال صلى الله عليه وسلم: «إذا ذكر النجوم فامسكوا». وقال: «تعلموا من النجوم ما تهتدون به في البر والبحر ثم انتهوا».([22]) ومن أشهر المنجمين هو كنكه وقد عربت له بعض كتبه مثل كتاب النمودار في الاعمار، كتاب أسرار المواليد كتاب القرانات الكبير، كتاب القرانات الصغير، ولجودر الهندي له من الكتب كتاب المواليد، ولصنجهل الهندي له كتاب أسرار المسائل، ونهق الهندي له كتاب المواليد الكبير. ([23])

علم الموسيقي:

هو علم تعرف منه أحوال النغم والإيقاعات وكيفية تأليف اللحون وإيجاد الآلات الموسيقائية وإنما وضعوا هذه الآلات لما ليس فيه الطبيعة فلم يرخصوا الإخلال به.

وموضوعه: الصوت من جهة تأثيره في النفس إما بالبسط أو بالقبض لأن الصوت إما أن يحرك النفس عن المبدأ فيحدث البسط من السرور واللذة وما يناسبها. ([24]) وقد ذكر الصاعد الأندلسي كتابا هنديا عرب في هذا الفن باسم «نافر» ([25])

علم السياسة:

هو: علم يعرف منه أحوال السياسات والاجتماعات المدنية وأحوالها مثل أحوال السلاطين والملوك والأمراء وأهل الاحتساب والقضاة والعلماء وزعماء الأموال ووكلاء بيت المال وما يجري مجرى هؤلاء، وموضوعه: المراتب المدنية وأحكامها. ([26])

ففي هذا الفن عرب كتابان أحدهما للعالم شاناق وثانيهما كتاب باجيكر([27]) والكتاب الثالث هو «أدب الملك».([28])

الخاتمة:

شهدت العصور الإسلامية، وخاصة العصر العباسي، تطورًا كبيرًا في العلاقات العلمية مع الهند، حيث كان للهنود إسهامات بارزة في مجالات الطب، والفلك، والرياضيات، والفلسفة، وغيرها. وأن أهم مجالات التبادل العلمي بين العرب والهنود هو التعريب حيث ترجم العرب العديد من الكتب الهندية الطبية، وأبرزها كتب الطبيب الهندي «سُسرُد» و«شاناق» و«منكه الهندي»، الذين عُرفوا بحكمتهم وتجاربهم العلاجية. وقد ساهم الأطباء الهنود في بغداد في تطوير العلوم الطبية، مثل منكه الهندي، الذي عالج الخليفة هارون الرشيد، وصالح بن بهلة الهندي، الذي أنقذ إبراهيم بن صالح من الموت، كان للهند دور محوري في نقل الأرقام الهندية (التي تعرف

اليـوم بالأرقـام العربيـة) إلى العـالم الإسـلامي، ترجـم العـرب كتـاب «السـند هنـد» الـذي اشـتمل عـلى نظريـات رياضيـة وفلكيـة متقدمـة، بـرع العلـماء الهنـود في علـم الحسـاب والتنجيـم، وكانـوا مصـدرًا أساسًـا في تطـور علـم الفلـك عنـد المسـلمين.

أثـرت الفلسـفة الهنديـة في الفكـر العـربي، وخاصـة في علـم المنطـق، حيـث ترجـم العـرب كتبًـا هنديـة تتنـاول موضوعـات فلسـفية ومنطقيـة مثـل «طوفـا» و»مـا تفـاوت فيـه فلاسـفة الهنـد والـروم".

دخلـت العديـد مـن الكتـب الهنديـة إلى الأدب العـربي، وأشـهرها «كليلـة ودمنـة»، الـذي ترجمـه ابـن المقفـع عـن الفارسـية، والأصـل سنسـكريتي.

كان للبرامكـة دور محـوري في تعزيـز العلاقـة العلميـة بـين الهنـد والعـالم الإسـلامي، حيـث أشرفـوا عـلى حركـة الترجمـة في بغـداد، وسـاهموا في جلـب العلـماء الهنـود إلى دار الخلافـة.

كان لتعريـب الكتـب الهنديـة أثـر كبـير في إثـراء العلـوم عنـد المسـلمين، خاصـة في الطـب والفلـك والحسـاب والفلسفة.

استفاد العلماء المسلمون من المعارف الهندية وطوروا عليها، مما أدى إلى تقدم الحضارة الإسلامية.

كانـت العلاقـات العلميـة بـين العـرب والهنـود أحـد أهـم جسـور التواصـل الثقـافي بـين الحضارتين، وأسـهمت في إثـراء العلـوم الإسـلامية، حيـث اسـتفاد العـرب مـن خـبرات الهنـد في الطـب، والفلـك، والرياضيـات، والفلسـفة، وسـاهمت الترجمـة في نـشر هـذه العلـوم وتطويرهـا في العـالم الإسـلامي.

النتائج:

أهم النتائج التي توصل إليها البحث:

التأثـير الكبـير للعلـوم الهنديـة عـلى الدولـة العباسـية، حيـث لعبـت الهنـد دورا مهـما في نقـل العلـوم، خاصـة في الفلـك والرياضيـات والطـب.

ترجمـة العديـد مـن الكتـب الهنديـة إلى العربيـة في عـصر الخلافـة العباسـية، خصوصـا في عهـد الخليفـة المنصـور والخليفـة هـارون الرشـيد، ومـن أشـهر هـذه الكتب «السـند هنـد» في الفلـك والرياضيات.

دور بيـت الحكمـة في تعزيـز التبـادل العلمـي، حيـث سـاهمت هـذه المؤسسـة في ترجمـة ونقـل المعـارف الهنديـة إلى العـالم الإسـلامي.

اسـتفادة العلـماء المسـلمين مـن الحسـاب الهنـدي، حيـث أدى ذلـك إلى تطويـر علـم الحسـاب والجـبر، مثـل اسـتخدام الأرقـام الهنديـة التـي أصبحـت أسـاس الأرقـام العربيـة المسـتخدمة اليـوم.

التأثـير الهنـدي في الطـب والصيدلـة، حيـث تـم نقـل تقنيـات علاجيـة وأعشـاب طبيـة مـن الهنـد، وأثّـرت عـلى تطـور الطـب الإسـلامي.

اسـتمرار التأثـير العلمـي الهنـدي في العـالم الإسـلامي، حيـث لم يقتـصر عـلى العـصر العبـاسي، بـل امتـد ليؤثـر في العصـور اللاحقـة مـن خـلال الكتـب والمخطوطـات التـي تـم تبنّيهـا وتطويرهـا.

دور الرحـلات والسـفر في تعزيـز العلاقـات العلميـة، حيـث قـام علـماء مسـلمون بزيـارة الهنـد ونقلـوا منهـا العلـوم، كـما جـاء علـماء هنـود إلى بغـداد وشـاركوا في الحـوارات العلميـة.

تظهـر هـذه النتائـج أن العلاقـات العلميـة بـين الهنـد والدولـة العباسـية كانـت غنيـة ومثمـرة، وأسـهمت في تشـكيل النهضـة العلميـة الإسـلامية.

الهوامش:

(1) الجاحظ، أبو عثمان، عمرو بن بحر ت255هـ: رسائل الجاحظ (الرسالة الرابعة: فخر السودان على البيضان)، تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1384هـ /1964 م، ص 224-223.

(2) اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب: تاريخ اليعقوبي، مكتبة ليدن مطبع بريل ليدن،1300هـ/ 1883م 1/105.

(3) السيرافي: أبو زيد حسن بن يزيد: رحلة السيرافي، المجمع الثقافي، أبو ظبي،1419هـ/1999 م، ص 83.

(4) المنصورفوري، سيد سليمان ندوي: العلاقات الهندية العربية، شبلي أكادمي، أعظم كره، د.ت. ص 90-89.

(5) الجاحظ، أبي عثمان عمرو بن بحر: البيان والتبيين، تحقيق : المحامي فوزي عطوي دار صعب – بيروت، ط1، 1387هـ/1968م، ص 64.

(6) ابن أبي أصيبعة، أحمد بن القاسم بن خليفة، ت668هـ /1270م: عيون الأنباء في طبقات الأطباء، المحقق: الدكتور نزار رضا، دار مكتبة الحياة - بيروت د.ت. ص 473.

(7) ابن أبي أصيبعة: عيون الأنباء في طبقات الأطباء ص 473.

(8) ابن أبي أصيبعة: عيون الأنباء في طبقات الأطباء ص 473.

(9) ابن أبي أصيبعة: عيون الأنباء في طبقات الأطباء ص 474.

(10) ابن أبي أصيبعة: عيون الأنباء في طبقات الأطباء ص 474.

(11) ابن أبي أصيبعة: عيون الأنباء في طبقات الأطباء ص 475.

(12) ابن أبي أصيبعة: عيون الأنباء في طبقات الأطباء ص 477-475؛ الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان،: تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام،تحقيق: د. عمر عبد السلام تدمري دار الكتاب العربي، لبنان/ بيروت، ط1، 1407هـ - 1987م.

(13) القِنَّوجي، أبو الطيب محمد صديق خان بن حسن بن علي ابن لطف الله الحسيني البخاري (المتوفى: 1307هـ) : أبجد العلوم، دار ابن حزم، ط1، 1423 هـ- 2002 م، ص 372.

(14) المنصورفوري: العلاقات الهندية العربية، ص97-95.

(15) القِنَّوجي: أبجد العلوم، ص 379.

(16) المنصورفوري: العلاقات الهندية العربية، ص 100-97.

(17) القنوجي: أبجد العلوم ص 531.

(18) ابن النديم، محمد بن إسحاق أبو الفرج: الفهرست، دار المعرفة - بيروت ، 1398 – 1978 ص 378.

(19) ابن النديم: الفهرست ص 421.

(20) القنوجي: أبجد العلوم ص 542.

(21) ابن أبي اصيبعه: عيون الأنباء ص 474.
(22) القِنَّوجي : أبجد العلوم ص 542.
(23) ابن النديم: الفهرست ص 378.
(24) القنوجي: أبجد العلوم ص 531.
(25) الاندلسي، صاعد: طبقات الأمم، ص 14.
(26) القنوجي: أبجد العلوم ص 420.
(27) ابن النديم: الفهرست ص 378.
(28) المنصور فوري: العلاقات العربية الهندية ص 110.

المصادر والمراجع

(1) ابن أبي أصيبعة، أحمد بن القاسم بن خليفة بن يونس الخزرجي موفق الدين، ت668هـ/1270م : عيون الأنباء في طبقات الأطباء، المحقق: الدكتور نزار رضا، دار مكتبة الحياة – بيروت.

(2) ابن النديم، محمد بن إسحاق أبو الفرج: الفهرست، دار المعرفة - بيروت ، 1398ه – 1978م.

(3) الجاحظ، أبو عثمان، عمرو بن بحر ت255هـ: رسائل الجاحظ (الرسالة الرابعة: فخر السودان على البيضان)، تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1384 هـ - 1964 م.

(4) الجاحظ، أبي عثمان عمرو بن بحر: البيان والتبيين، تحقيق: المحامي فوزي عطوي دار صعب – بيروت، ط1، 1968م.

(5) الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام تحقيق: د. عمر عبد السلام تدمري دار الكتاب العربي، لبنان، بيروت، ط1، 1407هـ - 1987م.

(6) السيرافي، أبو زيد حسن بن يزيد: رحلة السيرافي المجمع الثقافي، أبو ظبي، 1419هـ/1999م.

(7) القنوجي، أبو الطيب محمد صديق خان بن حسن بن علي ابن لطف الله الحسيني البخاري: أبجد العلوم، دار ابن حزم، ط1، 1423 هـ- 2002م.

(8) المنصورفوري، سيد سليمان ندوي: العلاقات الهندية العربية، شبلي أكادمي، أعظم كره د.ت.

(9) اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب: تاريخ اليعقوبي، مكتبة ليدن مطبع بريل ليدن، 1300هـ/1883م.

تخطيط المدينة العربية الإسلامية بين الاصالة والحداثة مدينة ينبع نموذجاً (دراسة حضارية في ضوء المصادر التاريخية والوثائقية)

أ.مدى بنت سالم الحربي
باحثة دكتوراه -قسم التاريخ والآثار كلية العلوم الاجتماعية جامعة أم القرى
المملكة العربية السعودية

مستخلص:

إن دراسة موضوع الاصالة والحداثة مهمٌ جداً لفهم حقيقة تخطيط المدن للإسلامية الأصيلة وعمارتها، وتقدم هذه الدراسة تصوراً شاملاً للتخطيط العمراني لمدينة ينبع كنموذج لتخطيط المدينة العربية الإسلامية وتعد الوثائق من المصادر المهمة لدراسة الطابع المعماري لاي مدينة فهي تبرز لنا المخطط الذي بنيت عليه وطبيعة المواد المستعملة في البناء وهي معلومات تفيد المؤرخ في نقل صورة نمطية عن المجتمع في فترة زمنية ما، وهدفت هذه الدراسة على تسليط الضوء على اسس تخطيط المدينة العربية الاسلامية ،والكشف عن تخطيط مدينة ينبع من خلال الوصف العمراني للمدينة ينبع من خلال الوثائق والمصادر التاريخية والتعرف على الحياة الاجتماعية بها من خلال التعريف بسكان منطقة الدراسة من حيث عاداتهم وتقاليدهم وتكمن أهمية الموضوع في الوقوف على المخطط العام لمدينة ينبع القديمة والكشف عن النمط المعماري السائد بتخطيطها، واعتمدت هذه الدراسة على المنهج التاريخي التحليلي القائم على الوصف والتحليل وذلك بدراسة الوثائق والمصادر التاريخية المعاصرة كالكتب التاريخية والجغرافية وكذلك كتب الرحّالة الذين زاروا منطقة الدراسة ،وجمع المادة العلمية منها وترتيبها وتصنيفها ثم تحليلها ثم إعادة صياغتها من جديد حتى تخرج الدراسة بصورتها النهائية بما يتوافق مع الحقيقة التاريخية والأمانة العلمية للوصول إلى إجابات تساؤلات الدراسة حيث كان من أهم تلك النتائج التي توصلت إليها الدراسة ان مدينة ينبع من المدن التجارية وقد لوحظ ذلك من تخطيط المدينة قياساً على حجمها كبر مساحة سوقها الذي يقع حسب مخطط المدينة القديم بالجهة الشمالية من حي السور، وأسفرت الدراسة عن توصيات مهمة أهمها: توصي الباحثة على الحفاظ على ما تبقى من التراث المعماري العربي الاسلامي الأصيل في مدينة ينبع وغيرها من المدن العربية والاسلامية

الكلمات المفتاحية: تخطيط المدينة العربية، ينبع، التراث المعماري، الحياة الاجتماعية الآثار التاريخية، العادات والتقاليد، الأسواق والمواسم.

Planning the Arab-Islamic city between authenticity and modernity – Yanbu City is a model A civilizational study in light of historical and documentary sources

A. Mada bint Salem Al Harbi

Abstract:

Studying the subject of authenticity and modernity is crucial to understanding the reality of planning the authenticity of Islamic cities

and their architecture. Therefore, this study provides a comprehensive vision of urban planning of Yanbu as a model for the Arab-Islamic City. This study aims to highlight the basis of Arab-Islamic City planning and reveals the Yanbu planning through the architectural description for Yanbu City through historical documents and sources, and social life The significance of this study lies in identifying the general planning of old Yanbu and exploring the dominant architectural style in its planning This study relies on analytical historical method depending on description and analysis. Moreover, the scientific material is collected, arranged and analyzed, then rephrased to be finalized due to the historical truth and scientific secretariat to answer the questions of the study. The most significant finding of the study is that Yanbu is one of commercial cities. The study resulted in some recommendations. Mainly: the researcher recommends keeping the reminder of Authentic Arab Islamic Architectural Heritage in Yanbu city and other Islamic and Arab cities.

Keywords: Arab city planning, Yanbu, architectural heritage, social life, historical relics,

المقدمة:

رأى ابـن خلـدون أن النشـأة الأولى للمـدن لم تظهـر بصـورة مفاجئـة وسريعـة ولكنهـا مـرت بمراحـل معينـة في عمليـة نشـأتها ، واسـتنتج ابـن خلـدون أيضـا أن المدينـة تتأثـر إلى حـد بعيـد بالعنـاصر الطبيعيـة للإقليـم الـذي تقـع فيـه مـن حيـث حجمهـا ووظيفتهـا وعلاقاتهـا الخارجيـة مـع المناطـق التـي تحيـط بهـا، فالمدينـة حسـب رأيـه لـكي تبقـى في الوجـود لابـد وان تشـغل موقعـاً تتوفـر فيـه مناطـق الرعـي والزراعـة والوقـود ومـواد البنـاء الضروريـة لسـد حاجـة السـكان مـن المـواد الأوليـة والزراعيـة ، إذن نشـأة المـدن يرتبـط بعوامـل قيامهـا في العصـور القديمـة أو العصـور الحاليـة، فمـن العوامـل التـي أدت إلى نشـأة المدينـة ،أن مجتمـع قريـة مـن القـرى اسـتطاع إن ينتـج مـا يكفـي جميـع أفـراده بحيـث يسـتطيع جـزء منهـم بإنتـاج الطعـام ويتفـرغ جـزء آخـر لإنتـاج أعـمال أخـرى كان يتفـرغ للتفكـير والتأمـل والإبـداع والتنظيـم والتخطيـط والفـن أو الديـن أو السياسـة.واقترن ظهـور المـدن بتقـدم العلـوم والقـدرات الفنيـة ، ومـن أهـم هـذه القـدرات اسـتعمال المعـادن والاشـتغال بالنشـاط غـير الزراعـي ،وهكـذا ظهـرت التجـارة والصناعـة في بعـض القـرى فتحولـت إلى مـدن ،وقـد كان التخصـص في الصناعـة في العصـور القديمـة وظيفـة انفـردت بهـا المـدن ([1])شـكلت المدينـة العربيـة الاسـلامية تراثـاً مهـم مـن حيـث تركيبهـا الداخـلي ووظائفهـا الاساسـية الاقتصاديـة ومـن حيـث تخطيطهـا وبنائهـا الـذي يسـتحق أن يتفرد بدراسـة متخصصـة، والمدينـة العربيـة الإسـلامية كغيرهـا مـن المـدن وجـدت عـلى سـطح الأرض مـن خـلال العديـد مـن الأمـور المختلفـة ، مثـلا في منطقـة معينـة ذات طبيعـة جغرافيـة خاصـة أو كتأثرهـا بالعـادات والتقاليـد في تلـك المنطقـة وبالتـالي فقـد تأثـرت المدينـة العربيـة الإسـلامية بالكثـير مـن الأمـور

الناتجة وظهر هذا التأثر في مختلف نتاج المدينة الإسلامية ومنها ما ظهر بالعمارة والتخطيط حيث تعتبر العمارة نتاج الحضارة وشاهداً عليها في مجالات مختلفة منها ماهو عسكري ومنها ماهو فني او عادات او أمور مختلفة ومن هذا المنطلق كان كتابتي لهذه الدراسة المتواضعة ، و في هذه الدراسة استعراض لتخطيط المدينة العربية الاسلامية بشكل عام ، وتخطيط مدينة ينبع والحياة الاجتماعية بها بشكل خاص.

منطقة الدراسة:

يطلق أسم ينبع([2]) على ناحية واسعة في الحجاز تحتل موقعاً استراتيجياً مهما على الساحل الشرقي للبحر الأحمر يميل نحو الشمال الغربي بالنسبة المدينة المنورة ، وتبعد عنها بمسافة تقرب مائة وخمسين كيلاً([3]).

وحدود منطقة الدراسة: اما الحدود فيحد ينبع من الشرق إمارة العيص([4]) سابقاً (حالياً محافظة العيص)([5])، ومن الشمال إمارة أملج محافظة أملج حالياً ([6])، ومن الجنوب الشرقي إمارة بدر([7])محافظة بدر حالياً، وهي مرتبطة إدارياً، بمنطقة المدينة المنورة ([8]).

أسئلة الدراسة: لتحقيق أهداف الدراسة، خصصت الباحثة مجموعة من الاسئلة التي سوف تكون الاجابة عنها المحور الذي تبنى عليه الدراسة فتمثلت فيما يلي:

1 - ما هي اسس تخطيط المدينة العربية الاسلامية؟

2 - ما هو المخطط العام لمدينة ينبع ؟

3 - ما هو النمط المعماري السائد بتخطيط مدينة ينبع ؟

4 - ما هي الاثار التاريخية التي تحتضنها مدينة ينبع ؟

5 - ما مظاهر الحياة الاجتماعية لمدينة ينبع ؟

منهج الدراسة: اعتمدت الباحثة في هذه الدراسة على منهج البحث التاريخي التحليلي القائم على الوصف والتحليل وذلك بدراسة الوثائق والمصادر التاريخية المعاصرة كالكتب التاريخية، والجغرافية ، وكذلك كتب الرحّالة الذين زاروا منطقة الدراسة ، التي تناولت تاريخ تخطيط المدن الاسلامية بشكل عام وتاريخ مدينة ينبع بشكل خاص، وجمع المادة العلمية منها وترتيبها وتصنيفها ودراستها دراسة علمية متأنية ثم تحليلها بموضوعية وحياد ثم إعادة صياغتها من جديد حتى تخرج الدراسة بصورتها النهائية بما يتوافق مع الحقيقة التاريخية والأمانة العلمية بغية الوصول إلى الحقائق التاريخية في هذا البحث والذي يمثل جزءاً هاماً من تاريخ التخطيط العمراني لمدينة ينبع .

أهمية الدراسة: تنبع أهمية الدراسة من:

- التعرف على اسس تخطيط المدينة العربية الاسلامية.
- تسليط الضوء على المخطط العام لمدينة ينبع القديمة .
- الكشف عن النمط المعماري السائد بتخطيط مدينة ينبع .

إن دراسة موضوع الاصالة والحداثة مهمً جداً لفهم حقيقة تخطيط المدن للإسلامية الأصيلة وعمارتها

-التعرف على الآثار التاريخية التي تحتضنها مدينة ينبع .

-التعرف على ملامح الحياة الاجتماعية في منطقة الدراسة .

تأمل الباحثة أن تغطي هذه الدراسة جزء من تاريخ اختطاط المدن العربية الإسلامية بشكل عام ومدينة ينبع بشكل خاص وإبرازه للمؤرخين والباحثين والمهتمين بتاريخ ينبع ،وفي الحقيقة ما هذه الدراسة إلى إسهام بسيط بإلقاء الضوء على جزء من تاريخ مدينة ينبع.

محاور الدراسة:

- اشتملت الدراسة على المقدمة والتي تناول اهمية الدراسة ومنهج الدراسة والإطار الزمني والمكاني.

- التمهيد: والذي أشتمل على التعريف بمدينة ينبع وموقعها ونشأتها.

- اقتضت طبيعة الموضوع إلى تقسيم الدراسة إلى ثلاث محاور:

المحور الأول: تخطيط المدينة العربية الاسلامية

المحور الثاني: تخطيط مدينة ينبع

المحور الثالث : الحياة الاجتماعية لمدينة ينبع

الخاتمة، وفيها أهم النتائج التي توصلت إليها الدراسة وتوصياتها.

الملاحق (الوثائق - والصور)

الفهارس

التمهيد:

التعريف بمدينة ينبع ونشأتها:

أ-التعريف بينبع : قال ياقوت الحموي :» ينبع بالفتح ثم السكون والباء الموحدة مضمومة وعين مهملة ، بلفظ ينبع الماء ، ويرد اسم ينبع في كتابات الرحالة المسلمين في صور متعددة : «ينبع « وهو الصواب ، وهو في صورة فعل مضارع ، الماضي منه « نبع «،سمي بذلك لكثرة ينابيعه أي عيونه « والينبع أو الينبوع» ، وهما تحريف للأول ، ويكثر هذا في مؤلفات القرن الثامن الهجري فما بعده ،كالمقريزي والقطبي والبكري ،والنابلسي وقد اتفق العلماء جميعاً ، على أن هذا الاسم جاء نتيجة كثرة عيونها وينابيعها ، التي بلغت زهاء مائة وسبعين عيناً ، ويطلق اسم ينبع في الوقت الحاضر أو قبله بقليل على ينبع البحر ، واذا أريد ينبع النخل قيل ينبع النخل . ([9])

ب - الموقع :تحتل ينبع موقعاً حيوياً على الساحل الغربي للحجاز ،وتميل إلى الشمال غرب المدينة المنورة بحوالي مائتين وخمسين كيلو متراً، تمتد ينبع البحر ـــ منطقة الدراسة ـــ من منطقة الحوراء جنوب شرق تلك المنطقة كما يمر بوادي خماش ووادي النبط([10])، ووادي كمال، حيث تقع عند تقاطع خط العرض 5ـــ 42 شمالاً، وخط طول 3ـــ38 شرقاً على خليج يمتد من البحر الاحمر ([11]).

ج- نشأة مدينة ينبع : وإن كانت المصادر التاريخية التي بين أيدينا لا تدل بشكل قاطع

على معرفة زمن نشأة ينبع البحر ولا حتى الزمن الذي اكتسبت فيه مسماها الحالي حيث يرى بعض المستشرقين أن ينبع كان لها وجود قبل الإسلام، بل قبل ميلاد المسيح عليه السلام، وكان يطلق عليها الجغرافيون اليونان في كتبهم القديمة اسم: نيرا (NERA)، أو نيكرا (NEGRA)([12]) وقد حرفت هذه التسمية في العهد الروماني إلى إكرا (EGRA)([13]) ،وأوضح جواد علي، فيما نقله عن (فوستر) أن كلمة (NERA) اليونانية تعني كلمة ينبع العربية، وأن الميناء الذي عادت منه الحملة الرومانية إلى مصر، هو ميناء إكرا (EGRA)، أو نيكرا (NEGRA)، أو نيرا (NERA)، بحسب اختلاف القراءات هي ينبع، وبذلك يكون معنى الكلمة اليونانية (NERA KOME) في العربية ينبع ،وقد ذكر جواد علي، حين أتى على ذكر الموانئ الواقعة على شاطئ البحر الأحمر أن ميناء (EGRA) الذي كان معروفاً في العصر الجاهلي، وفي كتب الجغرافيين اليونان، كان يرتاده اليونان حينما يأتون من جزيرة العرب إلى مصر ([14]) ، ويرى الجاسر أن الميناء الذي ذكره جواد علي، نقلًا عن فوستر، هو ينبع فقد حرف الاسم بحذف حرف (G)، وإضافة حرف (N) في بدايته، وإن صح هذا القول فإن الموقع الأقرب الذي تنطبق عليه التسمية والوصف هو ميناء (إكره) الواقع بين الوجه والحوراء (أملج) ([15])وهذا لا ينفي وجود ميناء ينبع أو ينبع البحر في العهود القديمة ([16]).وترى الباحثة - في ضوء ما تقدم - أنه لا يمكننا معرفة الفترة التاريخية لنشأة ينبع البحر - ينبع الميناء - حسب ما أطلعتنا عليه المصادر التاريخية، ولكن هذا لا ينفي وجودها في العهود القديمة، والدليل على ذلك مرور الحملة الرومانية بها عند عودتها من اليمن إلى مصر عام 20 ق.م([17]) ،إضافة إلى المسمى اللاتيني (لويكي كومي) Leuke Kome - تعني بالعربية المدينة البيضاء -([18]) الذي أطلقه الجغرافيون الرومان في خرائطهم البحرية على ينبع أثناء عملهم على إحياء الموانئ غرب البحر الأحمر ([19])، كما أن الرومان قدموا من خلالها في حملة إيليوس جاليوس Aelles Gallus البحرية والتي كان هدفها تقليص استفادة العرب من المكاسب التجارية عام 24 ق.م ([20])إلا أنه يرجح أن التاريخ الثابت لبروزها وأهميتها كميناء حيوي يعود إلى أوائل القرن السابع الهجري (الثالث عشر الميلادي) ([21]).و يمكن القول بأن شهرة ينبع كميناء بحري على الساحل الشرقي للبحر الأحمر ظهرت وبرزت في أوائل القرن السابع الهجري (الثالث عشر الميلادي) كميناء للمدينة المنورة ([22]).

المحور الأول : تخطيط المدينة العربية الإسلامية:

المدينة : المدينة حسب الاستعمال اللغوي والديني تعرف « بالمكان » ، والمدينة هي الحصن الذي يبنى في أسطحه الأرض وتعني أسطحه معظم الشي أو سطحه، أي : أحسن مكان فيها لجهة الإشراف والارتفاع ([23]) وقد صنف الجغرافيون العرب المدن حسب هيئتها ونوعية النشاط الغالب عليها، فهناك المدينة الحصن ،والمدينة التجارية، وتشكل بعض التعريفات اللغوية للمدينة التي ذكرها بعض العلماء العرب والمسلمين إشارات واضحة في تحديد كيانها المادي والاجتماعي، ومع اتساع رقعة الدولة الاسلامية ، عبر قرون عديدة بدأت تستمد المدينة العربية الاسلامية رؤيتها من الفقه الاسلامي ومن سياسة الشرعية المستمدة من الكتاب والسنة ،ووصف المقدسي المدينة بقوله:« هو كل بلد جامع ،تُقام فيه الحدود ، ويحله، ويقوم بنفقته ، ويجمع رستاقه» ،بينما

يصفها الفيروزآبادي بقوله : «المدينة تعادل الأمة »، ويصف المدينة ابن منظور بقوله: «هي الحصن يُبنى في اصطمة من الأرض، وكل أرض يُبني عليها حصن في اصطمتها هي مدينة » .

بينما القزويني واصفاً المدينة بقوله :» لو اجتمع البشر في صحراء لتأذوا بالحر والبرد والمطر والريح ، ولو تستروا في الخيام لم يأمنوا مكر اللصوص والعدو، ولو اقتصروا على الحيطان والأبواب كما ترى في القرى التي لا سور لها ، لم يأمنوا صولة ذي بأس ، فأكرمهم الله تعالى باتخاذ للمدن سوراً حصيناً، وللسور أبواباً عدة حتى لا يتزاحم الناس بالدخول والخروج ، واتخذوا لها قهندازا «أي قلعة » لمكان ملك المدينة ، في البلاد الاسلامية المساجد ، والجوامع والأسواق والخانات والحمامات .

بنية المدينة العربية الاسلامية ومراحل تطورها :نمت المدينة العربية الاسلامية في بدايتها بصورة عشوائية إلا في اختيار الموقع إذ كان يخطط له بشكل علمي مدروس واتخذت المدينة العربية الاسلامية في الغالب أشكالاً دائرية، أو قريبة من ذلك أو طويلة ، أو خطية، وكان اختيار موضع المسجد الجامع ودار الامارة أو القصر في قلب المدينة مع تواجه الشوارع الرئيسية إليه انعكاساً صادقاً لحياه المجتمع الاسلامي داخل المدينة.

وقد مرت المدينة العربية الاسلامية بمراحل ثلاث :

المرحلة الأولى : مرحلة النشأة وهذه المرحلة يغلب عليها الطابع العسكري .

المرحلة الثانية : مرحلة النضج والازدهار .

المرحلة الثالثة : مرحلة الاستقرار وهذه المرحلة تتضح فيها المؤسسات المدنية وتستقر في تركيبها الوظيفي . ([24])

تخطيط المدينة العربية الاسلامية : اتخذ تخطيط المدينة العربية الاسلامية هيئة معسكرات حربية ثم تطور إلى هيئة مدينة و اتخذ قسم من المدن لأغراض إدارية وفيها ما أنشئ كعواصم أو حواضر للدول المتتابعة ،ومنها ما كان في بدايته ارتكاز تحصينيه للدفاع وبمرور الزمن غلب عليها الطابع المدني وتحولت إلى مدن ، وان التخطيط في المدن العربية الاسلامية يعتمد بالدرجة الأولى على القرآن الكريم والسنة النبوية ، وقد ضمت نشأة المدن العربية الاسلامية العناصر التخطيطية الأخرى ومن هذه المحاور هي المسجد الجامع ،ودار الأمارة والسوق وبمرور الزمن اختلف تأثير هذه المحاور في تخطيط المدينة العربية الاسلامية ، وعلى هذا الاساس بدا تخطيط مدن العمارة الاسلامية منذ الهجرة إلى المدينة المنورة حيث أصبح للمسلمين مدينتهم الأولى :

أن نواة المدينة العربية الاسلامية تتمثل بـــ :

المسجد : يعد المسجد من أهم الفعاليات الدينية في المراكز الحضرية الاسلامية فقد سيطر على أفضل المواقع في اختطاط المدن العربية الاسلامية .

السوق : يسطر السوق على موضع مركزي بتخطيط المدينة العربية الاسلامية ، وموقعه بالقرب من المسجد الجامع مستفيدا من المركزية العالية للمسجد الجامع وسهولة الوصول من كل أطراف المدينة ، وتتصف أسواق المدينة الإسلامية بكونها مسقفه ومعبده فضلاً عن انها مراكز تجارية وهي من محاور العمرانية الاسلامية .

دارة الامارة : كان بناء دار الامارة مجاوراً ، للمسجد وذلك لضرورة وظيفية وقد بني بيت الرسول ﷺ ملاصقاً للمسجد وأصبحت هذه الظاهرة تقليداً معمارياً بعيداً عن مساكن عامة الناس .

الاستعمال السكني المنازل : ان طبيعة البيئة وما يتوافر فيها من مواد كانت أساساً من أسس بناء المنازل العربية الإسلامية فالحجارة والطين والجص([25]) والخشب والقصب حدده الزمن الذي يمكن لأن تعمره البيوت أو المنشآت بسبب قدرتها على مقاومة لظروف التي تحكمت فيها وقد شغل الاستعمال السكني في المدينة العربية الاسلامية مساحة تتراوح 70 % من مساحة المدينة وكانت المدينة الاسلامية تتصف بنظام المحلات التي اخذت شكل القطائع أو الخطط في مرحلة النشوء، وقد تطورت بعد ذلك إلى محلات متخصصة متوزعة بشكل حلقي أو نطاقي حول النواة الدينية والادارية للمدينة وتتقطع بأنماط الشوارع الخارجة من مركز المدينة والطرق والازقة الملتوية .

الاستعمالات الاخرى :هناك استعمالات اخرى في المدينة العربية الاسلامية منها المؤسسات الدينية التعليمية والمؤسسات الصحية كمستشفيات ، وغيرها التي كان لها دور واضح في تقديم النشاطات الاقتصادية للمدينة العربية الاسلامية ([26])

المحور الثاني : تخطيط مدينة ينبع :

المخطط العام لمدينة ينبع القديمة : لعب العامل السياسي والعسكري في فترة من فترات ينبع دوراً رئيسياً في نشأة المدينة -ينبع- وتخطيطها ،وإن كانت المصادر التي بين يدي الباحثة لا تمدنا بالتفصيلات الكافية حول تخطيط مدينة ينبع القديمة الا انها القت بصيصاً من الضوء على بعض جوانب ذلك التخطيط ، فانستدل على ذلك من خلال أوصاف الجغرافيون والرحّالة الذين زاروا ينبع -البحر- والذين سجلوا لنا انطباعاتهم ومشاهداتهم ما امكننا التعرف بشكل واضح على المخطط العام للمدينة ،وصفها البشاري بقوله: « ينبع حسنة الحصن » ([27]) ، كما هو معروف إن الغرض الاساسي من بناء هذه الحصون الدفاع عن المدينة والميناء اذا ما تعرضت لاي هجوم. وايضاً وصفها الرحالة الأوربي « موريس تامزية بقوله : ([28])» ظللنا في ينبع بعض الوقت، وهي محاطة كليه بسور جرى ترميمه حديثاً وهو محروس بعدة أبراج مراقبه مزودة بالمدافع ،...وهي تحتوي على بوابتين تطلان على اليابسة إضافة إلى عدة بوابات أخرى تطل على البحر من ناحية الميناء... أما بالنسبة للأرض التي شيدت عليها ،والتي تأخذ شكلاً مستديراً، فهي قاحلة ومع ذلك فيجري تزويدها بالمواد الغذائية بواسطة البدو الذين يقومون بزراعة السهول والأودية المجاورة » وقال في وصفها ايضاً : «وتعمل المدينة كسوق ومركز تجاري لرجال الأعمال من تجار المدينة » ([29])

أما ريتشاد بيرتون بقوله ([30]): «أما المدينة «ينبع» فالشوارع عريضة والمساكن متباعدة الا بالقرب من الميناء والأسواق حيث يزداد سعر الأرض .. وفي ينبع شارع السوق حيث يتخذ شكله المعتاد فهو عباره عن شارع ضيق مسقوف بسعف النخل ، وبعضه دكاكين قليلة على جانبي الطريق، وهذه الدكاكين تحتل أجزاء من بيوت أصحابها» .

ووصفها ايضاً أيوب صبري بقوله ([31]):«... ويسكنه - يقصد بينبع البحر - حوالي خمسة الآف ..وأطراف القصبة محاطة بسور قديم » ووصفها ايضاً إبراهيم عبد القادر المازني الذي مر ينبع عام 1344هـ/1925م، بقوله ([32]):« وركبنا زورقاً إلى المدينة وهي صغيرة فقيرة وبها مساجد كثيرة أشهرها مسجد ابن عطاء والخضر والسنوسي ([33])، واهلها وكلاء التجارة المدينة وعمال لهم وليس فيها زرع ولا ضرع وبها آله التصفية البحر للشرب يسمونها الكندسة وهي قطعة محرفة عن الكوندنسر» ([34])

أما الجاسر في بداية عهد الملك عبد العزيز رحمه الله فوصفها بقوله : ([35]) «تتكون هذه المدينة -ينبع البحر - من محلات ، كل محلة يطلق عليها اسم خاص كغيرها من المدن ، ويحيط بها سور ، وتقع أبنية المدينة في الجهة المحاذية للبحر على امتداده» واردف قائلاً: «وكان في المدينة أبنيه من العهد التركي كان من بينها دار الامارة والميناء وما بقربها من الأبنية الحكومية ، ومنها المدرسة الذي كان بناؤها على الطراز الحديث نوعاً ما في ذلك العهد ، وخارج السور يوجد عدد من الصهاريج ([36])المبنية بالصخر والجص، لجمع مياه المطر والانتفاع بها في خلال السنة إذ لا يوجد في تلك البلدة ماء عذب لشرب أهلها وإنما يؤتي لهم بالماء من مكان بعيد يسمى المسيحلي ، فيما بينها وبين ينبع النخل ([37])، وتقع مقبرة البلدة خارج السور في الناحية الغربية مجاورة لساحل البحر ، وكان فوق بعض قبورها قباب من أعظمها قبة السيد(زراع) ([38])وقد هدمت في سنة 1343هـ/ 1924م ، وبقيت أنقاضها قائمة ، وكانت على درجة من الإحكام والقوة بحيث إن هدمها استلزم ضربها بقذائف من المدافع »

ومن خلال أوصاف الرحّالة والمؤرخين لمدينة ينبع القديمة تستنتج الباحثة ان مدينة ينبع القديمة كانت مسورة بسور،و أنه كان يدخل إليها من بابين تجاه البر ، وعدة أبواب مما يلي البحر ،وكانت بها العديد من القلاع العسكرية كما تتوفر بها جميع المرافق والخدمات وتميزت ايضاً بوجود الشونة والزيتية ([39]) وكثره ساحاتها، كما كانت بها اسواق عامرة وبها آبار التي كانت تمد المدينة بالمياه العذبة الصالحة للشرب المحلاة علاوة تحليه مياه البحر المسماة الكنداسة.

اما في الوقت الحاضر فقد تغيرت معالم مدينة ينبع القديمة لسببين، هما :

فتح شوارع وأزقة في الأحياء القديمة ،مما ترتب على ذلك هدم المباني .

قيام السكان بهدم منازلهم واعاده بنائها على طراز حديث.

يمكن القول ان مدينة ينبع القديمة أصبحت محصورة بين أربعة شوارع رئيسية : وهي شارع الميناء من الجنوب وشارع الملك فيصل رحمه الله من الشمال وشارع الملك عبدالعزيز رحمه الله من الشرق وشارع عمر بن الخطاب رضي الله عنه من الغرب ،تبلغ مساحة مدينة ينبع القديمة وفقاً للدراسات الميدانية انه بلغ طول مدينة ينبع من الشرق إلى الغرب ١٠٢٠٠كم وعرضها من الشمال إلى الجنوب ،542م. ([40])

أولا: الوصف العمراني لمدينة ينبع القديمة من خلال الوثائق والمصادر التاريخية:

مدينة ينبع احيائها القديمة:

منازل ينبع واحيائها: تتميز مدينة ينبع بنمط معماري تقليدي يختلف عن بقيه المناطق في المملكة من حيث بناء المنازل والمواد المستخدمة في البناء، وكذلك في الشكل الخارجي للمبنى من ناحية الواجهات وعدد الأدوار، حيث تتبع منازل ينبع القديمة في طراز بنائها النمط المعماري السائد في حوض البحر الأبيض المتوسط والبحر الأحمر([41])، وهي مبنية من الحجر الجيري الأبيض، وزينت بأحجار ذات لون مرجاني ، مكونة من طابق أرضي واحد ونوافذها ضخمة ومرتفعة ويحيط بالمنازل أسوار مثقبة للزينة ويلاحظ تأثر المدينة – أساساً – بالنمط العثماني الذي كان سائداً آنذاك؛ وتنحصر صفات النمط المعماري في بناء المنازل في مدينة ينبع بما يلي:

1. تتصف المدينة بالمباني المتعددة الأدوار، والتي تكثر فيها النوافذ الواسعة والرواشين ([42]) البسيطة التي تساعد على توفير التهوية الجيدة والإضاءة السليمة، كما تظهر الرواشين الكبيرة في واجهات المنازل مع انتقالها من الشكل البسيط إلى الشكل الفني الجمالي، والزهور وغيرها، ([43])استخدام الحجر والطوب والطين البحري في بناء المنازل، كما يتم تلييس الجدران من الداخل بطبقة من الجص ([44])ويتم ردم الجزء العلوي من السقف بالطين البحري، وهو بمثابة مادة عازلة لا تسمح بمرور الماء([45]).
2. شيوع استخدام الشيش في المنازل، وهو ساتر خشبي ذو فتحات صغيرة يعمل على ستر ما بداخل المنزل، وإضفاء الخصوصية عليه، وفي الوقت نفسه يسمح بدخول الهواء والإضاءة الكافية مع حجب حرارة الشمس([46]).
3. الاهتمام بمداخل المنازل ،حيث تتصف أبواب المنازل بنقوش وزخارف وأشكال جمالية، وتتميز الأبواب الأمامية - عادة – بضعف الارتفاع بالأحجار المنسقة والزخارف الحجرية، وكانت تركب بها الأبواب الخشبية الكبيرة التي كان لها مصراعان، الأيمن منهما باب صغير أو مدخل يعرف بـ(الخوخة)، وكانت الأبواب ذات المصراعين ثقيلة ([47]). ومما ينبغي الإشارة إليه هنا أن بعض منازل ينبع القديمة لا زالت باقية حتى أعداد هذه الدراسة ، ومنها منزل قائمقام ([48])ينبع في عهد الملك عبد العزيز رحمه الله السيد مصطفى محمد الخطيب،([49]) ودار آل بابطين والتي تعتبر نموذجاً من نماذج البناء القديم([50]) أما القرى العريقة مثل قرى ينبع النخل فقد كانت المنازل تبنى فيها على شكل مجمعات على تلال ربى، وذلك لتحقيق الحماية من السيول الجارفة واكتشاف المهاجمين، والدور عبارة عن غرف صغيرة ([51]).

وتلخص الباحثة ذلك بإن معظم المنازل والمباني القديمة التي وجدت في ينبع حتى عام 1373هـ/1954م -كانت تتميز بطابعها الإسلامي في البناء، وبطرقاتها- العتيقة والملتوية- قد أصبحت الآن خالية أو آيلة للسقوط، وظهرت محل بعضها المباني الحديثة ([52]). ومن خلال تتبع الباحثة لتاريخ مدينة ينبع القديمة نجد انها تتكون من ستة أحياء هي: حي السور([53]) أو كما ينطقه أهل الحي(الصور)، وحي الخريق ([54]) وحي المنجارة ([55])وحي عبس ([56])حي الغمارية ([57]) وحي الصعايدة([58]) وحي القاد([59]) ولعل أقدم أحياء ينبع « حي السور «([60])والذي يتكون من مجموعه

من المباني الآثرية التي لاتزال قائمه في مواضعها بالحي، كما ان مجموعه أخرى قد جرى هدمها من قبل اصحابها لأغراض فتح شوارع في الحي واعيد بناؤها على طراز جديد بعهد الملك عبد العزيز رحمه الله ([61]) ، وقد أحيطت جميع هذه الاحياء بالسور الذي ازيل بعام 1375هـ / 1955م([62]).

وبالنسبة للعمارة العسكرية فتعتبر من أهم النواحي الحضارية والعمرانية التي تميز بها إقليم الحجاز، حيث تضم العمارة العسكرية مجموعة من المنشآت الدفاعية التي ظهرت خلال القرنين: الثالث والرابع الهجريين، مثل الأسوار والقلاع والحصون التي انتشرت في كثير من المدن الحجازية ومنها مدينة ينبع ([63]) والتي كانت تضم العديد من الحصون والقلاع التي كانت تستخدم كمعسكرات للحاميات التي ترسل إلى ينبع، وكانت القلاع والحصون تبنى بواسطة البنائين المهرة الذين يستقدمهم أهالي ينبع لبناية هذه الأسوار بإحكام وبارتفاع عالٍ ([64]).

أسوار ينبع وأبوابها: كانت مدينة ينبع محاطة بسور دائري له أبراج شيدهُ أخر حكام دولة المماليك قانصوه الغوري ([65]) وذلك في عام 915هـ / 1508م وتذكر المصادر التاريخية بأن في عام 1079هـ / 1656م بني أول سور لمدينة ينبع في العهد العثماني، و في عام 1126 هـ / 1706م ([66]) جدده واعاد بناؤه عثمان([67]) أغا([68]) قائم مقام ينبع توجيه من دار السعادة، وفي عام 1299هـ/ 1881م اعيد بناءه للمرة الثالثة، وكان الهدف من بناء السور حماية المدينة من الاعراب ومنع دخولهم مسلحين، وبقي السور يحيط بمدينة ينبع خلال تلك الفترة، حيث تقع ابنية المدينة في الجهة المحاذية للبحر على امتداده، ([69])وبقي السور قائم يحيط بمدينة ينبع حتى بدأت المراحل الاولى لإزالته في عام 1366هـ / 1948م ([70]) إلى ان ازيل عام 1375هـ / 1955م وتذكر الوثائق التاريخية انه أجريت أول عمارة وترميم لسور ينبع في العصر السعودي ، في عام 1348 هـ / 1929م، بتكلفة تقدر بعشرين الف قرش أميري([71]) كما أجريت العمارة الثانية لسور ينبع في العصر السعودي وذلك في عام 1357هـ/ 1938م ([72]) وقد بقي سور ينبع يحيط بالمدينة حتى بدأت المراحل الأولى لإزالته في عام 1366هـ/1948م، -كما أشرنا -ويلاحظ أنه لم يكن للإنسان دور في ذلك، قدر ما كان للعوامل الطبيعية التي أثرت عليه، إلى جانب إهمال صيانته، فأخذ يتهدم حتى اختفت آثاره في منتصف السبعينات الهجرية، وكان للسور خمسة أبواب هي: ([73])

الباب الكبير: ويقع في الجهة الشمالية، وعند بوابته كانت تؤخذ الضرائب.

باب ابن زبَالَةَ([74]) (الرد): ويقع في الجهة الشرقية من المدينة.

الباب الصغير: ويقع في الشمال الغربي، وأنشئ من أجل دخول السيارات فقط.

باب الجنائز: ويقع في غرب المدينة.

الباب الجنوبي: وكان يفصل المدينة عن الميناء.

ومن الجدير بالذكر أنه وجدت بعض القلاع التي كانت ممتدة على طول السور المحيط بالمدينة وأهم هذه القلاع ما يلي:

قلعة في مدخل ينبع، وتقع إلى الشرق من المدينة، وتعتبر جزء من سور ينبع القديم.

قلعة على محاذة مدخل ينبع في رأس الموضع المسمى أبو منقار.

قلعة خارج سور ينبع، وتقع شمال شرق ينبع بجانب مقبرة المدينة.
قلعة بجانب المقبرة، وتسمى اليوم بمقبرة الصريف، وتقع شرق المدينة.
قلعة بجوار باب السيارات من الناحية الغربية خارج سور ينبع القديم.
قلعة في شمال باب الجنائز وتقع في الجهة الغربية من السور([75]).

المخازن والمستودعات: نزخر ينبع بالعديد من المخازن والمستودعات ويمكن إدراجها على النحو التالي:

الشونة: عبارة عن مخازن للمواد الغذائية قام بإنشائها السلطان العثماني سليمان القانوني (926 هـ - 974 هـ / 1520 ـــ 1566م) ([76])، وقد بنيت عندما قرر السلطان إرسال المساعدات الاقتصادية من الحبوب والمال للإهل الحرمين عن طريق ميناء ينبع الى المدينة المنورة، وقد رممت عدة مرات ([77]) وتقع شونه ينبع في الجزء الجنوبي الغربي من حي السور مما يلي البحر، مقابل جمرك ينبع وهي مبنية من الحجر المنقبي ، وقد تهدمت اجزاء كثيرة من هذه الشونة، اذا اصبح الجزء الذي تهدم محطة لنقل الجماعي ([78]) وقد استخدمت هذه الشونة، في تخزين مواد البناء الخاصة بعماره المسجد النبوي مثل الاخشاب والاسمنت والحديد وغيرها من المواد الخاصة بالعمارة العثمانية للمسجد النبوي الشريف حيث يتم تفريغ هذه المواد في ميناء ينبع البحر، ثم تنقل إلى الشونة ، ومنها إلى المدينة المنورة ([79]).

الزيتية: هي عبارة عن منشأه معمارية، بنيت من الحجر المنقبي المشذب، وتم تسقيفها بشكل مقوس وكانت تستخدم لتخزين الوقود، لتموين سيارات البريد، وكانت تخزن بها ايضاً جميع أنواع الزيوت، لذلك سميت بالزيتية([80]) وتقع خارج سور ميناء ينبع ([81]) .

مخزن الاسلحة: عبارة عن جزء من إحدى قلاع سور ينبع، وهي القلعة الواقعة شمال حي المنجارة وكان يستخدم لتخزين الاسلحة والذخيرة للمرابطين بالقلعة ([82]) .

المساجد: تضم مدينة ينبع عدداً من المساجد التاريخية التي يعود تاريخ بنائها إلى عدة عقود مضت، وكانت تمثل مظهراً من المظاهر العمرانية في المنطقة، إلى جانب دور هذه المساجد في الجوانب الدينية والعلمية، ومن أشهر هذه المساجد ما يلي:

مسجد الخضر([83]):وهو من أقدم مساجد ينبع في العهد العثماني، حيث شيد هذا المسجد في عام 926هـ/1519م بأمر من السلطان العثماني سليمان القانوني، وقد هدم وأعيد بناؤه في عام 984هـ/1576م في عهد السلطان مراد الثالث،([84]) و وفي بداية العصر السعودي تم ترميمه وتجديده، حيث تميز بوجود قنطرة تصله بسيف البحر مارة بالمباني القديمة التي كانت متاخمة لميناء ينبع القديم، ويقع هذا المسجد في شارع الميناء الموازي للسوق القديم بمدينة ينبع([85]).

مسجد ابن عطاء: وينسب إلى أسرة ابن عطاء، إحدى الأسر التي كانت موجودة في ينبع، ويقع هذا المسجد في حي المنجارة (أحد الأحياء القديمة في ينبع)، وكان هذا المسجد هو الوحيد الذي تقام فيه الجمعة إلى أن تم إزالته في الثمانينات الهجرية لتوسعة شارع الميناء([86]).

مسجد الشاذلية([87]): وهو عبارة عن مسجد صغير، كان يطلق عليه اسم زاوية، ولا يزال هذا المسجد موجوداً في حي الصعايدة، وقد أزيل جزء منه بحكم توسعة شوارع المدينة في عام 1386هـ/1966م، وكان المسجد والدكاكين الملاصقة له هي وقف من أوقاف آل الفاسي في مكة المكرمة([88]).

مسجد السنوسي:وهو من أقدم المساجد في ينبع، أنشئ عام 1253هـ/1838م، ويقع في حي الخريق أحد أحياء ينبع القديمة، وقد أسسه السنوسي الكبير محمد بن علي السنوسي([89]) من سلالة الأدارسة التي يرجع نسبها إلى الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه([90])، وقد أعيدت عمارة هذا المسجد وترميمه في عهد الملك عبد العزيز وذلك في عام 1357هـ/1938م([91])، وبقي المسجد على حالته حتى عام 1386هـ/1966م عندما هدم في مشروع تنظيم شوارع ينبع وأقيم مكانه مسجد جديد([92]).

مسجد أبو علوان: وهو من المساجد القديمة في ينبع، أنشئ عام 915هـ/1509م([93]) ، ويطلق عليه زاوية أبو علوان وقد تحول هذا المسجد في بداية العهد السعودي إلى كُتَّاب أقامته الحكومة خصيصاً لتعليم أبناء البادية، وقد استمر هذا المسجد يؤدي دوره الديني والتعليمي حتى أواخر الثمانينات الهجرية حيث أزيل في مشروع توسعة شوارع ينبع خلال تلك الفترة([94]).

الأسواق والمواسم: ارتبط وجود الأسواق في ينبع من حيث النشأة والتكوين بتطور وتقدم النشاط الاقتصادي القائم منذ القدم، ويلاحظ أن نشاط هذه الأسواق يزداد في مواسم معينة كالحج وفي أثناء مرور القوافل التجارية حيث يمثل موسم الحج نشاطاً ملحوظاً في زيادة التبادل التجاري بين الحجاج والتجار والأهالي، مما جعل من المدينة سوقاً مزدهرة خلال هذا الموسم([95]) فلم تتوقف التعاملات التجارية التي تتم في أسواق ينبع على النقد كوسيلة، بل كان يتم تبادل السلع بغيرها مع الحجيج القادمين من مختلف البلدان([96]). وقد عرفت مدينة ينبع بعض الأسواق التي يمارس فيها التجار والمزارعون مبادلاتهم التجارية، ومن أشهر هذه الأسواق ما يلي: -

سوق السويق: ([97]) هذا السوق له شهرة كبيرة بوادي ينبع، ويسمى سوق الأسواق في هذه المنطقة، ويقام هذا السوق في يوم الاثنين من كل أسبوع، كما أنه يعتبر مركزاً تجارياً واجتماعياً للحاضرة والبادية من أهالي ينبع النخل وينبع البحر والقرى المجاورة لهما، حيث إن البادية يجلبون إلى هذا السوق ما يريدون بيعه من مواشيهم كالإبل والأغنام، إضافة إلى منتجات ألبانهم من السمن والأقط (اللبن المجفف)، والعسل والفحم وفرش المنازل المصنوعة من شعور الأغنام والإبل، ويشترون من أصحاب الدكاكين المتواجدين في هذا السوق التمور والحبوب والأقمشة والأعلاف.

سوق الحدادين: ويتميز هذا السوق بأن كل العاملين فيه تقريباً من أسرة واحدة توارثت العمل فيه وهي أسرة آل الحداد المعروفين اليوم في ينبع، ويقع هذا السوق خلف مسجد ابن عطاء وبالقرب من ميناء ينبع القديم، ويختص هذا السوق بصناعة بعض الأدوات الزراعية، مثل: المساحي، والمناجل، والفؤوس، إضافة إلى صناعة السكاكين والبروسيات وهي التقالات التي كانت تعتمد عليها السفن أثناء رسوها في البحر([98]).

سوق الليل: وهو من أقدم الأسواق في ينبع، ويقع بالقرب من سوق الحدادين، ويباع في هذا السوق السمك الناشف والتمور والسمن، كما اشتهر هذا السوق بدكاكينه المتعددة التي كانت تتم فيها عقد الصفقات التجارية التي كانت تتم بين تجار المدينة ونظرائهم من التجار من خارج البلاد خاصة في تجارة الفحم الذي اشتهرت به ينبع خلال تلك الفترة ([99]).

سوق رد الربوع: وهو من الأسواق الخاصة في ينبع البحر، حيث اختص هذا السوق بتجار المدينة المنورة ووادي الصفراء ([100])، إذ يقوم أولئك التجار بإحضار ما لديهم من سلع كالسمن والعسل لبيعه في ينبع ويستبدلون بدلاً عن منتجاتهم من سوق ينبع ما يحتاجونه من سلع ومواد، ويقام هذا السوق في يوم الأربعاء من كل أسبوع؛ لذلك فإن حركة السوق تزداد في هذا اليوم عن غيره من بقية أيام الأسبوع([101]).

المحور الثالث: الحياة الاجتماعية لمدينة ينبع :

العادات والتقاليد: شهدت ينبع فترة الدراسة العديد من العادات والتقاليد التي تعتبر جزء من أجزاء التراث الشعبي لأبناء المملكة العربية السعودية وكذلك رافق تلك العادات والتقاليد مجموعة من الاعمال الحرفيين والصناعيين والتي رسمت ملامح الخصوصية لينبع سوف نوضح في الاسطر القادمة أبرز العادات والتقاليد والحرف والصناعات التي اشتهر بها أهالي ينبع.

أولًا: الملابس: كانت ملابس أهل ينبع من الحاضرة سواءً الرجال أم النساء لا تختلف كثيراً عن سكان المدن الحجازية عامة، حيث يرتدي الرجال عامة الثوب الأبيض وأحياناً الملون – الذي غالباً ما يُشد وسطه بحزام ملون([102]) أما لباس الرأس فكان يتكون من العمامة التي اشتهرت بها المدينة، ومن أشهرها العمامة الحلبي وسميت بذلك لأنها كانت تجلب من مدينة حلب السورية، وكانت تُلف أثناء لبسها على طاقية مجوفة تشبه القبة إلى حد ما، كما يتكون لباس الرأس من الشال، وهو عبارة عن حزام من الصوف وكان يُلبس على الكتف، ويُلف أحياناً على الرأس في حالة حضور اجتماع أو للوقاية من الشمس، وكان يلبسه الأغنياء والطبقة المتعلمة في المجتمع([103])، ومما ينبغي الإشارة إليه أن العمامة الحجازية (الألفي) كانت اللباس السائد لدى التجار والطبقة المتوسطة والشباب والمتعلمين وكانت علامة مميزة (شعاراً) للمنطقة في ذلك الوقت([104])، وهي تصنع من الخوص الرقيق ومكسوة من الخارج بقماش حريري مختلف الألوان، وكانت تلف على الرأس بمهارة خاصة حيث تلف بالشاش الذي يبلغ طوله عدداً من الأمتار كما أنها تلف بطريقة متدرجة لا يتقنها كل الناس. ([105])

كانت العباءة والعقال المقّصب مستعملة في الأربعينات الهجرية، وكانت تلبس في الأعياد والمناسبات الاجتماعية، ويمتاز بها الأشراف وبعض أبناء البادية، وبعض الناس كان يضع العقال المقصب على رأسه مع الجبة بدلاً من العمامة ([106]) ،وكان أهم ما يميز رجال البادية هو لبس الثياب طويلة الأكمام، فقد كان كُمَ الثوب واسعاً ومفتوحاً من أحد طرفيه، بينما يتدلى له طرف طويل على شكل مثلث تقريباً من الطرف الآخر، أما الثوب فهو واسع وقصير([107]) كما يستعمل أبناء البادية العباءة البيدي وهي عباءة قصيرة وغليظة من صوف الجمل، وتُعدَّ لحافه في الشتاء

وخصوصاً في الصحراء، أما العباءة فهي تصنع كذلك من الصوف وغالباً ما تكون محلاة بالحرير في فتحة العنق بدلاً من القصب الذي تُحلى به العباءات المعتادة كما هو معروف ([108]).

أما ملابس النساء فقد كانت تتكون من السروال والصديرية،ثم الكرته (الفستان) والمحرمة([109]) والمدورة([110]) التي توضع على الرأس([111] كما تلبس النساء البرقع([112]) والملاية ([113])، وبعض النساء يلبسن الخلاخل المرصعة بالفضة في أرجلهن([114]).

ثانياً: المأكولات والأشربة:

اشتهرت مدينة ينبع ببعض الأكلات التي اختصت بها المدينة، وأشهر هذه الأكلات السمك بجميع أنواعه، ومن أشهر أطعمة السمك في ينبع الصيادية والطاجن وهو السمك المطبوخ مع التمر الهندي والأبازير([115])، إضافة إلى أكله الأرز المعدوس والدخن([116]) والدشيشة([117]).

وعرف أهل ينبع أنواعاً من الخبز الذي يتم إعداده من القمح والشعير وأشهرها الخبز البيتي وهو ما تقوم ربة البيت بعجنه وتحضيره حتى يخمر ثم يتم إرساله إلى الفرن لإعداده، ومن أنواع الخبز أيضاً الخبز الصومالي ويتم إعداده بالدقيق الأبيض، إضافة إلى الخبز المفرود ويتم إعدادهما في بعض الأفران الشعبية التي كانت موجودة في المدينة([118]).

أما المياه فإنها تختلف عذوبتها وملوحتها وصفاءها بالنسبة إلى المواقع المختلفة ، ومن عادات الأهالي خلال تلك الفترة وضع الماء في أواني خزفية تسمى (أزياراً) لتصفيته وتبريده وشربه([119]).

ثالثاً: الزواج:

يعتبر الزواج من الركائز الأساسية التي تقوم عليها الأسرة، وتعد مظاهر الزواج من المظاهر المصاحبة للعادات والتقاليد الاجتماعية التي تحتل مكانة أساسية في التنظيم الاجتماعي لكل المجتمعات الإنسانية([120]) لذلك يمكننا بحث هذه الجزئية وفق المراحل التي يمر بها الزواج في المجتمع الينبعي، وما يصاحبها من عادات وتقاليد خلال تلك الفترة، وأهم هذه المراحل ما يلي:

الخطوبة: تبدأ إجراءات الخطوبة بعد التسامع أن عائلة ما لديها فتاة للزواج فتسارع العائلة التي تبحث لابنها عن عروس بالسؤال عنها وما إلى ذلك([121])،وعندما يتم الاختيار تذهب أم العريس وبعض أخواته أو قريباته إلى أهل الفتاة لخطبتها وأخذ رأي أمها، وبعد التمهيد والتجاوب المبدئي يذهب والد العريس إلى والد الفتاة ويبدي له رغبته في مصاهرته، فإذا كان كل شيء مناسباً يتم الاتفاق فيما بينهم على مقدار الصداق (المهر)، وتحديد موعد القران وحفل الزواج، ويتم بعد هذا اللقاء قراءة الفاتحة (عقد القران) والدعاء للخطيبين بالتوفيق والقبول([122])ومن الجدير بالذكر أنه حتى بعد عقد القران لا يسمح للعريس أن يرى عروسه، وعليه أن يقبل بذلك الحال حتى ليلة الزفاف التي تسمى «الدخلة»([123]).

المهر: ومن الشائع في قيمة المهور في ينبع أنها تتكون من الريالات الفضية أو الجنيهات الذهبية باعتبارها العملة المتداولة في تلك الفترة، ولعل أبرز ما في موضوع المهور هو التفاوت بحسب القدرة على العطاء فمنهم من يقدم ريالاً واحداً، ومنهم من يقدم ريال ونصف ومنهم

مـن يقـدم ضعـف هـذا المبلـغ أو أكـثر حتـى يصـل إلى مائتـين وخمسـين ريـالاً أو أكـثر([124]).

أمـا في القـرى فقـد كان المهـر عبـارة عـن أشـياء عينيـة كأن تقـدم مجموعـة مـن الإبـل أو الأغنـام أو الحمـير التـي كانـت تسـتعمل في حمـل الأمتعـة، وقـد يكـون المهـر عـدداً مـن النخـل أو قطعـا مـن الأرض التـي تـزرع عنـد نـزول المطـر([125]).

الـزواج والرفـد: بعـد الاتفـاق بـين أهـل الزوجـين عـلى ليلـة الزفـاف تبـدأ الاحتفـالات بهـذه المناسـبة، حيـث يبـدأ حفـل الـزواج في ظهـيرة يـوم الدخلـة (ليلـة الزفـاف) إذ يحـضر المدعـوون وليمـة الغـداء في منـزل العريـس، وكانـت تتكـون مـن الخـراف المذبوحـة والأرز المطبـوخ وبعـض الحلـوى ([126]) وفي المسـاء يقـام سرادق([127]) أمـام بيـت العريـس كان يضـاء بالاتاريـك ويتصـدر العريـس هـذا السـرادق ومـن حولـه أقربـاؤه وأصدقـاؤه ومحبـوه مرتديـاً ثوبـاً جديـداً ولابسـاً العقـال المقصـب والعبـاءة البيضـاء، وبعـد صـلاة المغـرب مبـاشرة تبـدأ مراسـم الـزواج بتـلاوة آيـات مـن القـرآن الكريـم، ثـم يتنـاوب الخطبـاء والشـعراء التهنئـة والترحيـب بالضيـوف، وقبـل أذان العشـاء يتحـرك العريـس مـن السـرادق إلى مسـجد المدينـة الكبـيرة ومعـه مجموعـة مـن الرجـال وهـم يهزجـون ويصفقـون في لعبـة شـعبية تسـمى (البيشـانة)([128])، وقبـل بـاب الجامـع الكبـير تتوقـف البيشـانة ويدلـف العريـس ومـن معـه إلى الجامـع فيـؤدون صـلاة العشـاء، وعقـب الصـلاة يتابـع العريـس البيشـانة وترافقـه إلى مدخـل بيـت العـروس([129]) ومـن ثـم يـزف العريـس حتـى يصـل إلى (الأريكـة) ([130]) التـي تجلـس عليهـا العـروس وهـي محجبـة، وعندئـذ يضـع يـده عـلى رأسـها ويقـرأ شـيئاً مـن القـرآن الكريـم في همـس، ويقـوم بإلصـاق بعـض الجنيهـات الذهبيـة عـلى جبهتهـا، وبعـد ذلـك ترافـق العـروس عريسـها إلى دارهـم ([131]) وكانـت هنـاك عـادة الرفـد بمناسـبة الـزواج، وهـي عبـارة عـن هدايـا أو معونـة يقدمهـا بعـض المدعويـن لأهـل العروسـين، وتكـون عـادة مـن الخـراف أو الأرز أو السـمن أو السـكر كُلّ حسـب مقدرتـه الماليـة([132]).

رابعاً: الاحتفال بالحاج:

ومـن العـادات الموجـودة في ينبـع الاحتفـال بالعائـد مـن الحـج إلى أهلـه، وكان يطلـق عـلى القـادم مـن الحـج للمـرة الأولى (صرارة)([133])، حيـث يقيمـون للحـاج حفلـة يتـم فيهـا تنـاول الأطعمـة المختلفـة، كـما يقـوم أقاربـه وجيرانـه بنـشر الحلـوى عليـه ابتهاجـاً بعودتـه وأداء الفريضـة([134])، ويشـبه هـذا الاحتفـال ، الاحتفـال بالقـادم مـن المدينـة المنـورة([135]).

الحـرف والصناعـات التقليديـة: وتتميـز مدينـة ينبـع بتنـوع أنمـاط الحيـاة الحضريـة والريفيـة والبدويـة، حيـث أدى هـذا التنـوع إلى ظهـور عـدداً مـن الصناعـات والحِـرف والمهـن التـي مارسـها السـكان قبـل ظهـور الصناعـات الحديثـة في المملكـة العربيـة السـعودية، ومـن أشـهر هـذه الحـرف (الصناعـات) مـا يـلي:

1. صناعـة الحـلي (الذهـب والفضـة): فقـد قامـت في مدينـة ينبـع هـذه الصناعـة اليدويـة المشـهورة التـي تـدل عـلى المهـارة الفنيـة التـي كان يتصـف بهـا بعـض الأهـالي، حيـث تعتمد هـذه الصناعـة عـلى الذهـب والفضـة مـن قبـل الصاغـة المنتشريـن في أسـواق ينبـع النخـل وينبـع البحـر، إذ كانـوا يصنعـون مـن الذهـب والفضـة الحـلي المتداولـة بـين النسـاء مثـل

الحجـول والخلاخـل والأسـاور والبناجـر والقـروط والسلاسـل[136] وإصـلاح التالـف منهـا[137].

2. الصناعـات الجلديـة: وتعتمـد هـذه الصناعـة عـلى جلـود الحيوانـات التـي تسـتخدم في حياتهـم العامـة والخاصـة بوصفهـا وسـيلة مـن أفضـل الوسـائل للاعتـماد عـلى النفـس خـلال تلـك الفترة، ومـن أهـم هـذه الصناعـات: صناعـة الجاعـد الـذي يسـتخدم للجلـوس عليـه خصوصـاً في فصـل الشـتاء، فهـو يضفـي الحـرارة عـلى الجسـم لكونـه مـن الصـوف[138]، ومـن الصناعـات الجلديـة أيضـاً: حياكـة أوبـار الإبـل وصـوف الأغنـام وشـعر الماعـز لعمـل الملابـس وبيـوت الشـعر[139]، وصناعـة القِـرَب التـي تصنـع مـن الجلـد وتحمـل فيهـا الميـاه مـن العيـون والآبـار إلى المنـازل، والعـكاك وهـي القِـرب الصغـيرة وتسـتخدم لحفـظ العسـل والسـمن لأطـول فـترة ممكنـة[140].

3. صناعـة الخـوص[141]: وتقـوم عـلى أسـاس الاسـتفادة مـن سـعف النخيـل في صناعـة الحُـصرُ (المفـارش)، وصناعـة السـلال التـي تسـتخدم لتخزيـن التمـور إضافـة إلى صناعـة المـراوح اليدويـة والمكانـس[142].

4. **صناعـة الأحجـار**: وتقـوم هـذه الصناعـة عـلى قطـع الأحجـار المسـتخدمة في البنـاء مـن بعـض المناطـق القريبـة مـن ينبـع، حيـث يقـوم الحجّـار بقطـع الحجـر الجـيري لاسـتخدامه في بنـاء المنـازل، ويقومـون أيضـاً بصناعـة الرحـى اليدويـة لاسـتخدامها في طحـن الحبـوب حيـث لا يخلـو بيـت في الحـاضرة أو الباديـة في ينبـع منهـا[143]

ومـن المهـن أيضـاً مهنـة «السـقائيين» وهـم الذيـن يجلبـون ميـاه الشـرب للمنـازل سـواء مـن الكنداسـة[144] أو مـن الصهاريـج الموجـودة في ينبـع حيـث يحملـون المـاء بالمـردوف وهـو عبـارة عـن صفيحتـين سـعة كل واحـدة منهـا (20) لـتراً مـن المـاء، تربـط بحبـل وتجمـع بينهـما قطعـة خشـب تحمـل عـلى الأكتاف[145]ومـن الأنشـطة والحـرف التقليديـة في ينبـع صيـد الأسـماك واسـتخراج اللؤلـؤ، إضافـة إلى ذلـك فقـد وجـدت بعـض المهـن لـدى الباديـة والتـي كان مـن أهمهـا: الرعـي، وتربيـة المـواشي[146] إضافـة إلى جمـع الحطـب وإعـداد الفحـم لاسـتخدامه وبيعـه حيـث كانـت ينبـع تنتـج كميـات كبـيرة مـن الفحـم الـذي كان يكفـي إنتاجـه محليـاً والباقـي يتـم تصديـره للخـارج[147].

الخاتمة:

أمـا وقـد وصلـت الدراسـة إلى ختامهـا ، فـإني أحمـد اللـه عـلى نعمـه وتوفيقـه وفضلـه عـلى تمـام هـذه الدراسـة، وبعـد دراسـة تخطيـط المدينـة العربيـة الاسـلامية عنـد العديـد مـن العلـماء العـرب والمسـلمين بشـكل عـام ودراسـة تخطيـط مدينـة ينبـع بشـكل خـاص ؛توصلـت الباحثـة إلى عـدد مـن النتائـج والتوصيـات يمكـن إيرادهـا في الاتي:

1. نسـتنتج مـن هـذه الدراسـة ان مدينـة ينبـع مـن المـدن التجاريـة ، وقـد لوحـظ ذلـك مـن تخطيـط المدينـة قياسـاً عـلى حجمهـا كـبر مسـاحة سـوقها ، الـذي يقـع حسـب مخطـط المدينـة القديـم بالجهـة الشـمالية مـن حـي السـور ، وتتسـم المحـلات التجاريـة في هـذه السـوق بإطلالتهـا عـلى الشـارع ، أو الزقـاق مـن الجانبـين .
2. لوحـظ مـن خـلال الدراسـة ان مدينـة ينبـع القديمـة في التخطيـط العمـراني للإحيائهـا بـأن

شوارعها تتسم بإلازقة وشدة التعرج ويرجع ذلك إلى نمط البناء في تلك الفترة

3. نستنتج من خلال هذه الدراسة ان مدينة ينبع بدأت كحصن ثم أصبحت مدينة تجارية إلى ان تطورت الآن ،وأضحت محافظة تضم مدن وقرى وتضم أهم المدن الصناعية .
4. بينت الدراسة أن النمط السائد المعماري بمدينة ينبع القديمة ، من حيث المواد التي تستخدم البناء فيها عبارة عن الاحجار والجص وسعفها بجذع النخل أو الخشب وتغطيتها بالخسف المصنوع من سعف النخل ، ثم المونة، ويتميز في هذه الفترة البناء بالروشين الجميلة ، ثم تحول في أوائل العصر السعودي جراء بعض التغيرات فقد بينت المباني بالطوب بالخرسانة المسلحة وكلا الطرازين لوحظ ان هناك اشتراكاً فيما يتصل بتعدد الادوار مع اخفاء ظاهرة الروشين التي تميزت بها مباني ما قبل العصر السعودي ،وذلك لظهور أجهزة التكييف والتبريد ، مما لم يعد معه هناك ضرورة للرواشين .
5. بينت الدراسة أن أسس ومعايير تخطيط المدينة العربية الاسلامية انطبقت على مدينة ينبع .
6. نستنتج من هذه الدراسة ان مدينة ينبع اتخذت في تخطيطها شكل دائري أو اشبه بالدائري ،وهي محاطة بسور مزود بالقلاع للحماية وظلت مسورة حتى بدأت المراحل الأولى لإزالته في عام 1366هـ/1948م إلى أن ازيل السور بالكامل عام 1375ه / 1955م
7. تؤكد الدراسة على ان شروط تخطيط المدينة التي يجب على حكام الدولة اتباعها ماهي إلى مجموعة من المبادئ التخطيطية المستخلصة من وصايا الرسول صلى الله عليه وسلم وخلفائه أثناء بنائهم عاصمة الاسلام الأولى المدينة المنورة .

التوصيات التي توصي بها الباحثة من خلال الدراسة:

خرجت الباحثة ببعض التوصيات على النحو التالي:

1. توصي الباحثة على الاهتمام بدراسة التراث الجغرافي لمدينة ينبع وغيرها من المدن السعودية وكل ما يتعلق بها ،من مخطوطات ،وأجهزة وخرائط ورحلات قام بها الباحثون وذلك يقع على عاتق الاقسام الاكاديمية في مختلف الجامعات العربية والاسلامية .
2. توصي الباحثة على الحفاظ على ما تبقى من التراث المعماري العربي الاسلامي الاصيل في مدينة ينبع وغيرها من المدن العربية والاسلامية .

الهوامش:

(1) المحاسنة : هادى عبد الفتاح وآخرون : فلسفة ابن خلدون في تخطيط المدينة الإسلامية ، مجلة كلية الآداب ، جامعة الإسكندرية ،كلية الآداب ،العدد 92 ، 2018م ، ص 408

(2) يَنبُعُ: بالفتح ثم السكون، والباء الموحدة المضمومة ، وعين مهملة بلفظ يَنبُعُ الماء .أنظر: الحموي ، شهاب الدين أبي عبدالله ياقوت بن عبد الله ، معجم البلدان ، ط2، (بيروت: دار صادر للطباعة والنشر ، 1995م)، مج5 ، ص 449، ويقال أن ينبع تعني ينبوعاً أو نافورة ، ويرجح أنها من نبع الماء إذاجرى، وقدجاء في لسان العرب، « أنه بناحية الحجاز عين ماء يُقال لها ينبع تسقي نخيلاً لآل علي بن أبي طالب ، وهي ينبع النخل وينبع البحر انظر أبن منظور: أبو الفضل جمال الدين محمد أبن مكرم (ت771) لسان العرب ،(د.ن): 1955م ، ص 56 ، أنظر : العبد العالي : هدى عبد العال بن عبد العزيز ، النشاط الاقتصادي لميناء ينبع دراسة وثائقية في وثائق مكتبة الملك فهد الوطنية ، من أبحاث الندوة التي نظمها كرسي الملك سلمان بن عبد العزيز ال سعود لدراسات تاريخ المدينة المنورة في الندوة التاريخية في الفترة التاريخية الواقعة مابين 5- 6 من ربيع الاخر 1435هـ الموافق 5- 6فبراير 2014م ، ج2، ص275

(3) الجاسر: حمد ، بلاد ينبع لمحات تاريخية جغرافية وانطباعات خاصة، ط1 (الرياض: دار اليمامة، 1385هـ/1965م)،ص12

(4) العيص: وادٍ من روافد إضم، يأخذ أعلى مياهه من حرة بني سنان شمال وادي ينبع، ثم يتجه شمالاً حتى يصب في وادي الحمض ويتبعه عدة قرى وسكانه من جهينة، وله مركز محافظة تابع لمحافظة ينبع، انظر: الفيروز آبادي، مجد الدين محمد يعقوب (ت817هـ-1414م)، المغانم المطابة في معالم طابة ،تحقيق: حمد الجاسر، ط1 (الرياض: دار اليمامة للبحث والترجمة، 1389هـ/1969م)، ص288، البلادي: عاتق بن غيث ، معجم معالم الحجاز ، ط1 (مكة المكرمة: دار مكة للطباعة والنشر والتوزيع ، 1401هـ / 1981م) ج6،ص200.

(5) تعميم للمحافظات والمراكز والإدارات الحكومية وأقسام الامارة برقم 20018 ، وتاريخ 11/ 6/ 1433هـ ، بخصوص رفع مستوى مركز العيص إلى محافظة من فئة (ب) (محفوظ بإرشيف أمارة محافظة ينبع) وثيقة تحتفظ الباحثة بنسخه منها.

(6) أملج : تقع شمال مدينة ينبع على بعد 120كم وهي بين خطي طول 27-14 شرقاً و35-5 شمالًا وهي تتبع امارة منطقة تبوك الإدارية انظر: الصبحي : سهيل سليمان، املج ،ط1 ،(الرياض : مطابع جامعة الملك سعود إصدار الإدارة العامة للنشاطات الثقافية بالرئاسة العامة لرعاية الشباب سلسلة هذه بلادنا رقم 55 ،1418ه / 1997م)، ص13

(7) بدر: بفتح الباء وسكون الدال المهملة، سميت ببدر نسبة إلى بدر بن قريش بن كنانة، وهي الآن قرية عامرة من قرى الحجاز انظر: البكري: ابو عبيد عبد الله بن عبد العزيز البكري

الاندلسي، معجم ما أستعجم من أسماء البلاد والمواضع ، تحقيق مصطفى السقا، د. ط ، (بيروت : دار الكتب ،د.ت) ،ج 1، ص232، والبلادي: عاتق بن غيث ، معجم معالم الحجاز ، ج1 ، ص 189.

(8) الخطيب: عبد الكريم محمود، ينبع ، ط1(الرياض: مطابع جامعه الملك سعود إصدار الإدارة العامة للنشاطات الثقافية بالرئاسة العامة لرعاية الشباب سلسلة هذه بلادنا رقم 93 ، 1413هـ/ 1993م)، ص4

(9) شهاب الدين ،تحية محمد: ينبع في ضوء المصادر الكلاسيكية ، من ابحاث الندوة التي نظمها كرسي الملك سلمان بن عبد العزيز ال سعود لدراسات تاريخ المدينة المنورة في الندوة التاريخية في الفترة التاريخية الواقعة مابين 5-6- من ربيع الاخر 1435هـ الموافق 6-5 فبراير 2014م ،ج1 ص 114 ، وَ الجاسر ، بلاد ينبع ، ص 11 12-

(10) نبط : واد بين ينبع وواد الحمض على 90 كيلو مترا شمالا ، وفيه آبار، وهو على مرحلة شمال الحوراء ، البلادي : معجم معالم الحجاز ، ج9 ، ص20 ، أكبر، إلهام سراج، بلاد ينبع دراسة تاريخية، 923-362هـ/1517-973م، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، قسم الدراسات العليا التاريخية والحضارية، جامعة أم القرى، 1419هـ/1999م ، ص63

(11) الجاسر ، بلاد ينبع ، ص -49 50

(12) علي: جواد ،المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ط2 (د. م: د. ن، 1413ه / 1993م) ج2، ص48، الخطيب: عبد الكريم ، تاريخ ينبع ، ط1(الرياض: مؤسسة الجريسي ، 1430هـ / 2009م) ص24، الجاسر، بلاد ينبع، ص46، وأكبر، بلاد ينبع دراسة تاريخية حضارية، ص61.

(13) عبدالله: أمين محمود، الجغرافيا التاريخية لحوض البحر الأحمر، د.ط (أسيوط: المطبعة الحديثة،1390ه /1971م) ،ص184.

(14) علي: جواد ،المفصل في تاريخ العرب، ص، 48، والخطيب: مرجع سابق، ص24، أكبر، بلاد ينبع دراسة تاريخية حضارية ، ص61، والجاسر، بلاد ينبع ، ص46 - 47.

(15) الجاسر، بلاد ينبع، ص47.

(16) الجاسر، المرجع السابق، ص47، وأكبر: بلاد ينبع دراسة تاريخية حضارية، ص32.

(17) أكبر، مرجع سابق، ص32.

(18) الجاسر: حمد ،المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية شمال المملكة (إمارات حائل والجوف وتبوك وعرعر والقريات)، د.ط (الرياض، منشورات دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، 1397ه / 1977م)، القسم الأول، ص463.

(19) كمال عبد العليم: مصطفى، « تجارة الجزيرة العربية مع مصر في المواد العطرية في العصرين اليوناني والروماني»، دراسات في تاريخ الجزيرة العربية، ضمن أبحاث الندوة العالمية الأولى التي نظمتها كلية الآداب - جامعه الملك سعود، الرياض: في الفترة ما بين 15 - 21 من محرم عام

1404ه الموافق 21 27- اكتوبر 1983م، المجلد الثاني، ص207 - 208، صالح عبداللطيف ، ملامح من تاريخ ينبع ، ط1 (ينبع الصناعية : مكتبة الهيئة الملكية ، 1425ه / 2004م)، ج ،1 ص30 31-.

(20) عبد العليم: تجارة الجزيرة العربية، ص207 - 208، السيد: مرجع سابق، ج1، ص30 - 31.

(21) عندما توجه الأيوبيون إلى ميناء ينبع، بعد زوال الخطر الصليبي، في عام 621ه/1224م، قاموا بشرائه من الأشراف الحسينيين من أهالي ينبع النخل، وأقاموا به المنشآت اللازمة، وذلك في أوائل القرن السابع الهجري (الثالث عشر الميلادي)، عندما كانت فترة نهاية ميناء الجار وانتهاء خدماته التجارية والملاحية، ومنذ ذلك الوقت أصبح ميناء ينبع من أهم ثغور الحجاز. انظر: الجاسر: بلادينبع،ص50-49

(22) والرويثي:محمدأحمد،الموانئ السعودية على البحر الأحمر،ط1(مؤسسة الرسالة، 1403هـ/ 1983م)، ص 335.

(23) الحموي: معجم البلدان، ج2، ص107 - 109، وأبو عبد الله محمد بن عبد الله بن إدريس الحمودي الحسيني الإدريسي، المعروف بالشريف الإدريسي: نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، ط1 (بيروت: عالم الكتب، 1409ه / 1989م)، مج 1، ص132.

(24) كركجة :فواز عائد جاسم، جوانب من بنية المدينة العربية الاسلامية ودواعي توثيقها ، مجلة أبحاث المدينة العربية الاسلامية ، مج 11 ، العدد 1، 2011م ، ص-312ـ 313

(25) كركجة : فواز عائد جاسم، جوانب من بنية المدينة العربية الاسلامية ودواعي توثيقها ، ص-312 313

(26) بلسود: سميرة مبارك، ميناء ينبع ورابغ فيما بين عامي 1373-1256هـ/1954-1840م دراسة تاريخية حضارية، رسالة دكتوراه غير منشورة، مقدمة لقسم الدراسات العليا التاريخية والحضارية، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة أم القرى، 1430هـ/2011م ،ص 107

(27) كركجة : فواز عائد جاسم، جوانب من بنية المدينة العربية الاسلامية ودواعي توثيقها ، مجلة أبحاث المدينة العربية الاسلامية ، مج 11 ، العدد 1، 2011م ، ص310

(28) اكبر، بلادينبع ،ص242

(29) تاميزيه : موريس، رحلة في بلاد العرب الحجاز ، ترجمه محمد بن عبدالله آل زلفه ، ط1(الرياض: دار بلاد العرب للنشر والتوزيع، 1421ه / 2000م)، ص 57

(30) تاميزيه : رحلة في بلاد العرب الحجاز ، ص 58

(31) جبر: يحي عبد الرؤوف،» شمال الجزيرة العربية في مصنفات الرحالة» ضمن كتال الرحالات إلى شبه الجزيرة العربية ، بحوث ندوة الرحلات إلى شبه الجزيرة العربية المنعقدة في الرياض في المدة من 24 - 27 رجب 1421 هـ / الموافق 21 - 24 أكتوبر2000م ، ط1 (الرياض :دارة الملك عبد العزيز ، 1424هـ / 2003م) ، ج1، ص 309 ـــــ 310

(32) صبري : أيوب باشا ،مراه جزيرة العرب ،ترجمة وتقديم وتعليق :فؤاد متؤلى والصفصفاني أحمد المرسي ،ط1 (الرياض:دار الرياض للنشر والتوزيع ،1403هـ / 1983م)، ج1، ص 195 - 196

(33) الخطيب : تاريخ ينبع ، ص 293 ـــ295

(34) بلسود: سميرة مبارك، ميناء ينبع ورابغ فيما بين عامي 1373-1256هـ/1954-1840م ،ص 107

(35) الكنداسة : هي آله تعمل بالفحم لتقطير مياه البحر وتحويلها الى مياه عذبه نسبياً ، انظر: الجاسر : حمد ، بلاد ينبع ، ص121

(36) الجاسر: حمد ،بلاد ينبع ، ص 126ـــ127

(37) الصهاريج : بكسر الصاد، جمع صهريج ، سمي بذلك نسبة إلى الصاروج ، وهي مادة العازلة التي كان يصرج بها أي تطلي بها جدرانه ، والصهريج خزان للمياه مسقوف يبني بالآجر أو الحجر تحت الارض ، ويمكن النزول إلى قاعه لتنظيفه وتطهيره بواسطة درج انظر : بلسود ، مرجع سابق ،ص96

(38) ينبع النخل : تقع ينبع النخل على بعد 50 كم شرق ينبع البحر انظر : بلسود: سميرة مبارك، ميناء ينبع ورابغ فيما بين عامي 1373-1256هـ/1954-1840م دراسة تاريخية حضارية، ص 111

(39) قبة السيد زراع : موقع قبر الشيخ السيد زراع كان قبره مزاراً للعابرين للحج وله يوم معلوم في السنة وموقع قبره جنوب شرق مقبرة ينبع الحالية على ساحل البحر غرب البلد وتعرف المقبرة اليوم باسم الشيخ زراع حيث تظهر آثار الهدم والحجارة وهدم في بداية العصر السعودي عام 1344ه وتوقف الدفن بها من تاريخ 1/ 7/ 1423هانظر: السيد : صالح عبداللطيف ، ملامح من تاريخ ينبع ، ج ،1 ، ص 286

(40) بلسود: سميرة مبارك، ميناء ينبع ورابغ فيما بين عامي 1373-1256هـ/1954-1840م، ص 107

(41) سيرد التعريف بها في الصفحات القادمة .

(42) الخطيب: عبد الكريم ، تاريخ ينبع ، ص62

(43) الروشان (والجمع رواشين): هو نافذة الغرفة المطلة على الواجهة الخارجية للمنزل، ويكون بارزاً عن الغرفة إلى الشارع، ولا يسمى روشاناً إلا إذا كانت به غولة أوشيش بارز. انظر: موسوعة المملكة العربية السعودية،المدينة المنورة ، د.ط (الرياض: مكتبة الملك عبد العزيز العامة ، د.ت)، مج 4، ص434، وانظر الملاحق شكل رقم (4)، ص 30

(44) السيد: صالح عبد اللطيف عليان ، ملامح من تاريخ ينبع ،مج2 ،ص17.

(45) الجص: عبارة عن أجسام القواقع البحرية، ويطلق عليها (القحف)، ويتم تكوينه بإشعال النار مع الحجر المنقبي حتى يتحول في النهاية إلى مسحوق يسمى الجص، وهو أقوى من

النورة التي تستخدم عادة في البناء؛ إذ أنه لا يسمح بتسرب الماء، ويستخدم في تلييس واجهات المنازل، ولونه يميل إلى الحمرة، وقد يخلط في استخدامه مع النورة أو الرمل. انظر السيد: المرجع السابق، ج 2، ص24.

(46) الخطيب: عبد الكريم ،تاريخ ينبع، ص62.

(47) السيد :صالح، ملامح من تاريخ ينبع،ج 2،ص27.

(48) الصويان :سعد عبد الله، الثقافة التقليدية في المملكة العربية السعودية، ط 1(الرياض، دار الدائرة للنشر 1420هـ/1999م،)ج4 ،ص186.

(49) قائمقام: هو الشخص الذي يقوم مقام الغير في منصبه، مثل قائمقام إستانبول، وهو أعلى منصب إداري في الأقضية. انظر صابان: سهيل ، المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية التاريخية،ط1 (الرياض: مطبوعات مكتبة الملك فهد الوطنية ، السلسلة الثالثة ، 43 ، 1421هـ / 2000م) ، ص170.

(50) مصطفى محمد الخطيب: مصطفى بن محمد بن مصطفى بن سليمان الهاشمي، ولد في مدينة ينبع البحر عام 1300هـ/1882م، من أسرة عريقة كان لها دور كبير في تجارة موانئ البحر الأحمر، تولى قائمقامية مدينة ينبع من عام 1344ه حتى 1349هـ/1930-1925م، ثم عين عضواً في مجلس الشورى من عام 1349 حتى عام 1353هـ/1935-1930م، كما عين رئيساً لبلدية ينبع في عام 1359هـ/1940م، وقد توفي رحمه الله في سنة 1372هـ/1952م. انظر الخطيب: عبد الكريم، رجل وتاريخ قائمقام ينبع مصطفى ابن محمد الخطيب، ص-11 -27 -91 108، القشعمي: محمد بن عبد الرزاق، الخطيب وتاريخ ينبع، المجلة العربية، ع343، س30 في شعبان 1426هـ/ سبتمبر 2005م، ص62.

(51) الخطيب: عبد الكريم محمود، ينبع، ص55.

(52) موسوعة المملكة العربية السعودية، منطقة المدينة المنورة، مج 4 ، ص 442 443-.

(53) الرويثي: محمد أحمد، الموانئ السعودية على البحر الأحمر، ص340.

(54) حي السور: يقع في الجزء الغربي من المدينة القديمة انظر : بلسود:سميرة مبارك، ميناء ينبع ورابغ ، ص107

(55) حي الخريق : يلاصق حي السور من الجهة الجنوبية ويفصله عنه شارع أبو بكر الصديق رضي الله عنه انظر : بلسود: سميرة مبارك، ميناء ينبع ورابغ ، ص108

(56) حي المنجارة : يتداخل هذا الحي مع حي الصعايدة من الناحية الشمالية الشرقية انظر : بلسود، المرجع السابق ، ص109

(57) حي عبس : يقع وسط حي الصعايدة ويعتبر جزءاً منه وقد تبقى في هذا الحي بعض المباني التي يردع تاريخها لبداية العصر السعودي ازيلت واعيد بنائها على طراز حديث بعد عهد الملك عبد العزيز انظر : بلسود، المرجع السابق ، ص109

(58) حـي الغمارية : سـمي الحـي بهـذا الاسـم نسـبة إلى اسرة الغمارية وهـي اسرة تسـكن الحـي تعـود أصولهـا إلى المغـرب ويتداخـل هـذا الحـي الصغـير مـع حـي الخريـق مـن الناحيـة الشـمالية المغربيـة ولم يتبـق منـه المبـاني القديمـة انظـر : بلسـود ،المرجـع السـابق، ص 110-109

(59) حـي الصعايـدة : يعتـبر اكـبر احيـاء مدينـة ينبـع القديمـة إذ يقـع عـلى امتـداد حيـي السـور والقـاد مـن الناحيـة الشـمالية ويفصلـه عنهـما شـارع الملـك فيصـل انظـر : بلسـود، المرجـع السـابق ، ص109

(60) حـي القـاد : يعتـبر هـذا الحـي اصغـر أحيـاء المدينـة القديمـة ويقـع غـرب حـي السـور ويفصلـه عنـه شـارع عمـر بـن الخطـاب ولم يتبـق في هـذا الحـي إلا بعـض جـدران منـازل مبنيـة مـن الحجـر المنقبـي انظـر : بلسود:سـميرة مبـارك، ميناء ينبـع ورابـغ ، ص109 ، الخطيـب :عبـد الكريـم، تاريـخ ينبـع، ص42

(61) سـمي بالسـور نسـبة إلى أول سـور لينبـع شـيد عليـة في عـام 915هـ / 1509 م بأمـر مـن السـلطان قانصـوه الغـوري أخـر حـكام دولـة المماليـك . انظـر: السـيد ، ملامـح مـن تاريـخ ينبـع ، ج 2 ، ص 7 ، والخطيـب : عبـد الكريـم محمـود، رجـال وأسر مـن ينبـع في عصـور مختلفـة ، ط1 (الريـاض: دار الخطيـب للنـشر ، 1419 / 1998م) ،ص 268 .

(62) الملـك عبـد العزيـز : هـو ملـك المملكـة العربيـة السـعودية ولـد في قـصر الأمـارة في مدينـة الريـاض عـام 1293ه / 1876م مـن أهـم اعمالـه اسـترداده مدينـة الريـاض عـام 1319ه / 1902م وتوحيـد المملكـة العربيـة السـعودية عـام 1351ه / 1953م ، تـوفي في مدينـة الطائـف يـوم الاثنـين 2 / 4/ 1373ه /9 نوفمـبر 1953م ، وصـلي عليـه في الحويـة ، ثـم نقـل جثمانـه إلى الريـاض حيـث دفـن في مقـبرة العـود الملكيـة ، انظـر : الـزركلي : خـير الديـن ، الوجيـز في سـيرة الملـك عبـد العزيـز ، ط5،(بـيروت : دار العلـم للملايـين ، 1988م) ، ص17، بلسـود: سـميرة ، ميناء ينبـع ورابـغ فيـما بـين عامـي 1373-1256هـ/1954-1840م دراسـة تاريخيـة ، ص 111

(63) الخطيـب ، تاريـخ ينبـع ، ص45 ، بلسـود، ميناء ينبـع ورابـغ ، ص 112 انظـر: الملاحـق شـكل رقـم (7) رسـم تقريبـي لسـور ينبـع

(64) الدهـاس: مشـعل بـن نايـف، الحجـاز مـن خـلال كتـب الرحالـة المشـارقة خـلال القرنـين الثالـث والرابـع الهجريـين، رسـالة ماجسـتير غـير منشـورة، مقدمـة لقسـم الدراسـات العليـا التاريخيـة والحضاريـة، كليـة الشريعـة والدراسـات الإسـلامية، جامعـة أم القـرى، 1429هـ/2008م، ص324.

(65) المقـدسي: شـمس الديـن أبـو عبداللـه محمد بن أحمد البشـاري (ت 336هـ/947م)، أحسـن التقاسـيم في معرفـة الأقاليـم، تحقيـق: محمـد مخـزوم، بـيروت، دار إحيـاء الـتراث العـرب،, 1408هـ/1987م ،ص83، أكـبر: إلهـام سراج، بـلاد ينبع دراسـة تاريخيـة، 923-362هـ/1517-973م، ص286

(66) قانصـوه الغـوري : السـلطان الاشراف أبـو النـصر قانصـوه الغـوري احـد سـلاطين المماليـك البرجيـة جركـسي الأصـل بويـع بالسـلطة في القاهـرة سـنة 905ه/ 1500م قتـل في معركـة مـرج دابـق عـام 922ه / 1516م انظـر: السـيد : صالـح عبداللطيـف ، ملامـح مـن تاريـخ ينبـع ، ج1 ، ص106

(67) الجاسر:حمد، بلاد ينبع، ص126.

(68)وزير عثماني عين والياً على الحجاز في عام 1299 هـ / 1881م ، اتصف بعدة صفات منها رجاحة العقل والحكمة وبعد النظر ، وسدادة الراي ، كما عرف عنه الصلاح وحب الخير ، وله مأ ثر جمة في الحجاز ، كما بنى ايضاً قشتلة اجياد التي جعلها مقرا لجنود المدافع ، وعمر ما تخرب من قلعة جبل هندي ، كما بنى مستشفى بمبنى وبازانا للماء بمسجد الخيف بها وعزل من منصبة ، باشا عام 1304 هـ / 1886 م ، انظر: بلسود ، مينائي ينبع ورابغ ، ص 101

(69)اغآ: لقب وظيفي يتكون من أغا، ودار السعادة: كناية عن العاصمة العثماني استنابول أو القصر السلطاني بها وهو أكبر موظفي القصر الهمايوني ويعرف باسم أغا البنات « قيزلرأغاسي» وكان يطلب الاشياء اللازمة للحريم: بركات: مصطفى،الالقاب والوظائف العثمانية ، دراسة في تطور الالقاب والوظائف منذ الفتح العثماني لمصر حتى إلغاء الخلافة العثمانية من خلال الوثائق والمخطوطات 1417ـ 1924م ، ط1 (القاهرة: دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع ، 2000م)، ص183

(70) دارة الملك عبد العزيز، مجموعة المدينة المنورة، وثيقة رقم (255)، بدون تاريخ، قسم الوثائق، الرياض، بشأن تعمير سور ينبع انظر الملحق: وثيقة رقم(1)، ص27

(71)مكتبة الملك فهد الوطنية، وثيقة رقم (23) بتاريخ 1357هـ/1938م قسم الوثائق ، ملف ينبع ، الرياض ، وذلك بشأن بناء جدار بجوار باب البلدة بارتفاع ستة أذرع من الارض .

(72)القرش الاميري : اعتمد صك القرش الاميري بعد عام 1344ه / 1926م من معدني النحاس والنيكل انظر : وكالة الانباء السعودية (واس) ، تقرير الإصدارات النحاسية أول نقود سعودية رسمية.. وبدايتها النصف والربع قرش ، بتاريخ 10 / 4/ 1440ه ،11:41ت م،.https://www.spa.gov.sa/1854045

(73)السيد: صالح ، ملامح من تاريخ ينبع، ج2 ، ص8 ، مكتبة الملك فهد الوطنية : وثيقة رقم (23) بتاريخ ، 1357هـ / 1938م قسم الوثائق ،الرياض، ملف ينبع

(74)الرويثي :محمد أحمد، الموانئ السعودية على البحر الأحمر، ص328-327.

(75) ابن زبالة: محمد بن أحمد بن محمد الشمس بن زبالة، من أهل مصر، ولد في عام 784هـ/1382م، كان عالماً فقيهاً، قدم إلى القضاء، حيث تولى قضاء ينبع، فلم يزل في منصبه إلى أن توفي بها سنة 855هـ/ 1451م. انظر: السخاوي: شمس الدين محمد بن عبد الرحمن، الضوء اللامع أهل القرن التاسع، ط1(بيروت: دار الجيل، 1412هـ / 1992م)ج 7،ص102.

(76)الخطيب: تاريخ ينبع، ص66 ومن القلاع التي أجريت عليها دراسات أثرية حديثة (قلعة مدسوس)، وتقع في ينبع النخل على بعد حوالي 5كم من الطريق الرئيس لقرية السويق،

والقلعة مشيدة على قمة أحد الجبال في قرية السويق، وهي قلعة قديمة تدل الدراسات الأثرية الحديثة لطراز البناء على أن القلعة أنشئت في العصر المملوكي، وتتميز هذه القلعة بوجود برجين؛ أحدهما: يقع في جنوبها، والآخر: في الجهة الشمالية منها، ومما يدل على تقدم العمارة الحربية آنذاك أن البرج الشمالي عبارة عن بناء مستدير، وله ضلع مستقيم، أما البرج الجنوبي فتم بناؤه على شكل مربع، وترتفع جدران القلعة من 3 إلى4 أمتار تقريباً، وتتخللها فتحات صغيرة كانت تستخدم للأغراض الدفاعية، وجميع أبنية القلعة مشيدة من الأحجار والمونة، انظر:تقرير اللجنة الأثرية لمعاينة آثار ينبع والتي شكلت بتاريخ 27/2/1402هـ، إصدار الجمعية الجغرافية بالمنطقة، ص13، أكبر: بلاد ينبع، ص289-288

(77) سليمان بن سليم الأول الملقب بالقانوني : ولد سنة 900ه/ 1494م تولى الخلافة بعد ابيه عام 926ه/ 1520م كانت الدولة العثمانية في عهده في أوج قوتها احتل بلاد المجر وجزيرة رودس وشبه جزيرة القرم بلاد التتار توفي سنة 947ه انظر: السيد : صالح عبداللطيف ، ملامح من تاريخ ينبع ، ص112

(78) انظر: الجاسر ، بلاد ينبع ، ص 69 ، 70 ، والسيد ، ملامح من تاريخ ينبع ، ج2 ، ص 170 ، شبندر، ايمن حسن: أثار لؤلؤه البحر الاحمر (محافظة ينبع)، د.ط (الرياض ، مكتبة الملك فهد الوطنية ، 1431هـ) ، ص 38 .

(79) انظر : بلسود ،ميناء ينبع ورابغ ، ص 114 .

(80) انظر: بلسود ،مينائي ينبع ورابغ ، ص 115.

(81) انظر: السيد ، ملامح من تاريخ ينبع ، ج 2 ، ص 172 ، وشبندر ، اثار لؤلؤه البحر الاحمر ، ص 40

(82) انظر ، السيد ، ملامح من تاريخ ينبع ، ج2 ، ص 172 ، وشبندر ، اثار لؤلؤه البحر الاحمر ، ص 40 ، و بلسود ، مينائي ينبع ورابغ ، ص 113 .

(83) انظر: السيد ، ملامح من تاريخ ينبع ، ج2 ، ص 171 ، وشبندر ، اثار لؤلؤة البحر الاحمر ، ص 42.

(84) مسجد الخضر: سمي بهذا الاسم نسبة إلى العالم الخضر الأنصاري، جد الإمام سراج الدين بن عمر بن أحمد الخضر الأنصاري، إمام المسجد النبوي الشريف. انظر الخطيب: تاريخ ينبع، ص278.

(85) السلطان مراد الثالث بن سليم الثاني : ولد سنة 953 ه/ 1546م تولى الخلافة سنة 982ه/ 1574م بعد وفاة ابيه انتصر على الصفويين في إيران ودخل عاصمتهم تبريز توفي سنة 1003ه انظر: السيد : صالح عبداللطيف ، ملامح من تاريخ ينبع ، ص115

(86) الخطيب ، ينبع، ص48، و تاريخ ينبع، ص287.

(87) السيد: صالح ،تاريخ الإدارات والمصالح الحكومية بمحافظة ينبع، ط1 (الرياض : مكتبة الملك فهد الوطنية ، 1435 هـ / 2014م) ،ص125.

(88) مسجد الشاذلية: سمي بهذا الاسم نسبة إلى العالم المغربي أبي الحسن الشاذلي، والشاذلية نسبة

إلى بلدته شاذلة في المغرب التي عاش فيها في القرن السابع الهجري، وكان من أكبر العلماء في عصره في الفقه والتفسير، مع العلم أنه يوجد في المدينة المنورة جامع يسمى بجامع الشاذلية نسبة إليه. انظر: الخطيب، ينبع، ص50-49.

(89) أوقاف آل الفاسي في مكة المكرمة : هي وقف محمد بن عبد الرحمن الفاسي الحسني المكي الشاذلي (ت 1280ه – 1863م) زاويه انشأها في حي أجياد غرب الحرم المكي الشريف وقد عاد فرع من الأسرة الفاسية إلى مكة المكرمة ، وتقع أوقافهم وبيوتهم القديمة حيث كانت الزاوية حيث جدد الشيخ الفاسي الطريقة الشاذلية في مطلع القرن التاسع عشر وانتشرت بعد ذلك في عدد من بلدان العالم وأصبحت تعرف بصورتها الفاسية انظر : مويزة :إبراهيم،أوقاف المغاربة في مكة والمدينة المنورة ودورها في الحياة الاقتصادية والاجتماعية والثقافية مابين 1916-1517م ، رسالة دكتوراه غير منشورة ، مقدمة لقسم تاريخ المغرب العربي الحديث، كلية العلوم الإنسانية، جامعة الجزائر ، 1442-1441ه / 2021-2020م، ص 87 – 88 الخطيب، تاريخ ينبع، ص289.

(90) محمد بن علي السنوسي : مؤسس الدعوة السنوسية ولد في قرية الواسطة بالجزائر سنة 1202ه وتوفي 1276ه / 1859م ودفن في منطقة الجغبوب للمزيد انظر : حسن : محمد عمر، دعوة الإمام محمد بن علي السنوسي الإصلاحية في ليبيا 1276-1202ه ، مجلة بحوث كلية الآداب ، جامعة المنوفية مجلد 32 ، العدد 1 ، يناير 2021م ، ص 111

(91) علي بن ابي طالب : رابع الخلفاء الراشدين وأمير المؤمنين واحد العشرة المبشرين وابن عم النبي صلى الله عليه وسلم وصهره ،ولد في مكة وأول الناس اسلاماً بعد خديجة للمزيد انظر: الزركلي : خير الدين ، الأعلام ، ط15 (بيروت :دار العلم الملايين ، 2002م) ج4، 295 الخطيب: عبد الكريم ،تاريخ ينبع، ص289.

(92) مكتبة الملك فهد الوطنية، وثيقة رقم (22)، بتاريخ 7/12/1357هـ ،قسم الوثائق ، ملف ينبع، الرياض ، بشأن عمارة وترميم مسجد السنوسي في ينبع

(93) الخطيب، تاريخ ينبع، ص289.

(94) أكبر: إلهام، بلاد ينبع، ص296.

(95) الخطيب، ينبع، ص50،الصبحي: عواد محمد، مسيرة التعليم في ينبع منذ عهد الكتاتيب ينبع، ط1 (ينبع : د.ن 1420هـ/1999م)، ص42.

(96) السيد،ملامح من تاريخ ينبع، ج 1 ،ص242.

(97) بلسود، ميناء ينبع ورابغ، ص240.

(98) الفدعاني: عوادة سعيد ،قرى السويق بينبع النخل، ط1 (1419هـ/1999م)،ص51-50.

(99) الخطيب، تاريخ ينبع، ص180.

(100) الرفاعي: خضر خميس، ينبع في عهد الملك عبد العزيز(-1343 1373هـ / -1294 1953م)، دراسة تاريخية حضارية رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في التاريخ، قسم الدراسات العليا في

التاريخ، كلية الدعوة وأصول الدين جامعه الاسلامية بالمدينة المنورة، (1334هـ / 2013م)ص 172

(101) وداي الصفراء : من أودية الحجاز الكبيرة ويبعد عن المدينة 51 كيلو وبه قرية تسمى الصفراء ومنها أخذ الوادي التسمية وتعرف اليوم (بالواسطه) انظر: البلادي : عاتق ، معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية مكة ، ط1 (مكة : دار مكة للطباعة والنشر والتوزيع، 1982م)، ص 177-176

(102) السيد، ملامح من تاريخ ينبع، ج،1ص266-265.

(103) الرفاعي، ينبع في عهد الملك عبد العزيز(-1343 1373هـ / -1294 1953م)، ص245

(104) - كان سكان الحجاز يميلون إلى اللون الأبيض في ملابسهم وذلك تبعاً للظروف المناخية حيث أدى دفء الشتاء وحرارة الصيف إلى ارتداء الملابس البيضاء غالباً، لأنه من الشائع أن اللون الأبيض يعكس الكثير من ضوء الشمس، وبذلك يكون مخففاً وملطفاً لحرارة الجو بالنسبة للجسم. انظر: عبد الجبار: أحمد عبد الإله، عادات وتقاليد الزواج بالمنطقة الغربية من المملكة العربية السعودية، ط1(جدة، تهامة للنشر، 1403هـ/1983م)، ص159.

(105) الرفاعي: خضر خميس ، ينبع في عهد الملك عبد العزيز ،ص245

(106) مغربي: محمد علي ،ملامح الحياة الاجتماعية في الحجاز، ط2(جدة: دار العلم للطباعة والنشر، 1405هـ / 1985م) ،ص75

(107) الرفاعي: خضر خميس ، ينبع في عهد الملك عبد العزيز ،ص246

(108) مغربي، محمد علي: ملامح الحياة الاجتماعية في الحجاز، ص73.

(109) الرفاعي: ينبع في عهد الملك عبد العزيز(1373-1343هـ / -1294 1953م) ، ص246

(110) مغربي ،محمد علي: ملامح الحياة الاجتماعية في الحجاز، ص82-81.

(111) المحرمة: هي أحد أغطية الرأس الخاصة بستر الشعر، وهي قطعة من قماش كانت تضع من نسيج القطن الخفيف. انظر، الرفاعي: المرجع السابق ،ص247

(112) المدورة: هي غطاء للرأس يوضع فوق المحرمة ويستر الرأس كله، وكانت تنع من نسيج القطن الرقيق والشفاف، انظر: الرفاعي : المرجع السابق، ص247

(113) مغربي، ملامح الحياة الاجتماعية في الحجاز، ص82.

(114) البرقع: هو غطاء للوجه، وغالباً ما يكون من القطن متعدد الطبقات أو من الكتان، وإذا وضعت المرأة البرقع على وجهها فإنه يخفيه فلا يبدو إلا العينان. انظر الرفاعي: خضر خميس ، ينبع في عهد الملك عبد العزيز ،ص247

(115) الملاية: هي قطعة كبيرة من القماش الأسود، أطرافها مخططة باللون الأبيض وهي منسوجة من الحرير والقطن، وكانت المرأة تستر بها جسمها كله، فلا يظهر منها إلا الوجه الذي يغطى بالبرقع. انظر :المرجع السابق، ، ص247

(116) انظر الرفاعي: خضر خميس ، ينبع في عهد الملك عبد العزيز ،ص247

(117) الخطيب ،عبد الكريم: تاريخ ينبع، ص405.

(118) الجاسر حمد: بلاد ينبع، ص149

(119) الدشيشة: من الأكلات المشهورة في ينبع وكانت تطبخ من البر المهروس واللحم. انظر: السيد: صالح،ملامح من تاريخ ينبع، ج1،ص112.

(120) انظر الرفاعي: خضر خميس ، ينبع في عهد الملك عبد العزيز ،ص248

(121) حمزة: فؤاد، قلب جزيرة العرب ط2 ،(القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية1430هـ/2009م)، ص113.

(122) عبد الجبار، أحمد عبد الإله: عادات وتقاليد الزواج بالمنطقة الغربية من المملكة العربية السعودية، ص165.

(123) قزاز: حسن عبد الحي:أهل الحجاز بعبقهم التاريخي، ط1(جدة، مؤسسة المدينة للصحافة دار العلم، 1415هـ/1994م) ،ص31.

(124) قزاز، حسن: أهل الحجاز بعبقهم التاريخي، ص33، السيد ،صالح: ملامح من تاريخ ينبع، ج1ص374.

(125) قزاز، حسن:أهل الحجاز بعبقهم التاريخي، ص35.

(126) السيد ،صالح: ملامح من تاريخ ينبع، ج1،ص374.

(127) السناني: معتاد، العيص، ط1 (الرياض: الرئاسة العامة لرعاية الشباب، 1410هـ/1989م)، ص82

(128) الخطيب :عبد الكريم، ينبع، ص68.

(129) السرادق: هو ما أحاط بالبناء، والجمع سراداقات. انظر :الرفاعي ، مرجع سابق ، ص183 وهو المقر المعد لاستقبال الضيوف أثناء إقامة حفلات الزواج. انظر:عاشور:خلف، أيام وأيام، ط1، (جدة: 1416هـ/1996م)، ص91 ، انظر: الرفاعي ، المرجع السابق ، ص252

(130) انظر: عودة الشطيري :أحمد، فنون شعبية من تراث ينبع النخل، ص13. والرفاعي ، مرجع سابق ، ص184

(131) الخطيب:عبد الكريم، ينبع، ص69-68، المعلمي، يحيى عبد الله: ينبع تاريخ وذكريات، مجلة الفيصل، السنة العاشرة، عدد 113، ذو القعدة 1406هـ/ أغسطس 1986م، ص73.

(132) الأريكة: وهي عبارة عن كرسي مغطى بالسجاجيد المخملية ينصب في مكان تجمع النساء، حيث تجلس عليه العروس في ليلة زواجها. انظر قزاز، حسن: أهل الحجاز بعبقهم التاريخي، ص39.

(133) السيد: ملامح من تاريخ ينبع، ج1،ص378.

(134) مغربي :محمد علي، ملامح الحياة الاجتماعية في الحجاز، ص37، قزاز: حسن،أهل الحجاز بعبقهم التاريخي، ص38.

(135) على الرغم من أن المشهور في المراجع إطلاق لفظ صرارة على العائد من الحج انظر :الغامدي: محمد جمعان، جدة في عهد الملك عبدالعزيز آل سعود ، ط1 (القاهرة :الوادي الجديد للطباعة1421هـ/2000م)، ص254، السيد: صالح،ملامح من تاريخ ينبع، ج1،ص385، إلا أن الفيروز آبادي ذكر أن معنى كلمة صرارة لم يحج، صرارة: لم يتزوج ،انظر:الرفاعي، المرجع السابق ، ص256

(136) السيد، صالح: ملامح من تاريخ ينبع، ج1،ص385.
(137) مغربي: محمد علي، ملامح الحياة الاجتماعية في الحجاز، ص47.
(138) الخطيب: عبد الكريم ، ينبع، ص87.
(139) مغربي: محمد علي، ملامح الحياة الاجتماعية في الحجاز، ص108.
(140) الخطيب :عبد الكريم ، تاريخ ينبع، ص86.
(141) السناني :معتاد، العيص، ص86، السيد : صالح، ملامح من تاريخ ينبع، ج1،ص370.
(142) الخطيب :عبد الكريم ، ينبع، ص86.
(143) الخوص: ورق النخيل والنارجيل وما شاكلها ،انظر: الرفاعي ، مرجع سابق ، ص188
(144) الخطيب :عبد الكريم، ينبع، ص86.
(145) السيد:صالح، ملامح من تاريخ ينبع، ج1،ص359 ،371.
(146) الكنداسة : سبق ترجمتها الغامدي ، جدة في عهد الملك عبد العزيز ، ص 160
(147) السيد: صالح، ملامح من تاريخ ينبع، ج1 ، ص361، الصهاريج : سبق ترجمته
(148) الخطيب :عبد الكريم، تاريخ ينبع، ص234.
(149) السيد :صالح، ملامح تاريخ ينبع ، ج1، ص 371

لمصادر والمراجع:

أولاً: الوثـائق الغير منشورة:

أ – وثائق دارة الملك عبد العزيز:

(1) وثيقـة رقـم (255)، بتاريـخ 23/7/1348هـ بشـأن تعمـير سـور ينبـع، وثيقـة محفوظـة بمركـز الوثائـق، مجموعـة المدينـة المنـورة.

ب-وثائق مكتبة الملك فهد الوطنية:

(2) وثيقـة رقـم (23)، بتاريـخ 1357هـ بشـأن العـمارة الثانيـة لترميـم سـور ينبـع، وثيقـة محفـوظ بمركز الوثائـق، ملـف ينبع.

(3) وثيقـة رقـم (22)، بتاريـخ 7/12/1357هـ ، وثيقـة محفـوظ بمركـز الوثائـق، ملـف ينبـع ، بشـأن عـمارة وترميـم مسـجد السـنوسي في ينبـع

ج- وثائق أمارة ينبع:

(4) تعميـم للمحافظـات والمراكـز والإدارات الحكوميـة وأقسـام الامـارة برقـم 20018وتاريـخ 11/ 6/ 1433هـ بخصـوص رفـع مسـتوى مركـز العيـص إلى محافظـة مـن فئـة (ب) (محفـوظ بإرشـيف أمـارة محافظـة ينبـع) وثيقـة تحتفـظ الباحثـة بنسـخه منهـا.

د-وثائق محفوظات الباحثة :

(5) وثيقـة رقـم (1013)، بتاريـخ 29/4/1347هـ بشـأن تعمـير بـاب سـور ينبـع البـاب المسـمى ببـاب المدينـة والثكنـة العسـكرية ، وثيقـة محفوظـة لـدى الباحثـة .

(6) وثيقـة رقـم (2356)، بتاريـخ 22/4/1353هـ بشـأن تعمـير قسـم مـن سـور البلـدة في ينبـع ، وثيقـة محفوظـة لـدى الباحثـة.

ثانياً : المصادر والمراجع :

(7) ابن منظور : أبو الفضل جمال الدين محمد أبن مكرم (ت771)، لسان العرب ، (د.ن): 1955م

(8) باشـا: ابراهيـم رفعـت، مـراه الحرمـين، ط1 (القاهـرة: مطبعـة دار الكتـب المصريـة 1344هـ / 1925م)، ج1

(9) البكـري: ابـو عبيـد عبـد اللـه بـن عبـد العزيـز البكـري الاندلـسي، معجـم مـا أسـتعجم مـن أسـماء البـلاد والمواضـع، تحقيـق مصطفـى السـقا، د. ط، (بـيروت: دار الكتـب،د.ت)

(10) بـركات: مصطفـى، الالقـاب والوظائـف العثمانيـة دراسـة في تطـور الالقـاب والوظائـف الوظائـف منـذ الفتـح العثـماني لمـصر حتـى إلغـاء الخلافـة العثمانيـة مـن خـلال الاثـار والوثائـق والمخطوطـات 1517 ـ 1924م) ط1 (القاهـرة: دار غريـب للطباعـة والنـشر والتوزيـع، 2000م)

(11) البـلادي: عاتـق بـن غيـث، معجـم معـالم الحجـاز، ط1 (مكـة المكرمـة: دار مكـة للطباعـة والنـشر والتوزيـع، 1401هـ / 1981م) ج6

(12) البـلادي : عاتـق بـن غيـث ، معجـم المعـالم الجغرافيـة في السـيرة النبويـة مكـة ، ط1 (مكـة : دار مكـة للطباعـة والنـشر والتوزيـع ، 1982م)

(13) تاميزيه : موريس، رحلة في بلاد العرب الحجاز ، ترجمه محمد بن عبدالله آل زلفه ، ط1(الرياض: دار بلاد العرب للنشر والتوزيع، 1421هـ)
(14) الجاسر: حمد، المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية شمال المملكة (إمارات حائل والجوف وتبوك وعرعر والقريات)، د.ط (الرياض، منشورات دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، 1397ه / 1977م)، القسم الأول
(15) الجاسر: حمد، بلاد ينبع لمحات تاريخية جغرافية وانطباعات خاصة ، ط1،(الرياض: دار اليمامة:1385هـ/1965م).
(16) الحموي ، شهاب الدين أبي عبدالله ياقوت بن عبد الله ، معجم البلدان ، ط2، (بيروت: دار صادر للطباعة والنشر ، 1995م)، مج5
(17) حمزة: فؤاد، قلب جزيرة العرب ، ط2،(القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية1430هـ/2009م).
(18) الخطيب: عبدالكريم محمود ،تاريخ ينبع، ط1(الرياض: مؤسسة الجريسي،1430هـ/2009م).
(19) الخطيب: عبدالكريم محمود، رجال وأسر من ينبع من عصور مختلفة، ط1(الرياض: دار الخطيب للنشر1419هـ/1998م).
(20) الخطيب: عبدالكريم محمود، رجل وتاريخ قائم مقام ينبع مصطفى الخطيب، ط2،(الرياض: دار الخطيب للنشر،1425هـ/2004م).
(21) لخطيب: عبدالكريم محمود، ينبع ، ط1(الرياض: مطابع جامعة الملك سعود إصدار الإدارة العامة للنشاطات الثقافية بالرئاسة العامة لرعاية الشباب سلسلة هذه بلادنا رقم 93، 1413هـ/1993م).
(22) -الرويشي: محمد أحمد، الموانئ السعودية على البحر الأحمر، ط1 (مؤسسة الرسالة، 1403هـ/ 1983م).
(23) السخاوي: شمس الدين محمد بن عبد الرحمن، الضوء اللامع أهل القرن التاسع، ط1(بيروت: دار الجيل، 1412هـ / 1992م)
(24) الزركلي : خير الدين ، الوجيز في سيرة الملك عبد العزيز ، ط5 (بيروت : دار العلم للملايين ، 1988م)
(25) الزركلي : خير الدين ، الاعلام ، ط15 (بيروت : دار العلم الملايين ،2002 م) ، ج4
(26) السناني: معتاد، العيص،ط1(الرياض: الرئاسة العامة لرعاية الشباب،1410هـ/1989م).
(27) السيد: صالح ،تاريخ الإدارات والمصالح الحكومية بمحافظة ينبع، ط1 (الرياض : مكتبة الملك فهد الوطنية ، 1435 هـ / 2014م)
(28) السيد: صالح عبداللطيف، ملامح من تاريخ ينبع، ط1 (ينبع الصناعية، مطبعة الهيئة الملكية،1425هـ/2004م).
(29) الشطيري: عودة أحمد، فنون شعبية من تراث ينبع النخل، ط1(جدة:مؤسسة المدينة للصحافة (دار العلم)،1418هـ/1997م)

(30) شبندر: أيمن حسن، أثارلؤلؤة البحر الاحمر (محافظة ينبع)، د.ط(الرياض، مكتبة الملك فهدالوطنية، 1431هـ)
(31) صابان: سهيل، المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية التاريخية (الرياض: مكتبة الملك فهد الوطنية، 1421هـ/2000م).
(32) صبري : أيوب باشا ،مراه جزيرة العرب ،ترجمة وتقديم وتعليق :فؤاد متؤلى والصفصفاني أحمد المرسي ،ط1 (الرياض:دار الرياض للنشر والتوزيع ،1403هـ / 1983م)، ج1
(33) الصبحي: عواد محمد، مسيرة التعليم في ينبع منذ عهد الكتاتيب،ط1(ينبع : د. ن1420 ، هـ/1999م) .
(34) الصبحي : سهيل سليمان، املج، ط1(الرياض : مطابع جامعة الملك سعود إصدار الإدارة العامة للنشاطات الثقافية بالرئاسة العامة لرعاية الشباب سلسلة هذه بلادنا رقم 55 ، 1418ه / 1997م)
(35) الصويان: سعد عبدالله، الثقافة التقليدية في المملكة العربية السعودية، (الرياض: دار الدائرة للنشر: 1420هـ/1999م)
(36) قزاز: حسن عبد الحي،أهل الحجاز بعبقهم التاريخي، ط1(جدة: مؤسسة المدينة للصحافة (دار العلم)، 1415هـ/1994م)
(37) الفدعاني: عوادة سعيد، قرى السويق بينبع النخل، ط1(1419هـ/1999م)
(38) الفيروز آبادي:مجد الدين محمد يعقوب (ت817هـ1414-م)، المغانم المطابة في معالم طابة، تحقيق: حمد الجاسر، ط1(الرياض: دار اليمامة للبحث والترجمة،1389هـ/1969م)
(39) عاشور: خلف، أيام وأيام، ط1،(جدة: 1416هـ/1996م).
(40) عبد الجبار: أحمد عبد الإله، عادات وتقاليد الزواج بالمنطقة الغربية من المملكة العربية السعودية، ط1 (جدة، تهامة للنشر، 1403هـ/1983م)
(41) علي: جواد ،المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ط2 (د. م: د. ن، 1413ه / 1993م) ج2
(42) عبدالله: أمين محمود ،الجغرافيا التاريخية لحوض البحر الأحمر، د.ط (أسيوط، المطبعة الحديثة،1390ه /1971م)
(43) الغامدي: محمد جمعان، جدة في عهد الملك عبدالعزيز آل سعود ، ط1 (القاهرة: الوادي الجديد للطباعة، 1421هـ/2000م)
(44) المقدسي: شمس الدين أبو عبدالله محمد بن أحمد البشاري (ت 336هـ/947م)، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، تحقيق: محمد مخزوم، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، 1408هـ/1987م)
(45) الإدريسي: عبد الله محمد بن عبد الله بن إدريس الحمودي الحسيني الإدريسي، المعروف بالشريف الإدريسي: نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، ط1 (بيروت: عالم الكتب، 1409ه / 1989م)، مج 1

(46) مغربي: محمد علي، ملامح الحياة الاجتماعية في الحجاز، ط2(جدة: دار العلم للطباعة والنشر،1405هـ/1985م).
(47) موسوعة المملكة العربية السعودية:المدينة المنورة، د.ط (الرياض: مكتبة الملك عبد العزيز العامة، د.ت)، مج 4

ثالثاً: الرسائل العلمية:

(48) أكبر، إلهام سراج، بلاد ينبع دراسة تاريخية، 923-362هـ/1517-973م، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، قسم الدراسات العليا التاريخية والحضارية، جامعة أم القرى، 1419هـ/1999م.
(49) -47الدهاس، مشعل بن نايف، الحجاز من خلال كتب الرحالة المشارقة خلال القرنين الثالث والرابع الهجريين، رسالة ماجستير غير منشورة، مقدمة لقسم الدراسات العليا التاريخية والحضارية، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة أم القرى، 1429هـ/2008م.
(50) الرفاعي، خضر، ينبع في عهد الملك عبد العزيز(1343هـ / 1373هـ / 1294م ـ 1953م، دراسة تاريخية حضارية ،رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في التاريخ، قسم الدراسات العليا في التاريخ، كلية الدعوة وأصول الدين جامعه الاسلامية بالمدينة المنورة، (1334هـ / 2013م)
(51) بلسود، سميرة مبارك، ميناء ينبع ورابغ فيما بين عامي 1373-1256هـ/1954-1840م دراسة تاريخية حضارية، رسالة دكتوراه غير منشورة، مقدمة لقسم الدراسات العليا التاريخية والحضارية، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة أم القرى، 1430هـ/2011م
(52) مويزة :إبراهيم ،أوقاف المغاربة في مكة والمدينة المنورة ودورها في الحياة الاقتصادية والاجتماعية والثقافية مابين 1916-1517م ، رسالة دكتوراه غير منشورة ، مقدمة لقسم تاريخ المغرب العربي الحديث، كلية العلوم الإنسانية، جامعة الجزائر ،1442-1441ه / 2021-2020م)

رابعاً : البحوث والدراسات:

(1) العبد العالي: هدى عبد العال بن عبد العزيز، النشاط الاقتصادي لميناء ينبع دراسة وثائقية في وثائق مكتبة الملك فهد الوطنية، من أبحاث الندوة التي نظمها كرسي الملك سلمان بن عبد العزيز ال سعود لدراسات تاريخ المدينة المنورة في الندوة التاريخية في الفترة التاريخية الواقعة مابين -5 6 من ربيع الاخر 1435هـ الموافق 6-5 فبراير 2014م، ج2
(2) شهاب الدين :تحية محمد، ينبع في ضوء المصادر الكلاسيكية ، من أبحاث الندوة التي نظمها كرسي الملك سلمان بن عبد العزيز ال سعود لدراسات تاريخ المدينة المنورة في الندوة التاريخية في الفتره التاريخية الواقعة مابين 5-6- من ربيع الاخر 1435هـ الموافق 6-5 فبراير 2014م، ج2
(3) عبد العليم :مصطفى كمال ، « تجارة الجزيرة العربية مع مصر في المواد العطرية في العصرين اليوناني والروماني»، دراسات في تاريخ الجزيرة العربية، ضمن أبحاث الندوة العالمية الأولى التي نظمتها كلية الآداب - جامعه الملك سعود، الرياض: في الفترة ما بين 15 - 21 من محرم عام 1404هـ الموافق 21 27- اكتوبر 1983م، المجلد الثاني

(4) حسن : محمد عمر ،» دعوة الإمام محمد بن علي السنوسي الإصلاحية في ليبيا 1276-1202ه» ، مجلة بحوث كلية الآداب ، جامعة المنوفية مجلد 32 ، العدد 1 ، يناير 2021م

(5) جبر: يحي عبد الرؤوف،» شمال الجزيرة العربية في مصنفات الرحالة» ضمن كتال الرحالات إلى شبه الجزيرة العربية ، بحوث ندوة الرحلات إلى شبه الجزيرة العربية المنعقدة في الرياض في المدة من 24 ـ 27 رجب 1421 هـ / الموافق 21 ـ 24 أكتوبر2000م ، ط1 (الرياض :دارة الملك عبد العزيز ، 1424هـ).

خامساً: الدوريات:

المجلات:

(1) كركجة: فواز عائد جاسم ، جوانب من بنية المدينة العربية الاسلامية ودواعي توثيقها ، مجلة أبحاث المدينة العربية الاسلامية ، مج 11 ، العدد 1، 2011م

(2) القشعمي: محمد عبد الرزاق، الخطيب وتاريخ ينبع، المجلة العربية، س30، ع343، شعبان 1426هـ/ سبتمبر 2005م.

(3) المعلمي: يحيى عبد الله، ينبع تاريخ وذكريات، مجلة الفيصل، السنة العاشرة، ع 113، ذو القعدة 1406هـ/ أغسطس 1986م

(4) المحاسنة : هادى عبد الفتاح وآخرون : فلسفة ابن خلدون في تخطيط المدينة الإسلامية ، مجلة كلية الآداب ، جامعة الإسكندرية ،كلية الآداب ، العدد 92 ، 2018م

(5) ـ تقرير اللجنة الأثرية لمعاينة آثار ينبع، إصدار الجمعية الجغرافية بالمنطقة، 1402هـ/1982م.

الصحف :

(1) وكالة الانباء السعودية (واس) ، تقريرالإصدارات النحاسية أول نقود سعودية رسمية.. وبدايتها النصف والربع قرش ، بتاريخ 10 / 4/ 1440ه،11:41ت م،https://www.spa.gov.sa/1854045

الملاحق :

الوثائق والصور

وثيقة رقم (1)

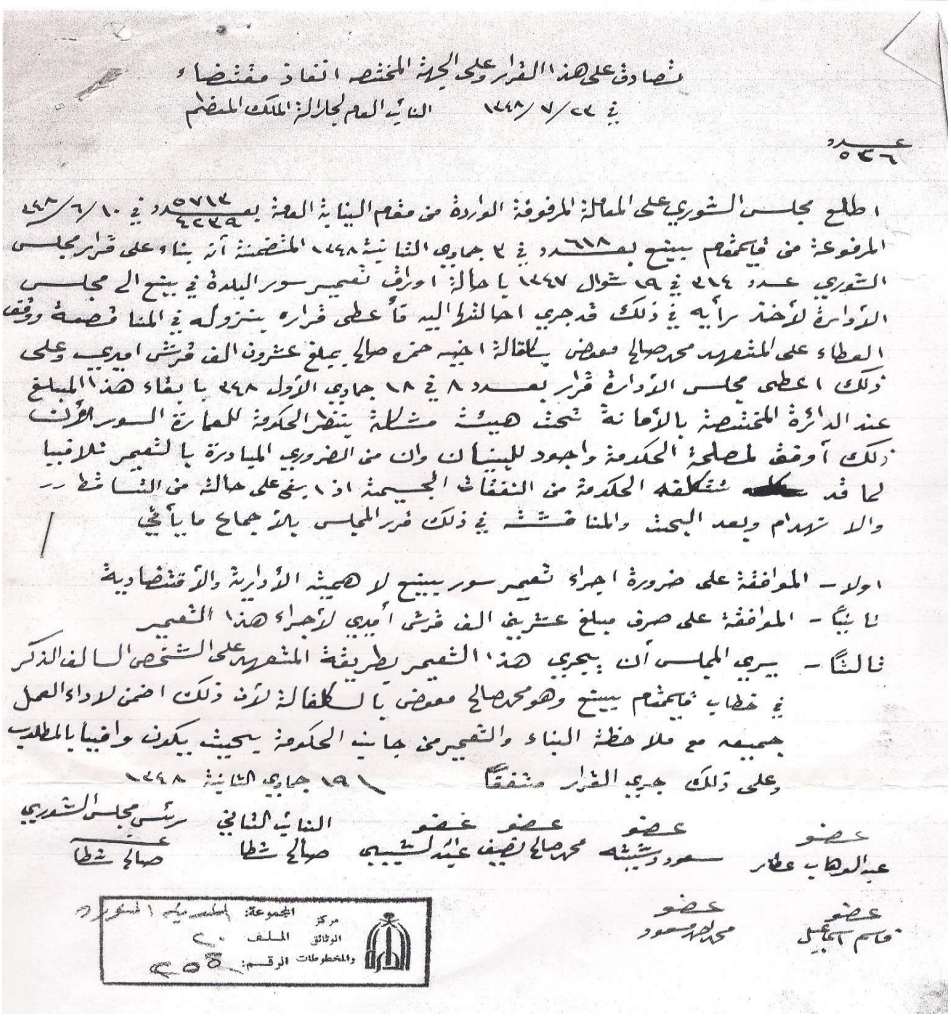

وثيقة رقم (255)، بتاريخ 1348/7/23هـــ بشأن تعمير سور ينبع، وثيقة محفوظة بمركز الوثائق، دارة الملك عبد العزيز، مجموعة المدينة المنورة.

وثيقة رقم (2)

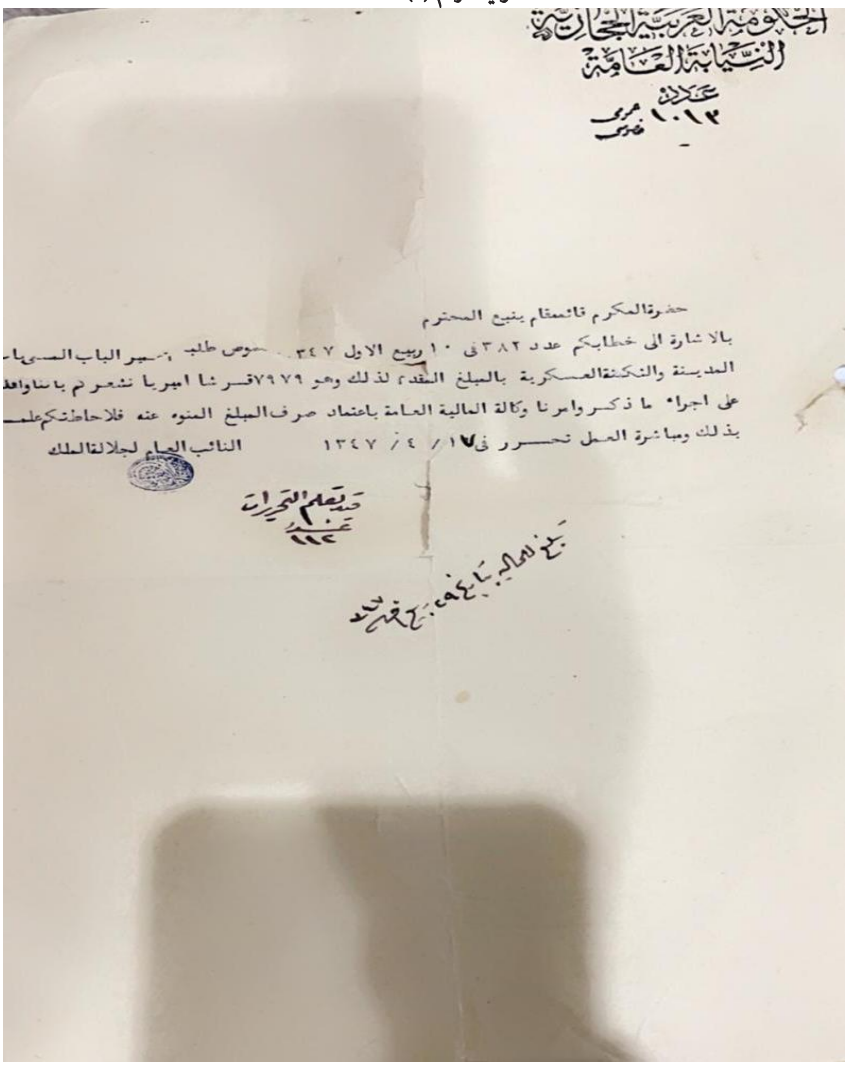

وثيقة رقم (1013)، بتاريخ 1347/4/29هـــ بشـأن تعمير باب سـور ينبع الباب المسـمى بباب المدينة والثكنة العسكرية ، وثيقة محفوظة لدى الباحثة .

وثيقة رقم (3)

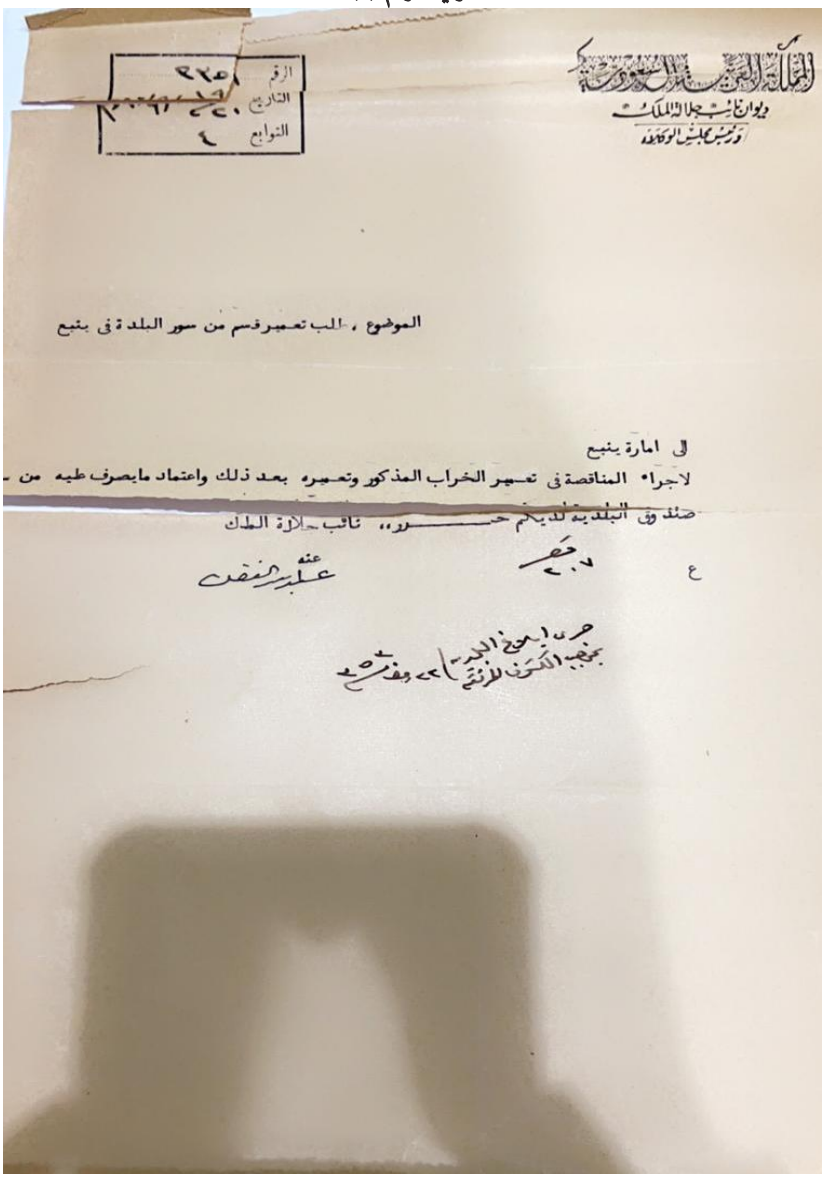

وثيقة رقم (2356)، بتاريخ 1353/4/22هـ بشأن تعمير قسم من سور البلدة في ينبع ، وثيقة محفوظة لدى الباحثة.

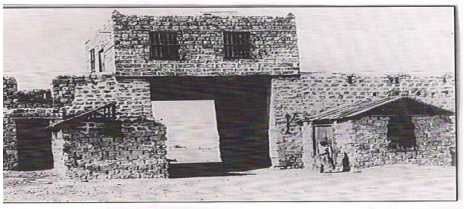

شكل رقم (1) صورة باب ينبع الكبير من الداخل المصدر : السيد: ملامح من تاريخ ينبع، ج1، ص3ـــ14.

شكل رقم (2) صورة لما تبقى من الشونة القديمة في ينبع – والخاصة بحفظ الحبوب- المصدر : السيد: ملامح من تاريخ ينبع، ج1، ص170- 175.

شكل رقم (3) صورة لمبنى المحجر الصحي في ينبع في عهد الملك عبد العزيز المصدر : السيد: ملامح من تاريخ ينبع، ج1، ص170ـ 175.

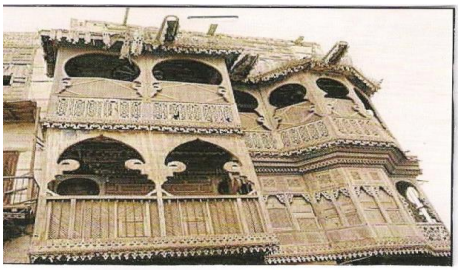

شكل رقم (4): الرواشين في الأدوار المتعددة في المنازل القديمة بمدينة ينبع ، المصدر :السيد: ملامح من تاريخ ينبع، ج2، ص17-21

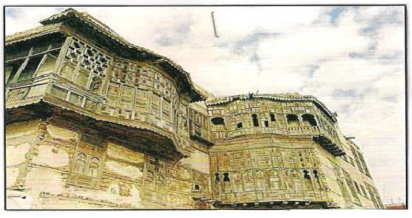

شكل رقم (5) روشان في إحدى المباني تظهر فيه أعمال فنية، المصدر :السيد: ملامح من تاريخ ينبع، ج2، ص17-21

شكل رقم (6) صورة لإحدى قلاع سور ينبع القديم ، المصدر : السيد: ملامح من تاريخ ينبع، ج2، ص7ـــ 16.

شكل رقم (7) صورة لرسم تقريبي لسور ينبع. المصدر: السيد ، ملامح من تاريخ ينبع، ج2، ص5

مدينة ثاج الأثرية

أ.أشواق بنت محمد صالح بن بويتع القرشي
باحثة دكتوراة-قسم التاريخ- كلية العلوم الاجتماعية
جامعة أم القرى- المملكة العربية السعودية

المستخلص:

يهدف هذا البحث إلى تسليط الضوء على مدينة ثاج التي تعد من أبرز وأهم مدن الساحل الشرقي لشبة الجزيرة العربية في العصور القديمة، لما لها من أهمية استراتيجية وجغرافية، لمرور أهم طرق التجارة المحلية والإقليمية بأراضيها، وكذلك ما تميزت به من وفرة المياه العذبة، وقد توالى على حكمها العديد من القوى الحاكمة، التي أثرت على تاريخ مدينة ثاج وتأثرت بها. اعتمدت الدراسة على المنهج التاريخي باعتبار أنها تدرس حقبة زمنية محددة، وكذلك المنهج الوصفي التحليلي الذي يقوم على جمع المادة العلمية من المصادر والمراجع المتخصصة في موضوع الدراسة «التاريخ القديم»، ثم تتبع الأحداث التاريخية؛ ووصفها وتسجيلها؛ للتوصل إلى أفكار تساعد على فهم تلك الأحداث والاسهامات التي حصلت فترة الدراسة للوصول إلى النتائج المأمولة ومن أهمها: الموقع الاستراتيجي لمدينة ثاج الذي أكسبها أهميتها التجارية والحضارية كونها تربط ما بين شرق الجزيرة وجنوبها وشمالها الشرقي ببلاد الرافدين، و اعتماد أهلها على التجارة بشكل كبير لمرور القوافل التجارية بأراضيهم، كما حظيت بتجمع سكاني هائل، ويدل على ذلك حجم المنطقة السكنية داخل السور الأثري وخارجه.كما اعتمدت الدراسة على العديد من المصادر المعاصرة لفترة البحث، ومن أهمها:الأصفهاني، الحسن بن عبد الله:بلاد العرب، تحقيق: صالح العلي وحمد الجاسر، دار اليمامة، الرياض، 1388هـ/ 1968م.الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي:معجم البلدان، دار صادر، بيروت، ط2، 1995 م.العبودي، عبد الرحمن:الموسوعة الجغرافية، النادي الأدبي، 1993م.الزهراني، عوض علي: ثاج دراسة أثرية ميدانية، رسالة علمية، جامعة الملك سعود، الهيئة العامة للسياحة والأثار، 1434هـ.وغيرها من المصادر والمراجع والبحوث العلمية التي أثرت البحث بالمعلومات.

الكلمات المفتاحية: ثاج، الآثار، الاستيطان، وادي الستار، المكتشفات الأثرية.

The Ancient Town of Thaj

A.Ashwag bint MohammadSaleh bin Bowetea AL-Qurashi

Abstract:

This study aims to highlight the town of Thaj, which is one of the most prominent and important cities on the eastern coast of the Arabian Peninsula in ancient times, due to its strategic and geographical significance. It was located along crucial local and regional trade routes and was characterized by an abundance of fresh water. Various ruling powers governed it, influencing and being affected by the history of Thaj.

The study adopts a historical approach, as it investigates a specific time period, along with a descriptive-analytical method that involves collecting scientific material from specialized sources and references related to the study topic “ancient history.” It then traces, describes, and records historical events to derive ideas that help understand the events and contributions during the study period, leading to key findings such as the strategic location of Thaj, which granted it commercial and civil importance by connecting the eastern region of the peninsula with its southern and northeastern parts and Mesopotamia. The inhabitants heavily relied on trade due to the passage of commercial caravans through their lands, resulting in a significant population, as evidenced by the size of the residential area inside and outside the archaeological wall.The study also utilized several contemporary sources relevant to the study period, including:Al-Isfahani, Al-Hasan ibn Abdullah: Bilad Al-Arab (The Lands of the Arabs), edited by Saleh Al-Ali and Hamad Al-Jasser, Dar Al-Yamama, Riyadh, 1388 AH / 1968 AD.Al-Hamawi, Shihab Al-Din Abu Abdullah Yaqut ibn Abdullah Al-Rumi: Mu’jamul-Buldan(Dictionary of Countries), Dar Sader, Beirut, 2nd edition, 1995 AD.Al-Aboudi, Abdul Rahman: The Geographic Encyclopedia, Literary Club, 1993 AD.Al-Zahrani, Awad Ali: Thaj: A Field Archaeological Study, Master’s Thesis, King Saud University, General Authority for Tourism and Antiquities, 1434 AH.In addition to other sources, references, and scientific research that enriched the study with information.

Keywords: Thaj, archaeology, settlement, Wadi Al-Sitar, archaeological discoveries.

المقدمة:

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والصلاة والسلام على عبده ورسوله المبعوث رحمة للعالمين وعلى آله وصحبه أجمعين؛ وبعد:

تتمتع شبه الجزيرة العربية بموقع جغرافي مميز اكسبها أهمية استراتيجية لمرور طرق التجارة البرية والبحرية بأراضيها، كما تميزت بالكثير من المواقع الأثرية والتاريخية التي تدل على قِدم استيطان الإنسان في هذه البقعة الجغرافية، وعلى قِدم الأنشطة السكانية التي مارسها سكان هذه الأرض عبر العصور التاريخية المختلفة، مما ساهم في قيام الممالك والمدن التي كان لها تأثير كبير على تاريخ شبه الجزيرة العربية؛ ومن أشهر تلك المدن في شرق شبه الجزيرة العربية مدينة ثاج.

التمهيد:

تتمتع شبه الجزيرة العربية بموقع جغرافي مميز اكسبها أهمية استراتيجية لمرور طرق التجارة البرية والبحرية بأراضيها، كما تميزت بالكثير من المواقع الأثرية والتاريخية التي تدل على قِدم استيطان الإنسان في هذه البقعة الجغرافية، وعلى قِدم الأنشطة السكانية التي مارسها سكان هذه الأرض عبر العصور التاريخية المختلفة، مما ساهم في قيام الممالك والمدن التي كان لها تأثير كبير على تاريخ شبه الجزيرة العربية؛ ومن أشهر تلك المدن في شرق شبه الجزيرة العربية مدينة ثاج.

فمدلول ثاج اللغوي: وثاج بالجيم في آخره، وأوله ثاء مفتوحة مثلثة بعد ألف منجم[1] ،وتعني ثاج في اللغة صوت الغنم أو صياحها، وثاج ثأجت تثأج وثؤاجاً بفتح الهمزة صوت الغنم[2] ، وفي اللغة أيضاً الثوج هو الفوج[3].

ومن أقدم المصادر التي ورد فيها ثاج:

صبحناهن عن عرض تميم ... وأتلف ركضنا جمع الرباب

فأفنينا جموعهم بثاج ... وكرت بالغنائم والنهاب[4]

كما وردت أيضاً ضمن مجموعة المفضليات الشعرية التي جمعها المفضل بن محمد الضبي يخاطب فيها راشد اليشكري وجاء فيها:

بَنَيْتُ بثَاجٍ مِجْدَلاً من حجارةٍ ... لأَجْعَلَهُ عِزًّا على رَغْمِ مَنْ رَغَمْ

أَشَمَّ طُوَالاً يَدْحَضُ الطَّيْرُ دونَهُ ... لهُ جَنْدَلٌ مِمَّا أَعَدَّتْ لهُ إِرَمْ

ويَأْوِي إِليهِ المُسْتَجيرُ من الرَّدَى ... ويَأْوي إِليه المُسْتَعِيضُ من العدم[5]

كما ذكرها أبو إسحاق الحربي بأنه خرج من البصرة متجهاً إلى البحرين فإن أول مدينة يدخلها منبر بثاج على مسافة أربعة عشر مرحلة، يسكنها بنو سعد بن زيد من تميم[6]، وقد عُرف شرق الجزيرة العربية باسم البحرين وهي المنطقة ما بين البصرة وعمان، وعلى هذا فأن ثاج في البحرين والمقصود شرق الجزيرة[7]. وقد ورد ذكر ثاج في كثير من كتب البلدانيين المسلمين على أنها من مدن شرق جزيرة العرب، فقد ذكرها كلا من: الأصفهاني في (ق3ه)، بأن إقليم الستار فيه أكثر من مائة قرية لأفناء سعد، ولأمرئ القيس بن زيد، وأن من قراه ثاج وبها سوق[8] ، كما أخبر الحسن الهمداني بأن ثاج ومتالع هي موارد ماء لتميم[9] ، وأورد لها الأزهري ذكر بأن فيها نخل، وأنها في أعراض البحرين[10]، وأيضاً وصفها ياقوت الحموي بأنها من قرى البحرين[11].

موقعها الجغرافي: تقع ثاج في شمال شرق شبه الجزيرة العربية، على بعد 95 كم عن ساحل الخليج العربي، وعلى بعد 85كم تقريباً إلى الجنوب الغربي عن مدينة الجبيل، وعلى بعد 150 كم إلى الشمال الغربي عن مدينة الظهران[12] ، وإلى شمال شرق الهفوف على بعد 115 ميلاً تقريباً[13] ، وعلى مقربة من الشاطئ الشرقي للخليج العربي[14] ، وتقدر مساحة ثاج بعشرين كيلو متراً مربعاً، وتسمى أيضاً سبخة ثاج[15]. وتعتبر ثاج من موارد المياه القديمة، حيث تتوافر فيها مياه عذبة والآبار الكثيرة، وقد تم حصر خمسة عشر بئراً داخل السور الأثري وسبعة آبار تقع في محيط

ثاج الأثرية في الجهة الجنوبية والشرقية منها وهي مطوية بالأحجار ولا يزال بعضها يستخدم حتى الوقت الحالي[16].

كما تقع ثاج على طريق القوافل التجارية القديم المتجه جنوباً إلى اليمامة والأفلاج ومنها إلى وادي الدواسر، ثم إلى قرية الفاو ونجران.

الفصل الأول: مراحل الاستيطان في مدينة ثاج:

المبحث الأول: تاريخ الاستيطان في مدينة ثاج:

يعود تاريخ الاستيطان في منطقة ثاج إلى العصور الحجرية، كما تعاقب على مدينة ثاج أربع فترات تاريخية، أخرها العصر الساساني، فقد أثبت المسح الذي قامت به البعثة الدنماركية عام 1968م[17] ، عن وجود دلائل تشير إلى أنها كانت مستوطنة قبل عصور ما قبل التاريخ.

كما أن هناك دلائل تشير إلى استمرار الاستيطان في ثاج خلال العصر الأشوري الحديث[18] وعصر الدولة البابلية المتأخرة[19]. وأما الفترة الثانية تعُرف باسم الفترة الأخمينية[20] ، كما تشير الدلائل إلى أن استيطان ثاج يعود إلى نهاية القرن الخامس وبداية القرن الرابع قبل الميلاد[21]. ويذكر الباحثين أن الكلدانيين أنفسهم، مؤسسي المملكة الكلدانية البابلية قد خرجوا من الجزء الشرقي من الجزيرة العربية، وانتشروا في بقية مناطق الشرق الأدنى القديم[22]. واستمر ازدهار ثاج من فترة الاستيطان الأخميني إلى الفترة الهلنستية التي تمتد إلى بعد ظهور الاسكندر المقدوني في الشرق عام 332ق.م وحتى القرن الأول الميلادي[23] ، كما دلت الاكتشافات التي جرت في المدينة إلى وجود كثير من الأدلة التي تشير إلى هذه الفترة الزمنية، فقد كانت فيها ثاج في قمة ازدهارها التجارية، كما كانت علاقاتها التجارية قوية ومتينة مع غيرها من المناطق التجارية(24). ومن خلال الفترات التاريخية المتعاقبة على مدينة ثاج نلخص إلى أن للمدينة صلة وثيقة بغيرها من المستوطنات داخل الجزيرة وخارجها في تلك الحقبة.

المبحث الثاني: العلاقات الخارجية لثاج:

كان لثاج علاقة مع المستوطنات داخل الجزيرة العربية وخارجها، مما مكنها من أن تقوم بدور تجاري مهم؛ لوقوعها على طرق القوافل التجارية، فقد كانت لها صلة وثيقة مع المستوطنات المجاورة مثل القطيف ودلمون وفيلكه، فأثرت فيها وتأثرت بها[25].

علاقة ثاج بالممالك والدول داخل شبة الجزيرة العربية:

كان لثاج علاقات مع جاراتها داخل شبة الجزيرة العربية خاصة بمنطقة دلمون التي كانت ترتبط معها بعلاقات سياسية وتجارية قوية[26] ، ودل على ذلك المعثورات من الأواني الفخارية المصقولة والمزججة والدمى الحيوانية والآدمية التي تحمل طابع حضارة دلمون، مما يدلل على علاقتها الوطيدة مع ثاج.[27]

علاقة ثاج بدولة الأنباط: تعود علاقة ثاج بدولة الأنباط قديمة ترجع إلى القرن الأول الميلادي تقريباً، إذ عُثر في أحد موانئ مدينة ثاج على مفاتيح معدنية في أرضية المدفن، نقش عليها صورة الدلفين الذي هو من أهم الحيوانات المقدسة لدى الأنباط، كما عُثر على بعض الكؤوس

الفخارية الناعمة ذات اللون الأحمر تشبه كثيراً زخارف وألوان الأواني الفخارية النبطية، فكانت علاقتها علاقة حضارية تجارية.[28]

كما كان لها علاقة بجنوب الجزيرة العربية دلت عليها بقايا النقوش التي عُثر عليها في ثاج وكُتبت بالخط الجنوبي.[29]

كما كان هناك العديد من العملات التي عُثر عليها في ثاج والتي تدلل على علاقتها بغيرها من الحضارات في شبة الجزيرة العربية، فقد عُثر على عملات بلغ عددها تسع عشرة عملة نقدية، صُنعت بمعدني البرونز والفضة، فقد عُثر على عملة الحِجر والمسكوك عليها ختم بعض مُلوكها وصورهم مثل «الحارث» و«أبياتع» و«أبي ثيل»، وكتبت بالخط الآرامي، ويرجع تاريخها للربع الثاني من القرن الثاني قبل الميلاد.[30]

علاقة ثاج بخارج شبة الجزيرة العربية:

علاقة ثاج ببلاد الرافدين: فقد عُثر في ثاج على العديد من النقوش التي تعود أسلوب كتابتها لنفس أسلوب وتاريخ أغلب نقوش مدن بلاد الرافدين، والتي تُثبت عُمق العلاقة الوطيدة مع بلاد الرافدين، كما عُثر على صورة للإله النسر، وهو أحد المعبودات في ثاج، وهو أهم الطيور في الديانة البابلية[31] ، كما وجدت نقوش ورسوم معظمها تعود لحضارتي آشور والكلدانيين[32].

علاقة ثاج بمصر: كان لثاج علاقات تجارية مع مصر، فقد عُثر على بعض التماثيل في ثاج تشبه تماثيل الأمومة التي كانت منشرة في الحضارة المصرية[33]، كما عُثر على تماثيل لسيدات بزي يشبه زي المرأة المصرية، كما عُثر أيضاً على هيكل عظمي للأميرة تضع على وجهها قناعاً من الذهب وبه ثقوب على الأطراف، وهذا دليل على تأثير الحضارة المصرية الواضح في ثاج، فقد كان الملك المتوفى يضع قناعاً يحمل ملامح وجهه، حتى تتمكن الروح من التعرف عليه في البعث بعد الموت[34].

علاقة ثاج ببلاد اليونان: وقد تأثرت ثاج ببلاد اليونان، فقد وجد صور للإله زيوس المعبود اليوناني، الذي نُحت على القطع النقدية الثاجية[35].

الفصل الثاني: أهمية مدينة ثاج:

المبحث الأول: النواحي الدينية لمدينة ثاج:

ظهرت عبادة الشمس في ثاج لارتباطها بمصالحهم التجارية فاعتقد أهل ثاج بقدسيتها وقدموا القرابين لها[36].

كما عبدوا إله القمر (ود)، فقد وجد على بعض الجدران الآبار وأحجار القبور بعض التعاويذ السحرية وتحوي اسم (ود)[37] ، كما عُثر على العديد من الأحواض والقنوات التي ربما تكون مخصصة لنحر النذور التي تقدم للآلهة، أو تستخدم للتطهير والوضوء لاتباع الآلهة.

كما كان لهم طقوس في دفن موتاهم، فكان هناك اتجاه لوضع المتوفى في داخل المقبرة من حيث اتجاه الرأس واليدين، كما يوضع في المقبرة بعض المرفقات الجنائزية كالحلي وأدوات الزينة والأحجار الكريمة، فقد عُثر على تلك المرفقات في بعض المدافن، كما تعرضت بعض الدافن

للسرقة، كما وضع أيضاً بجوار المتوفى بعض أطباق القرابين المصنوعة من الفخار الأحمر الرقيق، كمقبرة الأميرة الثاجية الصغيرة، التي حوت على العديد من الحلي المحلي الصُنع كالعقود والأساور والخواتم وشرائط الذهب، وغيرها من الأدوات التي كانت تتزين بها النساء في ثاج(38).

كما قدس الثاجيون أشجار البخور، واستخدموها في طقوسهم الدينية؛ للتبرك وطرد الأرواح الشريرة وطلب الشفاء(39) ، فقد عُثر على العديد من المباخر الفخارية التي كانت متجانسة من حيث الشكل العام مع اختلاف لون العجينة التي صُنعت منها أو الحجم(40) ، كما احتوت على زخارف بسيطة، وبعضها بدون زخرفة، والبعض نقش عليها صور جمل أو بقرة، كما رُسم على بعضها أشكال بشرية في هيئات مختلفة(41).

المبحث الثاني: النواحي الاقتصادية لمدينة ثاج:

ترجع أهمية ثاج الاقتصادية إلى وقوعها ضمن أراضي دلمون، التي تمر بها أشهر طرق التجارة القديمة[42].

كما ارتبطت أهميتها التجارية بعلاقتها مع المستوطنات المحيطة بها في شبه الجزيرة العربية وخارجها لا سيما في العصور القديمة[43].

كما اكتسبت أهميتها من موقعها على ملتقى البلاد القديمة الهامة، فقد كانت حلقة وصل بين المراكز الحضارية بين بلاد النهرين والهند، وهذا الموقع التجاري الاستراتيجي أوجب حمايتها وتحصينها وحراستها؛ فأقام أهلها حصناً منيعاً يحميها من هجمات الأعداء، اكتشفت جدرانه واضحة في كثير من الأماكن[44].

كما كان لوقوعها في وادي الستار[45] المعروف بوادي المياه أهمية كبيرة لثاج، لما تميزت به من وفرة المياه العذبة، وجودة النخيل وخصوبة أراضيها وصلاحيتها للزراعة[46].

فوفرة المياه العذبة الصالحة للشرب شكلت عامل جذب للتجارة إليها؛ لشدة حاجة القوافل للمياه سواء للإنسان والدواب[47] ، فقد عُثر على العديد من النقوش الأثرية التي تؤكد مكانة ثاج كمركز تجاري هام ومحطة للقوافل التجارية أنذاك، كما كانت توفر للقوافل التجارية أماكن للراحة تعُرف ب (الاستراحات) توفر المأكل والمشرب وتبدل فيها الدواب المتعبة بغيرها، كما توفر الأدلاء والخفر لحماية القوافل مقابل جزء مما تحمله القوافل من بضائع أو مقابل مبلغ مادي[48].

طرق القوافل التجارية المارة بثاج:

تمر بثاج العديد من الطرق التجارية، ولعل من أهمها:

الطرق البرية الرئيسة:

الطرق البرية الفرعية، منها:

طريق دلمون – ثاج:

كانت دلمون مملكة لها وحدتها الحضارية والسياسية، وتضم الساحل الغربي للخليج العربي، وتشمل على بعض الجزر مثل فيلكه وتاروت ومدينة ثاج(49) ، فتنقل البضائع من بلاد العراق

إلى جزيرة فيلكه ثم تاروت ثم جزر البحرين ومنها إلى أم النار ثم عبر الطريق البري باتجاه ثاج ومنها إلى بقية شبه الجزيرة العربية[50].

ثاج – البصرة:

وهو طريق يمر من الهفوف إلى ثاج ومن ثم إلى الكويت والبصرة[51].

ثاج – الكويت (فيلكه):

طريق يمر بالهفوف ثم ثاج حتى الكويت، ومنها يتفرع إلى طريق آخر إلى جنوب شبه الجزيرة العربية، ومنها إلى بابل[52].

والعديد من الطرق البرية الأخرى التي تمر بثاج مثل: طريق ثاج – نجران//وثاج – العراق// والخليج العربي – ثاج//وثاج – سبأ.

يتبين من خلال كثرة الطرق البرية التجارية المارة بثاج؛ بأن ثاج كانت المركز الرئيس في شرق شبه الجزيرة العربية، إضافة إلى اهتمام الحكومات والممالك بالتجارة البرية، حيث أولتها جل رعايتها.

الطرق البحرية:

كانت ترتبط ثاج بغيرها من المدن بطرق بحرية مثل طريق ثاج بابل، كان نصفه بري والآخر بحري، فقد كان الخليج العربي هو الطريق البحري الوحيد الذي يربط بين بابل وشبه الجزيرة العربية والهند وبين بلاد الرافدين ومصر[53].

كما استخدم تجار ثاج القوارب لنقل تجارتهم إلى بلاد الهند، ويتبادلون البضائع عن طريق ميناء الجبيل على الخليج العربي[54].

الصناعة في ثاج:

اشتهرت ثاج بصناعة الفخار، فهي من أهم وسائل التأريخ الزمني لأن تغير أشكال وطبيعة الفخار يحدد الفترة التاريخية له، ومن خلال أنماط الفخار التي عُثر عليها في ثاج يظهر التشابه الكبير مع أنماط للأواني الفخارية في العصر الهلنستي في الشرق، ولعل هذا يدل على أن صناعة الأواني الفخارية قد امتدت تاريخيا من القرن الثالث قبل الميلاد وحتى القرن الأول الميلادي[55].

فقد عُثر على أفران خاصة بصناعة الفخار، مما يدلل على أن ثاج كانت واحدة من أكبر المراكز المصنعة للفخار[56].

كما اشتهرت أيضاً بصناعة الملح، فقد كانت ثاج مركزاً لتجارة الملح، وهو أحد الأنشطة التجارية لأهل ثاج، والذي يستخرج من سبخة ثاج، فإذ كان فصل الصيف تجمع فيها الملح بكميات كبيرة، فتأخذ حاجتها منه، وتصدر الباقي للمناطق المجاورة على هيئة ألواح ملحية كسلعة ثمينة[57].

كذلك مما اشتهرت به مدينة ثاج صناعة الحلي والمعادن التي عُثر عليها ومنها: القناع وهو من أهم الحلي الذهبية التي عُثر عليها وهو يغطي كامل الوجه كامل، ويتضح فيه موضع العيون والأنف والفم والحواجب وتأتي متصلة مع بعضها البعض لإبراز جمال الفتاة، كذلك العقود

فقد تم العُثور على ثلاثة عقود على الرقبة أسفل القناع، زُين أحدها بالأحجار الكريمة والثاني عبارة عن سلسلة ذهبية وهو على شكل قلب مطعم بالأحجار الكريمة أما الثالث يقع تحت العقدين السابقين ومكون من ثمانية عشرة خرزة أسطوانية، كذلك عُثر على أساور ذهبية، وخواتم مطعمة بالأحجار كريمة وعلى نقوش كرأس إنسان ، كما عُثر على الأقراط والكف وهو عبارة عن غطاء لكف عليه ثقوب للتثبت وتتضح تفاصيل الأصابع عليه، والرقائق وهي عبارة عن قطع رقيقة بعضها على شكل دائرة، وبعضها مستطيل وبعضها مربع تحمل رسوم نباتية وهندسية.(58)

ومن أبرز الأنشطة التي مارسها سكان ثاج مهنة الزراعة، فعملوا على حفر الآبار واستغلوا الأراضي التي تتوفر فيها المياه العذبة للزراعة والري.[59]

المبحث الثالث: النواحي الحضارية والمعماري:

النواحي المعمارية:

انعكس الثراء الاقتصادي على مباني مدينة ثاج نتيجة لما تمتعت به من أهمية اقتصادية وتجارية كبيرة، فقد أُحيطت بسور خارجي ضخم من حجارة كلسية[60] ، مقسمة من الداخل بالعديد من الشوارع المخططة[61].

كما تأثروا بنمط العمارة في العصر السلوقي من حيث التخطيط الداخلي والأسوار المزودة بالأبراج الضخمة والمخصصة للحراسة والمراقبة.

النواحي الحضارية والمعرفية:

اعتمد الثاجيون في تدوينهم على الخط الآرامي؛ وذلك لأن اللغة الآرامية كانت لغة المراسلات التجارية في منطقة الشرق الأدنى القديم في تلك الفترة، وذلك لأن مدينة ثاج مركزاً مهماً للقوافل التجارية القادمة من بلاد الرافدين إلى شبه الجزيرة العربية ومنطقة الخليج العربي القديم.

فقد عُثر على أختام في مدينة ثاج بعضها مصنوع من البرونز تستخدم في المراسلات والمتاجرة، فقد وجد تشابه كبير ما بين أختام ثاج والأختام المستخدمة في بلاد الرافدين، مما يدلل على الاحتكاك والتأثر الحضاري الكبير بين الحضارات العربية وبين ثاج[62].

الفصل الثالث: الاكتشافات الأثرية لمدينة ثاج.

المبحث الأول: الاكتشافات الأثرية الحديثة لمدينة ثاج:

تعود أول الاكتشافات الأثرية الحديثة ما قامت به البعثة الدنماركية عام 1968م، حيث قامت بمسح أثبتت فيه أن تاريخ الاستيطان في مدينة ثاج يعود للعصور الحجرية، لوجود دلائل تثبت ذلك[63].

كما أنها لم تحدد العصور التي تنتمي إليها تلك الدلائل، ولكن البعثات والتنقيبات التي قامت بعدها، إلا أن هناك دلائل تشير إلى وجود تأثيرات فنية من الفترة الأشورية الثانية والبابلية المتأخرة في ثاج على الدمى الفخارية -الآدمية والحيوانية- كما وجدت تماثيل تمثل الديانة الأشورية والبابلية في ثاج[64].

وقد حرصت حكومة المملكة العربية السعودية على الحفاظ على التراث والحضارة من خلال إطلاق برنامج خادم الحرمين الشريفين للعناية بالتراث الحضاري، للعناية بالتراث الثقافي في المملكة المتمثلة بالأثار والمتاحف والتراث العمراني والحرف والصناعات، تحت إشراف الهيئة العامة للسياحة والتراث الوطني تعاونت فيه الهيئة مع العديد من الجامعات داخل المملكة، بالإضافة إلى العديد من الجامعات خارج المملكة، بهدف البحث والكشف ودراسة أثار وتاريخ المملكة العربية السعودية، ومن أهم أعمال التنقيب لمدينة ثاج الأثرية ما أجرها عالم الآثار السعودي الدكتور عوض الزهراني بحثاً ميدانياً وعلمياً موسعاً عن موقع ثاج، أشار فيه إلى أن مساحة المنطقة السكنية الواقعة داخل السور الأثري وخارجه، وكذلك المساحة الكبيرة التي تشغلها تلال المدافن، إلى جانب الآبار الكثيرة، تدل على أن تجمعاً سكانياً كبيراً كان في ثاج، مما يشير إلى أن سكانه امتهنوا إلى جانب التجارة، بعض النشاطات الأخرى، ومنها الزراعة، إذ حفروا بعض الآبار خارج المنطقة السكنية المسورة، ولم يكن النشاط التجاري هو المهنة الوحيدة لسكان ثاج، بل إن بعضهم عمل في الصناعة، كصناعة الأواني الفخارية التي راجت تجارتها في ذلك الوقت. وتمثل معثورات التنقيبات الأثرية من علماء الآثار السعوديين مزيجاً حضارياً ناتجاً عن تأثيرات الحضارات المجاورة لها، التي تربطها معها علاقات تجارية، كحضارات جنوب الجزيرة العربية، ووسطها، وشمالها الغربي، وجنوبها الشرقي، والحضارة السلوقية، والساسانية، وغيرها[65].

فقد شهدت ثاج في العصر الحديث زيارة عدد من المهتمين الذين أشاروا إلى أهميتها، فقاموا بالأعمال الميدانية لإجراء مسح أثري للآثار في ثاج ووصفها، من خلال حفر ثلاثة خنادق موزعة على مساحة المنطقة داخل السور الأثرين وتسجيل وتوثيق المعلومات التي تم الحصول عليها بأسلوب علمي دقيق مدعمة بالرسم والتصوير وتفسير وتحليل تلك المعلومات ومن تلك الأعمال الميدانية ما قام به د. عوض الزهراني لمدينة ثاج. ومن خلال أعمال المسح التي قام بها د. عوض الزهراني تبين أن السور الأثري هو من أهم الظواهر الأثرية التي يمكن مشاهدتها من على سطح الموقع، وهو متوازي أضلاع غير منتظم، مبني من الحجارة المهذبة وتختلف أطوال أضلاعه، وتم التنقيب في جهة من السور الشرقي ضمن الخندق الثاني لمعرفة الارتفاع المتبقي من السور، ويتصل بالسور بعض الوحدات السكنية من الداخل، كما ملئت الفراغات بين الأحجار بالمونة ذات اللون الاسمنتي، ويوجد في كل ركن من أركان السور برجاً، حيت يمكن ملاحظة البرج الجنوبي الشرقي والبرج الجنوبي الغربي بوضوح، فكانت الأبراج مبنية من الأحجار تشترك مع السور من الخارج، لا يوجد بوابة أو مدخل واضح، والمنطقة داخل السور عبارة عن تلال أثرية يمكن رؤية سطوح جدران وحداتها السكنية بوضوح، إضافة إلى أمكانية ملاحظة ممرات – عبارة عن شوارع للمدينة داخل السور الأثري- ومن الجهة الجنوبية والشرقية توجد تلال يمكن رؤية سطوح أساسات وحداتها السكنية بوضوح وتمثل ربما قصوراً أو وحدات معمارية تخدم شعائر تعبدية أو اجتماعية. وكما يكشف المسح الأثري أن سكان ثاج قد امتهنوا صناعة الأواني الفخارية، وذلك من خلال تلال النفايات التي تقع في الجهة الجنوبية الغربية والجهة الشرقية خارج السور الأثري،

وتم الاستدلال على ذلك من كميات الرماد التي عُثر عليها وكميات كبيرة من أجزاء من الأواني الفخارية التي تغير شكلها قبل أن تجف أو أثناء شوائها، مما يجعل الصانع يستغني عنها ويلقيها في تلك التلال.

كما وجد العديد من الآبار القديمة بعضها داخل السور والبعض خارجه، مبنية من حجارة تشابه أحجار بناء الوحدات السكنية داخل السور الأثري.

كما تدل كبر المساحة للمنطقة السكنية داخل السور وخارجه والمساحة الكبيرة لتلال المدافن إلى التجمع السكاني الكبير في ثاج، إضافة إلى امتهان أهل ثاج التجارة فقد اشتغلوا بالزراعة، فحفروا الآبار داخل السور وخارجه، خاصة الجهة الشرقية والجنوبية، وربما استغلوا المساحات في تلك المنطقة للزراعة ، كما عُثر على مدافن تحوي هياكل عظمية محاطة بقطع ذهبية موضوعة على قواعد سريرية، كما عُثر أيضاً على هيكل عظمي للأميرة تضع على وجهها قناعاً من الذهب وبه ثقوب على الأطراف[66]. وتشير المعثورات الأثرية في ثاج على الامتداد الزمني الطويل للاستيطان في ثاج، فعُثر على أواني فخارية تحتوي على أنماط مختلفة، بعضها تمت صناعته في ثاج استناداً إلى الأشكال غير المتنظمة لها إضافة إلى وجود أفران خاصة بصناعة الفخار في ثاج، والبعض الآخر وصل إليها من مناطق داخل الجزيرة وخارجها، مما يؤكد ارتباطها بالمناطق الحضارية المعاصرة لها عن طريق التجارة، فقد عُثر على مجموعة كسر فخارية غير مطلية تعود إلى الدور الأول من العصر الحديدي من (700-1000ق.م) وحتى القرن الثاني الميلادي، كما عُثر على فخار يوناني ذو طلاء أسود ويعرف بالفخار الآتيكي، ويؤرخ هذا النوع بالقرن الثالث قبل الميلاد، كما عُثر على كسر فخارية تسمى قشر البيض تؤرخ بالعصر السلوقي، في القرن الثاني وحتى القرن الأول قبل الميلاد.

كما عُثر على دمى فخارية على هيئات وأشكال مختلفة استخدمت كنذور للمعبودات، أو تعاويذ، أو هدايا للمعبد، أو تؤدى عليها طقوس دينية في المنازل، فكان لها دوراً مهم في الحياة الدينية والاجتماعية، فقد شكلت الدمى الآدمية الآلهة التي تعبد، أما الحيوانية فتقدم كنذور وتعاويذ أو تذكار للمعبد، وهذا يدلل على انتشار عبادة الأوثان في ثاج، كما عُثر على أحواض وقنوات ربما استخدمت لمذابح النذور التي تقدم للآلهة[67]. وتدل المباخر التي وجدت في ثاج إلى استخدامها في مناسبات مختلفة، كالمناسبات الدينية لآداء الطقوس، كما وجد تشابه كبير بين المباخر التي وجدت في ثاج والمباخر التي عثر عليها داخل الجزيرة في نفس الفترة الزمنية.

كما عُثر على بعض النقوش السبئية المبكرة في ثاج يعود إلى الفترة ما بين القرن الخامس والرابع قبل الميلاد، ونقوش حسائية في تاج تعود إلى ما بين 130-300ق.م، ومن المعثورات في ثاج أيضاً العملات التي سُكت من البرونز، وطرأ عليه تأثيرات فنية مختلفة، من حيث التأثير السلوقي، والبارثي، وتظهر بوضوح في عملات شمس المكتشفة في شرق الجزيرة العربية، مما يؤكد على وجود صلات حضارية وتجارية قوية بينها وبين الحضارات المجاورة.

كما تدل أيضا العملات على الملامح الدينية لتلك الفترة، مثل عبادة الشمس والتي دلت عليها عملات (شمس)، فكانت هذه العملة في ثاج عبارة عن دوائر مفرغة ربما تدل على القمر

ونقاط بارزة عددها (6نقاط)، ربما تدل على الزهرة، كما حظي الحصان بالتقديس حيث يظهر وجه على بعض العملات. وتدل تنوع العملات التي عُثر عليها في ثاج على أنها كانت مركزاً تجارياً مزدهراً على طريق التجارة البري الذي يربط شرق الجزيرة العربية بجنوبها، كما كانت على صلات تجارية مع المراكز الحضارية خارج الجزيرة العربية والمعاصرة لها(68).

وخلاصة القول: فإن ثاج لعبت دوراً تجارياً وحضارياً مهماً في شمال شرق الجزيرة العربية، فهي إحدى أهم المراكز التجارية في منطقة شبه الجزيرة العربية، استناداً إلى ما ضمته من معالم أثرية كثيرة ومواد ومعثورات تم الكشف عنها من خلال عمليات المسح الأثري.

الخاتمة:

من أهم النتائج التي توصلت إليها الدراسة:

- موقع ثاج الاستراتيجي الذي أكسبها أهميتها التجارية والحضارية كونها تربط ما بين شرق الجزيرة وجنوبها وشمالها الشرقي ببلاد الرافدين.
- اعتماد أهل ثاج على التجارة بشكل كبير لمرور القوافل التجارية بأراضيهم.
- امتهن أهل ثاج الصناعة كصناعة الأواني الفخارية والزراعة إضافة إلى التجارة.
- تمثل المعثورات في ثاج مزيجاً حضارياً لتأثرها بالحضارات المجاورة لها.
- أشارت المعثورات الأثرية على النواحي الدينية لأهل ثاج، وأنهم عبدوا الشمس، كما كانوا يقدمون النذور والقرابين لها.
- حظيت ثاج بتجمع سكاني هائل، ويدل على ذلك حجم المنطقة السكنية داخل السور الأثري وخارجه.

الملاحق:

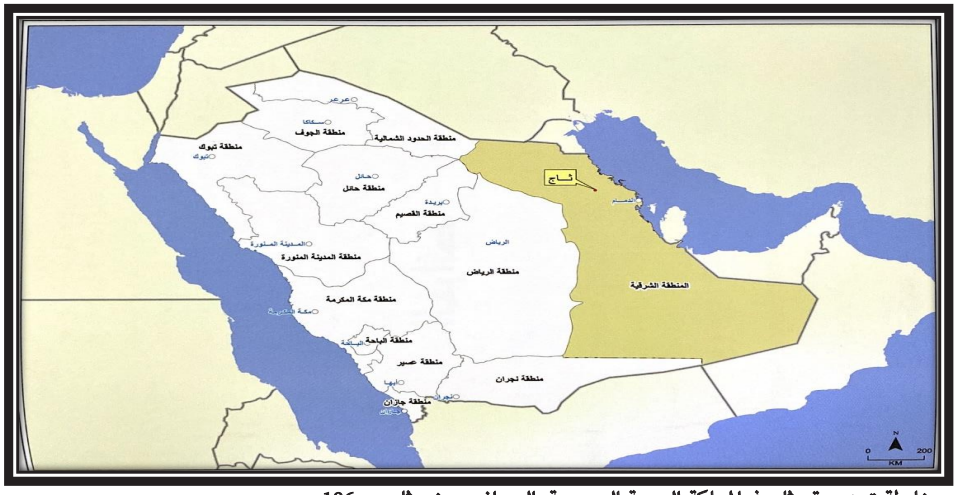

خارطة تبين موقع ثاج في المملكة العربية السعودية، الزهراني، عوض: ثاج، ص186.

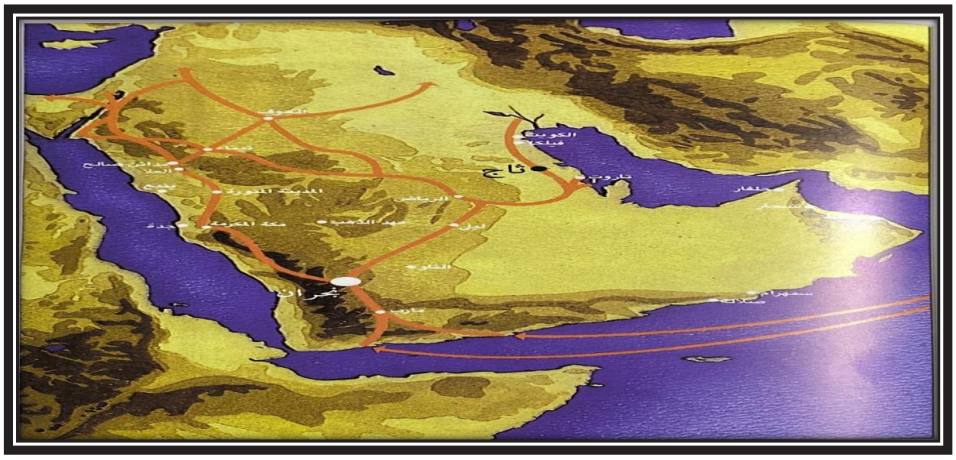

خارطة تبين طرق التجارة البرية القديمة في الجزيرة العربية وأهم مراكزها. الزهراني، عوض: ثاج، ص186.

المخطط العام للمواقع الأثرية لحفريات ثاج. الزهراني، عوض: ثاج، ص190.

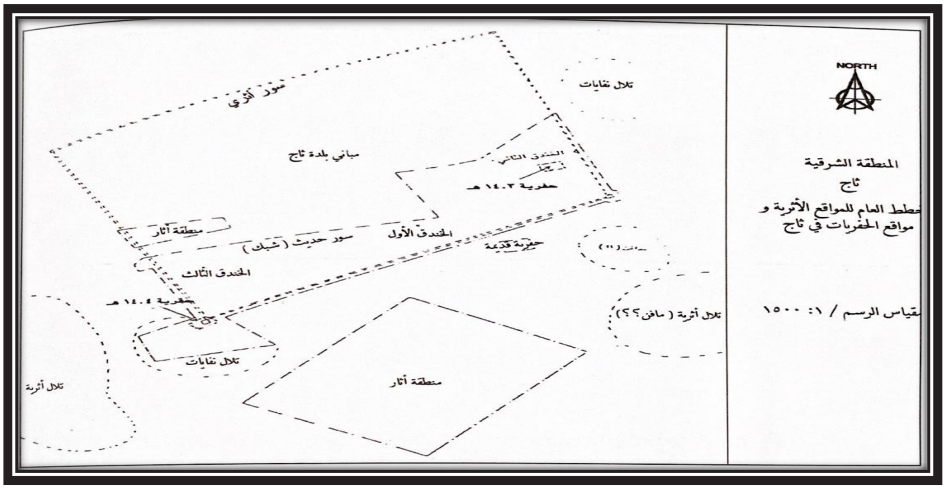

بئر في ثاج ويتضح فيها أسلوب الطي فيها. الزهراني، عوض: ثاج، ص246.

دمية فخارية آدمية. الزهراني، عوض: ثاج، ص253.

مبخرة فخارية. الزهراني، عوض: ثاج، ص260.

عملة من ثاج. الزهراني، عوض: ثاج، ص263.

هيكل عظمي وحوله عدد من القطع الذهبية. الزهراني، عوض: ثاج، ص271.

قواعد السرير الذي كان يحمل الهيكل العظمي. الزهراني، عوض: ثاج، ص272.

عدد من الحلي الذهبية التي وجدت داخل المدافن. الزهراني، عوض: تاج، ص273.

عدد من النقوش الحسائية التي عُثر عليها في ثاج. الزهراني، عوض: ثاج، ص274.

الهوامش:

(1) العبودي، عبد الرحمن: الموسوعة الجغرافية، النادي الأدبي، 1993م، ج1/ص225.

(2) ابن منظور، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين الأنصاري الرويفعى الإفريقي: لسان العرب، الحواشي: لليازجي وجماعة من اللغويين، دار صادر - بيروت، ط3، 1414هـ ج3/ ص455. بن سراي، حمد: منطقة الخليج العربي من القرن الثالث ق.م إلى القرنين الأول والثاني الميلاديين، إصدار المجمع الثقافي، أبو ظبي، ٢٠٠٠م، ص91. الزهراني، عوض علي: ثاج دراسة أثرية ميدانية، رسالة علمية، جامعة الملك سعود، الهيئة العامة للسياحة والأثار، 1434هـ ص39.

(3) الهروي، محمد بن أحمد بن الأزهري، أبو منصور: تهذيب اللغة، المحقق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط1، 2001م، ج117-11/116.

(4) يعقوب، إميل بديع: ديوان عمرو بن كلثوم، دار الكتاب العربي، بيروت، ط1، 1411هـ/ 1991م، ص27.

(5) الضبي، المفضل بن محمد بن يعلى بن سالم: المفضليات، تحقيق وشرح: أحمد محمد شاكر وعبد السلام محمد هارون، دار المعارف - القاهرة، 1431هـ ص308.

(6) أبو إسحاق، إبراهيم بن إسحاق الحربي: المناسك وطرق الحج ومعالم الجزيرة، تحقيق: حمد الجاسر، دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، الرياض، 1398هـ/ 1969م، ص620.

(7) علي، جواد: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، جامعة بغداد، ط2، 1413هـ/1993م، ج1/ ص177.

(8) الأصفهاني، الحسن بن عبد الله: بلاد العرب، تحقيق: صالح العلي وحمد الجاسر، دار اليمامة، الرياض، 1388هـ/ 1968م، ص345.

(9) الهمداني، الحسن بن أحمد بن يعقوب: صفة جزيرة العرب، تحقيق: محمد علي الأكوع، دار اليمامة، الرياض، 1394هـ/ 1974م، ص333. عوض الزهراني: ثاج، ص41.

(10) الأزهري: تهذيب اللغة، ص170.

(11) الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي: معجم البلدان، دار صادر، بيروت، ط2، ١٩٩٥ م، ج3/188.

(12) الشيخ، نبيل: الكشوف الأثرية في موقع ثاج، مجلة جمعية تاريخ وآثار البحرين، العدد (21)، 2002م، ص65-56. الزهراني، عوض: ثاج، ص23.

(13) بن سراي، حمد: منطقة الخليج العربي، ص91.

(14) عبد الوهاب، لطفي: العرب في العصور القديمة، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1988م، ص132.

(15) بوتس، دانيال: الخليج العربي في العصور القديمة، ترجمة: إبراهيم خوري، تعليق: أحمد السقا، المجمع الثقافي، أبو ظبي، 2003م، ص705. الزهراني، عوض: ثاج، ص23.

(16) الزهراني، عوض: ثاج، ص24.

(17) روبرت، ادمز وآخرين: الاكتشاف الأثري للمملكة العربية السعودية، حولية أطلال، العدد (1)، 1977م، ص45-21.

(18) الدولة الأشورية عاصمتها أشور تميزت بموقعها التجاري العام، وتقع على طريق التجارة بين سومر وأكاد، كما كان لها العديد من التشريعات الهامة التي تعُرف بالتشريع البابلي، ومن أشهر ملوكها الملك تجلات بلازير الأول (1076-1114م). للاستزادة: بشور، وديع: سوريا وقصة الحضارة والعصور القديمة، دار الفكر للأبحاث والنشر، 1989م. عبود، هنري: معجم الحضارات السامية، دار جيروس بيروس، لبنان، 1991م.

(19) المملكة الكلدانية فرع من الأموريين استوطنوا جنوب العراق منذ النصف الثاني من الألف الثاني قبل الميلاد وعرفوا بالكلدانيين، أحمد سليم: في تاريخ الشرق الأدنى، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 2012م، ص238. أما الدولة البابلية فقد مرت بالعديد من الأدوار التاريخية أسسها في فترتها الأولى الملك (سمو – أيوم)، وبعد ان وطد سلطانه اتسع بها على عدة بقاع إلى أن تولى العرش الملك حمورابي سادس ملوك الأسرة البابلية (١٧٢٨-١٦٨٦ ق.م)، وكانت له العديد من الانتصارات. للاستزادة: عصفور، محمد أبو المحاسن: معالم تاريخ الشرق الأدنى القديم، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٨٤م، ص366. عبد العزيز صالح: الشرق الأدنى القديم (مصر وإيران)، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٨٤م، ص460. الزهراني، عوض: ثاج، ص38-29.

(20) الدولة الأخمينية وحكمها قورش وقمبيز وغيرهم. فخري، أحمد: دراسات في تاريخ الشرق القديم، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٥٨م، ص217-216.

(21) الزهراني، عوض: ثاج، ص29. الملا، عبد الرحمن: تاريخ هجر، مطابع الجود، الأحساء، 1990م، ص160.

(22) والكلدانيون هم قبائل سامية نزحت من بلاد أمور من أواسط العراق، وعرفت باسم الكلد. بغدادي، رشاد: الكلدانيون والآراء التي دارت حول أصلهم، الإنسانيات، العدد (6)، 2000م، ص164-127. النبهاني، محمد بن خليفة بن حمد بن موسى: التحفة النبهانية في تاريخ الجزيرة العربية، دار إحياء التراث، بيروت، 1986م، ص35.

(23) وهي تسمية أطلقها المؤرخ الألماني درولين في أواخر النصف الأول من القرن الماضي لتميزه عن الحضارة الجديدة عن الحضارة اليونانية والتي كانت موجودة في القرنين ٤ – ٥ ق.م والتي عرفت باسم الحضارة الهلينسية على أساس أن الحضارة الهلينستية منتسبة للحضارة الهلينية القديمة أو متأثرة بها. عبد الوهاب، لطفي: دراسات في العصر الهلنستي، ص16.

(24) شعث، شوقي: الخليج العربي: دراسات تاريخية وجغرافية منذ أقدم العصور حتى الوقت الراهن، دمشق، 1993م، ص52.للمزيد من المعلومات عن الفترة الإغريقية انظر: درويش، محمود: معالم تاريخ وحضارة اليونان والرومان، مكتبة الرشد، الرياض، 1429هـ ص89-86.

(25) الزهراني، عوض: ثاج، ص-29 43.

(26) بوتس، دانيال: الخليج العربي، ص151.

(27) شعث، شوقي: الخليج العربي، ص53-52.

(28) الحشاش، عبد الحميد وآخرون: تقرير حفرية ثاج1419هـ أطلال، (16)، ص54.

(29) بوتس، دانيال: الخليج العربي، ص953.

(30) الشرفاء، محمد: الحياة الاقتصادية في المنطقة الشرقية، مطابع المدخول الدمام، 19994م، ص78. الزهراني، عوض: ثاج، ص161-160. بن سراي، حمد: منطقة الخليج العربي، ص66. الملا، عبد الرحمن: تاريخ هجر، ص159. البحر، أماني: تأثير حضارة ثاج، 914.

(31) الحشاش، عبد الحميد وآخرون: تقرير حفرية ثاج 1419هـ أطلال، العدد (16)، ص58.

(32) رشاد بغدادي: الكلدانيون، الإنسانيات، ص154.

(33) هاشم، سيد: الأشكال الفنية الفخارية في ثاج، الإدارة العامة للآثار والمتاحف، الرياض، 1992م، ص6.

(34) . الحشاش،عبد الحميد وآخرون:تقرير حفرية ثاج ١٤١٩هـ أطلال،العدد (١٦)، ص54-51.

(35) الحشاش وآخرون: تقرير ثاج ١٤١٩هـ أطلال، العدد (١٦)، ص58. عوض الزهراني: ثاج، ص32.

(36) الحشاش، عبد الحميد وآخرون: تقرير حفرية ثاج ١٤٢٠هـ أطلال، العدد (16)، ص36.

(37) حمد الجاسر: المرجع السابق، (1/ 325). شاهين، علاء الدين: تاريخ الخليج، ص269. الملا، عبد الرحمن: تاريخ هجر، ص162.

(38) الحشاش، عبد الحميد وآخرون: حفرية ثاج الأثرية لعام ١٤٢٢هـ أطلال، عدد (١٩)، ١٩٨٤م، ص35 48-.

(39) الفاسي، هتون: الحياة الاجتماعية في شمال غرب الجزيرة العربية في الفترة ما بين القرن السادس قبل الميلاد والقرن الثاني الميلادي، (د.ت)، الرياض، 1994م، ص8.

(40) الحشاش، عبد الحميد وآخرون: تقرير حفرية ثاج، ١٤٢٠هـ أطلال، العدد (17)، ص41-30.

(41) الملا، عبد الرحمن: تاريخ هجر، ص159.

(42) الحموي، ياقوت: معجم البلدان، ج1/ص82. العبودي، محمد ناصر: المعجم الجغرافي لبلاد العربية السعودية، منشورات دار اليمامة، الرياض، 1979م، ص103. الملحم، ناصر: تاريخ البحرين في القرن الأول الهجري، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، 1997م، ص51. بوتس، دانيال: الخليج العربي، ص9.

(43) صلاح الدين فاطمة: العرب والتجارة الدولية في العصر الروماني، مجلة مركز الدراسات البردية والنقوش، مركز الدراسات البردية والنقوش، جامعة عين شمس، القاهرة، العدد (١٢)، (١٩٩٥م)، ص191-171.

(44) الملا، عبد الرحمن: تاريخ هجر، ص159.

(45) الجنبي، عبد الخالق: هجر وقصباتها الثلاث «المشقر - الصفا – الشبعان»ن دار المحجة البيضاء، بيروت، ١٤٢٥هـ ص16.

(46) الأزهـري: تهذيـب اللغـة، ص170. الجـاسر، حمـد: المعجـم الجغـرافي للبـلاد العربيـة السـعودية، (المنطقـة الشـرقية)، دار اليمامـة، الـرياض، ١٩٧٩م، ج1/ص319.

(47) النعيـم، نـورة: الوضـع الاقتصـادي في الجزيـرة العربيـة في الفـترة مـن القـرن الثالـث قبـل الميـلاد وحتـى القـرن الثالـث الميـلادي، دار الشـواف للنـشر والتوزيـع، 1992، ص210.

(48) القاسـمي، رضـا: النشـاط التجـاري القديـم في الخليـج العـربي وآثـاره الحضاريـة، المـؤرخ العـربي، العـدد (12)، مطبعـة الإرشـاد، بغـداد، 1980م، ص86-57.

(49) البـدر، سـليمان: المرجـع السـابق، ص114. أمـاني سـلامه: بـين جزيـرة تـاروت ومـا يليهـا دراسـة تاريخيـة حضاريـة أثريـة، مجلـة دراسـات الخليـج والجزيـرة العربيـة، جامعـة الكويـت، الكويـت، 2013م، العـدد (149)، ص296-251. سـالم، هالـة: الفينيقيـون والخليـج العـربي دراسـة تاريخيـة، السـجل العلمـي للقـاء العلمـي التاسـع للجمعيـة التاريخيـة السـعودية، جامعـة الملـك فيصـل، الأحسـاء، 2008م، ص85-65. الزهـراني، مليحـة: علاقـة شـبه الجزيـرة العربيـة بجاراتهـا في العـصر الهلنسـتي سياسـيا وحضـارياً مـن عـام ٣٣٢ إلى عـام ١١٥ ق.م، رسـالة ماجسـتير، كليـة الآداب، الـدمام، 1995م، غـير منشـورة، ص24.

(50) المدبـولي، عـلي: الصـلات الحضاريـة، ص58، محمـد الحمدينـي: مفهـوم الخليـج، ص365. شـاهين، عـلاء: تاريـخ الخليـج والجزيـرة العربيـة، ص153.

(51) بوتس، دانيال: الخليج العربي، ص697.

(52) بغدادي، رشاد: حول موقع جرهاء، المؤرخ العربي، العدد (4)، ص68.

(53) مـنرو، اليزابيـث: الجزيـرة العربيـة بيـت البخـور والبـترول، ترجمـة: محمـود محمـود، الـدارة، الريـاض، عـدد (1)، 1976م، ص43-28.

(54) السيد، محمد: شبه الجزيرة العربية، ص94.

(55) الحشـاش وآخـرون: حفريـة ثـاح عـام ١٤٢٠هـ حوليـة أطـلال، عـدد (17)، ص31.؛ الزهـراني، عـوض: ثـاج، ص63. بـن سراي، حمـد: منطقـة الخليـج، ص٩١. بوتـس، دنيـال: الخليـج العـربي، ص708. الجـاسر، حمـد: المعجـم الجغـرافي، ج1/ص322.

(56) الزهراني، عوض: ثاج، ص13.

(57) السـبخة هـي أرض يغطـى سـطحها قـشرة مليحـة تكـون صلبـة في فصـل الصيـف تكـون صلبـة في جهـة وأخـرى رفيعـة. الجـاسر، حمـد: المعجـم الجغـرافي، ج1/ص321-320. الحشـاش وآخـرون: حفريـة ثـاج ١٤٢١هـ أطـلال، عـدد (16)، ص40.

(58) الزهراني، عوض: ثاج، ص122-121.

(59) البحـر، أمـاني بنـت خليفـة محمـد: تأثـر حضـارة ثـاج بحضـارات الجزيـرة العربيـة وبعـض المناطـق المجـاورة، مقـال، مجلـة العلـوم العربيـة والإنسـانية، جامعـة القصيـم، 2016م، ص907.

(60) بغدادي، رشاد: حول تحديد موقع الجرهاء، المؤرخ العربي، عدد (٤)، ص61.

(61) بوتس، دانيال: الخليج العربي، ص705.

(62) صابـون، أحمـد: دراسـة تاريخيـة لمشـكلة تحديـد موقعـي ماجـان وملوخـا، مركـز بحـوث الـشرق الأوسـط، القاهـرة، 1994م، ص57. 63. الزهـراني، عـوض: ثـاج، ص29.

(63) هاشم، سيد: الأشكال الفنية الفخاريـة في ثاج، ص18-5.

(64) الزهراني، عوض: ثاج، ص59-53.

(65) الزهراني، عوض: ثاج، ص127-126.

(66) الزهراني، عوض: ثاج، (129-127).

(67) الزهراني، عوض: ثاج، (131-129).

المصادر والمراجع:

أولاً: المصادر:

(1) الأزهري، محمد بن أحمد بن الهروي، أبو منصور:

(2) تهذيب اللغة، المحقق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط1، 2001م.

(3) أبو إسحاق، إبراهيم بن إسحاق الحربي:

(4) المناسك وطرق الحج ومعالم الجزيرة، تحقيق: حمد الجاسر، دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، الرياض، 1398هـ/ 1969م.

(5) الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي:

(6) معجم البلدان، دار صادر، بيروت، ط2، ١٩٩٥ م.

(7) الأصفهاني، الحسن بن عبد الله:

(8) بلاد العرب، تحقيق: صالح العلي وحمد الجاسر، دار اليمامة، الرياض، 1388هـ/ 1968م.

(9) الضبي، المفضل بن محمد بن يعلى بن سالم:

(10) المفضليات، تحقيق وشرح: أحمد محمد شاكر وعبد السلام محمد هارون، دار المعارف – القاهرة، 1431هـ.

(11) الفيروزآبادى: مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب:

(12) القاموس المحيط، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، إشراف: محمد نعيم العرقسُوسي، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، ط8، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م.

(13) ابن منظور، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين الأنصاري الرويفعى الإفريقي:

(14) لسان العرب، الحواشي: لليازجي وجماعة من اللغويين، دار صادر – بيروت، ط3، 1414هـ.

(15) النبهاني، محمد بن خليفة بن حمد بن موسى:

(16) التحفة النبهانية في تاريخ الجزيرة العربية، دار إحياء التراث، بيروت، 1986م.

(17) الهمداني، الحسن بن أحمد بن يعقوب:

(18) صفة جزيرة العرب، تحقيق: محمد علي الأكوع، دار اليمامة، الرياض، 1394هـ/ 1974م.

ثانياً: المراجع:

(1) الأسد، ناصر:

مقدمة لدراسة القبائل العربية في الخليج قبل الإسلام، الجامعة الأمريكية، بيروت، 1981م.

(2) استرابون:

وصف بلاد ما بين النهرين وفينيقا وشبه الجزيرة العربية، ترجمة: محمد المبروك، جامعة خان يونس، بنغازي، 2006م.

(3) اسكوبي، خالد و أبو العلا، سيد:

حفرية ثاج الموسم الثاني ١٤٠٤هـ حولية أطلال، العدد (9)، ١٩٨٥م.

(4) باقر، طه:

مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة، الشركة التجارية للطباعة المحدودة، (د. م)، 1956م.
(5) البدر، سليمان:
منطقة الخليج العربي، مطبعة حكومة الكويت، الكويت، 1978م.
(6) بشور، وديع:
سوريا وقصة الحضارة والعصور القديمة، دار الفكر للأبحاث والنشر، 1989م.
(7) بوتس، دانيال:
الخليج العربي في العصور القديمة، ترجمة: إبراهيم خوري، تعليق: أحمد السقا، المجمع الثقافي، أبو ظبي، 2003م.
(8) الجاسر، حمد:
المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية، (المنطقة الشرقية)، دار اليمامة، الرياض، ١٩٧٩م.
(9) الجنبي، عبد الخالق:
هجر وقصباتها الثلاث «لمشقر - الصفا – الشبعان»، دار المحجة البيضاء، بيروت، ١٤٢٥هـ
(10) الحديثي، محمود:
مفهوم الخليج العربي الجغرافي، الجمعية العراقية، بغداد،1978م.
(11) درويش، محمود:
معالم تاريخ وحضارة اليونان والرومان، مكتبة الرشد، الرياض، 1429هـ
(12) روبرت، ادمز وآخرين:
الاكتشاف الأثري للمملكة العربية السعودية، حولية أطلال، العدد (1)، 1977م.
(13) بن سراي، حمد:
منطقة الخليج العربي من القرن الثالث ق.م إلى القرنين الأول والثاني الميلاديين، إصدار المجمع الثقافي، أبو ظبي، 2000م.
(14) سليم، أحمد:
في تاريخ الشرق الأدنى، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 2012م.
(15) شاهين، علاء الدين:
تاريخ الخليج والجزيرة العربية القديم، ذات السلاسل، الكويت، 1997م.
(16) الشرفاء، محمد:
الحياة الاقتصادية في المنطقة الشرقية، مطابع المدخول الدمام، 19994م.
(17) شعث، شوقي:
الخليج العربي دراسات تاريخية وجغرافية منذ أقدم العصور حتى الوقت الراهن، دمشق، 1993م.
(18) صابون، أحمد:
دراسة تاريخية لمشكلة تحديد موقعي ماجان وملوخا، مركز بحوث الشرق الأوسط، القاهرة، 1994م.

(19) صالح، عبد العزيز:
الشرق الأدنى القديم (مصر وإيران)، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٨٤م.
(20) الصباح، ميمونة:
الجذور الحضارية للكويت في التاريخ القديم، الخليج العربي دراسة تاريخية وحضارية، دمشق، 1993م.
(21) عبد الوهاب، لطفي:
العرب في العصور القديمة، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1988م.
دراسات في العصر الهلنستي، دار النهضة العربية، بيروت، 1978م.
(22) عصفور، محمد أبو المحاسن:
معالم تاريخ الشرق الأدنى القديم، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٨٤م.
(23) عبد الغني، محمد السيد:
(24) شبه الجزيرة العربية ومصر والتجارة الشرقية العذبة، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، 1999م.
(25) العبودي، محمد ناصر:
المعجم الجغرافي لبلاد العربية السعودية، منشورات دار اليمامة، الرياض، 1979م.
(26) عبود، هنري:
معجم الحضارات السامية، دار جيروس بيروس، لبنان، 1991م.
(27) العبودي، عبد الرحمن:
الموسوعة الجغرافية، النادي الأدبي، 1993م.
(28) علي، جواد:
المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، جامعة بغداد، ط2، 1413هـ/1993م.
(29) الفاسي، هتون:
الحياة الاجتماعية في شمال غرب الجزيرة العربية في الفترة ما بين القرن السادس قبل الميلاد والقرن الثاني الميلادي، (د.ت)، الرياض، 1994م.
(30) فخري، أحمد:
دراسات في تاريخ الشرق القديم، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٥٨م.
(31) قلعجي، قدري:
الخليج العربي، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٦٥م.
(32) الملا، عبد الرحمن:
تاريخ هجر، مطابع الجود، الأحساء، 1990م.
(33) الملحم، ناصر:
تاريخ البحرين في القرن الأول الهجري، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، 1997م.

(34) النعيم، نورة:
الوضع الاقتصادي في الجزيرة العربية في الفترة من القرن الثالث قبل الميلاد وحتى القرن الثالث الميلادي، دار الشواف للنشر والتوزيع، 1992.
(35) هاشم، سيد:
الأشكال الفنية الفخارية في ثاج، الإدارة العامة للآثار والمتاحف، الرياض، 1992م.
(36) الهاشمي، حسن:
تجارة القوافل في التاريخ العربي القديم، تجارة القوافل ودورها الحضاري حتى نهاية القرن التاسع عشر، معهد البحوث والدراسات العربية، 1984م.
(37) يعقوب، إميل بديع:
ديوان عمرو بن كلثوم، دار الكتاب العربي، بيروت، ط1، 1411هـ/ 1991م.

ثالثاً: الرسائل العلمية والدوريات والمجلات العلمية:

(1) البحر، أماني بنت خليفة محمد:
تأثر حضارة ثاج بحضارات الجزيرة العربية وبعض المناطق المجاورة، مقال، مجلة العلوم العربية والإنسانية، جامعة القصيم، 2016م.
(2) بغدادي، رشاد:
حول تحديد موقع جرهاء (إقليم الخليج على مر عصور التاريخ)، المؤرخ العربي، العدد (4)، القاهرة، 1996م.
الكلدانيون والآراء التي دارت حول أصلهم، الإنسانيات، العدد (6)، 2000م.
(3) البكر، منذر:
العرب والتجارة الدولية منذ أقدم العصور إلى نهاية العصر الروماني، المربد، دار الطباعة الحديثة، البصرة، 1975م.
(4) الجاسر، حمد:
ثاج: إحدى المدن الأثرية، مقال، العرب، دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، 1421ه.
(5) الحشاش، عبد الحميد وآخرون:
تقرير حفرية ثاج 1419هـ حولية أطلال، عدد (16)، 1421هـ/ 2001م.
(6) الزهراني، عوض علي:
ثاج دراسة أثرية ميدانية، رسالة علمية، جامعة الملك سعود، الهيئة العامة للسياحة والأثار، 1434هـ
(7) الزهراني، مليحة:
علاقة شبه الجزيرة العربية بجاراتها في العصر الهلنستي سياسيا وحضارياً من عام 322إلى عام 115ق.م، رسالة ماجستير، كلية الآداب، الدمام، 1995م، غير منشورة، (24).

(8) سالم، هالة:
الفينيقيون والخليج العربي دراسة تاريخية، السجل العلمي للقاء العلمي التاسع للجمعية التاريخية السعودية، جامعة الملك فيصل، الأحساء، 2008م.
(9) سلامه، أماني:
بين جزيرة تاروت وما يليها دراسة تاريخية حضارية أثرية، مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية، جامعة الكويت، الكويت، 2013م، العدد (149).
(10) الشيخ، نبيل:
الكشوف الأثرية في موقع ثاج، مجلة جمعية تاريخ وآثار البحرين، العدد (21)، 2002م.
(11) صلاح الدين، فاطمة:
العرب والتجارة الدولية في العصر الروماني، مجلة مركز الدراسات البردية والنقوش، مركز الدراسات البردية والنقوش، جامعة عين شمس، القاهرة، العدد (١٢)، (١٩٩٥م).
(12) القاسمي، رضا:
النشاط التجاري القديم في الخليج العربي وآثاره الحضارية، المؤرخ العربي، العدد (12)، مطبعة الإرشاد، بغداد، 1980م.
(13) ماندفيل، جيمس:
ثاج من الناحية الأثرية والتاريخية، ترجمة: عبد الرزاق الريس، مقال، العرب، دار اليمامة للبحث والنشر والتوزيع، 1968م.
(14) منرو، اليزابيث:
الجزيرة العربية بيت البخور والبترول، ترجمة: محمود محمود، الدارة، الرياض، عدد (1)، 1976م.
(15) الميلوي، علي:
الصلات الحضارية بين مجان (إقليم عمان) ومراكز الحضارة في وادي السند، السجل العلمي للقاء العلمي التاسع للجمعية التاريخية السعودية، مطابع جامعة الملك فيصل، الأحساء، 2008م.

أثر العمل الخيري في الجوانب الدينيةعلى المجتمع السعودي في عهد الملك فهد بن عبد العزيز (1340 - 1426هـ/ 1921 - 2005م)

أ.عواطف بنت شنين بن خلف العنزي
طالبة دكتوراه - قسم التاريخ والتراث – كلية اللغات والعلوم الإنسانية – جامعة القصم – المملكة العربية السعودية

أ.د. فاطـــمة محمد الفـــريحي
قسم التاريخ والتراث – كلية اللغات والعلوم الإنسانية
جامعة القصم – المملكة العربية السعودية

المستخلص:

تهدف الدراسة إلى إبراز أهم الأثار التي تركها العمل الخيري في الجوانب الدينية على المجتمع السعودي في عهد الملك فهد بن عبدالعزيز آل سعود، ومن ثماره إعداد الدعاة وتأهيلهم وانتشار المنشآت الدعوية ودعمها، والتي انعكس دورها في نشر الدين الإسلامي، ونشر الكتب الدينة وتوزيعها على نطاق واسع في جميع أنحاء العالم، والذي أسهم في اصلاح المجتمع السعودي، كما ظهر الأثر على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من خلال دعم الهيئات والدعاة وتنظيم الأنشطة الاجتماعية التي تعزز التمسك بالقيم الاسلامية في المجتمع السعودي، كما كان لهذه الأعمال والمساعدات الخيرية، الأثر في الإسهام في حفظ كتاب الله من خلال إنشاء مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة، وبناء شخصية الشباب السعودي واستثمار طاقتهم.وتكمن أهمية هذه الدراسة في إبراز دور المساعدات الخيرية الداخلية في عهد الملك فهد بن عبدالعزيز آل سعود في الجوانب الدينية وأثرها على المجتمع السعودي، فعلي الرغم من عدم إفراد هذا الموضوع بدراسة علمية مستقلة، فإن هناك بعض الدراسات والأبحاث التي تطرقت إلى جوانب مختلفة من التطور الحضاري في عهد الملك فهد بشكل موجز، هذه الدراسات استفادت منها الدراسة في بعض جوانبها، منها على سبيل المثال لا الحصر، أبحاث المؤتمر العالمي لخادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز وإنجازاته وغيرها. وفي منهج الدراسة اعتمدت الباحثة على المنهج التاريخي القائم على جمع المادة العلمية الخاصة بموضوع الدراسة من مصادرها الأصلية وتحليلها ودراستها دراسة تاريخية مؤصلة، تعتمد على الأستنتاج والمقارنة والتحليل وفق الإجراءات العلمية التالية، منها: (جمع المادة العلمية من مصادرها وترتيبها حسب تسلسلها الزمني، واستخلاص أهم النتائج والتوصيات من خلال الدراسة)، واختمت هذه الدراسة بخاتمة توضح أبرز النتائج التي توصلت إليها هذه الدراسة، وأبرزها الشمولية والتنوع والأصالة والثابت والاستمرارية والنماء في أعمال الخير الخاصة والعامة وأثرها في الجوانب الدينية التي قدمها الملك فهد بن عبدالعزيز داخل المملكة العربية السعودية. كانت هذه أبرز الملامح العامة للدراسة التي أضعها بين يديك اخي الكريم (أختي الكريمة) راجياً من الله تعالي العزيز أن تحوز رضى الله سبحانه وتعالى ثم رضاكم، وآخر دعواي ان الحمد لله رب العالمين

الكلمات المفتاحية: الملك فهد بن عبد العزيز - العمل الخيري- جهود المملكة العربية السعودية الخيري- طباعة المصحف الشريف- المؤسسات الخيرية.

The Impact of Charitable Work in the Religious Fields on the Saudi Society During the Reign of King Fahd bin Abdulaziz (1340-1426HD- 1921- 2005AD)

A. Awatif bint Shunain Al-Enezi
Prof. Fatimah bint Muhammad Al-Fraihi

Abstract:

This study explores the most significant impacts of charitable activities on the religious dimensions of Saudi society during the reign of King Fahd bin Abdulaziz Al Saud. Key outcomes included the training and empowerment of preachers, the expansion and support of religious institutions, and the pivotal role these institutions played in disseminating Islam and religious literature globally. These efforts substantially contributed to the reform and advancement of Saudi society.Additionally, the study highlights the role of charitable initiatives in promoting the practice of enjoining good and forbidding evil by supporting religious authorities and preachers and organizing social programs that reinforced Islamic values within the Saudi community. Charitable endeavors were also instrumental in preserving the Holy Qur'an, notably through the establishment of the King Fahd Complex for the Printing of the Holy Qur'an in Al-Madinah Al-Munawwarah, and in shaping the character and investing in the potential of Saudi youth.The significance of this study lies in its focus on domestic charitable activities during King Fahd's era and their profound impact on the religious fabric of Saudi society. Although no independent study has comprehensively addressed this topic to date, several previous studies and research papers have briefly discussed various aspects of the Kingdom's civilizational development under King Fahd. This research has benefited from such works, including contributions presented at the Global Conference on King Fahd bin Abdulaziz and His Achievements, among others.Methodologically, the study adopts a historical approach, gathering data from primary sources and conducting rigorous analysis through inference, comparison, and critical evaluation. The material was organized chronologically to derive key findings and formulate recommendations based on a comprehensive examination.The study concludes by emphasizing the breadth, diversity, authenticity, consistency, continuity, and growth of both public and private charitable activities and their profound influence on religious life in Saudi Arabia during the reign of King Fahd bin Abdulaziz.

Keywords: King Fahd bin Abdul-Aziz – Charitable Activities – Saudi Arabia's Charitable Efforts – The Holy Qur'an – Religious Institutions.

مقدمة:

شهد عهد الملك فهد بن عبد العزيز ازدهارًا ملحوظًا في العمل الخيري، لا سيما في المجالات ذات الطابع الديني؛ حيث أولى اهتمامًا بالغًا بنشر الإسلام وتعزيز القيم الدينية داخل المملكة وخارجها؛ فقد دعم إنشاء العديد من المؤسسات الخيرية والمراكز الإسلامية، كما اهتم بطباعة المصحف الشريف وتوزيعه، إضافة إلى رعاية تحفيظ القرآن الكريم وبناء المساجد داخل المملكة العربية السعودية، وفي شتى بقاع الأرض؛ ما أسهم في انعكاس هذه الجهود الخيرية إيجابيًّا على الجانب الديني؛ حيث أسهمت في تعزيز الهوية الإسلامية وتثبيت القيم الدينية. كما كان لها دورٌ فعال في نشر الدعوة الإسلامية عالميًّا بوسائل عصرية ومنهجية علمية فلم يكن فقط محليًا؛ بل امتد عالميًا ليعكس مكانة المملكة بوصفها مرجعية دينية للعالم الإسلامي. كما برزت العلاقة الوثيقة بين الدولة والعمل الخيري المؤسسي في ترسيخ المبادئ الإسلامية، وتحقيق التكافل الاجتماعي. كما أسهمت سياسة الملك فهد في دعم العمل الخيري الديني في ترسيخ الاستقرار المجتمعي، وتعزيز مكانة المملكة الدينية عالميًا، كما رسخت ثقافة العطاء والخدمة العامة في المجتمع السعودي.

مما لا شك فيه أنَّ العمل الخيري أسهم في تنمية القيم الإسلامية لدى الجماعة، ووفر شعورًا بالطمأنينة تجاه الآخرين، ويمنح العمل الخيري للإنسان والمجتمع الإحساس بالرضا، كما تقوّي الأعمال الخيرية والإنسانية مبدأ الشفقة والرحمة بين أفراد المجتمع. ويساعد العمل الخيري على تنمية الإحساس بالمسؤولية لدى المشاركين، ويشعرهم بقدرتهم على تقديم الخير والعطاء للجميع، والمساهمة في بناء المساجد والمراكز الإسلامية، وتوفير المبالغ المالية التي تصرف على القوة البشرية وصرفها في مجالات أخرى.

كما أن للعمل الخيري تأثيرًا بارزًا على الجوانب الدينية في المجتمع السعودي، وذلك نظرًا إلى أن الإسلام يعد أساسًا من أسس المملكة، فقد بذل المجتمع -وعلى رأسه ملك المملكة في تلك الفترة الملك فهد بن عبد العزيز- جهودًا بارزة في نشر التعليم الإسلامي في المدارس على أُسسٍ قوية؛ كما يؤكد ذلك في قوله: «نحن في هذه البلاد نفتخر ونعتز أننا متمسكون بعقيدتنا الإسلامية، وسوف ندافع عنها بالنفس والنفيس وسوف نجعلها هي القدوة، سواء كان في شريعتنا وتنظيماتنا في مختلف حاجاتنا للتنظيم، أو في حياتنا اليومية أو الشهرية أو السنوية، فلذلك المملكة العربية السعودية بالذات عليها واجبات، ولها واجبات كبيرة بالنسبة إلى الإسلام والمسلمين في أي مكان، ولها واجبات على المسلمين أن يقدروها حق قدرها لأنَّها لا تقر إلا ما تقره العقيدة الإسلامية»([1]).

من ثمار العمل الخيري في الجوانب الدينية، إعداد الدعاة وتأهيلهم:

إن من آثار العمل الخيري من الجوانب الدينية، إدراك القائمين عليه خصوصية هذه البلاد وخصوصية قائدها عند المسلمين جميعًا، لذلك أتى اهتمام الدولة بإنشاء عديد من الهيئات والمراكز العلمية والأكاديمية لعدد من الجامعات داخل المملكة وخارجها. كما حرص الملك فهد بن عبد العزيز وحكومته على رفع قدر الدعاة وحصيلتهم العلمية والشرعية، التي انعكس أثرها على المجتمع السعودي من أجل نشر تعليم الدين الإسلامي، وتطبيق الشريعة الإسلامية كما جاءت في كتاب الله سبحانه وتعالى وبلغها رسول الله ﷺ([2]).

مـن ثمـار العمـل الخـيري في الجوانـب الدينيـة انتشـار المنشـآت الدعويـة ودعمهـا. ومـن أثـر العمـل الخـيري بالجوانـب الدينيـة تعـدد المنشـآت الدعويـة ومنهـا المسـاجد، وانتشـارها في كل مـكان داخـل المملكـة العربيـة السـعودية، والأكاديميـات السـعودية، والكـراسي العلميـة، وآثارهـا عـلى أفـراد المجتمـع السـعودي وخارجـه، وتعـدد أقسـام الإرشـاد والشـؤون الدينيـة في مختلـف الـوزارات في المملكـة([3]).

أثر العمل الخيري في نشر الدين الإسلامي:

كان للعمـل الخـيري في الداخـل الأثـر الواضـح في نـشر الديـن الإسـلامي، وتطبيـق الشريعـة، فقـد حـرص الملـك فهـد بـن عبـد العزيـز أشـد الحـرص عـلى أن يكـون نفعـه نفعًـا متعـددًا يتعـدى حـدود دولتـه، لأنـه يـدرك خصوصيـة هـذه البـلاد وخصوصيـة قائدهـا عنـد المسـلمين جميعًـا، فقـد دعـم كثـيرًا مـن الـدول العربيـة والإسـلامية بالدعـاة والقضـاة والمعلمـين مـن أجـل المسـاهمة في تطبيـق الشريعـة الإسـلامية، ونـشر الديـن الإسـلامي كـما جـاء مـن اللـه ﷻ، كـما عنـوا بإقامـة المـدارس الخاصـة بأبنـاء المسـلمين في الخـارج للمحافظـة عـلى الشـخصية الإسـلامية للطـلاب السـعوديين، ولتعليمهـم تعاليـم دينهـم، لاسـيما في البـلاد الأجنبيـة مماثـلًا لمـا يتعلمـه طـلاب المملكـة العربيـة السـعودية([4]).

مـن أثـر العمـل الخـيري: نـشر الكتـب الدينيـة وتوزيعهـا عـلى نطـاق واسـع في جميـع أنحـاء العـالم، والتـي أسـهمت بهـا تلـك الأعـمال والمسـاعدات([5]).

أسـهم العمـل الخـيري في نـشر الكتـب الدينيـة في الداخـل والخـارج، وهـي السياسـة التـي اتبعهـا قائـد هـذه البـلاد مـع أبنـاء شـعبه، والـذي بدأهـا المؤسـس وسـار عـلى سياسـته أبنـاؤه، ومنهـم الملـك فهـد بـن عبـد العزيـز، فأمـر بإنشـاء مجمـع الملـك فهـد لطباعـة المصحـف الشريـف، الـذي يعـد مـن أكـبر المشـاريع الإسـلامية في طباعـة المصحـف الشريـف في العـالم، بالإضافـة إلى ترجمتـه إلى مختلـف اللغـات العالميـة؛ حيـث كان يهـدف إلى طباعـة القـرآن الكريـم وتوزيعـه وترجمتـه إلى عـدة لغـات، فقـد أسـهم بذلـك في تلبيـة احتياجـات المسـلمين مـن المصاحـف الموثوقـة والمراجعـة، وكان لـه أثـر عميـق وإيجـابي عـلى المجتمـع السـعودي والوافديـن والمقيمـين بالمملكـة العربيـة السـعودية وخارجهـا مـن عـدة جوانـب، ألا وهـي:

أسـهمت طباعـة المصحـف في تعزيـز الوعـي الدينـي لـدى المجتمـع السـعودي مـن خـلال توفـير مصاحـف صحيحـة، وتيسـير الوصـول إلى القـرآن الكريـم، وفهـم معانيـه للسـعوديين والمقيمـين والوافديـن عـلى حـد سـواء.

دعـم طباعـة المصحـف الشريـف وتعليـم القـرآن الكريـم، وأسـهم في نـشر القـرآن وتعليمـه وتلاوتـه بالشـكل الصحيـح، حيـث طُبعـت ملايـين النسـخ التـي وزعـت عـلى المسـاجد والجامعـات والمـدارس والحجـاج والوافديـن والمقيمـين، مـا أسـهم في تحسـين تعليـم القـرآن الكريـم بـين أفـراد المجتمع السـعودي.

كان لطباعـة المصحـف الشريـف أثـر في إثـراء الثقافـة الإسـلامية، مـن خـلال ترجمـة معـاني القـرآن الكريـم بلغـات متعـددة؛ فأصبـح بإمـكان الوافديـن والمقيمـين غـير الناطقـين باللُّغـة العربيـة، وقـراءة

القرآن الكريم، وفهم معانيه بلغاتهم، ما أثر على فهمهم للدين وعزز لديهم التماسك في المجتمع السعودي.

أسهمت طباعة المصحف الشريف في تعزيز مكانة المملكة العربية السعودية وحكامها بوصفها مرجعًا دينيًا عالميًا في طباعة المصحف الشريف، ووجهة لطلاب العلم الشرعي، وزيارة هذا الصرح الذي يعكس العناية بكتاب الله وطباعته.

كان لطباعة المصحف الشريف دور في تعزيز التواصل الثقافي بين الثقافات المختلفة، وتعزيز التفاعل بين السعوديين والوافدين من مختلف الجنسيات، ما ساعد على تحقيق التقارب الفكري والثقافي بين أفراد المجتمع متعدد الثقافات داخل المملكة العربية السعودية من وافدين ومقيمين.

أسهمت طباعة المصحف الشريف ونشره، في تعزيز العلاقات الإنسانية بالمملكة العربية السعودية والشعوب الأخرى، فلم يقتصر أثره على المجتمع السعودي؛ بل امتد إلى العالم الإسلامي من خلال إهداء المصاحف للوافدين والملايين المسلمين حول العالم مما أدى دورًا رئيسًا في تعزيز التعليم الديني وتقوية الروابط المختلفة داخل المملكة وخارجها، كما أسهم في تعزيز الهُوية الإسلامية وحفظ هذا الكتاب من التحريف والتزييف وتوزيعه بالمجان.

كذلك عملوا على نشر الكتب الدينية والتي ترتكز على الفقه والتفسير، والحديث، والعقيدة، ما أسهم في تعزيز المعرفة الدينية الصحيحة، وفقًا إلى الكتاب والسنة، كما جرى دعم عديد من المؤسسات الدينية والمكتبات الإسلامية التي أسهمت في نشر الكتب الدينية وطباعتها.

ومن الجوانب الدينية وتأثيرها على إصلاح المجتمع السعودي، هذه الآثار التي يحققها الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على أفراد المجتمع السعودي، وهي([6]):

أولًا: أن دعم هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر عزز التمسك بالقيم الإسلامية في المجتمع السعودي، لكون هذه الهيئة كانت تعمل على توجيه المجتمع وفقًا إلى تعليم الإسلام فيما يتعلق بالأخلاق العامة وهداية الإنسان فردًا كان أو جماعة، فيعمق الإيمان في القلوب والعقول، مع تقوية الصلة مع الله، والتي تضفي السكينة والطمأنينة على جوارح الإنسان ومقومات شخصيته في السلوك والعاطفة والفكر، فيتحرر من الضلال والحيرة ومن مظاهر التخبط والضياع، كما يخلص من الخرافات والأوهام متجهًا إلى الله سبحانه وتعالى، ويسير مستمدًا العون منه، فيشعر بالأمان واستقامة النفس وصفائها، وهذه الهداية تجعله يحكم مفاهيم الإسلام وقيمه في عقله وقلبه وإرادته.

ثانيًا: يحفظ الأمر بالمعروف والنهي المنكر كرامة الإنسان وحريته، وتحقيق السلام والطمأنينة داخل المجتمع السعودي، ويعزز التعاون بين أفراده بهذا الجانب ليعد من أسباب فلاح هذا المجتمع وتكاتف أهله.

ثالثًا: يُربي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر المجتمع على التمسك بالفضائل ونبذ الرذائل، فيضيق باب الفواحش، ونبذ الرذيلة، ولا يسمح بظهور المعاصي والمنكرات، ويحقر أصحاب الفجور وتضعف شوكتهم، لوجود مجتمع يرفض جميع مظاهر الفساد، الذي يكف أهل المعاصي

عن معصيتهم، فيأمن الناس على أعراضهم ويعم الخير والصلاح في المجتمع، ويتعامل الناس بأخلاق الإسلام في جميع مرافق الحياة. كما ساعد الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في إشاعة الأخلاق الحسنة في العلاقات الاجتماعية لتقوم على قواعد وأسس شرعية، حيث التراحم والصدق والوفاء والتناصح وأداء الأمانة والإحسان والرفق ونشر المعروف بين المسلمين، وتثبيت معاني الخير في حياة الأمة، وتقوية جانب الخير والفضيلة، وتهيئة الجو الصالح الذي تنمو فيه الفضائل والأدب، وتختفي فيه المنكرات والرذائل.

رابعًا: أسهمت هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في تنظيم الأنشطة الاجتماعية العامة في المجتمع بما يتماشى مع القيم الإسلامية، مثل ضبط الأنشطة التجارية في أثناء الصلاة، والرقابة على الأماكن العامة والأسواق، بما أسهم في الحفاظ على الطابع الديني المميز للمجتمع السعودي.

خامسًا: دور هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في تحقيق التوازن بين الانفتاح الذي شهدته المملكة العربية السعودية في عهد الملك فهد من حيث البنية التحتية والتنمية الاقتصادية، على أن يتم ذلك في إطار القيم الإسلامية واحترامها، والحفاظ على هُوية المجتمع السعودي الإسلامية في ظل التغيرات التي شهدتها المملكة.

سادسًا: من الآثار المترتبة على القيام بالأمر المعروف والنهي المنكر انتشار العدل وإقامة الحق وظهوره بين الناس، واضمحلال الجور والظلم بين العباد، لوجود ما يردع أهل الظلم ويقف مع المظلومين، وأمرنا النبي ﷺ بالتناصح بين المسلمين، بل وجعله من أهم ركائز الدين لما له من أثر عظيم في رفع الظلم ونشر الخير وإقامة العدل، واضمحلال الشر؛ فعن تميم الداري عن النبي ﷺ قال: (الدين النصيحة قلنا لمن؟ قال: لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم)([7]).

سابعًا: يقضي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على الرذيلة أولًا بأول، لوجود ما يردع أهل المنكرات عن التطاول والتمادي في فجورهم، وبذلك تسلم الأمة من شرورهم، وتزيل عوامل الشر والفساد، وترسخ معاني الخير والصلاح في الأمة، فبظهور الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر تحاصر الرذيلة وينقطع السبيل إلى المعصية، ويقع الرعب والخوف في قلوب أرباب الفساد والمعاصي.

ثامنًا: يبث الإحساس بالأخوة والتكامل بين المؤمنين: إن القيام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يشعر أبناء المجتمع الواحد بمعنى الأخوة، لأنَّه نوع من التناصح الذي يبعث الإحساس بالتكافل فيما بينهم، والتعاون على البر والتقوى، واهتمام المسلمين ببعضهم، كما أنه يوحد الطمأنينة ويبث الأمن في نفوس المسلمين، ويؤكد الثقة والمحبة والاعتزاز بالجماعة في قلوب المؤمنين.

تاسعًا: إن من آثار الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر تشد ظهر المؤمن، وتقوي عزمهم ويضعف معنويات عدوهم قال الشيخ الدكتور خالد السبت: «المؤمن يقوى ويعتز حينما ينتشر

الخير والصلاح، ويوحد الله ولا يشرك به، وتضمحل المنكرات على أثر ذلك؛ بينما نفس المنافق بذلك سيكون سببًا لعمله وضيق صدره وحسرته، فإنَّه لا يحب ظهور هذا الأمر ولا ذيوعه بين الخلق، وكيف لو طلب هو في التطبيق والعمل ومجانبة المنكر، وإلزام بما ظهر من الانتساب لهذا الدين؟ ولا شك أنه يتألم لذلك أشد الألم وتحزن بسببه أشد الحزن»([8]).

يقول الملك فهد مؤكدًا منهجيته في التمسك بالعقيدة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: «إنني أشعر صادقًا أن المحنة التي يمر بها عالمنا الإسلامي اليوم وما نحن فيه من بلاء يستوجب عودة صادقة إلى المنهج القويم، وأن نعود كما أراد الله أن نكون خير أمة أخرجت للناس، نتعاون على الخير ونأمر بالمعروف وننهى عن المنكر، ونصبح مرة أخرى في الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى... كما أن هذه الفترة تستوجب التوجه لله بقلوب مخلصة عسى أن يرحمنا ويكشف هذه الغمة([9]).

أثر العمل الخيري في التمسك بالعقيدة وتطبيق الشريعة الإسلامية:

إن أعمال الخير بجميع صورها وأشكالها إنما هي للتمسك بالعقيدة وتطبيق الشريعة الإسلامية، فمشاركة المسلمين في مصائبهم وكوارثهم من منطلق عقدي، والحث على الإيمان بالله والإيمان بالقضاء والقدر، والتخفيف عن المسلم المصاب من منبع عقدي تقتضيه الأخوة الإسلامية. وقد أثمرت هذه الأعمال الخيرية بإصلاح العقيدة والفكر لدى أفراد المجتمع، كذلك تحذير الأمم من المذاهب الهدامة والعقائد الفاسدة مؤكدًا خطرها على العمل والفكر وأثرها السيئ في تشتيت الأمة وتمزقها، وإضعاف قوتها، وعدم قدرتها على مواجهة الأعداء وتحقيق النصر في هذه المواجهة، وما لتطبيق الشريعة والتمسك بالعقيدة من الأثر الواضح في توحيد صفوف المجتمع والتعاون على البر والتقوى لا على الإثم والعدوان؛ فكان ذلك الطريق الذي سلكه الملك فهد بن عبد العزيز للدعوة إلى عقيدة خالصة من الشوائب؛ حيث يقول: «ومما أكرمنا الله به، هذه العقيدة السمحة وهذا النبي الكريم وهو خاتم الأنبياء والمرسلين، وجعلنا خير أمة أخرجت للناس، إن العقيد الإسلامية بناءة تتطور مع الزمن، على أساس كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، لم تنهَ عنه شيء إلا وكان الخير في تجنبه، ولم تأمر بشيء إلا كان الخير في اتباعه، لهذا العقيدة الإسلامية مهما أراد أن يلتصق بها من يلصق من اتهامات هي بريئة من ذلك، وإذا كان نقص أو قصور فهو منا نحن المسلمين ليس من عقيدتنا الإسلامية([10]).

كما حرص على ترسيخ الفهم الصحيح للدين كما أنزله الله سبحانه وتعالى في نفوس المجتمع، وإن اختلفت الشعارات والأسماء وتعددت المزاعم؛ فدعاة الشر في كل زمان، وإن تنوعت وسائلهم وأساليبهم بحسب طبيعة كل عصر وشخص، إنما يزينون الباطل بالمزاعم الكاذبة. ولقد حاول الملك فهد بن عبد العزيز في مجال الخير والدعوة إلى العقيدة وبيان المفهوم الصحيح في كثير من أمور العقيدة التي يغفل ويتساهل فيها كثير من الناس، وهي تخرب دينهم وعقيدتهم حتى يضل بهم السبيل، وتزج بهم في غياهب الكفر والشرك، واعتبرها أساسًا لدوام النعم وإبراز أسبابها حيث قال:

«لقد مَنَّ الله على هذا البلد الآمن وأهلها بنعم كثيرة لا يحصيها عددًا، ولا شك أن أبرز أسباب هذه النعم ودوامها علينا، كما قلت وأكرر دائمًا، تمسكنا بعقيدتنا الإسلامية نصًّا وروحًا في كل الأمور، وأهمها أمور ديننا ودنيانا، وامتثالنا لتعاليم ديننا الحنيف في كل ما أمر الله به ونهى عنه، كما جاء في كتابه العزيز وسنة نبيه الكريم ﷺ»[11]. ومن آثار العمل الخيري الذي حققه التمسك بالعقيدة وتطبيق الشريعة الإسلامية، وكل ما فيه خير للبشرية ومحاربة الظلم وتحقيق العدالة والمساواة والتطور والرقي للوطن، يقول الملك فهد بن عبد العزيز: «إن عقيدة الإسلام هي أساس العدل، والعدل أساس الملك والحكم بما أنزل الله مسؤولية وتكليف نتصدى لها وقلوبنا لربها واجفة، خشية التقصير، وعقاب العلي الكبير[12]». وقد أدرك الملك فهد بن عبد العزيز أنه بالعقيدة الصحيحة والدعوة إلى الله قد تحقق للمجتمع نهضة إسلامية، وكانت معالم البعد الإسلامي في عمل الملك فهد الدعوي الإصلاحي، الذي نجح بإبداع في تنزيله على الواقع السياسي والثقافي والاقتصادي والعسكري للمجتمع السعودي. ومنها قوله: «ونحن في هذه البلاد نفتخر ونعتز أننا متمسكون بعقيدتنا الإسلامية، وسوف ندافع عنها بالنفس والنفيس، وسوف نجعلها هي القدوة سواء في شريعتنا وأنظمتنا في مختلف حاجاتنا للتنظيم، أو في حياتنا اليومية والإسلامية أو الشهرية... إننا نؤمن جميعًا أن الإسلام دين يخاطب العقل ويناهض التخلف في شتى صوره وأشكاله، ويشجع حرية الفكر، ويستوعب منجزات العصر، ويحض على متابعتها، كما أن الإسلام وهو يضع قواعد السلوك الإنساني، فإنه ينظم العلاقات الاجتماعية والدولية على أساس من الرحمة[13]».

تنوعت وسائل الملك فهد بن عبد العزيز التي سلكها في سبيل الدعوة إلى الله وترسيخ العقيدة وتطبيق الشريعة الإسلامية داخل البلاد وخارجها، تاركًا خلفه مجتمعًا متكاتفًا مسلمًا حذا حذوه فكانت هذه الوسائل محاطة بالعمل المؤسسي المقنن، وجعل بلاده معها محصنًا لها، حتى لا تتعرض للتهديدات بالضعف أو الإيقاف في التمويل، كما أنَّه باشر تنفيذ الوسيلة بنفسه دون إنابة من الآخرين. وبلغت دعوته إلى الله مداها مقتربًا من المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها، والإشراف على المؤسسات المتخصصة في شؤون الدعوة إلى الله والدفاع عن الدين الإسلامي مثل رابطة العالم الإسلامي، وإرسال الدعاة الموفدين إلى أوطانهم للدعوة إلى الله، وأسهم بسخاء لدفع الأموال على أوجه الخير، وتحمل تبعات الحروب العربية وعد ذلك واجبًا إنسانيًا والتزامًا. وأما الخطابة فقد أعطى منها الكم الوافر، وكان متحدثًا قريبًا من المواطنين من أبناء شعبه والمقيمين والوافدين في المناسبات الرسمية، وأيًّا كان مستوى هذه المناسبات وظروفها جعلها منبرًا إسلاميًّا دعويًّا للخير والإحسان[14].

أدرك الملك فهد بن عبد العزيز أن العقيدة أساس التطور والتقدم في جميع الميادين الاقتصادية والاجتماعية والعلمية، وأكد أن ذلك يعود إلى التمسك بالعقيدة، ومنها قوله «أوكد بأن هذه البلد تعتمد بعد الله على عقيدته الإسلامية. ومن اعتمد على العقيدة الإسلامية الصحيحة لا يمكن بأي حال من الأحوال إلا أن يكون نصيبه كبيرًا جدًّا من الرقي والاندفاع، لما فيه خير

مواطنيه في جميع المجالات، فلو نظرنا إلى أمور بسيطة كان إنتاجنا الزراعي نحو خمسة آلاف طن وفي هذه السنة بلغ أكثر من سبعمئة ألف طن من بضعة آلاف إلى سبعمئة ألف. كانت توصف بأنها بلاد صحراوية وبلاد قاحلة لا يمكن أن تقام فيها الزراعة، وبقدرة الله عمل المواطن ما يستطيع من مجهودات. وأسهمت الدولة مساهمتها القوية الفاعلة التي جعلت المواطن يستطيع أن يعتمد بعد الله على نفسه، وشق المواطنون طريقهم إلى الأمام في الحاضرة والبادية، ونحن نرى خلال سنوات أننا وصلنا إلى هذا المستوى([15]).

كانت قيادة الملك فهد بن عبد العزيز ورؤيته الواضحة ترتكز على العقيدة الإسلامية في كثير من مشاريعه، ومن ضمنها تطوير القوات العسكرية في المملكة العربية السعودية. كانت من أولوياته تعزيز قدرات الدفاع عن الوطن والأمة الإسلامية، وقد أكد في عدة مناسبات أن العقيدة الإسلامية هي أساس التحرك في كل جوانب الحياة، بما في ذلك المجال العسكري، وهذه الرؤية كانت جزءًا من التزام المملكة بالحفاظ على أمنها واستقرارها والدفاع عن المقدسات الإسلامية بمكة والمدينة، وحماية العقيدة من أي تهديدات؛ حيث قال في كلمة ألقاها بعد افتتاحية مدينة الملك خالد العسكرية بحفر الباطن (16/7/1405هـ-6/4/1985م): «إن الكلمة التي أوجهها لأبنائي العسكريين هي أولًا: وقبل كل شيء التمسك بالعقيدة الإسلامية نصًّا وروحًا، وثانيًا: وطنهم في أعناقهم، إن شاء الله هم فاعلون... حتى يصبح بلدنا بلدًا يستطيع أن يدافع قبل كل شيء عن عقيدته الإسلامية، ثم عن كل خير في هذه البلاد، وأعطى من هذا كله أن هذا البلد له صلة أخرى وهي منطلق الرسالة، رسالة محمد ﷺ، وأنزل القرآن على محمد ﷺ في مكة والمدينة، وهذا هو الخير والبذل، وأمانة في أعناق المواطنين في هذه البلاد، وفي عنق كل مسلم في أنحاء العالم... وأن هذه القوات العسكرية في كل أنواعها أساس القاعدة التي ذكرت في مناسبة أنها سوف تكون حامية العقيدة الإسلامية ثم الوطن والعسكريين أو المدنيين، مطلوب منهم حماية عقيدتهم ثم حماية وطنهم([16]).

كانت جهود الملك فهد بن عبد العزيز بالجامعات الإسلامية بالمملكة واضحة وبناءة وهادفة ومنطلقة من وازع ديني وطني، يهدف إلى الرفعة والتقدم بالأمة ونشر الدين الإسلامي وتحقيق الرفعة والعزة للإسلام. وقد أكدت المصادر التاريخية بعديد من النماذج التي تؤيد ذلك، منها ما ذكره الأمين العام للمجلس الإسلامي بالكاميرون بقوله: «يبذل خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز جهودًا مباركة في دعم الأقليات الإسلامية في العالم من الدعم السعودي للعمل الإسلامي في كل مكان يعد ركيزة مهمة؛ حيث دعمت حكومة خادم الحرمين الشريفين الأقليات المسلمة في قارات العالم، من خلال إنشاء المراكز الإسلامية واستقبال الطلاب من كل أنحاء العالم الإسلامي لدراسة الإسلام واللُّغة العربية بالجامعة الإسلامية بالمملكة([17]).

كذلك الرسالة التي وجهها إبراهيم إبراهيم رئيس لجنة العلاقات والشؤون الخارجية ببرلمان جنوب إفريقيا عبر جريدة الجزيرة حيث ذكر: «تأكيدًا لدور خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز الرائد والبارز في تخصيص عديد من أشكال الدعم المادي والمعنوي وتوجيهها

لنشر الدعوة الإسلامية، والدفاع عنها في جنوب إفريقيا وفي جميع أنحاء العالم، أن المملكة أشرفت وأنفقت على إنشاء أكثر من 50 مدرسة ومعهدًا وجامعة إسلامية في أنحاء جنوب إفريقيا، كما استقبلت كل عام أكثر من 200 طالب من بلادنا في الوقت نفسه، لم تتأخر المملكة يومًا عن تقديم الاحتياجات الأساسية لشؤون الدعوة والفكر الإسلامي([18]).

فترى الباحثة أن هذه الأعمال الخيرية تركت أثرها الواضح على المجتمع السعودي الذي هو مثال للمجتمع الإسلامي المتمسك بالشريعة، والمتقدم في الحضارة بما يتناسب مع عاداته ودينه.

أثر العمل الخيري في الجوانب الدينية والمساهمة في حفظ كتاب الله:

لقد كانت أعمال الخير في المجال الديني متعددة، وتعددت مدارس تحفيظ القرآن الكريم التي كان لها دور بارز بتدريس كتاب الله وتوجيه الناشئة والشباب إلى العناية به وتكوين جماعة تُعنى بتدريس كتاب الله الذي كان له الأثر الواضح في بناء الشخصية الإسلامية المتمسكة بالكتاب والسنة، وتكوين جيل متمكن من معرفة أحكام دينه. فكان لهذه الأعمال الخيرية التي قامت بها الجماعات وأشرفت عليه الحكومة، أثر واضح على النواحي الدينية في المجتمع السعودي، ومنها([19]):

تحقيق الخيرية في المجتمع السعودي في قوله ﷺ: ﴿خيركم مَنْ تعلَّم القرآن وعلمه﴾([20]).

ربط أبناء المجتمع السعودي بكتاب الله ﷻ قولًا وعملًا، إذ هو مصدر عزهم الحقيقي وتمكينهم في الدنيا والآخرة.

تكوين جيل ناشئ متمرس على العناية بكتاب الله متمكن من تلاوة القرآن وتجويده، متدرب على أيدي مدرسين أكفاء.

إحياء دور المسجد في الإسلام، وإبراز مكانته العلمية كأول وأنسب مكان ينطق منه التوجيه والتعليم وحث الطلاب على ارتياده والارتباط به.

إتاحة الفرصة للمحسنين من أهل الثراء وأهل الخير والإنفاق والبذل في ميدان من ميادين الخير التي تبذل فيها الأموال وهو كتاب الله تعالى تعليمًا وتعلمًا.

تشجيع الشباب على حفظ القرآن الكريم من خلال تنظيم المسابقات القرآنية الدولية والمحلية وتعزيز دورها.

أسهم تحفيظ القرآن الكريم في تعزيز الهوية الإسلامية للمملكة العربية السعودية وترسيخ قيم الدين الإسلامي في نفوس الأجيال.

الرعاية والاهتمام الكبير الذي حظي به القرآن الكريم أسهم إسهامًا واسعًا في تخريج جيل من الحفاظ والمتخصصين في علوم القرآن الكريم، وأثرى الحياة الثقافية والدينية في المملكة العربية السعودية وفي العالم.

أسهم نشر التعليم القرآني بصورة منهجية وواضحة نتيجة لدعم الملك فهد بن عبد العزيز للمؤسسات التعليمية من خلال المدارس والمساجد والجمعيات وغيرها.

أثر العمل الخيري في الجوانب الدينية في بناء شخصية الشباب واستثمار طاقاتهم:

مما لا شك فيه أن للأعمال والمساعدات الخيرية أثرًا كبيرًا في بناء شخصية المسلم بناءً

متوازنًا، لتجعل منه فردًا قادرًا على الاندماج في المجتمع، والمساهمة في حل المشكلات والمحافظة على سلامة السفينة الاجتماعية، وتوظيف جميع إمكاناته العقلية والجسمية في تطوره، والارتقاء به، مع العمل على تحقيق مطالبه النفسية والاجتماعية والتربوية، وتأصيل القيم والمثل العليا في سلوكه. تأتي من هنا أهمية العمل الخيري كأحد القنوات التربوية التي يمكن أن تحقق للشباب بعض حاجاتهم من خلال برامجها وأنشطتها المختلفة.

الخاتمة:

يتجلى أثر العمل الخيري في الجوانب الدينية على المجتمع السعودي في عهد الملك فهد بن عبد العزيز في تعميق القيم الإسلامية، وتعزيز التكافل الاجتماعي؛ فقد شهدت تلك المرحلة ازدهارًا ملحوظًا في المشروعات الدينية والخيرية مثل بناء المساجد داخل المملكة وخارجها ودعم الجمعيات الخيرية، ورعاية حلقات تحفيظ القرآن الكريم ونشره؛ فقد أسهم هذا النهج في ترسيخ الهوية الإسلامية للمجتمع السعودي، وتقوية الروابط الاجتماعية بين أبنائه بما يتماشى معه مبادئ الدين الإسلامي الحنيف التي اتخذت منه المملكة دستورًا لها؛ ما جعلها نموذجًا يحتذى به في العطاء والعمل الخيري على المستوى المحلي والإقليمي والدولي.

النتائج:

- أسهم العمل الخيري في عهد الملك فهد بتعزيز الهوية الدينية تعزيزًا كبيرًا، وفي ترسيخ القيم الإسلامية للمجتمع السعودي من خلال دعم المساجد والمراكز الدعوية ودور تحفيظ القرآن.
- انتشار التعليم الديني من خلال إنشاء العديد من المؤسسات التعليمية الدينية وتوفير منح دراسية داخلية وخارجية لتعليم العلوم الشرعية؛ ما أسهم في إعداد أجيال من الدعاة والمعلمين الشرعيين.
- كان للملك فهد دور محوري في تنظيم العمل الخيري من خلال إنشاء مؤسسات رسمية تشرف عليه مثل وزارة الشؤون الإسلامية ما أضفى عليه طابعًا مؤسسيًا منظمًا.
- أسهمت المساعدات الخيرية ككفالة الأيتام ورعاية المحتاجين في تعزيز الروابط الاجتماعية وتخفيف الفقر، وتحقيق نوع من العدالة الاجتماعية.

التوصيات:

- الحث على الاستمرار في دعم العمل الخيري المؤسسي وتنميته وتعزيز النظم الإدارية والرقابية بضمان استمرارية العمل الخيري وفاعليته بدعم الجوانب الدينية.
- تشجيع الشباب على المشاركة في العمل الخيري من خلال البرامج التوعوية والتطوعية التي تبين أثر العمل الخيري في الدين والمجتمع.
- توحيد الجهود وتحقيق أكبر أثر اجتماعي وديني من خلال تعزيز الشراكة بين المؤسسات الخيرية والحكومية.
- تطوير آليات قياس أثر العمل الخيري لضمان رفع الكفاءات وتحقيق الاستدامة في المشروعات الدينية، وضمان تحقيق الأهداف المرجوة.

الهوامش:

(1) كلمة ألقاها خادم الحرمين الشريفين أثناء زيارته لجامعة الملك سعود (الرياض 20/8/1403ه-1/6/1983م)، المملكة العربية السعودية في عهد خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز آل سعود، ص 125.

(2) عريف، محمد خضر، جهود خادم الحرمين الشريفين في الإغاثة الإسلامية العالمية، جدة : مركز النشر العلمي، جامعة الملك عبد العزيز، 2002. ص269.

(3) السنيدي، فهد، مجالات الدعوة، ونشر العلم الشرعي في عهد خادم الحرمين الشريفين من بحوث الندوة العالمية عن جهود خادم الحرمين الشريفين في خدمة الإسلام والمسلمين، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، 1422هـ ، ص 18، عبد المحسن، عبد الراضي محمد: جهود خادم الحرمين الشريفين في خدمة الإسلام بين الأصالة والمعاصرة، سلسلة وزارة التعليم العالي والجامعات السعودية، الرياض: دار جامعة الملك سعود، 1422-1402 ه/ 2001-1982 م، ص 742.

(4) وزارة المعارف، موسوعة تاريخ التعليم في المملكة العربية السعودية في مائة عام ، 2/1606/168.

(5) السنيدي، فهد، مجالات الدعوة والعلم الشرعي في عهد خادم الحرمين الشريفين، مرجع سابق، ص19، صحيفة «الأهرام»، القاهرة، بتاريخ 1/11/1994م، عصمت أحمد، مليون و500 ألف نسخة مصحف الملك فهد للمدارس والمراكز، عبد المحسن، عبد الرضي محمد، جهود خادم الحرمين الشريفين في خدمة الإسلام بين الأصالة والمعاصرة، ص 49.

(6) الرئاسة العامة لهيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر - كتاب أصدرته بمناسبة الاحتفال بالمئوية، 1419هـ / 1998م، ص25.

(7) شرح الأربعين النووية، محمد بن صالح بن محمد العثيمين (ت ١٤٢١هـ)، دار الثريا للنشر، ص54

(8) السبت، خالد عثمان، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر (أصوله وضوابطه وآدابه)، دار البيان للنشر والتوزيع، 1995م، الرياض، ص84.

(9) مزيودي، محمد وجيه، الملك فهد في قلب العالم، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، ط1، 1441هـ/2000م، الناشر مجلة الاتفاق، بيروت، لبنان، ، ص198.

(10) خادم الحرمين الشريفين فهد بن عبد العزيز آل سعود: خطب وكلمات، دارة الملك عبد العزيز، دارة الملك عبدالعزيز بمناسبة مرور عشرون عاماً على تولي خادم الحرمين الشريفين الملك مقاليد الحكم، الرياض، 1423ه/ 2003م، الرياض، ص 19.

(11) المرجع السابق، ص 248.

(12) السماري، فهد بن عبدالله، والجهيني، ناصر بن محمد؛ المملكة العربية السعودية في عهد خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز آل سعود، الرياض، دارة الملك عبد العزيز، ط1، 1422هـ /2002م ، ص 125.

(13) المرجع السابق، ص 125.

(14) وزارة الإعلام، وثائق للتاريخ، مختارات من كلمات ولقاءات جلالة الملك فهد بن عبد العزيز، ط1، عام 1405هـ المركز الإعلامي بالرياض، ص 102.

(15) وزارة الإعلام، وثائق للتاريخ، مختارات من كلمات ولقاءات جلالة الملك فهد بن عبد العزيز، المرجع السابق، ص 102.

(16) خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز آل سعود: (خطب وكلمات)، مرجع سابق، ص49-48.

(17) جريدة النور المصرية، الثلاثاء 23 شعبان 1418ه23- كانون الأول ديسمبر 1997م.

(18) رسالة وجهها إبراهيم إبراهيم رئيس لجنة العلاقات والشؤون الخارجية ببرلمان جنوب إفريقيا إلى خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز عبر جريدة (الجزيرة)، ونشرت في العدد (9233) الصادر يوم الخميس، العاشر من شهر رمضان 1418ه- 8 كانون الثاني (يناير) 1998م.

(19) القاضي، إبراهيم سلمان، ملامح العمل الاجتماعي، مكتبة الرشد، الرياض، 1426هـ / 2005م، ص 75.

(20) رواه البخاري في صحيحه، باب تعليم القرآن، ج1، رقم الحديث، 5027، ص54.

المصادر والمراجع:

(1) جريدة النور المصرية، الثلاثاء 23 شعبان 1418ه23- كانون الأول ديسمبر 1997م.

(2) خادم الحرمين الشريفين فهد بن عبد العزيز آل سعود: خطب وكلمات، دارة الملك عبد العزيز، 1423هـ الرياض.

(3) رسالة وجهها إبراهيم رئيس لجنة العلاقات والشؤون الخارجية ببرلمان جنوب إفريقيا إلى خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز عبر جريدة (الجزيرة)، ونشرت في العدد (9233) الصادر يوم الخميس، العاشر من شهر رمضان 1418ه- 8 كانون الثاني (يناير) 1998م.

(4) رواه البخاري في صحيحه، باب تعليم القرآن، رقم الحديث 5027.

(5) الرئاسة العامة لهيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، كتاب أصدرته بمناسبة المئوية.

(6) السبت، خالد عثمان، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر (أصوله وضوابطه وآدابه)، دار البيان للنشر والتوزيع، 1995م، الرياض

(7) السنيدي، فهد، مجالات الدعوة، ونشر العلم الشرعي في عهد خادم الحرمين الشريفين من بحوث الندوة العالمية عن جهود خادم الحرمين الشريفين في خدمة الإسلام والمسلمين، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، 1422هـ

(8) شرح الأربعين النووية، محمد بن صالح بن محمد العثيمين، دار الثريا للنشر، الرياض، 1421هـ / 2000م

(9) صحيفة «الأهرام» 1/11/1994م، عصمت أحمد، مليون و500 ألف نسخة مصحف الملك فهد للمدارس والمراكز.

(10) عبد المحسن، عبد الراضي محمد: جهود خادم الحرمين الشريفين في خدمة الإسلام بين الأصالة والمعاصرة، سلسلة وزارة التعليم العالي والجامعات السعودية، الرياض: دار جامعة الملك سعود، 1422-1402 ه/ 2001-1982 م،

(11) عريف، محمد خضر، جهود خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز في الإغاثة الإسلامية العالمية، جدة، جامعة الملك عبد العزيز، 1443هـ /2002م.

(12) القاضي، إبراهيم سلمان، ملامح العمل الاجتماعي، مكتبة الرشد، الرياض، 1426هـ / 2005م

(13) مذبودي، محمد وجيه، الملك فهد في قلب العالم، ط1، 1421هـ/2000م، الرياض، مكتبة الملك فهد الوطنية، د. ت، مجلة الاتفاق، بيروت.

(14) كلمة ألقاها خادم الحرمين الشريفين في أثناء زيارته لجامعة الملك سعود (الرياض 20/8/1403ه-1/6/1983م)، المملكة العربية السعودية في عهد خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز آل سعود.

(15) وزارة الإعلام، وثائق للتاريخ، مختارات من كلمات ولقاءات جلالة الملك فهد بن عبد العزيز، ط1، عام 1405هـ المركز الإعلامي بالرياض.

(16) وزارة المعارف، موسوعة تاريخ التعليم في المملكة العربية السعودية في مائة عام ، 2/1606/168.

كسوة الكعبة المشرفة في عهد الملك سلمان بن عبد العزيز آل سعود

أ.أمجاد محمد صادق المجنوني

طالبة ماجستير – كلية العلوم الاجتماعية – جامعة أم القرى
المملكة العربية السعودية

المستخلص:

تناولت هذه الدراسة موضوع كسوة الكعبة المشرفة في عهد الملك سلمان بن عبد العزيز آل سعود، مستعرضةً تطور صناعة الكسوة والعناية الخاصة بها في العهد السعودي. فبدأ البحث حول تاريخ كسوة الكعبة في العهد السعودي، ثم تناول مجمع الملك عبد العزيز لكسوة الكعبة المشرفة، مبينًا أقسامه ووظائفه وأبرز القيادات التي أدارت أعماله. كما ركز على طُرز كسوة الكعبة المشرفة في عهد الملك سلمان بن عبدالعزيز آل سعود، مع دراسة الخطة التشغيلية لقسم المذهبات ودوره في تعزيز جودة العمل.وقد اختُتمت الدراسة بخاتمة تلخص النتائج والتوصيات، وأُلحقت بملاحق داعمة.

الكلمات المفتاحية: كسوة الكعبة ، الملك سلمان بن عبد العزيز، محمد باجودة ، قسم الغسيل والصباغة، قسم المذهبيات .

The Kiswa of the Kaaba During the Reign of King Salman bin Abdulaziz Al Saud

A. Amjad Mohammed Almajnoni

Abstract:

This study addresses the topic of the Kiswa of the Kaaba during the reign of King Salman bin Abdulaziz Al Saud, highlighting the development of the Kiswa's production and the special care it received during the Saudi era.The research begins by exploring the history of the Kiswa during the Saudi period, then discusses the King Abdulaziz Complex for the Kiswa of the Kaaba, outlining its departments, their functions, and the prominent leadership figures who oversaw its operations.The study also focuses on the styles and designs of the Kiswa during the reign of King Salman bin Abdulaziz Al Saud, along with an examination of the operational plan of the Gilded Embellishments Department and its role in enhancing the quality of work. The study concludes with a summary of the findings and recommendations and is supplemented by supporting appendices

Keywrds: Kiswa of the Kaaba,King Salman bin Abdulaziz,Mohammed Bajoda,Washing and Dyeing Department, Gilded Embellishments Departme

أهداف الدراسة:

تهدف الدراسة إلى توثيق التطور الإداري والفني الذي شهدته صناعة الكسوة في ظل رعاية القيادة الرشيدة.

توضيح وتوثيق التغيرات التي أُدخلت على ثوب الكعبة المشرفة، بما يعكس دقة التصميم وجماليات الثوب وتكامله الفني.

استعراض استبدال قناديل الحجر الأسود، وتوضيح الدلالة التعبدية والتوحيدية لهذا التغيير، باعتبارها أكثر مناسبة لمقام الكعبة المشرفة.

توضيح مدى اهتمام المملكة العربية السعودية بتطوير أجهزة وآلات حياكة ثوب الكعبة المشرفة.

أهمية الدراسة:

تُعد كسوة الكعبة المشرفة عنصرًا من عناصر الهوية الثقافية الإسلامية، وقد حافظت على طابعها الفني والزخرفي المميز على مدى العصور. لذا فإن دراسة هذا الموضوع تسهم في الحفاظ على هذا الموروث الثقافي والتعريف به للأجيال القادمة.

تنبع أهمية دراسة كسوة الكعبة المشرفة في عهد الملك سلمان بن عبد العزيز آل سعود من كونها توثق مرحلة مهمة شهدت خلالها صناعة الكسوة نقلة نوعية في أساليب الإنتاج، وجودة المواد، وتنظيم العمل المؤسسي داخل مجمع الملك عبد العزيز لكسوة الكعبة المشرفة.

تسلط هذه الدراسة الضوء على حجم الرعاية والاهتمام الكبير الذي أولته القيادة السعودية في توفير الآلات والأجهزة التي تساهم في رفع جودة الإنتاج، مما يعكس العناية بالحرمين الشريفين وخدمتهما بأعلى المستويات.

تعد هذه الدراسة مرجعًا علميًا مهمًا للباحثين والمهتمين بتاريخ الحرمين الشريفين، وتفتح المجال لمزيد من الدراسات حول تطور صناعة الكسوة ومستقبلها في ظل دعم القيادة السعودية.

منهج الكتابة المتبع في هذه الدراسة:

أما المنهج الذي اتبعته الباحثة في هذه الدراسة فهو منهج البحث التاريخي؛ لكونه الأنسب لتناول الأحداث التاريخية والحضارية لكسوة الكعبة المشرفة في عهد الملك سلمان بن عبدالعزيز آل سعود خلال فترة الدراسة، وعرضها بشكل متسلسل ومتتابع. وبالاستناد إلى: الاستقراء: قامت الباحثة من خلاله بجمع المادة العلمية من مصادرها، ثم فحص كل ما كتب عن فترة الدراسة.التمهيد: كسوة الكعبة المشرفة في العهد السعودي:

حظي المسجد الحرام في العهد السعودي بإهتمام بالغ ورعاية عظيمة، ومن أوجه هذا الاهتمام هي كسوة الكعبة المشرفة. وكانت كسوة الكعبة المشرفة قبل دخول جلالة الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن أل سعود([1]) مكة المكرمة وضمها تحت حكمه في ليلة الجمعة 8 جمادى الأولى سنة 1343ه/ 1924م ([2]) ترد من مصر([3]).

فلما انضمت مكة المكرمة تحت حكم جلالة الملك عبدالعزيز آل سعود تعكر صفو جلالة الملك فؤاد([4]) فمنع من إرسال الكسوة إلا أن التوفيق كان محالفاً وملازماً لجلالة الملك عبدالعزيز

آل سعود فكانت هناك كسوة قيلانية عراقية محفوظة في مستودعات الحرم[5] وعلى الفور أخرجت وكسيت الكعبة بها في اليوم العاشر من شهر ذي الحجة سنة 1343ه/ 1924م[6] فكانت أول كسوة في العهد السعودي[7]. وفي عام 1344ه/1925م أرسلت مصر كسوة الكعبة المشرفة كالمعتاد لكن مع وصولها حدثت حادثة المحمل[8] في ليلة التاسع من شهر ذي الحجة، وكسيت الكعبة المشرفة بالكسوة المصرية دون أن تقدم أعتذار عن ما حصل[9]. وفي عام 1345ه/1926م وفي غرة شهر ذي الحجة تفاجأ الملك عبدالعزيز آل سعود بعدم وصول الكسوة؛ لأن مصر منعتها ولم تخبرهم ولأن التوفيق كان ملازماً للملك عبدالعزيز آل سعود أصدر أمره على الفور بصنع كسوة وبالفعل تم عملها في خمسة أيام وكانت من الجوخ الأسود مبطنة بالقلع وستارة الباب من أسلاك الذهب والفضة[10]. وبعد هذه الأحداث المتتالية رأى جلالة الملك عبدالعزيز آل سعود يرحمه الله أن يبعد كسوة الكعبة المشرفة عن تقلب مزاج الحكام، فأصدره أمر تاريخي من نوعه وهو إنشاء دار لصناعة كسوة الكعبة المشرفة في أجياد[11] بمكة المكرمة[12]لأول مرة[13]. وكانت كسوة الكعبة المشرفة في عهد جلالة الملك عبدالعزيز مصنوعة من الحرير ومطرزة بخيوط الذهب والفضة، وقد حرص أن لايحدث فيها أي تغير للحفاظ على طابعها الإسلامي[14]. ونسج الثوب بآيات قرآنية وأدعية، كتبت بخط الثلث داخل أشكال منشورية تشبه رقم 8 ملتصقة بجانب بعض وكتب فيها لاإله إلا الله محمد رسول الله وعبارة جلا جلاله بشكل طردي وعكسي[15] كما نسج في الثوب لفظ يالله[16]. أما حزام الكسوة فيتكون من قطعتين ملتصقتان في كل جهة من جهات الكعبة المشرفة بمعدل أربع قطع وكتب فيها:

الجدار الشرقي (الجهة عند باب الكعبة):

القطعة الأولى: بسم الله الرحمن الرحيم ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى ۖ وَعَهِدْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ﴾[17].

القطعة الثانية: بسم الله الرحمن الرحيم واذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت واسماعيل ربنا تقبل منا انك انت السميع العليم ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك وأرنا مناسكنا وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم [18].

الجدار الجنوبي (من الحجر الأسود والركن اليماني):

القطعة الثالثة: بسم الله الرحمن الرحيم ﴿قُلْ صَدَقَ ٱللَّهُ ۗ فَٱتَّبِعُواْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَٰلَمِينَ فِيهِ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ مَّقَامُ إِبْرَٰهِيمَ﴾ [19].

القطعة الرابعة: بسم الله ارحمن الرحيم ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا تَعْمَلُونَ﴾[20].

الجدار الغربي:

القطعة الخامسة: بسم الله الرحمن الرحيم ﴿وَأَذِّن فِى ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾[21]

القطعة السادسة: بسم الله الرحمن الرحيم [22].﴿لِّيَشْهَدُواْ مَنَٰفِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُواْ ٱسْمَ ٱللَّهِ فِيٓ أَيَّامٍ مَّعْلُومَٰتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَٰمِۖ فَكُلُواْ مِنْهَا وَأَطْعِمُواْ ٱلْبَآئِسَ ٱلْفَقِيرَ ثُمَّ لْيَقْضُواْ تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُواْ نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُواْ بِٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ﴾

الجدار الشمالي:

القطعة السابعة: صنعت هذه الكسوة المباركة في مكة المعظمة بأمر خادم الحرمين الشريفين جلالة الملك الإمام عبدالعزيز بن عبدالرحمن الفيصل السعود[23].

القطعة الثامنة: ملك الحجاز ونجد وملحقاتها أيده الله تعالى بنصره في سنة1349ه/1930م على صاحبها أفضل التحية وأتم التسليم[24]. وفي عام 1351ه/1932م حدث تغير في القطعة الثامنة، بسبب تحويل اسم (مملكة الحجاز ونجد وملحقاتها) إلى اسم (المملكة العربية السعودية) بموجب الأمر الملكي رقم2716[25] فأصبح النص(ملك المملكة العربية السعودية أيده الله تعالى بنصره في سنة 1351ه/1932م على صاحبها أفضل التحية وأتم التسليم)[26] .وبعد عشر سنوات من انقطاع مصر عن إرسال الكسوة، سمح جلالة الملك عبدالعزيز آل سعود يرحمه الله بعد عدة اتصالات ومحاولات من مصر أن ترسل الكسوة الشريفة من عام 1355ه/136م فعادت الكسوة ترد من مصر[27]. وفي سنة1382ه/1962م عادت مصر لمنع الكسوة الشريفة[28]، فكساها الملك سعود بن عبدالعزيز آل سعود[29] يرحمه الله من القطع التي كانت محفوظة في دار الكسوة في عهد والده وأعادوا صباغتها، وكسوا الكعبة في العاشر من شهر ذي الحجة سنة 1382ه/1962م[30]. كما أمر بإعادة فتح دار الكسوة والصناعة[31] التي أنشأت في عهد والده عهد والده، ثم انتقلت الدار إلى جرول. وكساها جلالة الملك سعود بن عبدالعزيز آل سعود يرحمه الله منذ توليه الحكم بعد وفاة والده سنة 1373ه/ 1954م إلى وفاته سنة 1383ه/1964م اثنتي عشرة كسوة[32].

أما عن التغييرات التي طرأت على كسوة الكعبة في عهده فقد كان طراز الثوب الأسود للكعبة المنقوش عبارة عن ثلاثة شرائط تشبه رقم 8 متصلة ببعضها مكتوب عليها من أصل النسيج عبارة (لاإله إلا الله محمد رسول الله) وفي الشريط الثاني كُتب (سبحان الله وبحمده) (سبحان الله العظيم)، والشريط الثالث(ياحنان، يامنان، ياالله) وتتكرر هذه العبارات في كامل الثوب من جهات الكعبة الأربعة[33]. وهنا يتضح زيادة شريط مكتوب عليه ياحنان، يامنان، ياالله، عن الكسوة التي كانت في عهد جلالة الملك عبدالعزيز آل سعود يرحمه الله.

كما حدث تغير في ترتيب الآيات القرآنية المكتوبة في الحزام فأصبحت ستة عشرة قطعة، كل أربعة قطع في جدار، وهي نفس الآيات المكتوبة في عهد جلالة الملك عبدالعزيز، ولكن قسمت إلى أربع أجزاء، فأصبح مجموعها ستة عشر قطعة، وزادت أربع قطع تزينت بها حزام الكسوة الشريفة في الجهة الشمالية[34]، وأضيفت أربع (قناديل لأول مرة تحت الحزام[35] كتب فيها **ثمي** ذلك ومن يعظم شعائر الله فإنها من تقوى القلوب [36]. وتغيرت قطعة الإهداء فأصبح في الجهة الشرقية وكتب عليها اسم الآمر بصنعها الملك سعود بن عبدالعزيز وسنة الصنع[37]. وفي عهد جلالة الملك فيصل بن عبدالعزيز آل سعود[38]يَرْحَمُهُ الله كسا الكعبة المشرفة بإحدى عشرة كسوة[39].

أما عن الكتابات على الثوب الخارجي للكعبة في عهده فكانت عبارة عن ثلاثة أشرطة كتب في الشريط الأول (الله جل جلاله) والشريط الثاني، (لا إله إلا الله محمد رسول الله)، والتغير الذي حدث هو في الشريط الثالث حيث كُتب (سبحان وبحمده)،(سبحان الله العظيم)([40]).

أما عن الحزام ففي سنة 1385ه/1966م ألغيت القناديل الأربعة التي كانت تحت الحزام، وجاء مكانها ثلاث قطع مستطيلة في الجهات الثلاثة للكعبة الشمالية، والغربية، والجنوبية([41]).

أما الجهة للجدار الشرقي للكعبة فبقيت فيها قطعة الإهداء([42]).كما وضعت أربع جامات دائرية في أركان الكعبة مكتوب داخلها الله مكرر خمس مرات بشكل دائري، وفي الأطراف (ياحنان، يامنان، ياديان، ياسبحان، يامستعان([43]) . وفي سنة 1387ه/1967م حدث تطور في الجامات الأربعة حيث ألغيت تلك الكتابات، وجاء مكانها في الوسط (الله جل جلاله) وفي هامش الجامة سورة الإخلاص باتجاه عقارب الساعة([44]). وفي سنة 1394ه/1974م أضيفت ثمانية قناديل تحت الحزام مكتوب فيها (يارحمن يارحيم) و(ياحي ياقيوم)([45]). وفي عهد خادم الحرمين الشريفين الملك خالد بن عبدالعزيز آل سعود([46]) يَرْحَمُهُ الله حدث تغيير في طراز الكسوة الخارجي في سنة 1396ه/1976م فاضيفت عبارتان (ياحنان يامنان) بدل لفظ الجلالة (الله جل جلاله)([47]). وفي عام 1400ه/1980م أضيفت ستة قناديل إلى الثمانية الموجودة سابقاً فأصبحت أربعة عشر قنديلاً([48]).

كما تم في عام 1401ه/1981م تم إضافة ثلاث قطع تحت الحزام، فأصبح مجموع قطع ماتحت الحزام ستة قطع يفصل بينهم قنديل([49]) . وفي عهده أمر بتغيير كسوة الكعبة الداخلية في عام 1401ه/1980م، واستحدث قسم جديد في مصنع كسوة الكعبة المشرفة بأم الجود، وتم عمل الكسوة، ولم تركب الستارة إلا في عهد خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز آل سعود([50])يَرْحَمُهُ الله([51]). وفي عهد خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز آل سعود يَرْحَمُهُ الله تم إضافة قندلين في أعلى الحجر الأسود مكتوب عليه (ياحي ياقيوم)([52]). وفي عهد الملك سلمان بن عبدالعزيز آل سعود([53]) حدثت تغييرات في كسوة الكعبة المشرفة سيأتي الحديث عنها.

المبحث الأول: مجمع االملك عبدالعزيز لكسوة الكعبة المشرفة:

شهدت كسوة الكعبة المشرفة ومصنعها نقلة نوعية على مستوى التطوير المؤسسي، والتقني، والبشري، حيث حظيت باهتمام بالغ من القيادة الرشيدة، إدراكاً لأهمية هذه الشعيرة المباركة المرتبطة بالكعبة المشرفة، قبلة المسلمين في شتى أنحاء العالم.وفي هذا السياق، تقدم معالي الشيخ عبد الرحمن بن عبد العزيز السديس([54]) ، الرئيس العام لشؤون المسجد الحرام والمسجد النبوي، بطلب لتغيير اسم "مصنع كسوة الكعبة المشرفة" ليحمل اسماً يخلد ذكرى المؤسس جلالة الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود يَرْحَمُهُ الله الذي أسّس أول دار لكسوة الكعبة في مكة المكرمة عام 1346هـ/1927م. وقد لقي هذا الطلب موافقة كريمة من القيادة، وصدر الأمر بتغيير المسمى إلى(مجمع الملك عبد العزيز لكسوة الكعبة المشرفة)، تخليداً لجهوده التاريخية في خدمة الحرمين الشريفين ورمزاً للعناية السعودية المستمرة بالكعبة المشرفة([55]) .

وهذا المجمع يُعد اليوم من أبرز المعالم الحضارية في مكة المكرمة، ويضم أقساماً متقدمة للنسيج والتطريز ومختبرات لفحص جودة المواد، ويعمل فيه نخبة من الكفاءات السعودية المؤهلة، وقد أصبح وجهة للزوار من مختلف أنحاء العالم، ومعلماً بارزاً يعكس اهتمام المملكة الدائم بالكعبة المشرفة وكسوتها، استمراراً للمسيرة المباركة التي بدأها المؤسس، وسار على نهجه أبناؤه من بعده حتى يومنا هذا.

أ-إدارة مجمع الملك عبدالعزيز لكسوة الكعبة المشرفة:

تتبع إدارة مجمع الملك عبدالعزيز لكسوة الكعبة المشرفة الهيئة العامة للعناية بشؤون المسجد الحرام والمسجد النبوي، وتعاقب على إدارة مجمع الملك عبدالعزيز لكسوة الكعبة المشرفة عددٌ من المدراء، ولست بصدد استعراضهم جميعًا، وإنما سأقتصر على ذكر من تولّوا الإدارة خلال الفترة الزمنية التي تشملها دراستي في عهد الملك سلمان بن عبدالعزيز آل سعود وهم أربع مدراء:

المدير الأول: محمد عبدالله علي باجودة:

ولد عام 1/7/1379ه عمل مديراً لمصنع كسوة الكعبة المشرفة منذ عام 7/6/1433ه حتى أحيل للتقاعد عام 1/7/1439ه،([56]) وقد عمل على تجديد لائحة المجمع الملك عبدالعزيز لكسوة الكعبة المشرفة والتي استغرقت مدة من 5-3 سنوات، وعمل على تقديم مقترحات لزيادة بعض الطرز وتعديل بعض الكتابات في ثوب الكعبة المشرفة، والتي جاءت الموافقة الملكية عليها، كما عمل على تجديد بعض الآلات، وقدم فكرة تدريب كوادر شابة جديدة والتوقيع مع المعهد التقني والرئاسة العامة لشؤون المسجد الحرام و المسجد النبوي([57]).

المدير الثاني:

أحمد بن محمد احمد المنصوري، ولد في قرية المصنعة بمحافظة بلجرشي في منطقة الباحة عام 1/7/1381ه، درس الابتدائية في مدرسة سعد بن أبي وقاص، والمتوسطة في مدرسة أبي عبيدة عامر بن الجراح، والثانوية في مدرسة الحسين بن علي، ثم تخصص في قسم الاقتصاد الإسلامي وحصل على درجة البكالوريوس من جامعة أم القرى عام 1406ه/1985م، ثم حصل على درجة الماجستير في نفس التخصص عام1412ه/2991م، ثم أخذ الدبلوم العالي في التربية عام1325ه2004م،

حياته المهنية:

تدرج في الحياة المهنية منذ أن ألتحق بالرئاسة العامة لشؤون المسجد الحرام والمسجد النبوي فعمل:

موظفاً بمكتب معالي الرئيس العام عام 1406ه/1985م.

موظفاً بمكتبة الحرم المكي الشريف إعتباراً من عام 1407ه/1986م والإشراف على المكتبة في الفترة المسائية

موظفاً بقسم التدقيق بالإدارة المالية من عام 1410هـ1416-ه/1995-1990م، ومكلفاً بعمل مدير عام الإدارة المالية خلال إجازاته. ومديراً لإدارة المناقصات والمشتريات من عام 1422-1416ه/2001-1995م، مديراً لإدارة التطوير الإداري.

مديراً مكلفاً للعلاقات العامة اعتباراً من 16/10/1422حتى30/6/1439ه الموافق-31/12/2001 18/3/2018م.

مُتحدثاً رسمياً للرئاسة العامة لشؤون المسجد الحرام والمسجد النبوي إعتباراً من عام 1427ه/2006م إلى نهاية عام 1440ه/2019م.

مديراً عاماً لمجمع الملك عبدالعزيز لكسوة الكعبة المشرفة إعتباراً من 1/7/1439ه الموافق18/3/2018م. وفي 10/2/1440ه الموافق 19/10/2019م أصبح مستشاراً إدارياً بالمرتبة الرابعة عشر بموجب قرار مجلس الوزراء. وكيلاً مكلفاً لمعالي الرئيس العام لشؤون المسجد الحرام إعتباراً من 1/7/1440ه الموافق 8/3/2019م بالإضافة إلى الإشراف على مُجمع الملك عبد العزيز لكسوة الكعبة المشرفة، وكيلاً لشؤون المسجد الحرام بالمرتبة الخامسة عشرة بموجب قرار مجلس الوزراء في 10/1/1441ه الموافق20/9/2018.

تم تمديد الخدمات الوظيفية لمدة عام بموجب قرار مجلس الوزراء إعتباراً من 1/7/1441ه الى نهاية 30/6/1442 ه الموافق12/2/2021-25/2/2020م. ثم أحيل إلى التقاعد النظامي فبعد خدمة دامت36 عاماً.

اللجان والندوات والمؤتمرات التي شارك فيها:

المشاركة في عضوية اللجنة الوزارية للتنظيم الإداري خلال الفترة من 1/7/1421هـ الى 10/6/1422ه.

عضو لجنة إعداد مهام واختصاصات إدارات الرئاسة العامة لشؤون المسجد الحرام والمسجد النبوي.

عضو لجنة التطوير الإداري بالرئاسة.

عضو ومقرر لجنة التعاملات الإلكترونية بالرئاسة العامة لشؤون المسجد الحرام والمسجد النبوي.

رئيس اللجان الموسمية ولجان الاحتفالات والاستقبال.

رئيس لجان إعداد الخطط التشغيلية.

تمثيل الرئاسة العامة لشؤون المسجد الحرام والمسجد النبوي في الإجتماعات مع الجهات الحكومية.

المسؤول عن مشاركة الرئاسة العامة لشؤون المسجد الحرام والمسجد النبوي في المهرجان الوطني للتراث والثقافة (الجنادرية) للأعوام (1434 – 1438ه/ 2013م2017-م) وعدد من المعارض الأخرى داخل المملكة وخارجها.

حضور عدد من مؤتمرات وورش العمل وحلقات النقاش والدورات التدريبية داخل المملكة وخارجها([58]).

المدير الثالث:

فيصل بن صالح بن محمد مدني، ولد بمكة المكرمة، وحصل على الشهادة الثانوية العامة، وقد تدرج في حياته المهنية حيث تقلد العديد من المناصب منها:

مدير إدارة المخزون.

مدير إدار الحج والعمرة.

الوكيل المساعد للشؤون المالية والإدارية.

مدير إدارة المستودعات.

مدير عام مجمع الملك عبدالعزيز لكسوة الكعبة المشرفة. ثم أحيل إلى التقاعد في10/7/1444ه/ 1/2/2023م على المرتبة الثانية عشر، وقد ظل مديراً لمجمع الملك عبدالعزيز لكسوة الكعبة المشرفة سنتين ونصف([59]).

المدير الرابع:

فهد بن عبدالله الثبيتي، ولد في خميس مشيط، حصل على شهادة البكالوريوس تخصص هندسة كيميائية.

حياته المهنية:

مدير وحدة الجودة بمجمع الملك عبدالعزيز لصناعة كسوة الكعبة المشرفة لمدة خمس سنوات.

مساعد مدير عام المجمع لمدة 8 أشهر.

مدير عام لمجمع الملك عبدالعزيز لكسوة الكعبة المشرفة([60]).

الخبرات العملية والدورات:

عضو الهيئة السعودية للمهندسين.

عضو المجلس السعودي للجودة.

مدرب معتمد في الادارة والهندسة من المؤسسة العامة للتعليم المهني والتقني([61]).

ب- أقسام مجمع الملك عبدالعزيز لكسوة الكعبة المشرفة.

يحتوي مجمع الملك عبدالعزيز لكسوة المشرفة على ثمانية أقسام:

القسم الأول: قسم التحلية:

يقوم بتحلية مياة البئر، وهناك محطتان تقوم بتحلية المياة، فالمحطة الأولى الكبيرة مخصصة لتحلية مياة المستخدمة لإدارة المجمع وباقي الأقسام وتتم معالجة حموضة الماء فيها (PH) بـ7,5 أما نسبة الأملاح الذائبة (TDS) في الماء تكون مابين 90-75([62])، أما المحطة الصغيرة فقط خُصصت لتحلية المياه المخصصة لغسيل وصباغة شلل الحرير حيث تتم معالجة حموضة الماء(PH) بمعدل 5_5,5، أما نسبة الأملاح الذائبة(TDS) تكون واحد جزء من المليون ، وهذه النسبة مهمة حيث زيادتها تؤثر في عملية تثبيت، ووضوح اللون أثناء عملية الصباغة، فلو كان هناك خلل في تركيبة حموضة الماء تظهر بقع بيضاء في الخيوط المصبوغة([63]).

القسم الثاني: قسم الغسيل والصباغة:

يقوم القسم بعملية غسيل شُلل الحرير وإزالة الامدة الصمغية(سرسين) عبر ماكينة مخصصة لعملية الغسيل مع وضع صابون زيت الزيتون، وبعض المواد الكيميائة لمدة ساعتين،

بدرجة حرارة تصل 90، ثم تغسل عدة مرات، ثم صباغتها باللون الأسود[64].

كما توجد ماكينة مخصصة لغسيل القطن، وصباغته باللون الأصفر، ثم ترسل إلى قسم النسيج. والقطن الأصفر يرسل إلى قسم المذهبات[65].

القسم الثالث: قسم النسيج الآلي:

تتم عملية النسيج من خلال اندماج خيوط اللحمة والسدى مع بعضها فيتشكل القماش[66] والقيام بهذا العملية كانت تتم يدوياً، ثم تطور الأمر فاصبحت آلية ميكانيكية أي لابد من تدخل اليد البشرية، وهذا التطور كان له الأثر الإيجابي في حال إجراء أي تغيرات على كسوة الكعبة المشرفة[67]. ويحتوي هذا القسم على عدد من الآلات الأجهزة التي تقوم بعملية نسج ثوب الكعبة المشرفة المنقوش، وبطانة بيضاء تستخدم خلف ثوب الكعبة المشرفة. وفي عهد خادم الحرمين الشريفين الملك سلمان بن عبدالعزيز آل سعود(حفظه الله) تم تحديث جميع الآلات بهذا القسم حيث تم إنتداب عدد من العاملين بمجمع الملك عبدالعزيز لكسوة الكعبة المشرفة إلى سويسرا وألمانيا مدة 38 يوماً على فترتين الفترة الأولى بتاريخ 4/3/1441ه الموافق1/11/2019م ولمدة 19 يوماً والفترة الثانية من 5/4/1441ه الموافق2/12/219م لمدة 19 يوماً أيضا.

فانطلق فريق العمل رحلة البحث عن أفضل الآلات وهو علي حسن حامد معاش، وفهد عبدالله أحمد الثبيتي، وأحمد عايض غيث الحازمي، وسلمان دغيليب بخيت اللقماني؛ لإختيار الآلات التي تتماشى مع التقدم الصناعي العالمي حتى وقع الإختيار على عدد من الأجهزة تم تأمينها وهي:

ماكينة تحويل شُلل الحرير إلى كونات ذات 25 رأس[68].

ماكينة سداية بمبلغ 387,300 ألف يورو من شركة كارل ماير من ألمانيا تعمل بنظام آلي إلكتروني عبر لوحة تحكم فيها[69].

ماكينة لفاف من شركة اس اس ام بمبلغ 193,500 ألف فرنك سويسري[70].

ماكينة برم من شركة ساورير بمبلغ 186,866ألف يورو وتعمل الماكينتان لعمل خيوط اللحمة[71].

ماكينة الربط من شركة ستابلي بمبلغ 80,776 ألأف يورو[72].

ماكينة نسيج آلي لعمل نسيج القطن، ونسيج الحرير السادة من شركة دورنير الألمانية بمبلغ 300,000 ألف يورو[73].

ماكينة لعمل ثوب الكعبة المنقوش، وهي تعمل بنظام آلي عبر حساسات حيث لو إنقطع خيط تتوقف آليا[74].

القسم الرابع: قسم الطباعة:

تتم طباعة الآيات القرآنية والأدعية والزخارف بواسطة الشبلونات أو الشاشة الحريريةSilks Screen[75] والتي حلت بديلة عن طريقة التتريب[76] ويحتوي القسم على جهاز تصوير آلي، جهاز تجفيف الشبلونة، وفرن تجفيف[77] .

القسم الخامس: قسم المذهبات:

تتم في هذا القسم عملية خياطة الحزام وستارة الباب، والقناديل، والصمديات، ونحوه وهو من أكثر الأقسام وأكثرها تعقيداً ويبذل المطرزون في هذا القسم جهداً كبيراً لإنجاز العمل كونه يأخذ الطابع اليدوي. وكانت هناك محاولات لتحويل هذا القسم آلي وجميعها لم تنجح؛ لأنها لم تأتي بنفس دقة التطريز اليدوي([78]) حتى آخر ماكينة تم استحداثها وهي ماكينة التاجيما في عام 1433ه/2012م([79]) والتي تعمل على عمل التقطين

أي حشوة الكتابات بالخيوط القطنية حتى تكون بارزة. واستخدمت الماكينة للمذهبات التي استحدث على كسوة الكعبة وهي تاج الميزاب، وكينار الحجر الأسود، وكينار الركن اليماني، والعرق([80]) حيث يبدأ الصناع بالبدء مباشرة بتلبيسها بأسلاك الذهب والفظة، ولكن تم الإستغناء عنها بعد عدة سنوات؛ لأن الإبر تتكسر أثناء البدء بتلبيسها بخيوط الذهب والفضة([81]).

القسم السادس: قسم تجميع وخياطة الثوب:

يتم تجميع قطع ثوب الكعبة المشرفة وقطع المذهبات وخياطتها معاً عبر ماكينة خياطة ليزرية ألمانية الصنع من شركة كيلمان، ويبلغ طولها 16متراً وعرضها 4 أمتار، وإرتفاعها 3 أمتار. ويوجد بها طاولة لتغذية الخامات بطول 50،14 متراً تعمل بنظام برمجة وتحكم آلي([82]).

القسم السابع: قسم التطريز الآلي:

خصص هذا القسم لطباعة أعلام المملكة العربية السعودية حسب المواصفات والمقاييس([83]).

القسم الثامن: قسم المختبر:

قسم المختبر في مصنع كسوة الكعبة المشرفة يُعد من الأقسام الحيوية والمهمة، حيث يُعنى بضمان جودة المواد الخام والنسيج المستخدم في صناعة كسوة الكعبة الشريفة، من خلال إجراء الاختبارات الكيميائية والفيزيائية.

مهام قسم المختبر:

فحص خيوط الحرير الخام للتأكد من نقاوتها وخلوها من الشوائب أو المواد غير المرغوبة.

تحليل الصبغات المستخدمة في تلوين الخيوط (خاصة اللونين الأسود والأصفر، لضمان مطابقتها للمواصفات العالمية من حيث الثبات، وعدم تفاعلها مع الظروف الجوية القاسية.

التأكد من عدم احتواء المواد المستخدمة على مركبات قد تُسبب تلفًا أو بهتانًا للثوب مع مرور الوقت.

قياس قوة الشد والتمزق للخيوط والأقمشة لضمان تحملها للظروف المناخية المحيطة بالحرم المكي.

اختبار ثبات الألوان ضد أشعة الشمس والمطر والرطوبة.

فحص كثافة النسيج وتناسق الحياكة، للتأكد من التماسك والمتانة([84]).

يُساهم المختبر في رفع كفاءة وجودة كسوة الكعبة، والمحافظة على مظهرها الجمالي ومقاومتها للعوامل البيئية، مما يعكس العناية الفائقة التي توليها المملكة العربية السعودية لهذه الشعيرة العظيمة.

المبحث الثاني: طُرز كسوة الكعبة المشرفة في عهد الملك سلمان بن عبدالعزيز آل سعود:

تصنع كسوة الكعبة المشرفة من الحرير الأسود الخاص، وقد نقش عليه عبارة لا إله إلا الله محمد رسول الله، سبحان وحدثت تغيرات في كسوة الكعبة المشرفة، زادت من جمال الكسوة وتألق الكعبة المشرفة. ومن هذه التغيرات التي استحدث:

تاج لميزاب الكعبة المشرفة ويبلغ طوله 74×168سم، وهو يقع تحت الميزاب، وقد صمم بشكل المثلث المقلوب وزخرف بزخارف إسلامية، وطرز بخيوط مطلية بالذهب الخالص([85]) .

كينار للحجر الأسود ويبلغ طول القطعة 129×155سم، وهي تحيط بالحجر الأسود بشكل قوس؛ حتى تعطي شكل جميل([86]).

إطار للركن اليماني يبلغ طوله 155×92سم، وهي تحيط بالركن اليماني؛ ليعطي منظراً جمالياً.

عرق ذهبي مزخرف يمتد من الركن اليماني بالطول إلى أعلى الكعبة المشرفة وهي عبارة عن قطعتان الأولى 6م ×42سم والثانية40×42سم([87]). وكان الهدف من ذلك تذكير الطائفين بالدعاء المأثور عن النبي ﷺ عند هذا الموضع، وهو: ﴿وَمِنهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِي ٱلدُّنيَا حَسَنَةٗ وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ حَسَنَةٗ وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾([88]) وقد تساءل البعض عن سبب عدم وضع عرق مماثلة في بقية الأركان، والجواب أن هذه الإضافة لم تكن للزينة فحسب، بل كانت مقصودة بعناية لما لهذا الركن من خصوصية، إذ ورد الدعاء فيه على وجه التحديد، فجاءت هذه الإشارة البصرية لتعين الطائفين على تذكر هذا الدعاء المبارك أثناء طوافهم([89]) .

تغيير في العبارة المكتوب في ثوب الكعبة الأسود وهي ياحنان يامنان. فتم تغييرها إلى ياديان يامنان([90]) .

تم تغيير النقوش المكتوبة على القناديل المثبتة فوق الحجر الأسود، حيث استبدلت العبارة السابقة (يا حي يا قيوم) بعبارة (الله أكبر)، لما لهذه العبارة من مناسبة عظيمة؛ إذ إن الطائف بالكعبة يبدأ طوافه بالتكبير قائلاً (الله أكبر)، فكان اعتمادها يعكس الارتباط الوثيق بين الشعيرة والموقع الشريف([91]) ..

تم إجراء تعديل على حجم الكتابات الموجودة على ستارة باب الكعبة المشرفة، حيث صُغّرت النصوص القرآنية المزخرفة، بعد أن لوحظ سابقًا أن ثني الستارة لإظهار جمال الباب كان يؤدي إلى اختفاء بعض الآيات داخل الثنيات. وجاء هذا التعديل ليضمن وضوح الكتابات القرآنية بشكل كامل، مع إبراز منظر الباب بطريقة متناسقة وجمالية، وأصبح شكل باب الستارة من الوسط يأخذ هذا الشكل 8([92]) . ويعكس هذا الاهتمام المتزايد حرص الدولة على إبقاء هذا الإرث العظيم حاضًرا في وجدان الأمة، نابضًا بالجمال والقداسة، ومواكبًا للتطور، مع الحفاظ على أصالته ورمزيته الدينية والتاريخية. ولتنظيم العمل وإنجازه تم وضع خطة تشغيلية لعمل المذهبات في عهد خادم الحرمين الشريفين الملك سلمان بن عبدالعزيز- حفظه الله ورعاه- وهي تتم في ثلاث مراحل:

المرحلة الأولى: باب الملتزم من الجهة الشرقية للكعبة: تبلغ طولها 11.85م، ومجموع قطع الآيات أربعة وعدد الصناع العاملين عليها 12 صانع لمدة 80 يوماً:

1	الجهة الشرقية للكعبة باب الملتزم:			
رقم القطعة	الآيـــــة	طول القطعة	عدد الصناع	مدة العمل
1	﴿وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَٱتَّخِذُوا۟ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى﴾ البقرةآية125	2,75م	3	60 يوم
2	قال تعالى ﴿ وَعَهِدْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴾ البقرةآية125	3,07	3	80 يوم
3	قال تعالى﴿ واذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت واسماعيل ربنا تقبل منا انك انت السميع العليم﴾ البقرةآية127	3,04	3	80 يوم
4	قال تعالى ﴿رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ البقرةآية128	3,17م	3	80 يوم[93]

الجهة الجنوبية بين الركنين:يبلغ طول القطعة 10,33م، و مجموع قطع الآيات أربعة قطع وعدد الصناع العاملين عليها 12 صانع لمدة 80 يوماً:

1	الجهة الجنوبية بين الركنين:			
رقم القطعة	الآيـــــة	طول القطعة	عدد الصناع	مدة العمل
1	بسم الله الرحمن الرحيم ﴿قُلْ صَدَقَ ٱللَّهُ ۗ فَٱتَّبِعُوا۟ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾	2,54م	3	65 يوم
2	قال تعالى ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَٰلَمِينَ﴾	2,65م	3	65 يوم
3	قال تعالى ﴿فِيهِ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ مَّقَامُ إِبْرَٰهِيمَ وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا﴾	2,12م	3	60 يوم
4	قال تعالى ﴿ لِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾	3,02م	3	80 يوم[94]

الجهة الغربية الموالية لباب إبراهيم(95): يبلغ طول القطعة 12,20م، وعدد قطع الآيات أربعة وعدد الصناع العاملين عليها 12 مطرز، والمدة المطلوبة للأنجاز هي 90 يوم مقسمة على النحو الآتي:

1	الجهة الغربية الموالية لباب إبراهيم			
رقم القطعة	الآيـــــة	طول القطعة	عد الصناع	مدة العمل
1	﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَٰهِيمَ مَكَانَ ٱلْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِى شَيْـًٔا وَطَهِّرْ بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْقَآئِمِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ﴾	3,45 م	3	90 يوم
2	قال تعالى ﴿وَأَذِّن فِى ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾	2,58م	3	60 يوم
3	قال تعالى ﴿لِّيَشْهَدُواْ مَنَٰفِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُواْ ٱسْمَ ٱللَّهِ فِىٓ أَيَّامٍ مَّعْلُومَٰتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَٰمِ﴾	3,20م	3	90يوم
4	قال تعالى ﴿وَأَطْعِمُواْ ٱلْبَآئِسَ ٱلْفَقِيرَ ثُمَّ لْيَقْضُواْ تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُواْ نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُواْ بِٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ﴾	3,97م	3	80يوم(96)

الجهة الشمالية حجر إسماعيل: يبلغ طول القطعة 10,10م، وعدد قطع الآيات أربعة و عدد الصناع العاملين عليها 12 مطرز، و المدة المطلوبة للإنجاز هي 90 يوم مقسمة على النحو الآتي:

	الجهة الشمالية حجر إسماعيل:			
رقم القطعة	الآية	طول القطعة	عدد الصناع	مدة العمل
1	بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ٱلۡحَجُّ أَشۡهُرٞ مَّعۡلُومَٰتٞۚ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلۡحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي ٱلۡحَجِّ﴾	3,10م	3	90يوم
2	﴿وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيۡرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقۡوَىٰۚ وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾	2,54م	3	65يوم
3	﴿لَيۡسَ عَلَيۡكُمۡ جُنَاحٌ أَن تَبۡتَغُواْ فَضۡلٗا مِّن رَّبِّكُمۡۚ فَإِذَآ أَفَضۡتُم مِّنۡ عَرَفَٰتٖ فَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ عِندَ ٱلۡمَشۡعَرِ ٱلۡحَرَامِ﴾	2,72م	3	70يوم
4	﴿فَإِذَآ أَفَضۡتُم مِّنۡ عَرَفَٰتٖ فَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ عِندَ ٱلۡمَشۡعَرِ ٱلۡحَرَامِۖ وَٱذۡكُرُوهُ كَمَا هَدَىٰكُمۡ وَإِن كُنتُم مِّن قَبۡلِهِۦ لَمِنَ ٱلضَّآلِّينَ﴾	1,94	3	50 يوم[٩٧]

المرحلة الثانية: القطع المذهبة تحت الحزام:

1	الجهة الشرقية باب الملتزم تحت الحزام			
رقم القطعة	الآيـــة	طول القطعة	عد الصناع	مدة العمل
17	(صنعت هذه الكسوة في مكة المكرمة وأهداها إلى الكعبة خادم الحرمين الشريفين سلمان بن عبدالعزيزآل سعود تقبل الله منه سنة 1437ه)	4,91م	8	90يوم[٩٨]

1	الجهة الغربية (الجهة الموالية لباب إبراهيم) تحت الحزام			
رقم القطعة	الآيــة	طول القطعة	عد الصناع	مدة العمل
18	ومــن يعمــل ســوءا أو يظلــم نفســه ثــم يســتغفر الله يجــد الله غفــورا رحيمــا	2,50م	2	60يوم
21	بســم الله الرحمــن الرحيــم وبشــر المؤمنيــن بــأن لهــم مــن الله فضــلاً كبيــرا	2,50م	2	60 يوم[99]

1	الجهة الشمالية (حجر إسماعيل) تحت الحزام			
رقم القطعة	الآية	طول القطعة	عدد الصناع	مدة العمل
19	قــال تعــالى وإذا ســألك عبــادي عنــي فــإني قريــب أجيــب دعــوة الــداع إذا دعــان	2,40م	2صناع	55يوم
22	بســم اللــه الرحمــن الرحيــم نبــئ عبــادي أني أنــا الغفــور الرحيــم	2,40م	2	55 يوم[100]

1	الجهة الجنوبية(بين الركنين) تحت الحزام			
رقم القطعة	الآيــة	طول القطعة	عدد الصناع	مدة العمل
20	قــال تعــالى وإني لغفــار لمــن تــاب وءامــن وعمــل صالحــا ثــم اهتدى	2,40م	2	60يوم
23	بسـم اللـه االرحمـن الرحيـم ﴿ذَٰلِكَۖ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ﴾	2,40م	2	60 يوم[101]

الصمديات[102] تحت الحزام مجموعها أربعة قطع:

1	الصمديات تحت الحزام			
رقم القطعة	الآية	طول القطعة	عددالصناع	مدة العمل
24	الصمديات في جميع أركان الكعبة	80×80م‌س	8	70يوم[103]

القناديل تحت الحزام:

1	القناديل تحت الحزام				
رقم القطعة	الآية	عدد القطع	طول القطعة	عدد الصناع	مدة العمل
25	الحمد لله رب العالمين	4	57×71م‌س	4	40يوم[104]

1	القناديل تحت الحزام				
رقم القطعة	الآية	عدد القطع	طول القطعة	عدد الصناع	مدة العمل
28	الله أكبر	5	48×65سم	5	20يوم[١٠٥]

المرحلة الثالثة: أ-ستارة باب الكعبة: المقاس الأجمالي لستارة الكعبة المشرفة 635×333سم، وقد قسمت طولياً إلى خمسة أقسام لدقة العمل عليها يدوياً، وكثرة التطريز فيها وإجمالي الصناع 40 صانع فقسمت كالآتي:

رقم القطعة	طولها	عدد الصناع	مدة العمل
1	276 ارتفاع	8	120 يوم

رقم القطعة	طولها	عدد الصناع	مدة العمل
3	127 ارتفاع	8	100 يوم

رقم القطعة	طولها	عدد الصناع	مدة العمل
4	114 ارتفاع	8	100 يوم

رقم القطعة	طولها	عدد الصناع	مدة العمل
5	100ارتفاع	8	12٠[106]

ي-كيس مفتاح باب الكعبة ومقام إبراهيم:

رقم القطعة	القطعة	طولها	عدد الصناع	مدة العمل
29	المفتاح الكبير	م س41×70	1	50يوم
	المفتاح الصغير	م س32×52	1	50يوم[107]

ب-العرق:

رقم القطعة	طولها	العدد	عدد الصناع	مدة العمل
34	الأولى 6م ×42سم الثانية40×42سم	2	10	120

ج- الميزاب:

رقم القطعة	طولها	العدد	عدد الصناع	مدة العمل
31	م س168×74	1	4	30 يوم[108]

د-كينار الحجر الأسود:

رقم القطعة	طولها	العدد	عدد الصناع	مدة العمل
37	155×129م س	1	4	50 يوم[109]

رقم القطعة	طولها	العدد	عدد الصناع	مدة العمل
38	155×92م س	1	4	50 يوم[110]

هـ- كينار الركن اليماني:

الخاتمة:

بينت الدراسة الإختلاف بين طُرز كسوة الكعبة المشرفة في عهد ملوك المملكة العربية السعودية. كما أوضحت تعدد أقسام مجمع الملك عبدالعزيز لكسوة الكعبة المشرفة، وعمل كل قسم.صدور أمر سامي بتغير مسمى مصنع كسوة الكعبة المشرفة إلى مجمع الملك عبدالعزيز لكسوة الكعبة المشرفة وفق مقترح قُدم.تعاقب أربع مدراء على إدارة مجمع الملك عبدالعزيز خلال فترة الدراسة. انتداب فريق عمل إلى ألمانيا وسويسرا لاختيار أفضل الأجهزة والآلات، لحياكة ثوب الكعبة المشرفة.توضيح التغيرات التي حدثت في ثوب الكعبة المشرفة خلال عهد الملك سلمان بن عبدالعزيز آل سعود.أن العمل في قسم المذهبات يسير وفق خطة تشغيلية منظمة. تحدد فيها أيام العمل وعدد الصناع.

النتائج :

من النتائج التي خرجت بها الدراسة:

هناك كانت تغيرات في كسوة الكعبة المشرفة منذ بداية العهد السعودي عام1346ه/1927م حتى الوقت الراهن.

وضحت الدراسة ماهية التغيرات التي حدثت في العهد السعودي. ويتضح من التغيرات التي أُدخلت على نقوش ثوب الكعبة المشرفة، واستحداث أشكال زخرفية جديدة، وشراء ماكينة مخصصة لتطوير أساليب العمل، أن مجمع الملك عبدالعزيز لكسوة الكعبة المشرفة وثوب الكعبة ذاته يحظيان باهتمام مستمر من القيادة والمسؤولين.

أكدت الدراسة حرصت ولاة الأمر في المملكة العربية السعودية من خلال دعهم اللامحدود من خلال تأمين الأجهزة والآلات التي تساعد في رفع معدل الإنتاج، وسرعته ومواكبته للتغيرات الحديثة.

تناولت الدراسة سيَر لمدراء مجمع الملك عبدالعزيز لكسوة الكعبة المشرفة.

توضيح نظام العمل على تطريز المذهبات، من خلال الخطط التشغيلية التي وضعت لتنظيم سير العمل وإنجازه.

التوصيات:

تحتاج الدراسة إلى مزيد من الدراسة والتوثيق، من خلال عمل مقارنة في الأساليب الزخرفية التي أدخلت خلال العهد السعودي.

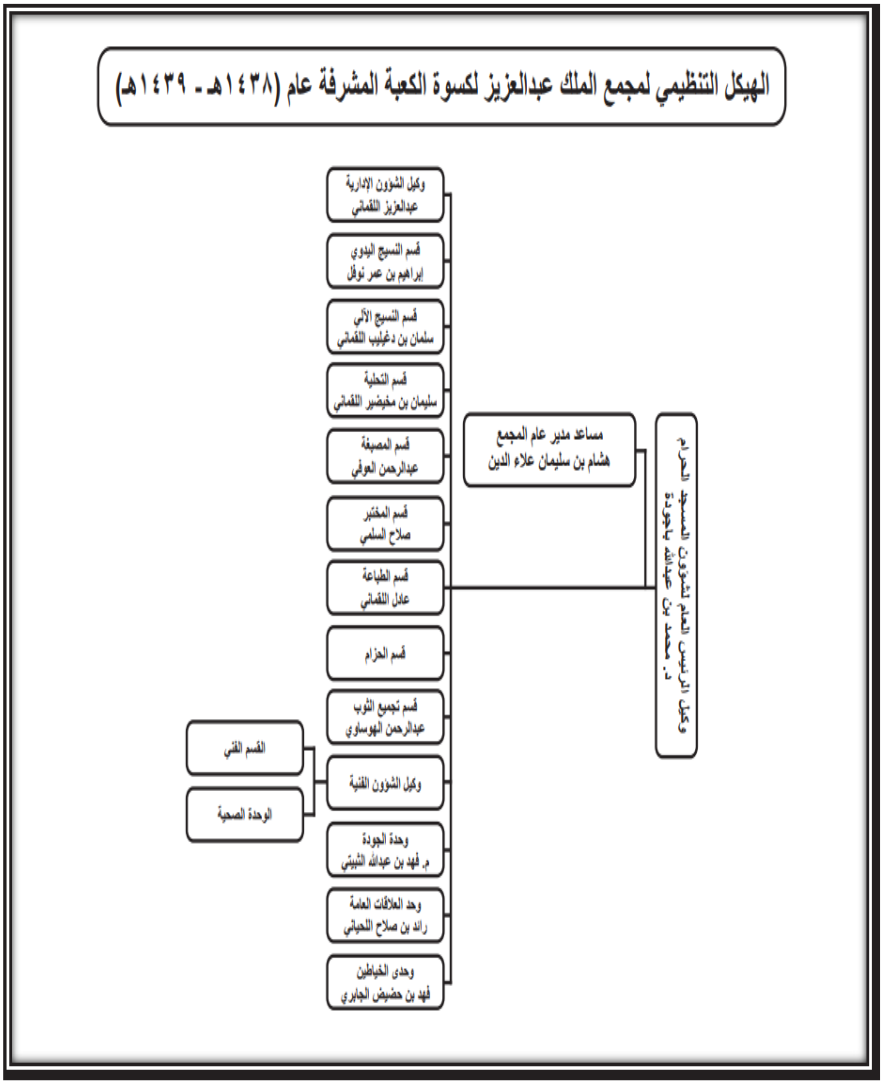

صورة رقم(1) توضح الهيكل التنظيمي لمجمع الملك عبدالعزيز لكسوة الكعبة المشرفة.

المصدر: وثيقة حصلت عليها الباحثة من إدارة مجمع الملك عبدالعزيز لكسوة الكعبة المشرفة بأم الجود بمكة المكرمة.

ملحق الصور:

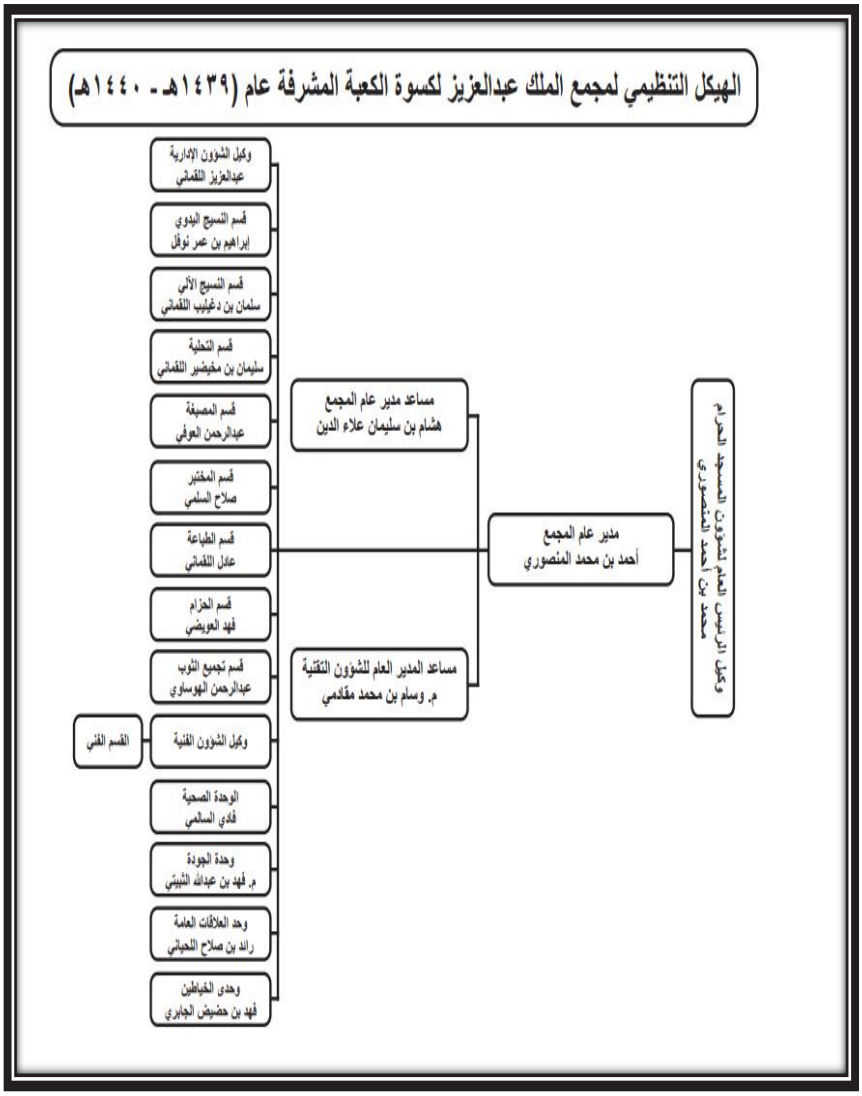

صورة رقم(2) توضح الهيكل التنظيمي لمجمع الملك عبدالعزيز لكسوة الكعبة المشرفة.

المصدر: وثيقة حصلت عليها الباحثة من إدارة مجمع الملك عبدالعزيز لكسوة الكعبة المشرفة بأم الجود بمكة المكرمة.

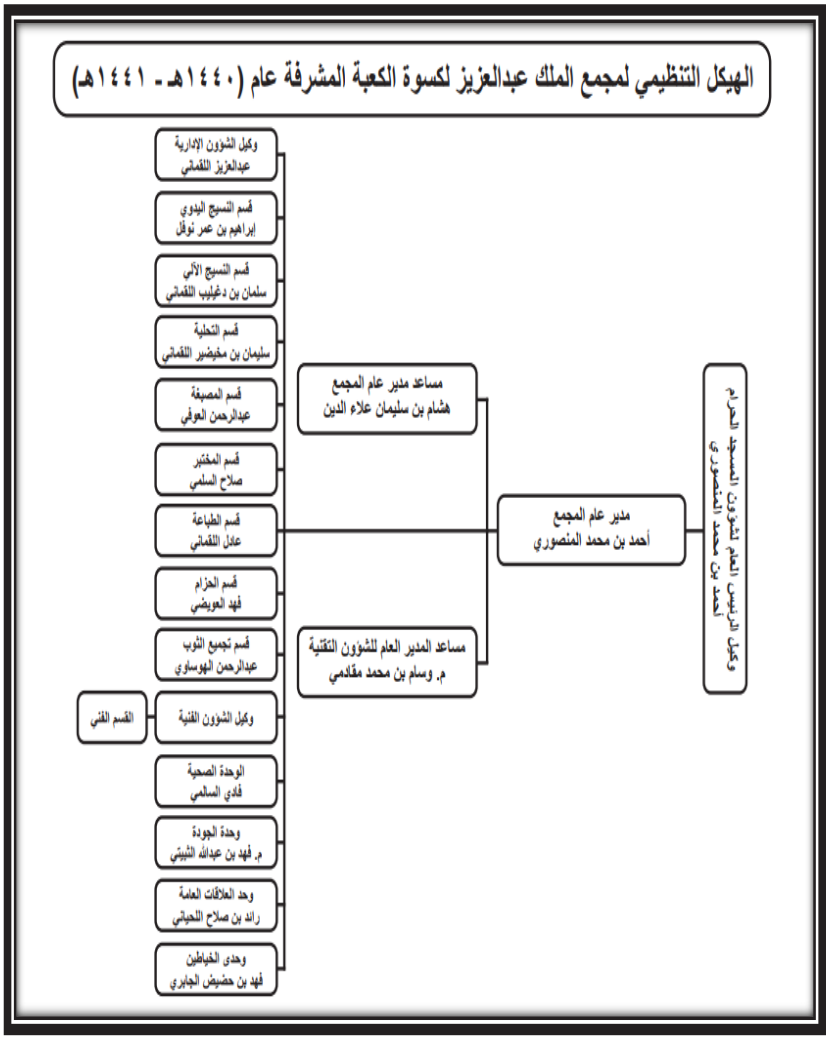

صورة رقم(3) توضح الهيكل التنظيمي لمجمع الملك عبدالعزيز لكسوة الكعبة المشرفة.

المصدر: وثيقة حصلت عليها الباحثة من إدارة مجمع الملك عبدالعزيز لكسوة الكعبة المشرفة بأم الجود بمكة المكرمة.

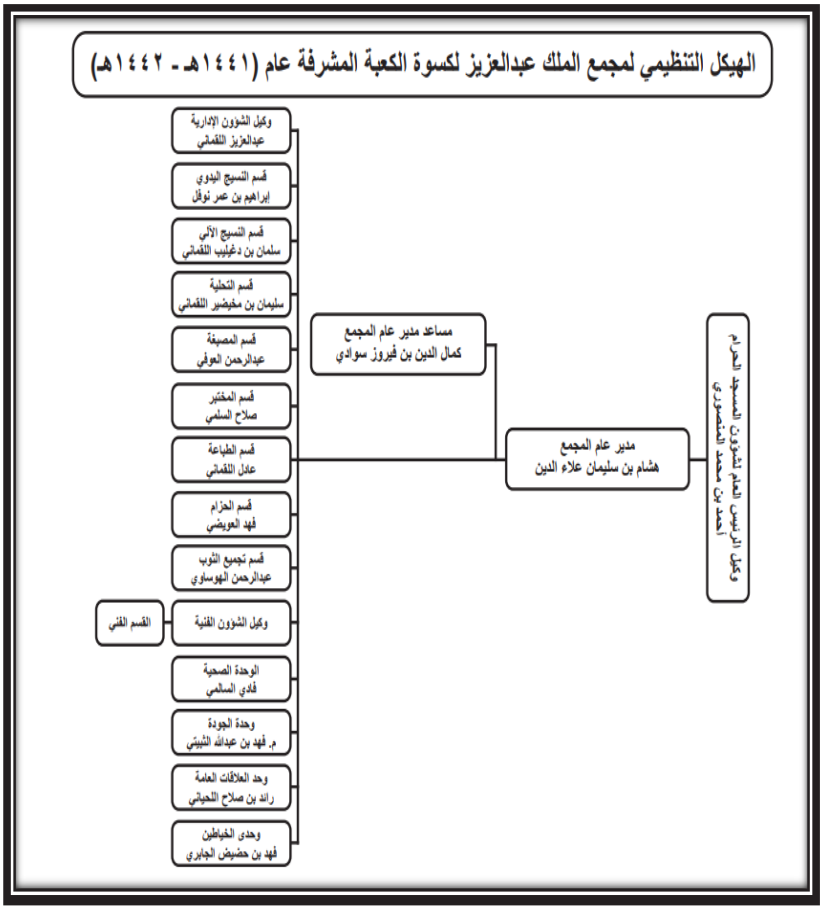

صورة رقم(4) توضح الهيكل التنظيمي لمجمع الملك عبدالعزيز لكسوة الكعبة المشرفة.

المصدر: وثيقة حصلت عليها الباحثة من إدارة مجمع الملك عبدالعزيز لكسوة الكعبة المشرفة بأم الجود بمكة المكرمة.

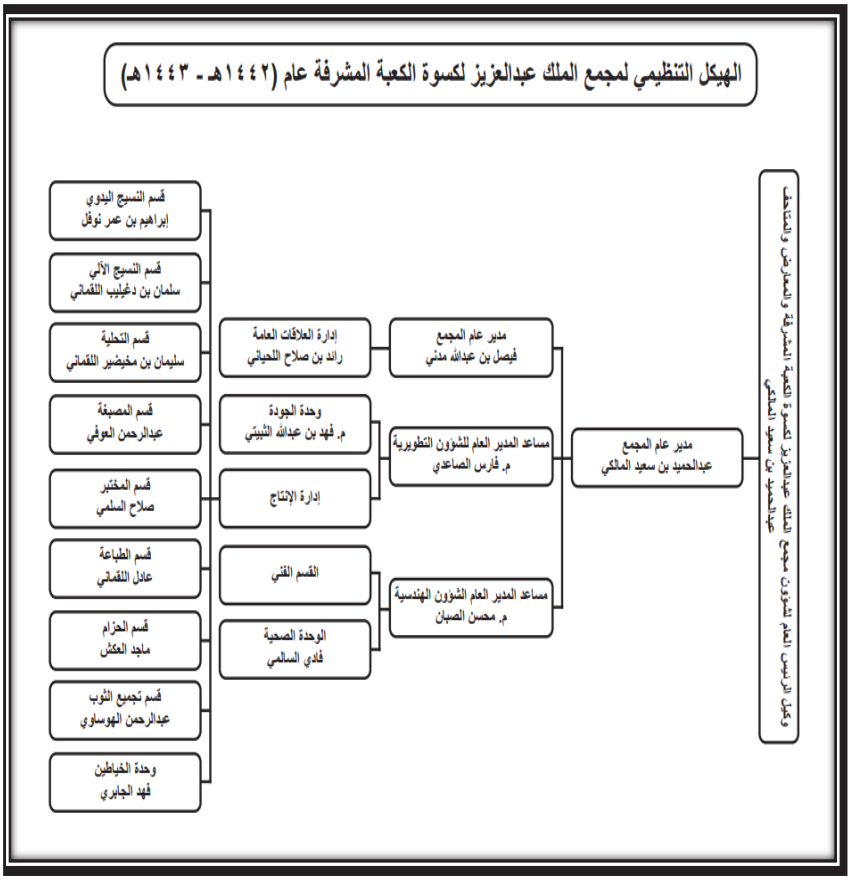

صورة رقم(5) توضح الهيكل التنظيمي لمجمع الملك عبدالعزيز لكسوة الكعبة المشرفة.

المصدر: وثيقة حصلت عليها الباحثة من إدارة مجمع الملك عبدالعزيز لكسوة الكعبة المشرفة بأم الجود بمكة المكرمة.

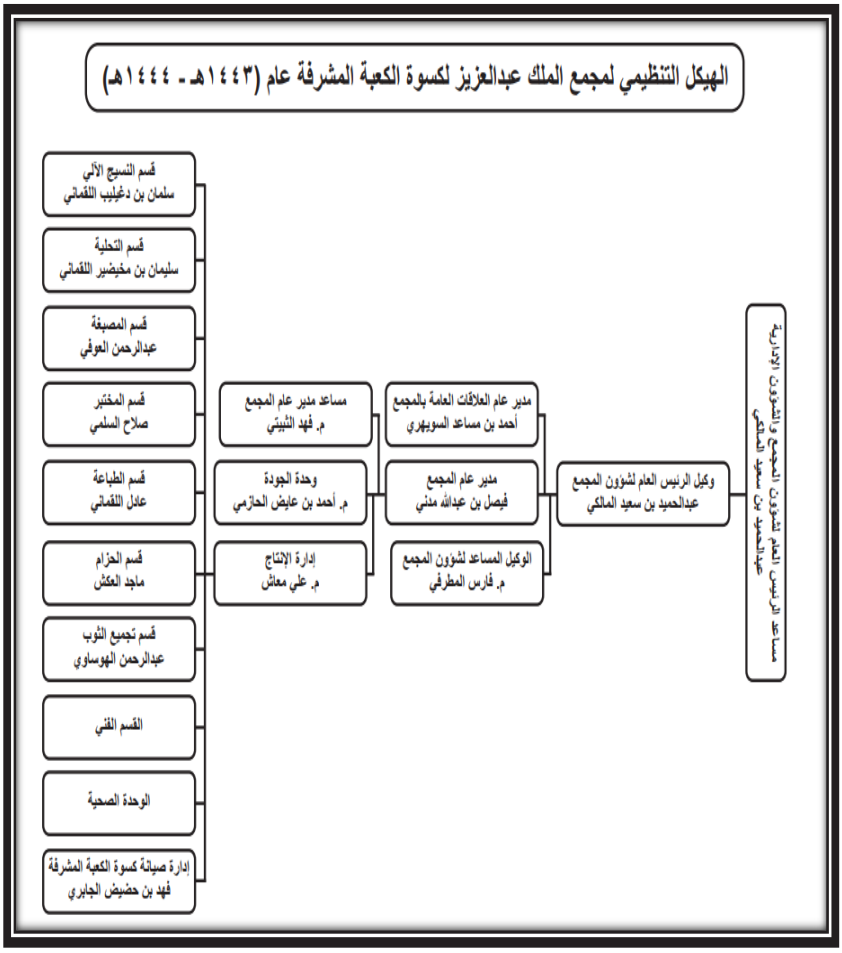

صورة رقم(6) توضح الهيكل التنظيمي لمجمع الملك عبدالعزيز لكسوة الكعبة المشرفة.

المصدر: وثيقة حصلت عليها الباحثة من إدارة مجمع الملك عبدالعزيز لكسوة الكعبة المشرفة بأم الجود بمكة المكرمة.

صورة رقم (7)توضح ماكينة لف شلل الحرير إلى كونات ذات 25 رأس. ويتضح شكل رولات الخيوط بعد اللف

المصدر: تصوير الباحثة أثناء زيارة ميدانية في مجمع الملك عبدالعزيز لكسوة الكعبة المشرفة.

صورة رقم (9) توضح شكل حوامل ماكينة السداية الحديثة مع مرور الخيوط.

المصدر: تصوير الباحثة أثناء زيارة ميدانية في مجمع الملك عبدالعزيز لكسوة الكعبة المشرفة.

صورة رقم(10) توضح شكل عبور الخيوط وجمعها ليتم وضعها في ماكينة النسيج.

المصدر: تصوير الباحثة أثناء زيارة ميدانية في مجمع الملك عبدالعزيز لكسوة الكعبة المشرفة.

صورة رقم (11) توضح لوحة التحكم بالماكينة.

المصدر: تصوير الباحثة أثناء زيارة ميدانية في مجمع الملك عبدالعزيز لكسوة الكعبة المشرفة.

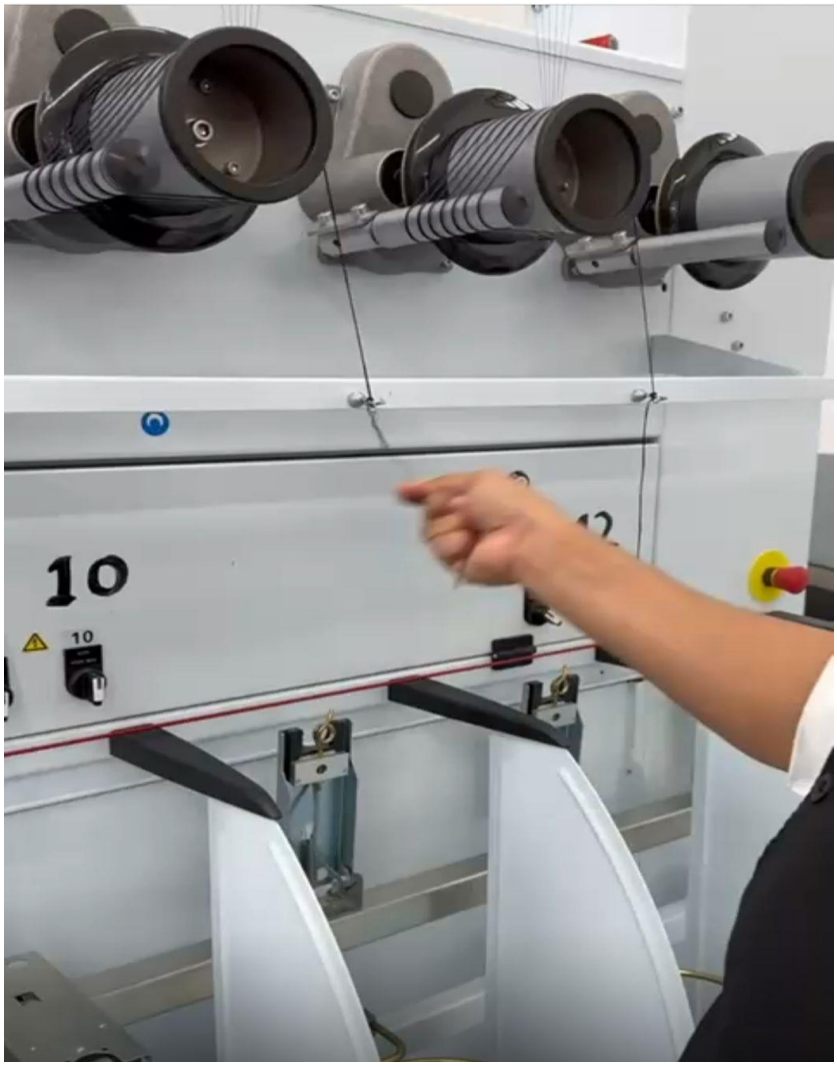

صورة رقم (12)توضح المرحلة التالية وهي التجميع والبرم، ويتضح شطل الخيوط وهي ملتفة حول الآلة فيقوم الصانع بسحبها ولفها في قمع أخضر.

المصدر: تصوير الباحثة أثناء زيارة ميدانية في مجمع الملك عبدالعزيز لكسوة الكعبة المشرفة.

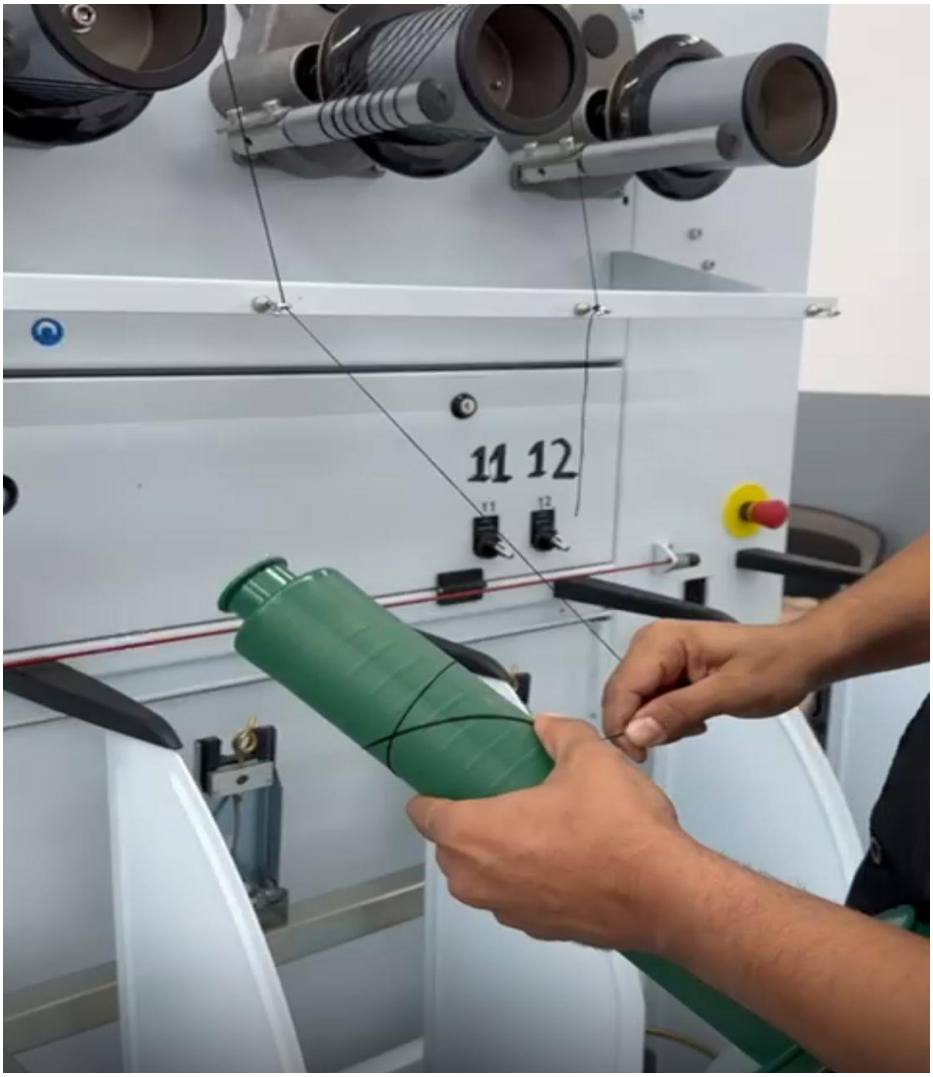

صورة رقم (13) توضح شكل القمع الأخضر والصانع يقوم بلف الخيوط قبل تشغيل الآلة.

المصدر: تصوير الباحثة أثناء زيارة ميدانية في مجمع الملك عبدالعزيز لكسوة الكعبة المشرفة.

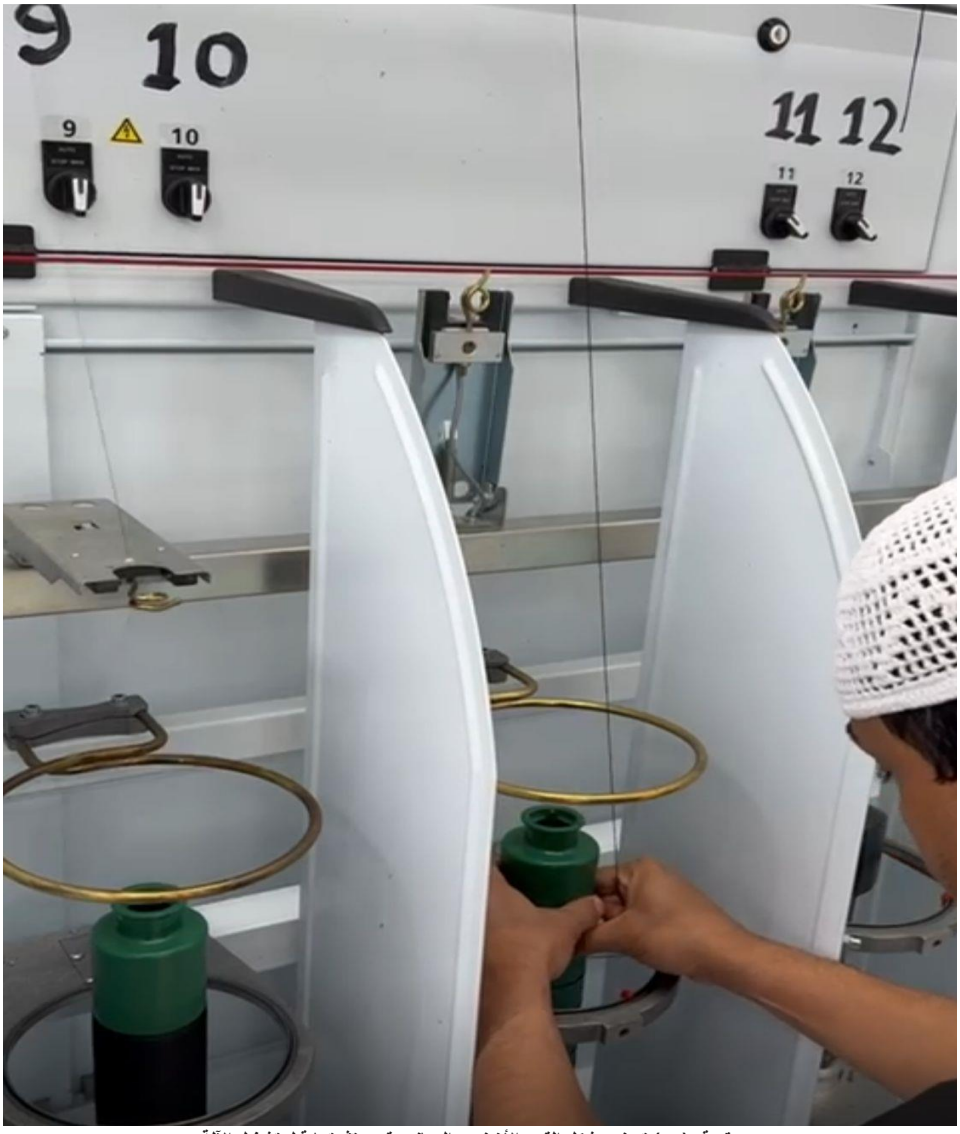

صورة رقم (14) توضح شكل القمع الأخضر والصانع يقوم بتثبيتها قبل تشغيل الآلة.

المصدر: تصوير الباحثة أثناء زيارة ميدانية في مجمع الملك عبدالعزيز لكسوة الكعبة المشرفة.

صورة رقم (15) توضح شكل القمع الأخضر وطريقة تثبيت الخيط لبدء عملية البرم والتجميع.

المصدر: تصوير الباحثة أثناء زيارة ميدانية في مجمع الملك عبدالعزيز لكسوة الكعبة المشرفة.

صورة رقم (16) توضح شكل ستة خيوط بداخل حوامل.

المصدر: تصوير الباحثة أثناء زيارة ميدانية في مجمع الملك عبدالعزيز لكسوة الكعبة المشرفة.

صورة رقم (17) توضح شكل الخيوط وهي تتحول إلى كونات كبيرة لبدء عملية النسيج.

المصدر: تصوير الباحثة أثناء زيارة ميدانية في مجمع الملك عبدالعزيز لكسوة الكعبة المشرفة.

صورة رقم (18) توضح شكل الأكون وهي معبأة.

المصدر: تصوير الباحثة أثناء زيارة ميدانية في مجمع الملك عبدالعزيز لكسوة الكعبة المشرفة.

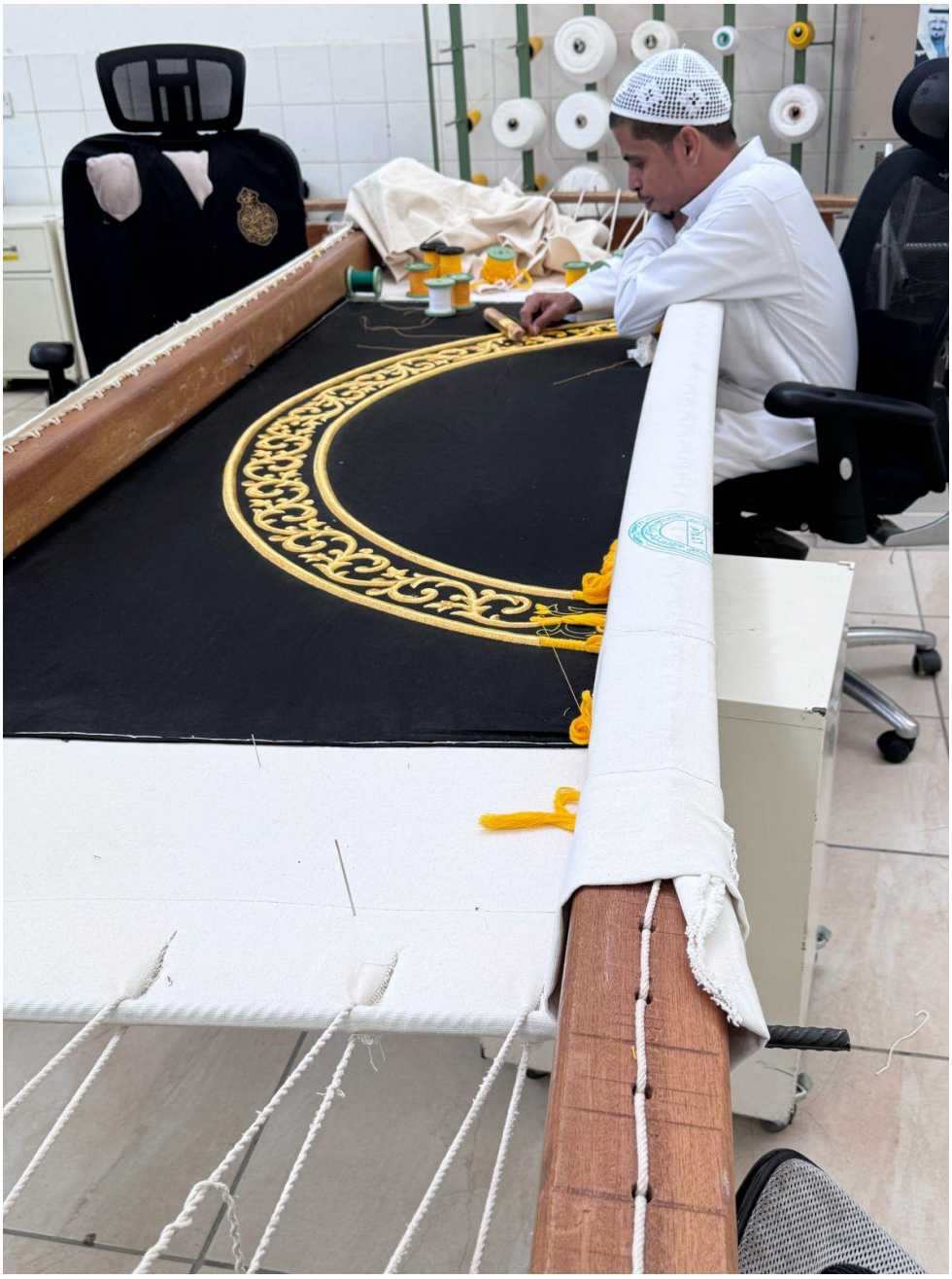

صورة رقم (19) توضح مطرز أثناء عمله على تطريز الإطار المستحدث للركن اليماني.

المصدر: تصوير الباحثة أثناء زيارة ميدانية في مجمع الملك عبدالعزيز لكسوة الكعبة المشرفة.

صورة رقم(20) توضح شكل الإطار المستحدث للحجر الأسود، ويلاحظ عودة العمل يدوياً وعمل حشوة من خيوط القطن؛ لإبراز الزخارف.

المصدر: تصوير الباحثة أثناء زيارة ميدانية في مجمع الملك عبدالعزيز لكسوة الكعبة المشرفة.

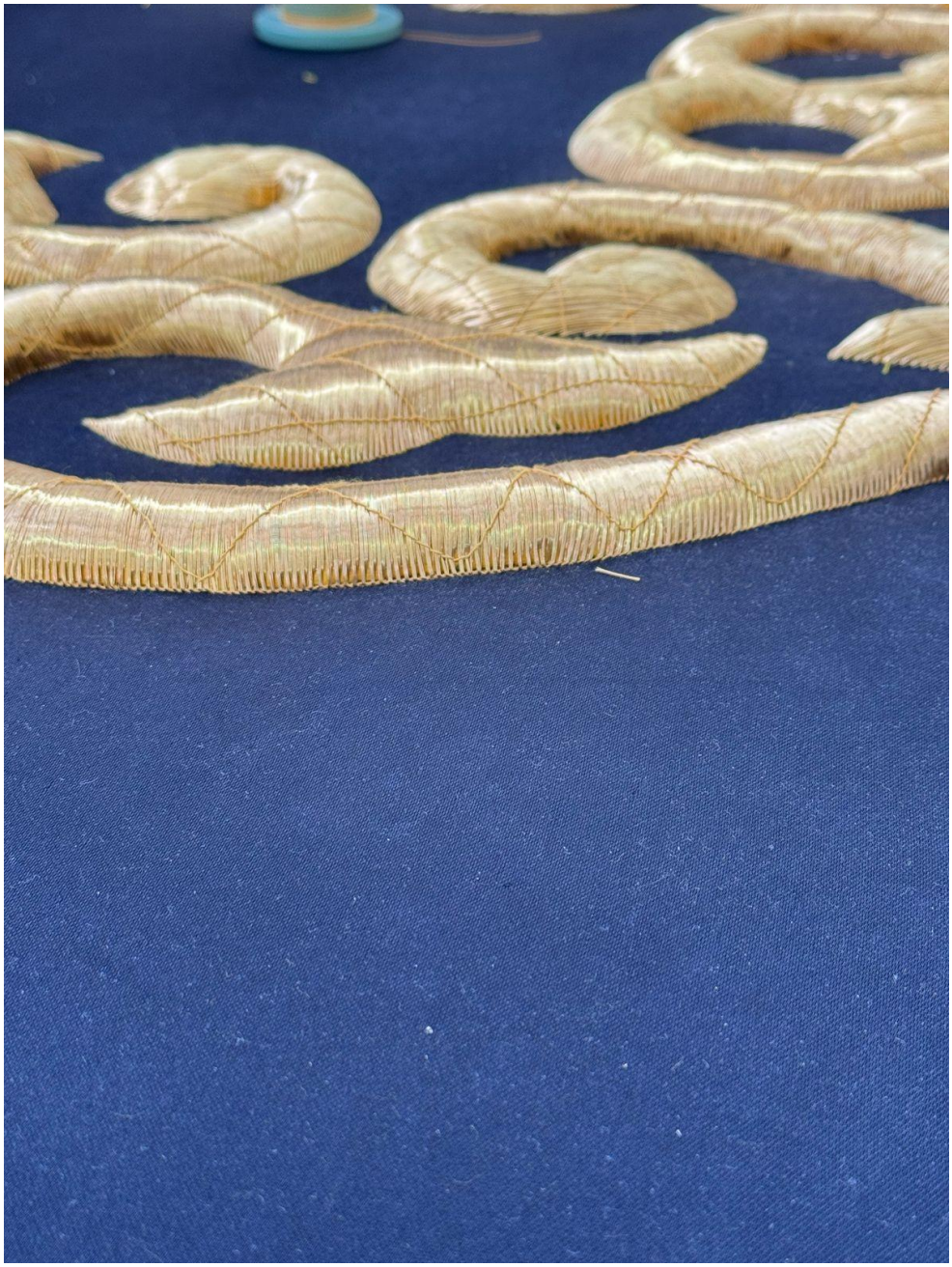

صورة رقم(21) توضح طريقة التطريز بالمذهبات وسماكة التطريز.

المصدر: تصوير الباحثة أثناء زيارة ميدانية في مجمع الملك عبدالعزيز لكسوة الكعبة المشرفة.

صورة رقم (22) توضح العمل على تطريز تاج الميزاب المستحدث.

المصدر: تصوير الباحثة أثناء زيارة ميدانية في مجمع الملك عبدالعزيز لكسوة الكعبة المشرفة.

صورة رقم (23) توضح ماكينة التطريز تاجيما.

المصدر: تصوير الباحثة أثناء زيارة ميدانية في مجمع الملك عبدالعزيز لكسوة الكعبة المشرفة بمكة المكرمة.

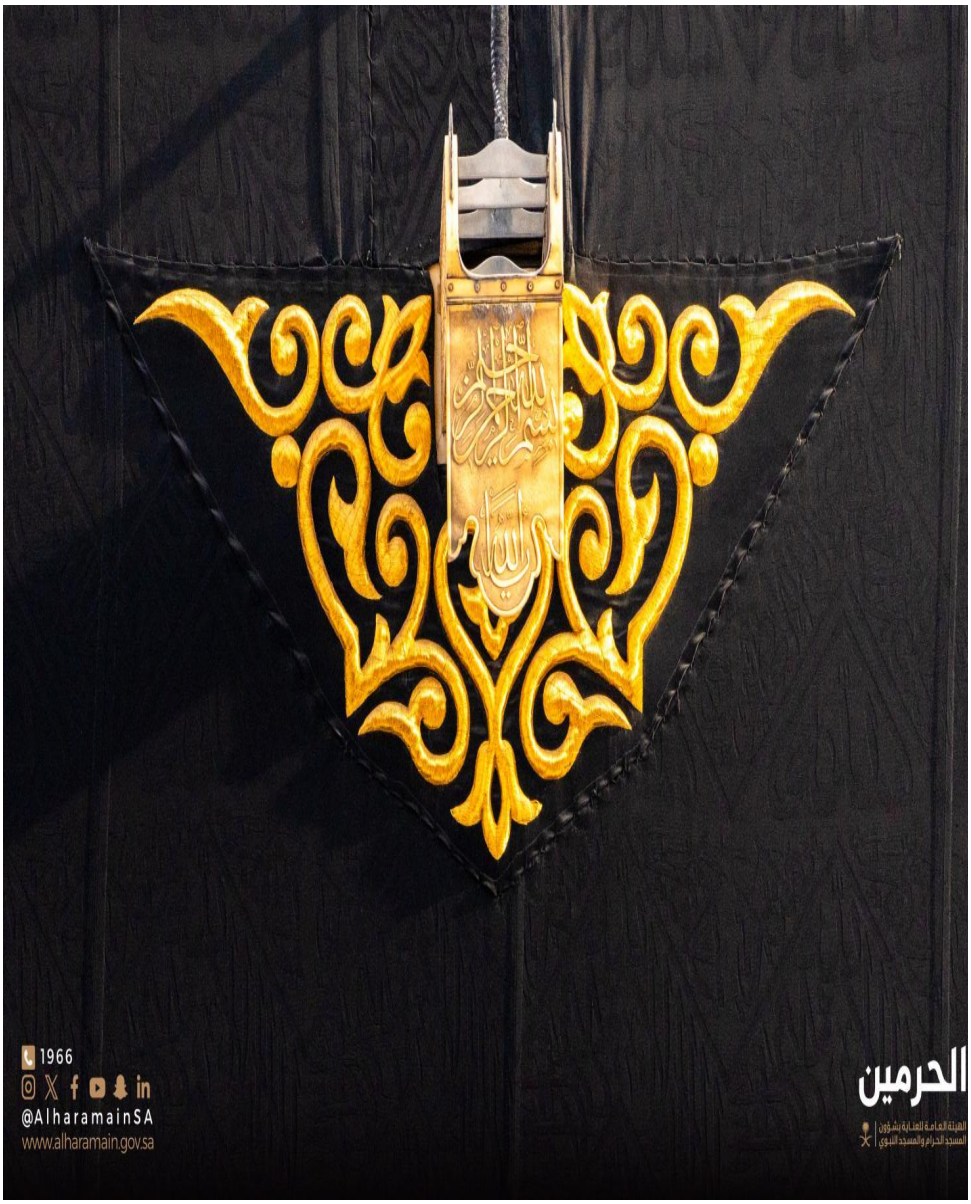

صورة رقم (24) توضح شكل تاج الميزاب على كسوة الكعبة المشرفة.

المصدر: الموقع الرسمي للهيئة العامة للعناية بشؤون المسجد الحرام والمسجد النبوي.

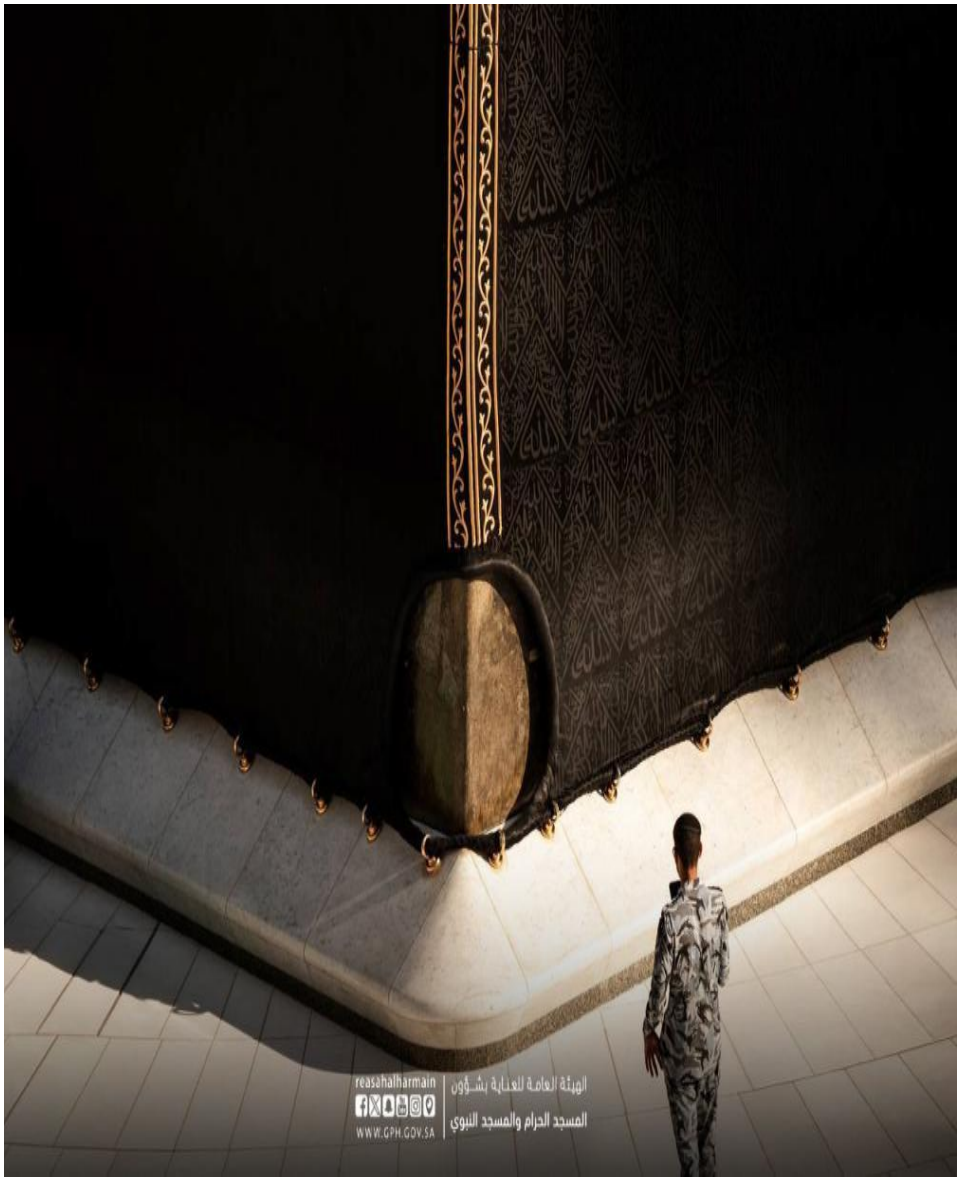

صورة رقم (25) توضح شكل العرق عند الركن اليماني على كسوة الكعبة المشرفة. المصدر: الموقع الرسمي للهيئة العامة للعناية بشؤون المسجد الحرام والمسجد النبوي.

صورة رقم (26) توضح القناديل المستحدثة فوق الحجر الأسود على كسوة الكعبة المشرفة. المصدر: الموقع الرسمي للهيئة العامة للعناية بشؤون المسجد الحرام والمسجد النبوي.

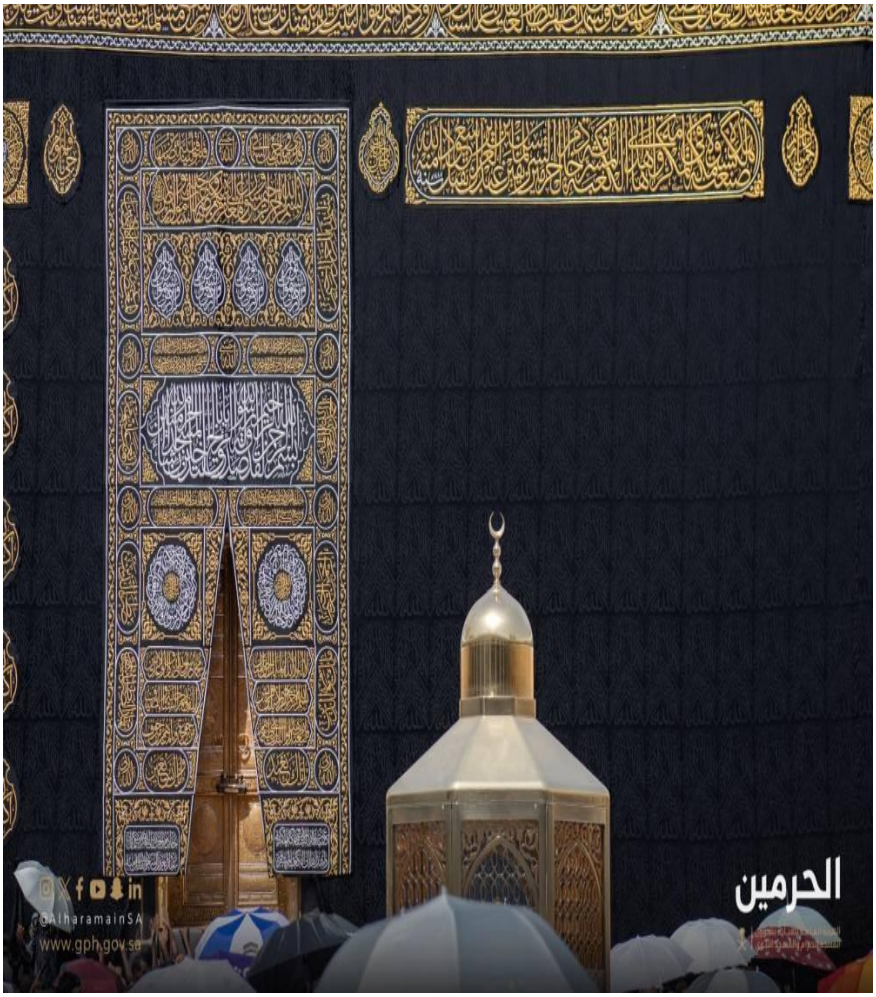

صورة رقم (27) توضح شكل ستارة باب الكعبة. المصدر: الموقع الرسمي للهيئة العامة للعناية بشؤون المسجد الحرام والمسجد النبوي.

المملكة العربية السعودية
الرئاسة العامة لشؤون المسجد الحرام والمسجد النبوي
مجمع الملك عبدالعزيز لكسوة الكعبة المشرفة

الرقم : .....
التاريخ : .....
المرفقات: .....

رؤية VISION 2030 المملكة العربية السعودية KINGDOM OF SAUDI ARABIA

١٠٤ ٧٠٠٠٨٧٥٠٠٠

ماكينة نسيج السادة

وصف الماكينة: نسج ثوب الكعبة المشرفة (السادة).

بلد المنشأ: ألمانيا.

ماكينة نسيج القطن

وصف الماكينة: نسج بطانة ثوب الكعبة المشرفة .

بلد المنشأ: ألمانيا.

آلة ربط الخيوط الاوتوماتيكية

وصف الماكينة: ربط خيوط السداء في مكائن النسيج.

بلد المنشأ: سويسرا

ص.ب ٣٢١ مكة ٢١٩٥٥ ● ٠١٢٥٦٠١١٦٨ / ٢٢١ | kis@gph.gov.sa | www.gph.gov.sa

صورة رقم (28) توضح معلومات عن عمل المكائن الجديدة. المصدر إدارة مجمع الملك عبدالعزيز لكسوة الكعبة المشرفة.

صورة رقم (29) توضح معلومات عن عمل المكائن الجديدة. المصدر إدارة مجمع الملك عبدالعزيز لكسوة الكعبة المشرفة.

الهوامش:

(1) هو الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن بن فيضل ابن تركي بن عبدالله بن محمد بن سعود من آل مقرن من ربيعة بن مانع من ذهل بن شيبان، ولد في الرياض سنة1293ه/1876م، ملك المملكة العربية السعودية، ومنشئها، وأحد رجال الدهر، وهو الذي استعاد مدينة الرياض ملك آبائه وأجداده سنة 1319ه/ 1902م، وضم إلى الرياض ما هو قريب منها كالخرج، والمحمل، والشعيب، والوشم، واستمر في معاركة حتى ضم القصيم سنة 1324ه ، ثم الأحساء والقطيف سنة 1330ه وأخرج منها من بقي من العثمانين، وضم عسير بعد تمرد آل عائض، ثم ضم الحجاز سنة 1343ه/1925م، كان ملهماً، موفقاً في أمور حياته، محبوباً بين شعبه، كريماً، وتوفي بالطائف ودفن في الرياض سنة 1373ه/1953م. الزركلي: خير الدين، الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، ط15، دار العلم للملايين، بيروت، 2002م، ج4، ص20-19.

(2) عطار: أحمد عبد الغفور، الكعبة والكسوة منذ أربعة آلاف سنة، ط2، منشورات وزارة الحج والأوقاف، المملكة العربية السعودية، 1398ه/1978م، ص164.

(3) المصدر نفسه، ص157.

(4) هو أحمد فؤاد الأول ابن الخديوي إسماعيل بن إبراهيم بن محمد علي، ولد بالقاهرة سنة1284ه/1869م، تولى سلطة مصر سنة1335ه/1917م، وفي أيامه قامت مصر بحركتها الوطنية فرفعت الحماية البريطانية، ووضع دستور للبلاد وقانون لتوارث العرش وقانون لأمراء الأسرة الحاكمة، وتحول لقبه من سلطان إلى ملك توفي بالقاهرة سنة1355ه/1936م، الزركلي: الأعلام، ج1، ص196.

(5) أمر بصنع هذه الكسوة الشريف حسين لأن مصر منعت كسوة الكعبة المشرفة في عهده لأسباب سياسية، وفي تلك السنة التي أمر بصنع الكسوة في العراق عادت مصر لإرسال الكسوة كالمعتاد، وحفظت الكسوة العراقية في المستودعات. عطار: الكعبة والكسوة، ص160.

(6) عطار: الكعبة والكسوة، 165.

(7) المصدر نفسه، ص167

(8) كانت من عادات مصر في إرسال المحمل أن تدق الطبول وهذا مخالف لما جاء به الإسلام وبدعة، فارتفعت أصوات الموسيقى حتى وصل الأمر إلى الإشتباك بالأيادي فأطلق الجيش المصري النار، وأصيب الحجاج وأرسل الملك عبدالعزيز ابنه فيصل ليطفأ هذه الفتنة، وتمكم من ذلك بفضل من الله. عطار: الكعبة والكسوة، ص167.

(9) عطار: الكعبة والكسوة، ص167.

(10) عطار: الكعبة والكسوة، ص168.

(11) أجياد: جميع جِيدٍ وهو العنق. وأجياد جمع جواد من الخيل وهو موضع في مكة المكرمة يلي الصفا، وهما أجيادان: أجياد الكبير وأجياد الصغير. وتعددت أسباب تسميت بأجياد

فمنهم قال أن تبعاً لما قد إلى مكة المكرمة ربط خيله فيه، وقيل أنها الموضع الذي كان به الخيل التي سخرها الله لإسماعيل عليه السلام. الحموي: شهاب الدين أبي عبدالله ياقوت عبدالله الحرومي البغداداي، معجم البلدان، مج1، دار صادر، بيروت، 1397ه/1977م، ص104.

(12) عطار: الكعبة والكسوة، ص171

(13) الحسني: محمد مساعد منصور آل عبدالله، الأوائل لمكة في العهد السعودي، ط2، 1424ه، ص11.

(14) الحارثي: كسوة الكعبة المشرفة في عهد الملك عبدالعزيز 1373-1343ه/ 1953-1924م، دارة الملك عبدالعزيز، الرياض،1426ه/2006م، ص27.

(15) الحارثي: كسوة الكعبة في عهد الملك عبدالعزيز، ص30.

(16) المصدر نفسه، ص34.

(17) سورة البقرة آية 125؛ عطار: الكعبة والكسوة، ص172؛ الحارثي: كسوة الكعبة في عهد الملك عبدالعزيز، ص36.

(18) سورة البقرة آية رقم 128-127؛ عطار: الكعبة والكسوة، ص172؛ الحارثي: كسوة الكعبة في عهد الملك عبدالعزيز، ص38.

(19) سورة آل عمران آية 97-95؛ نقلًا عن الحارثي: كسوة الكعبة في عهد الملك عبدالعزيز، ص38.

(20) سورة آل عمران آية 98-97؛ نقلًا عن الحارثي: كسوة الكعبة في عهد الملك عبدالعزيز، ص39.

(21) سورة الحج آية رقم 27-26.

(22) سورة الحج آية 28029. نقلًا عن الحارثي: كسوة الكعبة في عهد الملك عبدالعزيز، ص40.

(23) الحارثي: كسوة الكعبة في عهد الملك عبدالعزيز، ص40.

(24) الحارثي: كسوة الكعبة المشرفة في عهد الملك عبدالعزيز، ص40.

(25) صحيفة أم القرى العدد406، السنة9 الصادرة في22/5/1351ه الموافق 23/9/1932م، ص1.

(26) المصدر نفسه، ص42.

(27) الموجان: محمد حسين، الملك عبدالعزيز مؤسس أول دار لكسوة الكعبة المشرفة في مكة المكرمة، دارة الملك عبدالعزيز، الرياض، ص67-66.

(28) عطار: الكعبة والكسوة، ص178-177.

(29) هو سعود بن عبد العزيز بن عبدالرحمن آل سعود، ولد بالكويت عام1319ه/1902م، ونشأ في الرياض، وقرأ على بعض مشايخها، وقاد معارك مع أبيه، تولى حكم المملكة العربية السعودية بعد وفاة أبيه عام 1373ه/1953م، توفي عام 1388ه/1969م. الزركلي: الأعلام، ج3، ص90.

(30) عطار: الكعبة والكسوة، ص180.

(31) صدر أمر ملكي في 7/3/1347ه متوج بالقرار رقم (113) في 29/3/1347ه الموافق11/12/1936م، ومصادقة سمو نائب جلالة الملك بالحجاز فيصل بن عبدالعزيز وإنفاذ مقتضاه برقم (91) وتاريخ 10/4/1347ه تبديل اسم دار الكسوة بدار الصناعة() وتم تغيير اسم الدار من (دار الكسوة) إلى (دار الكسوة والصناعة) .

(32) الموجان: محمد حسين، الكعبة المشرفة عمارة وكسوة في عهد الملك سعود بن عبدالعزيز آل سعود، دارة الملك عبدالعزيز، الرياض، 1427ه/2006م، ص51.

(33) الموجان: الكعبة المشرفة عمارة وكسوة في عهد الملك سعود، ص85-84.

(34) أضيفت آيتان من سورة البقرة آية رقم 98-97 مجزأة إلى أربع قطع. انظر الموجان: الكعبة المشرفة عمارة وكسوة في عهد الملك سعود، ص87.

(35) المصدر نفسه، ص87.

(36) سورة الحج آية رقم 32.

(37) للاستزادة انظر: الموجان، الكعبة المشرفة عمارة وكسوة في عهد الملك سعود، ص85.

(38) هو فيصل بن عبدالعزيز بن عبدالرحمن الفيصل آل سعود، الابن الثالث للملك عبدالعزيز، ولد في مدينة الرياض14 صفر سنة 1324ه/1906م، شارك في سن مبكرة في المعارك والأحداث التي واكبت نشوء المملكة، كما انتدبه والده في عام 1345ه/1927م لينوب عنه في المباحثات مع بريطانية التي انتهت بالتوقيع على معاهدة جدة في 18/11/1345ه الموافق 20/5/1927م والتي اعترفت الحكومة البريطانية بمقتضاها بحكومة الملك عبدالعزيز قام بعدها بزيارة معظم دول أوروبا وأسيا ممثلاً بلاده في مختلف المؤتمرات، تولى الحكم بعد أخيه الملك سعود سنة 1384ه/1964م، واغتيل صبح الثلاثاء 13/3/1395ه/ 25 آذار 1975م. الزركلي: الأعلام، ج5، ص167-166.

(39) الموجان: محمد حسين، كسوة الكعبة المشرفة في عهد الملك فيصل بن عبدالعزيز آل سعود، دارة الملك عبدالعزيز، الرياض،1429ه/ 2008م، ص36.

(40) المصدر نفسه، ص101.

(41) كُتب آية رقم 82 من سورة طه، ولآية رقم 110 من سورة النساء، وآية رقم 186 من سورة البقرة، انظر الموجان: كسوة الكعبة المشرفة في عهد الملك فيصل، ص119.

(42) انظر الموجان: كسوة الكعبة المشرفة في عهد الملك فيصل، ص118.

(43) المصدر نفسه، ص119.

(44) الموجان: كسوة الكعبة المشرفة في عهد الملك فيصل بن عبدالعزيز آل سعود ، ص120.

(45) المصدر نفسه، ص121-120.

(46) الملك خالد: هو خالد بن عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود، ولد بمدينة الرياض عام1331ه/1913م، نشأ في كنف والده مع أخوته، وترأس وفد المفاوضات بين السعودية واليمن التي وقعت بالطائف سنة ١٣٥٣هـ - ١٩٣٤م حول الحدود ثم إنقطع عن العمل السياسي مدة لأعماله الزراعية في مزارعه التي كان يحبها كثيرا وكان يحب إقتناء الإبل والخيل ثم تولى نيابة مجلس الوزراء عام ١٣٦٢ هـ/1943م، ومن أعماله بعد توليه حكم البلاد أمر بصنع باب جديد للكعبة المشرفة الباب الخارجي، وباب التوبة من الداخل المؤدي للسطح من الذهب الخالص. الحسني: الشريف محمد بن مساعد، درر الجامع الثمين لأعمال الملوك من آل سعود الميامين في مسجد البلد الأمين(1343ه1418-ه)،ط2، مكتبة النهضة الحديثة، مكة المكرمة،1419ه/1999م، ص63-62.

(47) الموجان: محمد حسين، الكعبة المشرفة عمارة وكسوة في عهد الملك خالد بن عبدالعزيز آل سعود، دارة الملك عبدالعزيز، الرياض،1431ه/2010م، ص137.

(48) المصدر نفسه، ص154.

(49) المصدر نفسه، ص156.

(50) الملك فهد: هو فهد بن عبدالعزيز بن عبدالرحمن الفيصل آل سعود، ولد بمدينة الرياض عام1430ه/1921م، وقد اهتم والده بتعليمه، فتلقى تعليمه على يد عدد من العلماء، كلف بالأعمال السياسية والإدارية، وشارك في العديد من الأعمال الدبلوماسية منها تمثيله للملك عبدالعزيزفي حضور حفل تتويج الملكة إليزابيث ملكة بريطانيا عام1372ه/1952م، وتقلد العديد من المناصب الحكومية مما أكسبه خبرة واسعة وتوفيقاً في اتخاذ القرارات في الشؤون الداخلية والخارجية. السماري: فهد عبدالله و الجهيمي: ناصر محمد، المملكة العربية السعودية في عهد خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز آل سعود، ط2، دارة الملك عبدالعزيز، الرياض، 1423ه/2002م، ص10-9.

(51) الموجان: الكعبة المشرفة عمارة وكسوة في عهد الملك خالد بن عبدالعزيز آل سعود، ص193.

(52) ششة: الكسوة السعودية للكعبة الأبدية، هامش رقم 1، ص131.

(53) الملك سلمان: هو سلمان بن عبدالعزيز آل سعود ولد في مدينة الرياض في5/10/1354ه، وتلقى علومه في مدرسة القصر الخاصة على يد كبار العلماء أسوة ببقية إخوته، حتى تمكن من تكوين حصيلة علمية وثقافية واسعة. كما اكتسب خبرة عملية في السياسة والإدارة من خلال العمل مع والده في قصر الحكم ، وكذلك الإشراف على بعض المهام التي كلف بها، وتعد إمرته على الرياض أول عمل رسمي يقوم به فيما يبدو، وذلك في11 / 7/1373ه ، كما ذكر سابقا . إلا أن الأمير نايف بعد أن عاد من فترة علاجه قدم استقالته وخلفه الأمير سلمان بناءً على المرسوم الملكي ذي الرقم 5/10 /1424ه، وتاريخ 25/ 8/ 1374ه واستمر في منصبه أميراً للرياض والمناطق التابعة لها حتى تركه للإمارة في الفترة الأولى في 1380/3/30. المنيف: عبدالله محمد، أمراء الرياض خلال عهود الدولة السعودية، ط1، أمانة منطقة الرياض،1431ه/2010م، ص100.

(54) عبدالرحمن السديس: هو عبدالرحمن بن عبدالعزيز بن عبدالله بن محمد بن عبدالعزيز بن محمد بن عبدالله الملقب بالسديس

يرجع نسبه إلى قبيلة عنزة، من محافظة الكيرية بمنطقة القصيم، ولد في مدينة الرياض عام1382ه/1963م، ونشأ ودرس فيها فحفظ القرآن من الثانية عشرة من عمره، حتى ألتحق بمعهد الرياض العلمي، وتخرج عام 1399ه/1978م، ثم ألتحق بكلية الشريعة بالرياض وتخرج منها عام1403ه/1982م، وفي عام 1404ه/1983م صدر التوجيه الكريم بتعيينه إماماً وخطيباً في المسجد الحرام. الرئاسة العامة لشؤون المجسد الحرام والمسجد النبوي النشأة والإختصاصات، التطور والإنجازات والمبادرات المواكبة لرؤية 2030. ص 98.

(55) وثيقة غير منشورة، إدارة مجمع الملك عبدالعزيز لكسوة الكعبة المشرفة.

(56) باجودة: محمد عبدالله، الإبداع فيمن عمل بالمجمع من الصناع، ط1، مجمع الملك عبدالعزيز لكسوة الكعبة المشرفة،1439ه/2017م، ص 5؛ جريدة الرياض، العدد 16019الصادرة في يوم الخميس 12 جمادى الاخرة 1433 هـ الموافق 3 مايو 2012م.

(57) اتصال هاتفي مع د. محمد باجودة مدير مصنع كسوة الكعبة المشرفة سابقاً. الأحد8/1/1446ه الموافق الأحد14 يوليو في تمام الساعة الواحدة ظهراً.

(58) معلومات مقدمة من الأستاذ أحمد المنصوري فله كل الشكر والتقدير.

(59) معلومات مقدمة من الأستاذ فيصل مدني فله كل الشكر والتقدير.

(60) حتى آخر زيارة ميدانية للباحثة الإثنين بتاريخ 4شعبان 1446ه الموافق3 فبراير 2025م.

(61) معلومات مقدمة من مدير مجمع الملك عبدالعزيز لكسوة الكعبة المشرفة المهندس فهد الثبيتي فله كل الشكر والتقدير.

(62) باجودة: الدليل الإجرائي، ص16.

(63) زيارة ميدانية للباحثة لمجمع الملك عبدالعزيز لكسوة الكعبة المشرفة بأم الجود يوم الإثنين 4/شعبان1446ه الموافق 3فبراير2025م تمام الساعة 10:28 صباحاً.

(64) مصنع كسوة الكعبة المشرفة، الرئاسة العامة لشؤون المسجد الحرام والمسجد النبوي، ص37-36.

(65) زيارة ميدانية للباحثة لمجمع الملك عبدالعزيز لكسوة الكعبة المشرفة بأم الجود يوم الإثنين 4/شعبان1446ه الموافق 3فبراير2025م تمام الساعة 10:28 صباحاً.

(66) مصنع كسوة الكعبة المشرفة، الرئاسة العامة، ص38.

(67) مصنع كسوة الكعبة المشرفة، الرئاسة العامة، ص41.

(68) زيارة ميدانية للباحثة لمجمع الملك عبدالعزيز لكسوة الكعبة المشرفة بأم الجود يوم الإثنين 4/شعبان1446ه الموافق 3فبراير2025م تمام الساعة 10:28صباحاً.

(69) معلومات مقدمة من إدارة مجمع الملك عبدالعزيز لكسوة الكعبة المشرفة.

(70) معلومات مقدمة من إدارة مجمع الملك عبدالعزيز لكسوة الكعبة المشرفة.

(71) معلومات مقدمة من إدارة مجمع الملك عبدالعزيز لكسوة الكعبة المشرفة.

(72) معلومات مقدمة من إدارة مجمع الملك عبدالعزيز لكسوة الكعبة المشرفة.

(73) معلومات مقدمة من إدارة مجمع الملك عبدالعزيز لكسوة الكعبة المشرفة.

(74) معلومات مقدمة من إدارة مجمع الملك عبدالعزيز لكسوة الكعبة المشرفة.

(75) الشاشة الحريرية: هي عبارة عن إطار خشبي مربع يشد عليه قماش الحرير ذو مسامات صغيرة ينفذ من خلالها السائل مشكلاً الشكل المطلوب. مصنع كسوة الكعبة المشرفة، الرئاسة العامة، ص24-23.

(76) التتريب: تكتب الآيات القرآنية والزخارف الإسلامية على ورق شفاف ثم تخرم بالإبرة فوق هذه الكتابات، ثم تنثر بودرة تتخلل هذه الفتحات الصغيرة مشكلةً رسم الآيات والزخارف. الحارثي: كسوة الكعبة المشرفة ، ص160

(77) مصنع كسوة الكعبة، الرئاسة العامة، ص44-43.

(78) أجرت الباحثة حوار مع مدير قسم المذهبات الأستاذ خالد عبدالمعين المنعمي في يوم الأحد 8 /1446/1ه الموافق 14 يوليو 2024م تمام الساعة الواحدة ظهراً.

(79) أجرت الباحثة إتصال مع د. محمد عبدالله باجودة في يوم الأحد 8 /1446/1ه الموافق 14 يوليو 2024م تمام الساعة الواحدة ظهراً.

(80) أجرت الباحثة إتصال مع د. محمد عبدالله باجودة في يوم الأحد 8 /1446/1ه الموافق 14 يوليو 2024م تمام الساعة الواحدة ظهراً.

(81) معلومة مقدمة من مدير قسم المذهبات الأستاذ خالد عبدالمعين المنعمي، يوم الاثنين 3 شعبان 1446ه الموافق3 فبراير 2025م تمام الساعة11:00صباحاً

(82) صحيفة الجزيرة، العدد 10465، الخميس 1 ربيع الأول 1422ه الموافق24 مايو 2001. ششة: الكسوة السعودية للكعبة الأبدية، ص86-85.

(83) زيارة ميدانية للباحثة يوم الاثنين 3 شعبان 1446ه الموافق3 فبراير 2025م تمام الساعة 11:00صباحاً.

(84) زيارة ميدانية للباحثة لقسم المختبر يوم الاثنين 3 شعبان 1446ه الموافق3 فبراير 2025م تمام الساعة10:56 صباحاً.

(85) (85)أجرت الباحثة إتصال مع د. محمد عبدالله باجودة في يوم الأحد 8 /1446/1ه الموافق 14 يوليو 2024م تمام الساعة الواحدة ظهراً؛ باجودة: محمد، المُدد، ، مجمع الملك عبدالعزيز لكسوة الكعبة المشرفة، 1437ه/2017م ص51.

(86) أجرت الباحثة إتصال مع د. محمد عبدالله باجودة في يوم الأحد 8 /1446/1ه الموافق 14 يوليو 2024م تمام الساعة الواحدة ظهراً.

(87) أجرت الباحثة إتصال مع د. محمد عبدالله باجودة في يوم الأحد 8 /1446/1ه الموافق 14 يوليو 2024م تمام الساعة الواحدة ظهراً؛ باجودة: المُدد، ص51.

(88) سورة البقرة: آية 201؛ ابن كثير: الحافظ الدمشقي، تفسير القرآن العظيم، ج1، دار الفكر، بيروت، 1318ه/1997م، ص283.

(89) أجرت الباحثة إتصال مع د. محمد عبدالله باجودة في يوم الأحد 8 /1446/1ه الموافق 14 يوليو 2024م تمام الساعة الواحدة ظهراً.

(90) أجرت الباحثة إتصال مع د. محمد عبدالله باجودة في يوم الأحد 8 /1446/1ه الموافق 14 يوليو 2024م تمام الساعة الواحدة ظهراً.

(91) أجرت الباحثة إتصال مع د. محمد عبدالله باجودة في يوم الأحد 8 /1446/1ه الموافق 14 يوليو 2024م تمام الساعة الواحدة ظهراً.

(92) أجرت الباحثة إتصال مع د. محمد عبدالله باجودة في يوم الأحد 8 /1446/1ه الموافق 14 يوليو 2024م تمام الساعة الواحدة ظهراً.

(93) باجـودة: محمـد عبداللـه، الـمُـدد، ط1، مجمـع الملـك عبدالعزيـز لكسـوة الكعبـة المشرفـة، 1439ه/2017م.ص12.

(94) باجودة: الـمُـدد، ص18.

(95) بـاب إبراهيـم: ليـس ببـاب إبراهيـم هـو سـيدنا إبراهيـم، بـل نسـبةً إلى شـخص غسـمه إبراهيـم كان يحـترف مهنـة خياطـة الملابـس ويزاولهـا عنـد هـذا البـاب فسـمي باسـمه.عمارة: طـه عبدالقـادر، تاريـخ عـمارة وأسـماء أبـواب المسـجد الحـرام حتـى نهايـة العـصر العثـماني، مركـز أبحـاث الحـج، جامعـة أم القـرى، ص121.

(96) باجودة، المُدد، ص24.

(97) باجودة، المُدد، ص30.

(98) باجودة: الـمُـدد، ص32.

(99) باجودة: الـمُـدد، ص34.

(100) باجودة: الـمُـدد، ص36.

(101) باجودة: المُدد، ص38.

(102) الصمديات: قطعة مربعة مكتوب فيها سورة الإخلاص.

(103) باجودة: الـمُـدد، ص41.

(104) باجودة: الـمُـدد، ص42.

(105) باجودة: الـمُـدد، ص42.

(106) باجودة: الـمُـدد، ص48.

(107) باجودة: المدد، ص52.

(108) باجودة: المدد، ص49.

(109) باجودة: المدد، ص50.

(110) باجودة: المدد، ص50.

المصادر والمراجع:

اولاً: القرآن الكريم

(1) عطار: أحمد عبد الغفور، الكعبة والكسوة منذ أربعة آلاف سنة، ط2، منشورات وزارة الحج والأوقاف، المملكة العربية السعودية، 1398ه/1978م

(2) الزركلي خير الدين، الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، ط15، دار العلم للملايين، بيروت، 2002م، ج1.

(3) الزركلي: خير الدين، الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، ط15، دار العلم للملايين، بيروت، 2002م، ج3.

(4) الزركلي: خير الدين، الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، ط15، دار العلم للملايين، بيروت، 2002م، ج4.

(5) الزركلي: خير الدين، الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، ط15، دار العلم للملايين، بيروت، 2002م، ج5.

(6) الحموي: شهاب الدين أبي عبدالله ياقوت عبدالله الحرومي البغداداي، معجم البلدان، مج1، دار صادر، بيروت، 1397ه/1977م.

(7) الحسني: محمد مساعد منصور آل عبدالله، الأوائل لمكة في العهد السعودي، ط2، 1424ه.

(8) الحارثي: ناصر، كسوة الكعبة المشرفة في عهد الملك عبدالعزيز 1373-1343ه/ 1953-1924م، دارة الملك عبدالعزيز، الرياض،1426ه/2006م.

(9) الموجان: محمد حسين، الكعبة المشرفة عمارة وكسوة في عهد الملك خالد بن عبدالعزيز آل سعود، دارة الملك عبدالعزيز، الرياض،1431ه/2010م.

(10) الموجان: محمد حسين، الملك عبدالعزيز مؤسس أول دار لكسوة الكعبة المشرفة في مكة المكرمة، دارة الملك عبدالعزيز، الرياض.

(11) الموجان: محمد حسين، الكعبة المشرفة عمارة وكسوة في عهد الملك خالد بن عبدالعزيز آل سعود، دارة الملك عبدالعزيز، الرياض،1431ه/2010م.

(12) المنيف: عبدالله محمد، أمراء الرياض خلال عهود الدولة السعودية، ط1، أمانة منطقة الرياض،1431ه/2010م

(13) السماري: فهد عبدالله والجهيمي: ناصر محمد، المملكة العربية السعودية في عهد خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز آل سعود، ط2، دارة الملك عبدالعزيز، الرياض، 1423ه/2002م

(14) باجودة: محمد عبدالله، المُدد، ط1، مجمع الملك عبدالعزيز لكسوة الكعبة المشرفة، 1439ه/2017م.

(15) باجودة: محمد عبدالله، الإبداع فيمن عمل بالمجمع من الصناع، ط1، مجمع الملك عبدالعزيز لكسوة الكعبة المشرفة،1439ه/2017م

(16) عـمارة: طـه عبدالقـادر، تاريـخ عـمارة وأسـماء أبـواب المسـجد الحـرام حتـى نهايـة العـصر العثـماني، مركـز أبحـاث الحـج، جامعـة أم القـرى.

الصحف المحلية:

(1) صحيفة أم القرى العدد406، السنة9 الصادرة في22/5/1351ه الموافق 23/9/1932م.

(2) جريـدة الريـاض، العـدد 16019الصـادرة في يـوم الخميـس 12 جـمادى الاخـرة 1433 هـ الموافـق 3 مايـو 2012م.

(3) صحيفة الجزيرة، العدد 10465، الخميس 1 ربيع الأول 1422ه الموافق24 مايو 2001.

الوثائق:

(1) مجموعة وثائق من قبل إدارة مجمع الملك عبدالعزيز لكسوة الكعبة المشرفة.

اللقاءات والإتصالات الشخصية:

(1) مدير مصنع كسوة الكعبة المشرفة سابقاًد. محمد عبدالله باجودة.

(2) مدير مصنع كسوة الكعبة المشرفة سابقاً الأستاذ فيصل مدني.

(3) امدير مصنع كسوة الكعبة المشرفة سابقاً الأستاذ أحمد المنصوري.

(4) مدير مجمع الملك عبدالعزيز لكسوة الكعبة المشرفة المهندس فهد الثبيتي.

(5) مدير قسم المذهبات الأستاذ خالد عبدالمعين المنعمي.